الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة مصطفى إسطمبولي معسكـــــر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم
تخصص نقد أدبي معاصر

موسومة:

استراتيجية الخطاب الحجاجي في كتاب (الحِيدة) لعبد العزيز الكناني "مقاربة تداولية"

إعداد: خديجة الكبرى سلطاني

إشراف: الأستاذ الدكتور بن قويدر مختار

01	شويرف مصطفى	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	رئيسا
02	بن قويدر مختار	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	مشرفا وقررا
03	ولد النبية يوسف	أستاذ التعليم ا عالي	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	مناقشا
04	عرابي أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن حمد وهران 1	مناقشا
05	جغدم الحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلي شلف	مناقشا
06	بوداود براهيمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد زبانة غليزان	مناقشا

السنة الجامعية : 021 -2022

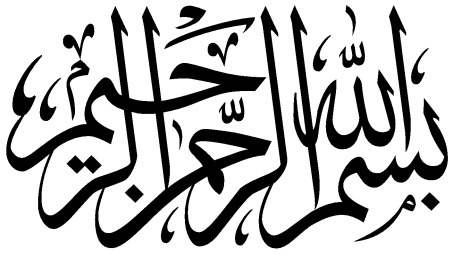

"قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨

صدق الله العظيم

سورة طه الآية 28

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مختار بن قويدر

الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل ، وعلى كل الدعم الذي قدمه لي من خلال

مساعدته.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والثناء إلى لجنة المناقشة ،

الذين تفضلوا بقراءة هذه الأطروحة ، فلهم مني جميعا كل الاحترام والتقدير.

الإهاء

إلى عائلتي.

إلى أساتذتي.

إلى كل من قدم لي يد العون.

و إلى كل من تمنى لي التوفيق.

مقدمة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ..الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين... ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

عرفت الأمة العربية الإسلامية في مرحلة من مراحل تاريخها خاصّة فيى العصر العبّاسي، حركة ثقافية وفكرية لافتة، شملت ميادين مختلفة، لا سيما الأدب واللغة، كما عرف التاريخ الإسلامي في تلك الفترة الكثير من الصراعات الفكرية التي يعتبر بعضها صورة من صور المعرفة، وحقلا من حقول الفكر الذي تناوله الباحثون والمهتمون بالدراسة والتحليل، فعرفت المناظرات والصراعات الفكرية والصّدامات العقدية والسياسية، وقد كانت هذه المناظرات نافذة عن المعلوم والمجهول من تراثنا العربي الإسلامي.

ولعل من أهم ما جاء في هذا التراث مسألة خلق القرآن، وهي من أهم القضايا التي شغلت المسلمين في غضون الدولة العباسية حوالي القرن الثالث الهجري على أيام الخليفتين المأمون (ت 219 ه) والمعتصم (ت 227 ه)، وسار على هذا الكثير من أقطاب علماء الكلام من الخوارج والمعتزلة.

وفي الرأي المخالف يظهر من قال بغير هذا واعتبروا القرآن كلام الله غير مخلوق، وبين الطائفتين وقع الجدال واشتد النزاع بين مؤيد لهذه المسألة ومعارض لها، فالذين يقولون بخلقه يرون أن الأشياء لا تعدو بأن تكون مخلوقا أو خالقا.

فقضية خلق القرآن الكريم والقول بذلك نتيجة لتوجّه فكري، ومنظومة من التصورات والآليات المنطقية التي بنت بعض المذاهب والفرق تصوراتها وتوجّهها الفكري على أساسها، وقالوا بخلق القرآن وانتصروا لهذا الموقف ودافعوا عنه، وحاولوا فرضه بالقوة كما فعل المعتزلة مع الإمام الممتحن " أحمد بن حنبل وأتباعه في زمن "المأمون".

أما الموقف الآخر، فيمثله أهل السنة والجماعة، وهم يمتنعون على أن يصفوا القرآن بما لم يأت على لسان النبي صلّى الله عليه وسلّم أو الصحابة اتباعا وتقييدا بسنته الشريفة، وما أثر عنهم أنهم كانوا يقولون أن القرآن كلام الله على حدّ ما جاء به ابن قدامة وأحمد بن حنبل، وما قال به ابن تيمية وما قال به الأشاعرة أيضا.

وكلّ طائفة كانت تعتمد على ما حوته من البراهين وما تحصلت عليه من الحجج، وكل من القائلين يقدم احتجاجا بأحقية ما يسدد به رأيه ويؤكد به موقفه ويدعم ما يذهب إليه.

وفي خضم هذه الصراعات الفكرية يظهر كتاب له أهمية كبرى في مجال المناظرة، ويعدّ من المؤلفات النادرة في تراثنا العربي الإسلامي في إحدى المسائل المثيرة للجدل في فكرنا العربي، **كتاب الحيدة والاعتذار في خلق القرآن لصاحبه عبد العزيزبن يحيي الكناني**.

فالمناظرة التي سجلها خطاب الحيدة تصب في سياق التناظر بين مذهبين في الفكر العربي الإسلامي، حيث يدافع الفريق الأوّل الذي يمثله المعتزلة عن القول بخلق القرآن الكريم، ويدافع الفريق

الثّاني والذي يرفع لواءه أهل السّنّة عن القول بأنّ القرآن كلام الله تعالى، وقد وقعت المناظرة بين عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكناني المكي الذي يمثل المذهب السّنّي، وبشر بن غيّاث المرّيسي الذي يمثّل الفكر الاعتزالي، مجلس "المأمون".

وقد سعى "الكناني" بكل ما أوتي من حجج إلى مناظرة "بشر المريسي" ليظهر غيه وفساد مذهبه وبطلان منطقه، ومغالطته النّاس فيما ذهب إليه هو وأتباعه، ليهزم بذلك قطبا من أقطاب المعتزلة ويبطل مذهبهم، فتقع تبعا لذلك المعتزلة وتبطل حجّتهم أمام الخليفة المأمون، الذي كان يمثل يد المعتزلة التي يبطش بها كل من خالفهم ولم يذهب مذهبهم.

ولما كان لهذه المدوّنة من الأهمية ارتأيتها مصدرا مهما في مجال الدّراسة، وأحاول ما استطعت أن أدرس حيثياتها أولا من ناحية الفكرة التي قام عليها وأسباب هذه الفكرة منذ بدايتها حتى إلى مجال النهاية التي وصلت إليها، أتتبع في ذلك قضايا الكتاب ومراحل المناظرة التي قامت عليه، بين عبد العزيز الكناني المتوفي عام 240 هـ الممثّل لأهل السّنة والجماعة الذي يفند فكرة خلق القرآن، ومناظره بشر المريسي المتوفي عام 218 هـ، أحد رؤوس المعتزلة الذي يتبنى فكرة خلق القرآن، وما يقدمانه من حجج في إثبات الرأي ودحض الرأي المخالف.

ومهما يكن من أمر فالمناظرة تستدعي حضور البديهة، والانتباه بقوة إلى رأي الخصم والتحقق مما يقول، وقد كان ذلك وصفا تاما لعبد العزيز وهو يحاجج خصمه ويوظف ما استطاع من البراهين والدلائل التي تؤكّد على صحة موقفه وسلامة مذهبه، معتمدا على الأدلة النقلية والعقلية في عرض حججه وتقوية موقفه ودحض مقالة محاججه وكسر آراءه، ويبين اختلاف منهجه وأقواله أمام الخليفة المأمون، ورؤوس المعتزلة من

خلال القرآن والسنة، ومن خلال المنطق، وآليات اللغة، وتمّ كل ذلك في مجلس الخليفة المأمون الذي ضمّ رؤوس المتكلّمة من أهل الاعتزال إلى جانب طرفي الحجاج المتناظرين، بحضور المأمون الذي كان متحيزا لمذهب الاعتزال، فقد كان المجلس معتزليا بامتياز، ولعل الكناني كان السّني الوحيد فيه الذي يقول بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى غير مخلوق.

ففتنة خلق القرآن الكريم والصراعات التي نتجت عن القول بذلك كانت مدعاة لقيام عدد من المناظرات ومناظرة الحيدة موضوع الدراسة إحدى نتائجها، إذ استثمر بناؤها الاستراتيجيات الخطابية الحجاجية من خلال إثبات الحجج وطريقة توظيف الآليات اللغوية وغير اللغوية من أجل إثبات الدعاوي و تأكيد الآراء والمواقف أو دحضها وتفنيدها.

وعليه، فموضوع دراستي ينقسم بين الحجاج والتّداولية، فالحجاج من النظريات التي جاءت نتاجا لتطوّر اللسانيات الجديثة في دراسة اللغة باعتبار الأخيرة أداة للتواصل والتبليغ، وقد عدّ الحجاج فعالية خطابية كونه فكرة بلاغية هدفها الإقناع، وممارسة فكرية يعتمدها المتكلّم للتّأثير على المتلقّي.

وقد اكتسب الخطاب الحجاجي اهتمام اللغويين والباحثين لانفتاحه وتنوّع مجالاته، ومن هذا الانفتاح يقع الحجاج في دائرة الأبحاث التّداولية بشكل خاص لما توليه من اهتمام لأقطاب العملية التواصلية، فاهتمت بالمتكلّم ومقاصده، وظروفه كما اهتمت بالمتلقّي وقدرته على الاستيعاب.

ويبرز الخطاب الحجاجي وتداوليته في أنواع الخطابات المتعددة، ومنها خطاب المناظرات وهو ما نحاول تجليته في هذه الدراسة، من خلال استراتيجياته الحجاجية الموظّفة في خطاب الحيدة.

و وعليه وفق المادة العلمية والمعرفية المتاحة في المصادر والمراجع المختلفة، ارتأيت تقسيم موضوع بحثي إلى مدخل وثلاثة فصول، مبتدئة في ذلك بمقدمة تضمّنت تقديما للموضوع ووصفا عاما له، ومنتهية بخاتمة حوصلت فيها نتائج الدّراسة.

وعليه أسّست بحثي على العنوان التالي: **"استراتيجية الخطاب الحجاجي في كتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني - مقاربة تداولية -."**

وتلخّصت إشكالية الدراسة فيما يلي:

ماهي أهم الاستراتيجيات الحجاجية الموظفة في الخطاب الحجاجي لمناظرة الحيدة؟ وماهو دورها؟ وكيف وظّفها طرفا المناظرة تداولياً؟

لتتناسل عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة، نذكر منها:

- ماهي حدود منطق الحجاج و كيف تم تأصيل مصطلحه؟ ماهي أنواعه؟ وما علاقته بالمصطلحات المرتبطة به؟
- كيف تمّثل علماؤنا العرب القدامى من اللغويين الحجاجَ؟ وكيف تجلّى الخطاب الحجاجي في آثارهم؟ وكيف أصّله المحدثون منهم؟
- ماهي حدود المصطلح في الثقافة الغربية وكيف اهتم به الدّارسون واللّسانيون من خلال تنظيراتهم له.
- ماهي التداولية؟ وما حدود المصطلح عند اللغويين العرب والغرب وما هي أهم إجراءاتها؟
- وما هي أبعاد النظرية التداولية في الفكر العربي التراثي؟

وغيرها من الأسئلة التي حاولت قدر الإمكان البحث فيها من أجل إيجاد إجابات لها في حدود ما وفّرته المصادر والمراجع التي وقعت تحت يدي من مادّة علمية ومعرفية.

لقد كان هدفي من هذا البحث أن أستوضح أساليب الحجاج وأستجلي طرقه

واستراتيجياته التي وظّفها عبد العزيز الكناني في تأسيس أدلته في إثبات رأيه المؤسس

على النقل والعقل من خلال القرآن الكريم و أسرار اللغة العربية، ورد الحجج المخالفة

بما يراه أيضا مخالفا للنقل والعقل، كما أنّ الدّافع لاختيار "الحيدة" كنموذج للدّراسة هو كونه أثرا عربيا تراثيا يحمل فوائد أدبية ولغوية عظيمة، لم ينل الاهتمام الكبير من الدراسة رغم شهرته وذيع صيته، فقد صدر الكتاب بطبعات عديدة و تحقيقات كثيرة إلّا أنه لم تتناوله الدراسات النقدية الحديثة بالعناية التي يستحقها، اللهم بعض الدراسات التي لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة.

وددت الاشتغال عليه وإعادة مقاربته برؤية حداثية ومن خلال عيون النقد المعاصر وآلياته، ومن خلال محاولة رصد بعض الاستراتيجيات الحجاجية المتضمَّنة في الأفعال الكلامية الحاملة لقوى إنجازية مختلفة والتي تعد من صميم البحث التداولي.

جاء المدخل تحت عنوان : التأسيس لبلاغة الحجاج، وفيه إشارة إلى مفهوم الحجاج في معنييه اللغوي والاصطلاحي، والإشارة إلى حدوده وخصائصه وأنواعه، باعتباره ميدانا فسيحا من ميادين الدراسات اللغوية الحديثة، والتطرق إلى آلياته وأنماطه وجذوره ومنطلقاته الفلسفية والفكرية ابتداء بمبادئه وأسسه في الفلسفة اليونانية القديمة عند أرسطو والسوفسطائيين إلى غاية ما وصل إليه في المنظومة الفكرية الغربية الحديثة مرورا بتأصيلات حاييم بيرلمان وتيتكاه.

أما الفصل الأوّل: فوسمته ب : **التّداولية: الأسس، المنطلقات والمفاهيم** وقد تضمن أربعة مباحث: المبحث الأول فيه إشارة إلى المفهوم العام للتداولية من حيث النشأة والتأصيل والتطور، مع الإشارة إلى مدلولها المعجمي والاصطلاحي، أما الثاني ففيه إشارة إلى التداولية عند فلاسفة الغرب ومدى جهودهم فيها مع الإشارة إلى تصورات البعض من فلاسفتهم ودارسيهم من الحقل اللساني، وأما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن الفكر التداولي عند العلماء العرب وتطورها وأهم إجراءاتها عند القدامى من اللغويين أمثال الجاحظ والجرجاني و السكاكي وغيرهم وعلماء الأصول منهم و كذا الدارسين اللسانيين المحدثين على حد سواء، والمبحث الأخير خصصته للحديث عن علاقة التداولة بمختلف علوم اللغة .

وأما الفصل الثّاني فعنونته ب: **الخطاب الحجاجي عند المدرستين العربية والغربية**، وقد فرعته إلى مباحث أربعة، **فالمبحث الأول منها**، تطرقت فيه إلى الخطاب الحجاجي بين اللغة والاصطلاح وعلاقته بالمنطق والفلسفة، **أما الثاني** فتحدّثت فيه عن **الحجاج والخطابة عند أرسطو**، أما **المبحث الثالث** فأشرت فيه إلى **خصائص الخطاب الحجاجي وأهم سماته**، وختمت هذا الفصل برابع المباحث الذي تناولت فيه أنواع **الحجاج وعلاقته بعلوم اللغة.**

أما الفصل الثالث: فكان بعنوان **الاستراتيجيات الحجاجية الموظفة في خطاب الحيدة**، واندرج تحت هذا العنوان ثلاثة مباحث: الأول تناول **الإطار السياقي والنسقي لكتاب الحيدة، تناول الجانب السياقي منه** ترجمة عن حياة المؤلف ومناظره، ومقصديته من وضع الكتاب، أما المبحث الثاني فتناول **الإطار النسقي لخطاب الحيدة**، وتمت معالجته من منطلق أنه مناظرة بالدرجة الأولى، فتطرقت بالتالي إلى فن المناظرة في الإرث الأدبي العربي والإسلامي عموما، ثمّ خصصت دراستها في مدوّنة الحيدة.. أما المبحث الثالث فقد كان حول استراتيجية الخطاب الحجاجي عند عبد العزيز الكناني الذي ضمنه في كتابه

الحيدة، بداية بضبط مفهوم الحيدة والاعتذار لغة واصطلاحا، مع التطرق إلى الاستراتيجيات الحجاجية التي تضمنها خطاب الحيدة والتي تفرعت إلى الاستراتيجيات التمهيدية للمناظرة ومن ثمة تدرجت إلى محاولة رصد الاستراتيجية اللغوية والتداولية والاستراتيجيات البلاغية.

وخاتمة رصدت فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدّراسة.

ونظرا لطبيعة الدراسة فقد توسلت في دراستي هذه المنهجَ الوصفي والتحليلي.

اعتمدت في دراستي على مجموعة من المصادر والمراجع التراثية والحداثية ليكون بحثي مزجا بين التراث والحداثة، وإبرازا للتراث العربي برؤية حداثية، أذكر منها: كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني، وكتاب ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وكتاب الحجاج: طبيعته ومجالاته ووظائفه لأبي بكر العزاوي، وكتاب التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي لمسعود صحراوي، وكتاب استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري، ، وكتاب في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات عبد الله صولة، وكتاب في أصول الحوار وتجديد علم الكلام لطه عبد الرجمن، و كتاب الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر لمحمد أمين الطلبة، وكتاب الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه. لسامية الدريدي، ... وغيرها من المراجع التي وفّرت مادة علمية ومعرفية ثرية.

في الأخير، نرجو أن يكون العمل خالصا لوجه الله تعالى، فما من توفيق أو صواب فمن الله وحدة و ما من زلل أو إخفاق أو هفوات – وما أكثرها- فمن نفسي ومن الشيطان.

ولا أدعي الاكتمال لهذه الدراسة، بل هي بداية إن شاء الله للدراسة والبحث في مجال الحقل التداولي والحجاجي، وفتح الباب للمزيد من الأعمال التي تنهض بتراثنا الأدبي العربي لإبرازه بآليات نقدية معاصرة.

وفي الأخير، أتقدّم بجزيل الشّكر وفائق التّقدير لأستاذي الفاضل، الأستاذ مختار بن قويدر، على قبوله الإشراف على هذا العمل، على توجيهاته وحرصه الكبير على إتمامه، وتشجيعه المتواصل لي، وصبره وحلمه علي طيلة عمر هذا البحث.

والشّكر موصول إلى كل من ساعدني بالتّشجيع، بالتّحفيز، بالكلمة الطيبة والدعاء.

خديجة الكبرى سلطاني

معسكر في 30 ماي 2022

مدخل

التأسيس لبلاغة الحجاج

مدخل: التأسيس لبلاغة الحجاج

أصبح الحجاج اليوم وفي ظل الدراسات والأبحاث الحديثة مستقطبا للأنظار لافتا للدراسة بسبب حضوره الكلي أو النسبي في الخطاب بعمومه، سواء كان هذا الخطاب فلسفيا، أخلاقيا، أدبيا، قضائيا، لسانيا، سياسيا، سيميائيا، اجتماعيا أم فنيا، أم غير ذلك كله من أنواع الخطابات. مما يعني أن عصرنا هذا هو عصر الحجاج والبرهان والتأثير والحوار، والإقناع، ولقد أضحت الحاجة إليه ماسة جدا، كما كانت من قبل وعلى مر العصور، كونه السبيل للعقل والمنطق والاختلاف والتسامح، والحوار البناء والجدال الحسن.

لقد كثر الحديث بشكل كبير عن الحجاج ودوره في الخطابات بتنوعها وتعددها، علمية كانت أو إنسانية أو ثقافية، مما جعل أبحاثا ودراسات مختلفة وعديدة تتناوله بالدراسة والتحليل والتقويم[1].

لقد بات الحجاج وسيلة لدراسة الأفكار، ومناقشتها مهما كانت طبيعتها وأداة ضرورية في محاورة الأطراف المساهمة في عملية التواصل، والغرض من ذلك كله التأثير والإقناع، أو مناقشة الأفكار المطروحة بالتشكيك في مصداقيتها أو معارضتها أو إثباتها تأييدها، أو حتى إبداء آراء أخرى وأفكار أخرى من أجل الانتهاء إلى إجابات مقنعة لعدد من الأسئلة والقضايا والأفكار والخلافات التي يتجادل حولها العلماء والمفكرون والعامة.[2]

والسؤال المطروح: ما هو الحجاج؟ ما حدوده؟ كيف عرفته المعاجم العربية؟ وكيف تناولته المعاجم الحديثة؟ وكيف يتجلى في ثقافتنا العربية؟

بداية نعرج على مفهوم الحجاج وحده اللغوي.

الحجاج: حدوده ومفاهيمه

الحجاج لغة:

تدل معاني الجذر اللغوي لكلمة حجاج (ح ج ج) على المجادلة بسبب خلاف في الرأي ووجهة النظر ومنه الدليل على الرأي المرغوب إثباته وهو ما ورد في بعض المعاجم العربية، فقد أورد معجم أساس البلاغة للزمخشري في معاني الحجاج: "حاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج".[3]

أي مغلوب، والمتكلم: الغالب المحاجِج، والمغلوب: السامع المحاجَج، أي أنه اقتنع بحجة المتكلم.

---

[1]- ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج، كتاب رقمي متاح على شبكة الألوكة على الموقع: www.alukah.net، ص: 06

[2]-المرجع نفسه، الصفحة، نفسها.

[3]-جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص74.

بمعنى المحاجِج: المتكلم، الغالب، أي الذي يتخذ صيغة اسم الفاعل من الحجاج، وأما المحاجَج فهو الذي يقع عليه فعل الحجاج وهو الذي يقتنع بالحجة، فيتخذ بذلك صيغة اسم الفعول.

ويورد ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة " لفظة الحجاج، بقوله: " حاججت فلانا فحججته: أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع: حجج، والمصدر: حجاج. "[1]

ويؤكد ان منظور هذا المعنى في لسان العرب بقوله: " فالحجة ما دوفع به الخصم، ورجل محجاج أي جدِل، والتحاجّ: التخاصم، واحتجّ بالشيء: اتخذه حجّة"[2].

وبالتالي، نجد أن الذي يدعي صحة كلامه ويقول بصواب رأيه، عليه أن يثبت ذلك بتقديم الحجج.

كما وافقت المعاجم العربية الحديثة نظيرتها القديمة في ما وردته من معان للحجاج واشتقاقاته، نذكر على سبيل المثال المعجم الوسيط الذي ورد فيه: معنى الحجاج " غلبه بالحجة، أو حاجه مُحاجّة وحجاجا: جادله واحتج عليه: أقام عليه الحجة، وعارضه مستنكرا فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجة: الدليل والبرهان". [3]

وقد جاء في معجم المعاني الحجاج من الفعل حاجّ، يحاجّ، حاجج (للأمر)، محاجّة وحجاجا، فهو محاجّ للفاعل، والمفعول معا. فحاجّ الشخصُ: أقام الحجة والدليل ليثبت صحة أمر، وبرهن بالحجة والدليل ليقنع الآخرين.

وحاجّ الشخصَ: جادله، خاصمه ونازعه بالحجة وناظره.[4]

ويقال حاججته، أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. والحجة: البرهان وما دوفع الخصم به، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، والتحاجّ هو التخاصم، وحجه يحجه حجاّ: غلبه على حجّته، واحتجّ بالشيء: اتخذه حجّة، وفي حديث الدجال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه " أي محاجّه ومغالبه بإظهار الحجّة عليه. ويقال: حاججته: فأنا محاجّ وحجيج: فعيل بمعنى فاعل.[5]

والحجة حسب - ابن منظور- البرهان: وهي ما دوفع به الخصم، والتحاجّ هو التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجّه محاجّة وحجاجا: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجّا: غلبه على حجته، وفي الحديث: " فحجّ آدم موسى" ؟ أي غلبه بالحجة، واحتجّ بالشيء: اتخذه حجة، قال الأزهري: " إنما سميت

[1] -أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص27.

[2] -جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل بن منظور، الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة (ح ج ج)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص38.

[3] -إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، ط2، ص106، 107.

[4] -ينظر: معجم المعاني الجامع، متاح على الموقع: www almaany.com بتاريخ 11.07.18.

[5] -ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص38.

حجّة: لأنها تحجّ أي تقصد، لأن القصد لها وإليها...ومنه حديث معاوية:" فجعلت أحجّ خصمي، أي أغلبه بالحجّة "[1]" كما جاء المصطلح أيضا في في معجم الصحاح إذ وردت الحجة بمعنى البرهان، وحاجه فحجه من باب ردّه، أي غلبه بالحجة، ورجل محجاج بالكسر أي جدل، والتحاجّ، التخاصم."[2]

"وتدور معاني الجذر اللغوي لكلمة حجاج (ح ج ج)كلها حول المجادلة بسبب اختلاف في الوجهة أو الرأي أو ما شابه، ومنه الدليل على الرأي المرغوب إثباته، وهو ما نجده في عدد من المعاجم العربية."[3]

تكاد جميع معاجم اللغة العربية –قديمها وحديثها – على أن المعنى اللغوي للفظ الحجاج هو المجادلة والمخاصمة والمنازعة بالحجة والدليل والمناظرة بالبرهان، ويظهر من هذه الدلالات كلها أن الحجاج يكون لخصومة وهو ما دل عليه معنى كلمة غلبه، والغلبة تكون في الكلام والخطاب الذي يقدم الحجّة والبرهان على صحة الادعاء، "فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي. "[4]

فالحجاج مما يبدو من خلال معظم التعريفات التي أوردتها المعاجم على اختلافها لا يكون إلا لخصومة ولا يرد إلا مع حجة، دليل وبرهان قصد دحض الخصم، والحجاج بالتالي رديف للجدال وللرد على الرأي المخالف قصد إقناعه بالحجة وإفحامه بالدليل والبرهان. "فالحجاج بمعنى غلبه بالحجة، وحاجّه محاجّة وحجاجا جادله واحتجّ عليه: أقام عليه الحجة وعارضه مستنكرا فعله، وتحاجّوا: تجادلوا. والحجّة الدليل والبرهان."[5]

ويعرف الحجاج في اللغة أيضا على أنه المجادلة التي يكون سببها الخلاف على وجهة نظر ما، ويكون الهدف منها إثبات الرأي، وهو الغلبة على الخصوم في الكلام باستخدام الحجة والبرهان.[6]

يتبين من خلال هذه التعاريف أن الحجاج يكون غالبا لخصومة، وهو مادلت عليه كلمة غلبة، وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعي، وما دام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي.[7]

فالحجاج يكون أثناء المخاصمة، والمتحاجّ أي المتكلم يستعمل الحجة التي تعني الدليل والبرهان للفوز على خصمه والتغلب عليه. فالحجاج إذن يكون بداعي المخاصمة ومحاولة إثبات صحة رأي أو وجهة نظر ما.

---

[1] -المرجع السابق، ص39

[2] -الرازي، مختار الصحاح، (مادة ح ج ج)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1967، ص122، 123

[3] -ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، ط2، ص106، 107.

[4] -عباس حشاني، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ص268.

[5] -ينظر: إبراهيم مصطفى وحسن الزيات، المعجم الوسيط، (م. س)، ص107.

[6] -ينظر: عباس حشاني، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته، (م. س)، ص267، 269.

[7] -ينظر المرجع السابق، ص 267.

الحجاج في القرآن الكريم:

ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعان ودلالات مختلفة في الاستخدام، وقد أشار إلى ذلك محمد الطاهر بن عاشور إذ تناول لفظ حاجّ في قوله تعالى:" ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه (البقرة الآية 258)، حيث قال: " ومعنى حاجّ: خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجّ في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى، مع أن حاجّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المجادلة، والأغلب أنه يفيد الخصام بالباطل."[1]

فالفعل حاجّ - حسب الطاهر بن عاشور- خاصم وهو فعل جاء على صيغة المفاعلة، ولا يوجد لهذا الفعل في الاستعمال فعل مجرد، وهو دالّ على وقوع الخصام، كما لا تعرف المادة التي اشتقّ منها. "[2]

وفي تفسيره قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾

(النساء الآية 107) قال: والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير بقولك.

كما ورد المصطلح في قوله تعالى أيضا:" ﴿ **هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران الآية 66)

وقوله تعالى: ﴿ **وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ (الأنعام الآية 80)

وقوله أيضا: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾ (الشورى الآية 16)

وقوله أيضا: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ** ﴾ (غافر الآية 47).

الحجاج اصطلاحا

لنظرية الحجاج علاقة وطيدة باللسانيات كونها نظرية لغوية، فقد أرسى قواعدها حسب بعض الدارسين اللغوي الفرنسي أوزفالدديكروت (O.Ducrot) منذ عام 1973 فهي نظرية لسانية تعنى بالآليات اللغوية وبإمكانيات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم من أجل توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من الوصول إلى غايته أو بعض من تلك الغاية فيتحقيق أهدافه الحجاجية أو جزء منها، كما تنطلق النظرية

[1]-الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان، تونس، د.ت، ص 31، 32.
[2]-ينظر المرجع نفسه، ج5، ص194.

الحجاجية عادة من الفكرة الشائعة "أننا نتكلّم عادة بغرض التأثير".[1] وهو ما يدل على أن الحجاج مرتبط جدا بالمقام التواصلي، حيث تتسع العملية الحجاجية لتشمل المخاطِب المتكلم والمخاطَب المرسَل إليه أو المتلقي، وكذا الرسالة الكلامية والسياق الذي ترد فيه، فحسب باتريك **شارودو Patrick Charau deau**: " الحجاج حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي."[2]فالمحاجِج المخاطِب يسعى إلى التأثير في المتلقي المحاجَج من أجل تغيير سلوكه وتوجيهه وجهة معينة إذ لا يكمن هدف المتكلم الإفهام فحسب، بل يحاول إقناع المخاطب بأمر معين أو تغيير موقفه تجاه قضية ما.

"وتقوم العلاقةالحجاجية- حسب أوزفالدوديكرو- بين ملفوظين م1 وم2، إذا كان الملفوظ م1 مقدمة للتسليم بالملفوظ م2 فالملفوظ م1 حجة والملفوظ م2 نتيجة لتلك الحجة، وقد تكون هذه النتيجة صريحة ومتلفظا بها، كما قد تكون ضمنية."[3]

تعدّ العلاقة الحجاجية نسبية ترتبط بالمقام الذي تلفظ بها فيه، وقد تكون مندرجة ضمن السياق اللغوي للملفوظ وترتبط بالمعارف العامة والبديهيات المسلم بهاوالمتعارف بها في المجتمع وبخاصة الأعراف اللغوية والثقافات المشتركة. إذ لا يمكن أن يتم أي تواصل بين طرفين لا تجمع بينهما أعراف قولية ولا لا يمكن هنا للعلاقة الحجاجية أن تكتمل وتنجح لأن المرسل والمرسل إليه متباينان من حيث القصدية والتواضع، وبالتالي، فالرسالة التواصلية مقطوعة، ومحكوم عليها بالفشل.

" ويهدف المرسل من خلال العلاقة الحجاجية بين الملفوظات إلى التاثير في المرسل إليه وإقناعه، ومادام الإقناع نتيجة الحجاج فإن الملفوظات الحجاجية تعد من الأفعال الكلامية، ومن هنا، فإن الحجاج يتميز بخصائص الفعل الكلامي والتي هي القصدية، التواضع والعرفية . كما تتسم العلاقات الحجاجية باعتمادها على عنصرين أساسيين هما الترابط والتراتب، "[4]، فالأول يقصد به وجود عناصر لغوية تربط بين المقدمات والنتائج، وأما التراتب فهو خاصية وميزة متصلة وتابعة العرفية التي تختص بها كل لغة، إذ كل لغة تتضمن عبارات وصيغ وكلمات تعطي الملفوظ قيمة حجاجية أكبر وهو ما تناوله ديكرو تحت موضوع السلم الحجاجي.[5]

اهتم جون أوستين بالسلم الحجاجيوعده من أهم الاكتشافات اللغوية اللسانية التداولية، ومعنى الفعل الكلامي – حسب أوستين – "أن كل ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا على ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية كالطلب، الأمر، الوعد

---

[1]-ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج: طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمر النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص55.

[2]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الواد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، ص16.

[3]-محمد طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب التوكيد في اللغة العربية، مجلة الخطاب، منشورات مختبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع3، ماي 2008، ص105.

[4]-المرجع السابق، ص105.

[5]-ينظر المرجع نفسه، ص108.

والوعيد...إلخ، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثمة فهو فعل تأثيري، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا، ومن ثمة، إنجاز شيء ما.[1]

فالباثّ أو المرسل يستعمل جملة من الملفوظات ترتبط فيما بينها بعلاقة عقلية تندرج ضمن سياق لغوي محدد ومتعارف عليه سلفا بين أطراف الدائرة التواصلية، ويهدف المخاطب للتأثير في المتلقي من خلال جملة من الأفعال الكلامية التي تتميز بجملة من الخصائص كالقصدية، التأثيرية والإنجازية بنية تغيير موقف المخاطَب وسلوكه، وبالتالي، فالحجاج يتميز بخصائص الفعل الكلامي: القصدية، الإنجازية والتأثيرية.

لقد ظهر الحجاج كمصطلح نهاية الخمسينيات من القرن العشرين مع محاولات لإقامة علم لدراسة الخطابة بأنواعها، إذ قدم "حاييم بيرلمان "تعريفا للحجاج مركزا فيه على وظيفته، وهي إقناع المتلقي بما يُعرض عليه من خلال الخطاب الحجاجي، قصد استمالته والتأثير في سلوكه، وبالتالي، يكون للحجاج - حسب غادة الحلاقة - دَوْران: "الدور الأول: التحليل والاستدلال وتقديم المبررات من أجل التأثير في الاعتقاد والسلوك. والدور الثاني: يتمثل فيعملية التواصل مع الآخرين، من أجل التأثير فيهم، ويتم باستخدام المنطق." [2].

فمنذ نهاية خمسينيات القرن العشرين، عرفت الدراسات البلاغية تطورا ملحوظا، وكانت الدعوة لما يسمى بالبلاغة الجديدة والتي ترمي إلى إقامة علم يتناول دراسة الخطابات بأنواعها، ويسعى لأن تكون علما شاملا يضم جميع مناحي الحياة الإنسانية في المجتمع، علم يسعى لوصف الخصائص الإقناعية لنصوص وخطابات حاولت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل العمل على إنضاجها، " فالمناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة تعتبر اللغة نسقا تتفاعل عناصره في اطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها، وقد نتج عن هذا كله " البلاغة البرهانية الجديدة" التي تهدف إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد المتلقين للعروض المقدمة إليهم، أو تعزيز هذا التأييد."[3]

من هنا، لم تعد الدراسات اللغوية قادرة وحدها على الاحتفاء بالنصوص والخطابات الأدبية، فتضافرت المناهج اللسانية الحديثة ليتولد عنها علم جديد هو البلاغة الجديدة التي تحاول تجاوز الجملة والكلمة لتحتضن الخطاب الأدبي برمّته لتدرس تقنياته وخصائصه الإقناعية التي تسمح بإثارة المتلقي وتغيير سلوكه، وبالتالي تفاعله.

---

[1]-ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008، ص54، 55.

[2]-غادة الحلايقة، ماهو الحجاج؟ مقال متاح على الموقع: www.mawdoo3.com

[3]-عباس حشاني، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته، مرجع سابق، ص269.

ظهر هذا المنطق مع حاييم بيرلمان، ثم تبنته مدرسة بروكسل وأول مقال ظهر في مؤلفات الكاتب والمفكر بيرلمان وهو مقال في البرهان " البلاغة الجديدة "وقد تضمن محاولة لإعادة وتأسيس البرهان أو الحاجة الاستدلالية.[1]

نتبين من خلال هذا أن الحجاج منطق جديد منبثق من البلاغة، يبحث ويهتم بالبرهان والاستدلال ويرمي إلى هذا الاخير، وقد عرف بالبلاغة الجديدة.

فالحجاج من أهم النظريات التي تعنى بها التداولية، فهو يعتمد أساسا على دراسته الطريقة والأسلوب الذين يتوسلهما المتكلم أو الباث لاستمالة المخاطب أو المتلقي، وإقناعه بما يريد إيصاله إليه كالحجج، الإشارات، . ولا يمكن لأي مخاطب أن يستغني عن هذا الأسلوب الذي يهدف ويرمي إلى استهواء المرسل إليه لإقناعه والتغيير من سلوكه، ولا ينحصر الحجاج في مجال الادب فحسب، بل يشمل كافة ميادين حياتنا اليومية، كونها تعتمد أساسا على الحجج والأدلة والبراهين التي تعد ركائز التواصل اليومي.

ويعتبر طه عبد الرحمن من الدارسين العرب الذين عالجوا مسألة الحجاج باعتباره آلية لغوية يستخدمها المرسل لإقناع متلقيه، ويرتكز الإقناع أساسا على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق، بخاصة المرسل إليه، والخطابات السابقة، وكذا الخطابات المتوقعة.[2] فالحجاج لا يخلو من من عناصر تحتويه كعناصر السياق وطرفي التواصل والرسالة والسياق المقامي الذي ترد فيه الرسالة.

ويعرف طه عبد الرحمن الحجاج في كتابه " اللسان الميزان أو التكوثر العقلي " والذي خصص فيه بابا كاملا له، سمّاه الخطاب والحجاج، تناول فيه أنواع الحجاج وقد عرّفه بقوله: " إنالحجاج هو كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها ."[3]من خلال قراءتنا لتعريف طه عبد الرحمن للحجاج، نجده يركز على أنّه كل "ملفوظ" يوجه الى الغير، ولكن من منظور مغاير، ليست الملفوظات وحدها الكفيلة بأن تفهم الغير دعوى مخصوصة على حد تعبير عبد الرحمن، فالصورة الإشهارية مثلا قد تكون أجدى من الكلام المتلفظ به وأنفذ، والحركة الجسدية والإشارات والإيماءات المختلفة ووالألوان وغيرها من العلامات غير اللغوية كلها تسهم في العملية الحجاجية من خلال التأثير في المحاجَج لاستمالته أو التغيير من سلوكه. بمعنى آخر: ليست العلامة اللسانية – الألفاظ الكلامية - أساسا للحجاج ووحدها الكفيلة بإثارة المتلقي، بل للعلامات غير اللسانية والإشارات علاقة كبيرة وأثر عميق في إنجاح العملية الحجاجية.

---

[1] -ينظر: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النص العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2003، ص 32.

[2] -ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدو، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

[3] -طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص226.

فالعقل في تكوثر الكلام – كما يرى عبد الرحمن –"هوصفته الخطابية، بناء على أنه لا كلام بدون خطاب، إذ أن حقل الحجاج هو الخطاب، وبالتالي، الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بلا حجاج إذ يوصف الحجاج على أنه طبيعة كل خطاب، والأصل في الحجاج هو طبيعته المجازية، بناء على أنه لا حجاج بدون مجاز."[1] فهذه الثلاثية التي ركز عليها طه عبد الرحمن تقوم على الكلام والخطاب والحجاج، لا يمكن أن يستغنى عن عنصر من عناصرها، إذ لا كلام بلا خطاب ولا يستقيم خطاب مالم يكن يهدف الى اقناع الموجه إليه، ولا يؤدي الهدف منه مالم يتضمن أدوات حجاجية.

يعد طه عبد الرحمن من رواد الباحثين والدارسين العرب الذين تناولوا مسألة الحجاج بالدراسة والبحث فالحجاج، حسبه خطاب منطوق، يتخذ فيه المتكلم اللغة وسيلة لإيصال رأيه أو وجهة نظره قصد إقناع المخاطَب بها واستمالته وللتغيير من سلوكه ورد فعله.

كما يتناول طه عبد الرحمن الحجة بالتعريف ويذكر أن لها وجهين أو معنيين، فالأول يفيد القصد والرجوع، والمعنى الثاني فيقصد منه الغلبة، فالحجة مشتقة من الفعل حجّ، الذي يعني عاد ورجع، فتكون بالتالي أمرا نرجع إليه ونقصده للعمل به إذا اقتضى الأمر، كما يدل معنى الفعل " حجّ " على الغلبة ويكون بالتالي مدلوله إلزام الغير بالحجة[2].

تعد اللغة التي يستعملها المخاطِب في الحجاج اللغة الطبيعية، ومن هنا اعتبر الحجاج من وظائف اللغة الطبيعية، ومن هنا اعتبر الحجاج من وظائف اللغة الأربعة، إضافة إلى الوظيفة الوصفية، الإشارية والوظيفة التعبيرية، فالمخاطب يتوسل باللغة من أجل اللغة باعتبار الحجاج لغة وكونه ضمن اللغة طبعا، مستعملا في ذلك التفسيرات، الأدلة والبراهين.[3]

فالمرسل يعتمد على اللغة من أجل تبليغ هدف معين من وراء الحجاج يبغي من خلاله توصيله الى المرسل إليه

قصد استمالته إليه وأقناعه بما يريد. فتعد بذلك الوظيفة الحجاجية من أهم وظائف اللغة، لأنه بالأساس لا يخلو أي حوار في حياتنا اليومية من حجاج.

يرى هنرييش بليث أن الإقناع يستخدم لأغراض نفعية، حيث يحاول المرسِل إقناع المرسَل إليه بواسطة الإيتوس وهو استعطاف المتلقي والتأثير بحال الخطيب، أو بقضيته، وبالتالي يكون الإقناع هنا خارج النص، كذلك الذي يمارسه أصناف المجتمع وجميع فئاته، لأغراضهم ومنافعهم، كالمترشح للانتخاب، التاجر، الفلاح، المرأة والطفل وغيرهم، ، أو بمكن أن يكون في جميع النصوص الأخلاقية

[1]- المرجع السابق، ص213.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص137.

[3]- ينظر حمودي محمد، الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، جامعة مستغانم، مقال متاح على الموقع:www.tahaphilo.com. بتاريخ: 16\09\2014

كالكوميديا والنصوص الإشهارية، كما يمكن أ يكون الإقناع في إحالة النص على نفسه، ومن أجل تحقيق المتعة الفنية والجمالية.[1]

وبالتالي، يمكن أن تقترن وسائل الإقناع بوسائل الإمتاع، وتكون بذلك أقدر على التأثير في اعتقاد المتلقي وتوجيه سلوكه وتغييره.

وتعد نظرية الحجاج ذات صلة وطيدة باللسانيات كونها نظرية لغوية بحتة ذات أسس وقواعد خاصة، فقد وضع أسسها دوكروتO.Ducrot منذ عام 1973، فهي حسبه نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانيات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عادة بقصد التأثير.[2]

مما لا شك فيه أن الجماعة البشرية تتواصل بشكل يومي من خلال التعامل بين عناصرها في شتى مجالات الحياة وأكثر ما يمثل هذا التواصل الدائم المستمر الحوار والحديث بينهم، وطبعا لا يخلو حوار من جدل وحجاج بغية التأثير والإقناع، فكل الكلام الدائر بينهم يرمي إلى هدف واحد وغاية واحدة.

ويؤكد فيليب بروتون P. Breton ارتباط الحجاج بالمقام التواصلي، بقوله: " إن تعريف الحجاج الذي هو محل الدراسة، يندرج ضمن ما يطلق عليه منذ زمن علوم الاتصال، هذا السلوك، أو بالأحرى السلوك الخارجي يتعلق بصورة الرسائل وطريقة إيصالها، وكذلك بدلالتها الاجتماعية في السياقات التي ترد فيها.[3]

فالخطاب الحجاجي يشمل حال التواصل كلا من المتكلم والمخاطب والرسالة الكلامية ضمن سياقاتها التي ترد فيها.

والحجاج حسب باتريك شارودو BatrickCharaudeau هو "حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي."[4]

فالمتكلم أو المرسِل يسعى إلى التأثير في متلقيه أو مخاطبه قصد إقناعه أو تغيير رأيه أو توجيه سلوكه وجهة ما، فالحجاج مفهوم قديم ألبس حلة جديدة تجاذبته عدة نظريات أدت إلى عدم استقرار

---

[1]-ينظر: هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ص26.

[2]-أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي "التحاجج " طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمر النقاري، كلية الآ داب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006، ص55.

[3]-Philipe Breton,l'argumentation dans la communication, 3eme ed , Repère ,07

[4]-باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص16.

مصطلحه في العصر الحديث، وبالتالي، فهو -لا يقتصر كما تقدم– لا يقتصر على الجانب اللساني اللغوي فحسب، بل يتعدى كل ذلك ليشمل المنطق، القانون، الفلسفة، الإعلام وسياسة وغير ذلك.[1]

كثرة النظريات وتعددها وتنوعها وعدم استقرار المصطلح على مفهوم ثابت محدد، جعل الحجاجا مفهوما عائما يصعب الإلمام الإحاطة به والتعرّف عليه.

والجذر الاشتقاقي العربي للحجاج يتفرع إلى معان واشتقاقات مختلفة، فالحجاج كما تقدم يعني الدليل، المخاصمة، البرهان، الجدل، المراء، المناظرة، المحاورة والمناقشة. وأما من جهة الاشتقاق فنجد: الحجاج، التحاجج، المحاجّة، الاحتجاج...[2].

تنوع الحقول المعرفية وتعدد الباحثين والدارسين كل في دائرة تخصصه ومجال بحثه وتعدد خلفياتهم جميعا جعلهم يتناولون مصطلح الحجاج بمفاهيم مختلفة باختلاف التوجهات والمشارب. فحد المصطلح ومفهومه يتحددان وفق حدود الميدان الذي يتناوله ووفق التوجه الذي يتبناه..إذ أن الحجاج في مجال حقل الإعلام مثلا يختلفعنه في مجال السياسة أو القانون أو الحقل الأدبي أو غير ذلك. فعصرنا الحالي يشهد خطابات حجاجية مختلفة توظف الحوار، الإقناع والتأثير وهو ما يمارسه الإعلام والسياسة والإشهار، كما نلمس خطابات أخرى تجسد الحجاج بطريقة غير مباشرة، معتمدة على الرمزية والفنية والجمالية وهو ما يضمنه المسرح ووتحققه الرواية وتجسده السينما والأعمال الدرامية المختلفة.[3]

يرى جمال حمداوي أن " الحجاج يقوم عموما على طرح الدعوى والدعوى المضادة واستعراض الحجج، الأدلة، والأمثلة لإفحام الخصم بغية الوصول إلى نتيجة أو حقيقة قد يقتنع بها المتلقي أو لا يقتنع."[4]

فالحجاج يقوم على عرض المخاطب لرأي أو وجهة نظر مخالفة أو مطابقة لوجهة نظر مخاطبه مما يستلزمه الحجج والبراهين وإقامة الأدلة قصد لفت انتباه هذا المتلقي أو التغيير من سلوكه، من أجل الوصول إلى نتيجة قد تؤثر فيه أو لا تؤثر، أو اقتنع بها أو لم يقتنع.

ويرتكز الحجاج في عمومه على جملة من الآليات الاستدلالية وأساليب التفسير والبرهنة، مثل أسلوب التعريف، وأسلوب الوصف، وأسلوب السرد وأسلوب الشرط والافتراض، وأساليب التمثيل والمقارنة والتقييم والحكم وآليات الشرح والاستقراء والقياس والاستدلال والتعارض والجدل والتطابق والاستثناء والهدف والسبب والنتيجة والإضافة والنتيجة، واستعمال الفعل المضارع الدّال على الحضور

[1]-حامد ناصر الظالمي وعايد جدوع حنون، الحجاج، مجلة أبحاث البصرة، كلية التربية وكلية الآداب، البصرة، العلوم الانسانية، مجلد38، ع 3، 2013، ص104

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-جمال حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، مرجع سابق، ص7.

[4]-المرجع السابق، ص07.

والاستمرارية وتمثل الصدق والحقيقة وتوظيف الظروف وبعض العبارات الدالة على الحجاجية مثل: من الأكيد، من المحتمل، من المؤكد، من الثابت، من المفترض، ربما.

وكذا الاستعانة بضمير المتكلم والانطلاق من الذاتية واستعمال النبرات التنغيمية الدالة على التهكم السخرية، كما يقوم الحجاج على الجدل المؤسس على الأطروحة ونقيضها وتركيبها واستعمال الأدلة المنطقية، وأدلة من الواقع وخلاصة الخبرات والتجارب، وأدلة الاقتباس والاستشهاد، والتضمينة والمقايسة والمماثلة.[1]

يتصل الحجاج بالضرورة ويقف على أطراف العملية التواصلية من مرسل ومرسل إليه ورسالة حيث لا حجاج بلا خطاب تواصلي ولا تواصل بلا وجود أطراف الحوار، ويعتمد المتكلم من أجل إقناع محاججه واستمالته على جملة من الأساليب والآليات والروابط اللغوية والمنطقية المتنوعة.

يمثل الحجاج اليوم مجموعة من النظريات الحديثة المتداخلة تتجاذبها مجموعة من العلوم كالفلسفة، القانون، المنطق، السياسة والأعلام، اللغة والبلاغة، وسنحاول في ما يلي رصد مجموعة من تعريفات الحجاج اللساني (اللغوي) الذي هو موضوع دراستنا.

- قال هشام الريفي نقلا عن بلونتين: " الحجاج في أعم تعريفاته هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية. "[2]

- الحجاج هو أن يقدم المتكلم قولا (ق 1) أو مجموعة أقوال موجهة لجعل المخاطب يقبل قولا آخر (ق 2) أو مجموعة لأقوال أخرى سواء كان (ق 2) صريحا أو ضمنيا.[3]

-كما يعرف الحجاج بأنه تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها.[4]

- الحجاج مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية لمتكلم ما، يتوجه بخطابه إلى مستمع معين من أجل تعديل الحكم الذي لديه عن وضع محدد.[1]

---

[1]-المرجع السابق، ص08

[2]-هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، بحث منشور ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1998، ص350.

[3]-شكري المبخوت، بحث منشرور ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1998، ص360.

[4]-أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، عن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، لحافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة، أربد، 2010، ص57.

- ويعرف الحجاج أيضا على أنه " مظهر من مظاهر القوة الباطنية التي تتوسل بشتى السبل للوصول بالمتلقي

إلى درجة التأثير والاقتناع، بل قد تدفع الفرد والجماعات نحو تغيير السلوك أو إنجاز الفعل."[2]

-والحجاج هو " توجيه خطاب إلى متلقٍّ ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية."[3]

والحجاج او المحاجّة : المجادلة وهو أيضا طريقة عرض الحجج وتنظيمها ويدل في اللغة الفرنسية على مجموعة الحجج التي تدل على ذلك العرض، وتدل كلمة الحجّة في المنطق الصوري على قيمة محدّدة يمكن ان يتم تعويضها بمتغير في دالة وهذا معنى فني تقني."[4]

تكاد كل التعاريف تجمع في مجملها على أن الحجاج يتضمنه الخطاب اللساني، ويتمثل في الأدلة والحجج التي يقدمها المتكلم، وهي عبارة عن مجموعة من الأقوال بشكل خطابات يتوجه بها المرسل متوسلا فيها اللغة التواصلية يقصد بها إقناع المرسل إليه – المخاطب – ليصل إلى نتيجة معينة تؤدي إلى استمالته والتأثير فيه قصد تغيير سلوكه.

مصطلحات مرتبطة بالحجاج والفرق بينها:

وتتمثل في الاستدلال و البرهان فالاستدلال: يعرفه ابن حزم: "هو كل قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم الشيء."[5] فالبرهان يقوم على معطيين أو مقدمتين مختلفتين تفضيان وتسلمان إلى نتيجة معينة.

أما جميل صليبا فيذكر في معجمه:" أن القدماء لا يطلقون لفظ البرهان إلا على الاستنتاج العقلي"[6]، أي على الاستنتاج الذي يلزم فيه الاعتماد على المبادئ اضطرارا، أما المحدثون، فيطلقون هذا اللفظ على الحجة العقلية والحجة التجريبية معا. والمقصود بالحجة التجريبية: الحجة التي تستند على الأشياء والتجارب والحوادث.

---

[1]-التواصل والحجاج، أية علاقة؟ بحث من شور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، لحافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، أربد 2010، ص 282.

[2]-محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، ديمويرس للطباعة والتجارة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص85،

[3]-محمد الوليّ، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشاييمبييرلمان، مجلة عالم الفكر، ع2، مج40، 2011، ص11.

[4]-صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، سوريا، دمشق، 2008، ص68.

[5]-ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1983، ص83.

[6]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1982، ص206، 207.

فكل استنتاج يرتكز على العقل من أجل الوصول إلى الوصول إلى نتيجة ندركها من خلال معطيات معينة وهو الحال مع الدارسين الأقدمين، أما الحداثيون فيرتكزون على التجربة والحادثة التي يعتمد عليها البرهان، فهم يرون أن البرهان هو كل من الحجة العقلية والحجة التجريبية.

بالتالي من خلال ما يراه الأقدمون وما يطرحه المحدثون لا نلمس فرقا كبيرا بين نهم في رؤيتهم للبرهان، إذ هو حتما استنتاج عقلي قائم على حجج تجريبية.

ويرى حامد الظالمي وعايد حنون أن البرهان عملية ذهنية عقلية تهدف إلى بيان صدق قضية أو كذبها وينقسم إلى قسمين: برهان رياضي رقمي وبرهان منطقي لغوي، ومن أمثلة هذا الأخير[1]:

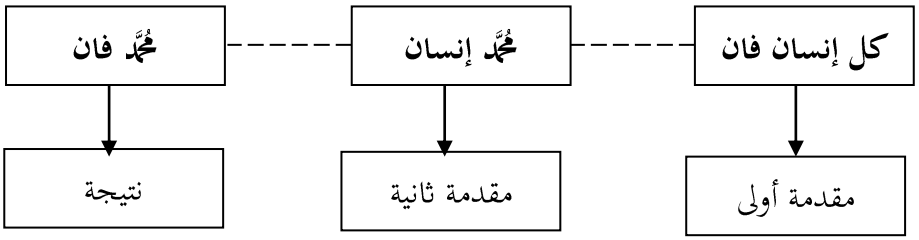

وقد بدأ الاهتمام منذ أرسطو حتى الحجاجيين المحدثين بالتفريق بين الحجاج والبرهان لتداخل المفهومين عند غير المختصين، والحقيقة أنهما ينتميان إلى مجالين مختلفين، ويمكن رصد الفوارق بينهما كما يلي:

-البرهان ينتمي إلى مجال الاستدلال المنطقي الرياضي أو الفلسفي، في حين ينتمي البرهان إلى مجال الخطاب الطبيعي.

- البرهان يتألف من مقدمتين مستقلتين مبنيتين على علاقات صورية وشكلية منطقية، أما الحجاج فينشأ من الخطاب الطبيعي ويتألف في الأصل من حجّة، رابط ونتيجة.

- يجب التصريح بالمقدمات والنتائج في البرهان، وأما الحجاج فيتكون من حجج صريحة وأخرى ضمنية، ويمكن التصريح بالنتيجة في الحجاج، كما يمكن أن تضمر إن دلّ عليها دليل.[2]

- النتيجة في البرهان ضرورية وحتمية أ وأما نتائج الحجاج فهي احتمالية، وقديكون الاحتمال قويا كما قد يكون ضعيفا بحسب قوة الحجة أو ضعفها، لأنه " إذا كانتنتائج البرهان تتصف باليقين، فإن الحجاج يخضع لتراتبية هرمية تجعل أدلته تتراوح بين الضعف والقوة، فهو عكس البرهان يوصلنا إلى أكثر من نتيجة أحيانا كما أنه لا ينغلق على نفسه لاحتمال إضافة دليل أو أدلة جديدة."[3]

[1]-حامد ناصر الظالمي وعايد جدوع حنون، مفهوم الحجاج، مجلة أبحاث البصرة، م38، ع3\2013، ص111.
[2]-ينظر المرجع السابق، ص112.
[3]-ينظر: حسن المودن، مجلة علامات، ج42، م11، (1422-2011)، ص24.

من خلال ما سبق نتبين أن نتائج البرهان قطعية ضرورية ولا تقبل الاحتمال، في حين نتائج الحجاج تتعلق بالحجج الموظفة من حيث القوة والضعف، فإذا كان الدليل قويا كان الاحتمال قويا تبعا له، وإلا فالعكس صحيح.

كما ثمة مجموعة من الفروقات بين الحجاج والبرهان يمكن رصدها في هذه النقاط:

-الحجاج ذاتي شخصي والبرهان غير شخصي.

- برهان واحد كاف للإقناع، بينما المحاجج يحتاج إلى عدد من الحجج والأدلة من أجل زيادة درجة الاحتمالية ولتقوية مقبوليتها لدى المخاطب.

- الحجاج أساسه الرأي بينما البرهان فأساسه الحقيقة.

- الحجاج لا يقبل المعالجة الآلية، أما البرهان فيبنى بشكل آلي دون مراعاة للمخاطب.[1]

- الحجاج قابل للاعتراض والتفنيد، "فكل عملية حجاجية يمكن ردّها بعملية حجاجية أخرى معارضة مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أو الحجّة أمرا نسبيا، أما البرهان، فهو عملية عقلية منطقية يتفق عليها الجميع."[2] فالحجاج يمتاز بالمرونة والسلاسة إن صحّ التعبير فالعملية الحجاجية لا تمتاز بتلك الصرامة التي تلون البرهان وتسمه، فيمكن لعملية حجاجية ما أن تقابل بأخرى، ولا يمكن بأي حال من الاحوال التسليم بالحجة أو المقدمات المعطاة تسليما مطلقا، في حين البرهان يحكمه المنطق والعقل وبالتالي يفرض التسليم به من قبل الجميع، ويتميز البرهان باستقلاله التام عن الذات، فهو يتألف من علامات موضوعية قائمة بذاتها وتستند إلى قوانين عامة تستمدّ قوتها من ذاتها وتفرض سلطتها على غيرها، في حين الحجاج يستند إلى التداول الإنساني، وتستمدّ فيه الحجج قوتها من الواقع.[3]

أقسام الحجاج:

الحجاج قسمان : توجيهي وتقويمي

1-الحجاج التوجيهي:

ويقصد به أن المحاجج يوجّه خطابه إلى المتلقي مدعوما بمجموعة من الحجج المتمثّلة بالأفعال الكلامية، ويقوم حجاجه على الإلقاء ولا يهتمّ بردود أفعال المتلقي، كم أنه (المحاجج)لا يجرّد من ذاته ذاتا أخرى تمثل المتلقي في محاولة منه لتوقّع اعتراضاته واستباق حججه، ولا يهمه مقدار إسهامه في إثراء

[1]-ينظر حسان الباهي، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص140.
[2]- حامد ناصر الظالمي وعايد جدوح حنون، مفهوم الحجاج، (م، س)، ص112.
[3]-ينظر المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الخطاب وتوفير الوقت وانظر بعين الناقد البصير، فهو يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه.[1] والحجاج التوجيهي هو أيضا إقامة الديلي على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، والتوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل أو المحاجج حجّته إلى غيره، فالمستدل ينشغل بأقواله من حيث إلقاؤها ولا ينشغل بتلقي المخاطب لها وردّ فعله عليها فهو يولي أقصى عنايته واهتمامه غلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يُفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال الذي يصله بالمرسل إليه أو المخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض، فهذا النوع من الاحتجاج هو الاستدلال الذي يقتصر فيه المحتجّ على اعتبار وجهة نظر المدّعي – المستدل – وحدها.[2] فالمحتج أو المستدلّ لا يهتم بأي حال من الأحوال بالمتلقي ولا يهتم بردود أفعاله بقدر ما يهتم بحججه وأقواله وما يقصده هو، مما يجعله يهمل أي صلة بينه وبين المتلقي ويتجاهل الجانب العلائقي الذي يربطه به والموصل إليه، فهذا النوع من الحجاج يحفل بالأساس بوجهة نظر المحاجج ويهتم بالدرجة الأولى بآرائه وقصوده دون أي اهتمام بالمتلقي وآرائه أو اعتراضاته.

2-الحجاج التقويمي:

وفيه يجرّد المحاجج من ذاته ذاتا أخرى ينزلها منزلة المعترض على دعواه، مما يعني أن المحاجج لا يقف عند مجرد إلقاء الخطاب وتوجيه الحجج، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي مستبقا استفسارات المتلقي واعتراضاته ومستحضرا الأجوبة على اعتراضاته ليحقق هدفه من الحجاج وهو إقناع المتلقي.[3]

فحسب عبد الرحمن، المستدل (المحاجج) لا يكتفي بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يتوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شروط، بل هو يتجاوز كل ذلك ويتعداه إلى النظر في فعل التلقي، إذ أنه "يرى نفسه أول متلقّ وأول مرسل إليه لما يرسله، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له (المرسل إليه) أن يقوم به مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الاجوبة عليها، ومستكشفا امكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها."[4]

فالحجاج التقويمي يلبس المستدل أو المحاجج فيه ذاتا ثانية غير ذاته الأصلية، فهو لا يهتم بتقديم الحجة إلى المرسل إليه ولا يكتفي بها فحسب، بل هو يجعل من نفسه متلقيا أولا لما يلقيه ويقدمه قبل متلقيه الأصلي، فيعمل على توقع أو استباق أسئلة واستفسارات، قد تدور بخلد المتلقي فيطرحها، ويهيئ

[1]-ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (م، س)، ص227، 228. كما ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص480.

[2]-ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص227، 228.

[3]-ينظر المرجع نفسه، ص228.

[4]-المرجع السابق الصفحة نفسها.

له أجوبة قد يراها مناسبة لتلك التساؤلات أو الاستفسارات. ويحاول أن يدرس إمكانات المتلقي لتقبل تلك الأجوبة ومدى يقينه واقتناعه بها.

أما الحجاج التجريدي، فهو الاتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها، أو هو الاستدلال الذي يعمد فيه المستدل تقديم حجج وبراهين لدعم دعواه وفرضياته، وهو بذلك يحاكي الطريقة نفسها للبرهان الصناعي.

يعد طه عبد الرحمن الحجاج من أبرز الآليات اللغوية يستخدمها المرسل للإقناع، وينبني فعل الإقناع بصفة دائمة على افتراضات سابقة شأن عناصر السياق، خصوصا المرسل إليه والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة.[1]

فالحجاج لا يتم ولا يستقيم إلا إذا توفرت جميع عناصر الخطاب ومكوناته من طرفي الرسالة الخطابية أولا ثم مجموعة من المعارف والمعلومات السابقة والمتوقعة وكذا المشاركة الثقافية.

استراتيجية الخطاب لأغراض نفعية، إذ يعمد المرسل إلى إقناع المرسل إليه (المتلقي) بواسطة الإيتوس– كما يسميه هنريك بليثHenry Blythe–والإيتوس هو استعطاف المستمع والتأثير فيه بحال الخطيب وقضيته، "فالمحاجج بوصفه خطيبا يسعى إلى استمالة المتلقي وإقناعه ويبذل في سبيل ذلك جهدا إذ يتوسل شتى الطرق من أجل إقناع مخاطبه والتأثير فيه، فالإقناع هنا يكون خارج النص مثل ذلك الذي يمارسه المترشحون أو التاجر أو الفلاح أو الطفل أو المرأة إذ هو محاولة التأثير في المتلقي بواسطة حال الخطيب (المرسل المتكلم) أو بقضيته."[2]

كما تتضمن جميع النصوص الأخلاقية كالكوميديا والنص الإشهاري الإقناع، وقد يكون هذا الإقناع (المتولد عن الحجاج والناتج عنه) كامنا في إحالة النص على نفسه "الفن للفن" والذي يهدف إلى خلق المتعة الفنية والجمالية للجمهور، إذ يمكن أن تزاوج أدوات الإقناع وآلياته بوسائل الامتاع وتكون حينها أقدر على تحقيق التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع تلك الأدوات والآليات من قوة في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب كما يراها رأي العين.[3]

للحجاج حضور دائم وقوي في كل مجالات الحياة وميادينها، في يومياتنا وكل ممارساتنا، تمارسه جميع أطياف المجتمع وكل فئاته بتنوعها واختلاف اتجاهاتها ومشاربها، كما تمارسه كل النصوص والخطابات الأدبية الفنية موظفة فيه ذلك الازدواج الذي يضم الآليات والأساليب الإقناعية والأدوات

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، (م. س)، ص444.

[2]-هنريك بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل انص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ص26.

[3]-طه عبد الرحمن، في أصول النحو وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص38.

الفنية الجمالية، فيتحقق بقدر الإمتاع الاقتناع، ويتحقق التأثير في المتلقي من أجل تغيير سلوكه وتوجيهه إلى مقاصد المخاطب ومساعيه.

إدن ظهر منطق الحجاج مع حاييم بيرلمان كما دكرنا ثم تبنته مدرسة بروكسل، وأول ظهور له كان في أحد مؤلفات حاييم وهو مقال في البرهان.

ويعرف بيرلمان الحجاج مركزا على وظيفته الأساسية وهي "حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هدا الاقتناع."[1]

"فالحجاج او المحاجّة: المجادلة وهو أيضا طريقة عرض الحجج وتنظيمها ويدل في اللغة الفرنسية على مجموعة الحجج التي تدل على ذلك العرض، وتدل كلمة الحجّة في المنطق الصوري على قيمة محدّدة يمكن ان يتم تعويضها بمتغير في دالة وهذا معنى فني تقني."[2]

فالحجاج هو فعل الإقناع وممارسته الذي يمارسه المخاطب على المتلقي من أجل أن يجعله يؤمن بقضيته أو فكرته من أجل أن يؤمن بها ويقتنع، أو من أجل الزيادة في مدى ذلك الاقتناع وشدته، وهو الغرض المتوخى من الحجاج.

فالخطاب الحجاجي" يتعلق بالتعامل وأن المنطوق به الذي يستحقّ أن يكون خطابا هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بالحجاج."[3] فالتعامل اليومي من منطوقات خطابية في شتى المجالات يقتضي خطابا حجاجيا يلزم كل التعاملات المفروضة على كل الناس.

فحد الحجاج إذن "أنه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."[4] يتعلق الحجاج بالمنطوق أو بمجموع الملفوظات الموجهة إلى مخاطب ماقصد إفهامه دعوى ما أو استمالته لأمر ما، وهو الامر الذي دفع بيرلمان بأن يطلق مصطلح الخطابة الجديدة Te new rhetoric عام 1958، وهي دراسة تهدف إلى استمالة المتلقي والتأثير في سلوكه، إذ تتناول الحجاج بوصفه خطابا هادفا للفت المتلقي استمالته.

ومن هنا، اتخذ الحجاج مفهومين: أولهما: تحليل واستدلال يسعى إلى تقديم مبررات مقبولة للتأثير في المتلقي وسلوكاته. والآخر أنه طريقة، أو عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق، للتأثير في الآخرين.[5]

---

[1]-سامية الدريدي، الحجاج في الَشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنياته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2001، ص226.

[2]-صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، سوريا، دمشقف، 2008، ص68.

[3]-عباس حشاني، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته، (م .س)، الصفحة

[4]- طه عبد الرحمن، الميزان والعقل أو التكوثر العقلي، (م .س)، ص226.

[5]-ينظر: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص105، 106.

ويتم الحجاج بعرض المقدمة ثم الحجة لتأتي أخيرا النتيجة من أجل جعل أي قول صالحا ومدعما ومقبولا بمختلف الوسائل بالنظر لقول آخر، فالحجة المعطاة والأسباب جميعها تمثل عناصر يقوم عليها الحجاج ويستقيم بها، فالحجة المقدمة تهدف إلى إثبات قضية وتأكيدها أو نقضها ونفيها.[1]

فالحجّة إذن هي ما يعمده المحاجج وما يبذله في سبيل دعم قضيته لتأكيدها أو لنفيها ودحضها، وهي برهان في يد صاحبها يستعملها وقت اللزوم، وبالتالي، الحجاج يقوم بالأساس على مقدمات وحجج لتترتب عن ذلك كله نتائج قد تحدد وجهة نظر المتلقي أو تغير من سلوكه وتفاعله.

والحجة في معناها السائر حسب صابر الحباشة هي: " إما تمشّ ذهني بقصد إثبات قضية أو دحضها، وإمّا دليل يقدم لصالح أطروحة مّا أو ضدّها."[2] وبهذا المعنى نقابل بين الحجّة Argument والبرهان Preuve وبين الحجاج Argumentation والبرهنة Démonstration، وفي هذه الحالة، يمثل الحجاج خصوصية تستحقّ دراسة مخصوصة، فدراسة الحجاج تمكّن من تحليل التقنيات الخطابية التي تسمح بإحداث ميل السامع إلى الأطروحات التي تعرض عليه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل.[3]

هذا التعريف يجعل الاختلاف بين الحجاج والبرهنة أمرا مسّلما به، وأما البرهنة فهي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقية النتيجة، وذلك انطلاقا من المقدمات المعتبرة صادقة كانت أو محتملة وفي مقارنة مع البرهنة التي يمكن أن تتخذ شكل حساب، فإن الحجاج يطلب منه الإقناع أو الإثبات، ولا يتم توجيهه إلا في سياق نفسي اجتماعي، فإذا كانت البرهنة تتم بطريقة مجردة مستقلّة عن كل السياقات إلا السياق النظامي، وكانت صحيحة أو خاطئة، مطابقة لقواعد الاستدلال في النظام أو غير مطابقة، فإن الحجاج على حجج مفيدة أو غير مقيدة، قوية أو ضعيفة، موافقة للمخاطب الذي تتوجه إليه، ولا يقوم التفكير الحجاجي على حقائق عامة ولكن على أراء تهتم بأطروحات من كل طائفة، فمجال تطبيق نظرية الحجاج يتجاوز مجال تطبيق نظرية البرهنة أيما تجاوز، ذلك أن الحجاجات تقوم على ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم واقع أو موافقة نظرية أو مناسبة قرار، وتوفر البرهنة أدلّة ضرورية في حين يقدم الحجاج أطروحة محددة أو ضدها.

ومن هنا كان الحجاج سمة في الخطاب وطابعا فيه ووظيفة له ووسيلة لتحقيق هدفه، وهو الأمر الذي أدّى بالبلاغة الجديدة للاهتمام به.[4] "فالحجاج وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتلقى آراءه واتجاهاته،

---

[1]-ينظر الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، مجلة ملتقى النص، مجلة اللغة والأدب، ع12، جامعة الجزائر، ديسمبر 1997، ص330.

[2]-صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2008، ص68.

[3]-ينظر المرجع نفسه.

[5]-ينظر عباس حشاني، الحجاج، بواعثه ومنطلقاته، (م، س)،

وانتقاداته وتوجيهاته"[1] فالحجاج حلقة تواصل بين المتكلم والمخاطب وعبره يمكنه أن يحدد الهدف من وراء رسالته أو خطابه.

يعد الحجاج حلقة ضرورية لكل العلوم، وقد يكون التوجه الحجاجي فلسفيا نصيا أو توجّها لفظيا بحسب زاوية التناول كالتركيز على المتكلم المخاطب كونه زاوية للتفاعل، ويمكن أن يدرس الحجاج من خلال العلاقة التي تربط المتكلم بالمتلقي في إطار الحال التي تفرض على " أ " مثلا أن يحدث تأثيرا في " ب " باستعمال آليات الإرسال، كما تفرض على " ب " أن يفهم بطريقة معينة ما يقوله " أ "، بمعنى أن يستند الحال إلى بلاغة معينة، كلام معين، تصرف ما...، وهنا يراعى الإطار الحالي للمتكلمين، أما الزاوية الثانية، فتتمثل في رؤية الحجاج على أنه بنية نصية، وهنا يكون التركيز على الجوانب اللغوية فقط من خلال الحديث عن الأدوات اللغوية التي تلعب في النص دورا حجاجيا، وهي: المفردات، الأفعال، الأسماء، ظروف الزمان والمكان، ...إلخ [2].

فحدّ الحجاج إذن أنه " فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجّهات طرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية، إنشاءً موجّهًا بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي، بلوغه قائم على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة."[3]

وأما اللساني الفرنسي، أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot فقد تجاوز النظريات الحجاجية الكلاسيكية ورأى أن الحجاج يكمن في اللغة نفسها كون نظريته هذه تنطلق من الفكرة الشائعة: "أننا نتكلم عادة بقصد التأثير"، والتي تدلّ على أن اللغة تحمل في ذاتها صفة ووظيفة جوهرية حجاجية، وهذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها وفي المعنى وفي كل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية.[4]

والنظريات الكلاسيكية الحجاجية ترى أن الحجاج ينتمي إلى البلاغة القديمة، كما هو الحال عند أرسطو، أو البلاغة الحديثة مثلما هو الأمر عمد حاييم بيرلمان كما رأينا من قبل، وأولبريخت تيتيكا، وميشيل مايير، كما أن تلك النظريات ترى أن الحجاج ينتمي إلى المنطق الطبيعي كما هو الحال عند جان بليز غالييز.[5]

---

[1]-يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والآداب، ، منشورات مخبر تحليل الخطاب؟، جامعة تيزي وزو، ع2، ماي، 2007، ص284.

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص286.

[3]-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص65.

[4]-ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، 1426، ص08

[5]-ينظر المرجع نفسه، ص14.

ونذكر في هذا المقام أن علم الكلام في الفكر الإسلامي قام على الحجاج الذي كان يعتمد في الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة."[1]

الحجاج هو في الأصل هو تقديم مجموعة من الحجج والأدلة من اجل الوصول إلى نتيجة معينة، وهو – الحجاج – يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر يكون بمثابة النتائج التي تستنتج منها، ويدرج طه عبد الرحمن في هذا المعنى المثال التالي: " أنا متعب، إذن أحتاج إلى الراحة، " فالجملة تتكون من **حجّة** " التعب"، و**نتيجة** "الراحة". فلمفهوم الحجة - حسب ديكرو- دلالة واسعة ومجرّدة، وهي بحسب هذا التصور عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلّم لصالح المخاطب المتلقي الذي يمثل عنصرا دلاليا آخر، وقد ترد الحجّة على شكل قول، فقرة، أو نصّ، وقد يكون ومشهدا طبيعيا، أو سلوكا غير لفظي، إلى غير ذلك.[2]

وعلى هذا الاعتبار، فإن الحجاج أوسع من أن يحصر في اللغة أو اللسان، خلافا لما يراه طه عبد الرحمن، من أنه" لا حجاج من غير تواصل باللسان." [3]وهو ما علقنا عليه قبلا فيما تقدم، فالحجاج إذن لا يكمن في حقل التواصل اللساني فحسب، بل هو متتالية من المقدمات والحجج اللغوية وغير اللغوية المتمثلة في الأعراف المتفق عليها، في الإشارات والإيماءات والحركات، في الألوان غيرها.

منطق الحجاج عند فلاسفة اليونان:

تعدّ البلاغة الأرسطية أساسا فلسفيا معرفيا لأغلبة النظريات البلاغية واللغوية التي جاءت بعدها بشكل عامّ، ولنظرية الحجاج بصفة خاصة، إذ دخلت هذه البلاغة في نقاش جدلي قوي مع كل البلاغتين الأفلاطونية (الأستاذ) والسفسطائية (الخصوم)، "فعلى الرغم من أن الأرسطية اتخذت لنفسها مسارا تحليليا جديدا إلا أنها احتفظت من كلتا البلاغتين ببعض المكونات البنائية وخاصة من بلاغة الأستاذ (أفلاطون)." [4]

ويعتبر السفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية ظهرت في القرن الخامس (5) قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية، ويتجلّى ذلك من خلال تسميتهم التي كان يقصد بها: "الحكيم والخبير بكل فن وأسلوب."[5]

---

[1]-ابن خلدون، المقدمة، تح: حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988، ص290.

[2]-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص18.

[3]-طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، د.ت، ص05.

[4]-محمد سالم محمّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، بيروت، لبنان، ص23.

[5]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لقد لعب وجود السفسطائيين دورا هاما في تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة، والحياة الفكرية اليونانية بوجه عام، " فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منحى لغوي توليدي للأفكار، الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية من ناحية، كما أدّى إلى تراكم معرفي كبير شكّل النواة لمعظم الدراسات القديمة والحديثة للفلسفة اليونانية من جانب آخر، وسواء في ذلك الدراسات التي دخلت معهم (السوفسطائيين) في حوار مباشر أو الدراسات التي ناقشت فرضياتهم في عهود متأخرة." [1]

فالسفسطائيون ومن خلال حواراتهم البلاغية التداولية، وجدالاتهم الفلسفية والتي مست جميع المجالات أسسوا من قريب أو من بعيد وبشكل مباشر أو غير مباشر للنظريات الحجاجية.

وقد نبعت شهرتهم السفسطائيين الخطابية من أنهم كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة بالمدينة وفي القول وكل مآتيه، ونازلهم في ذلك أبَوَا الفلسفة الغربية (أفلاطون وأرسطو) فكان بين هذين الأخيرين وبين أولئك أي السفسطائيين نوعان من الحجاج: أولا: حجاج بحجاج في مختلف المسائل الفلسفية وثانيا: حجاج فيما ينبغي أن يكون به الحجاج، وكلاهما خطابان متقابلان ناشران لنظريتين مختلفتين في وضع القول في علاقته بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع البشري.[2]

فمن خلال مناظرات أفلاطون وأرسطو ومنازلتهم السفسطائيين بالتوسل بسلطة القول وكل ما يتعلق به والتي تبناها كل من الفريقين، بخاصة السفسطائيين ظهرت نظرية الحجاج وطرق الإقناع وتناولت الخطابات بخاصة تلك المتعلقة بالمعرفة على اختلافها وتنوعها والقيم الانسانية وأثرها في المجتمع.

ولكن صراع أفلاطون مع السفسطائيين وتباين فرضياته مع فرضياتهم، ألصق بهم صفة قدحية ذمية علقت بهم إلى عهد قريب من هذا العصر، حتى أضحى اسمهم مرادفا للنقاش العقيم الفارغ عديم النفع، ولكن مع تقدم البحث في الدرس اللغوي المعاصر، واحتلال المدرسة الظاهراتية الريادة في النظرية النقدية الراهنة، بدأت إعادة الاعتبار _تعود تدريجيا للسفسطائيين ولآرائهم لما تتضمنه من قيم لغوية، بلاغية وجودية، إنسانية ومعرفية.[3]

يرى أفلاطون السفسطائيين أدعياء على العلم والمعرفة فينتقدهم انتقادا لاذعا لأن كل ما يقدمونه لا يعدو نتائج ظنية مبعثها الهوى واللذة وهي مفاهيم ضارة بالأخلاق والقيم والإيمان واليقين. وهي القضايا الأربعة التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة الأفلاطونيتين، إذ يصرح في محاورته المعروفة

[1]-هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف: حمادي صمّود، كلية الآداب جامعة تونس الأولى، منوبة، تونس، ص51.

[2]-ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-للاستزادة أكثر في الموضوع ولتوسيع هذه الفكرة يرجى مراجعة مقال:Sophistes ، في الموسوعة العالمية Incyclopedie Universalis9*96

بجورجياس أنّ القول الخطبي السفسطائي لا ينحصر في جنس الخطابة، وإنما هو قول زئبقي يمكن أن يتسلّل ليحرّر الخطابة من شرط تحديد الموضوع إلى فضاءات أجناس أخرى من القول، ومع ذلك فله سمات تيسّر تعريفه (القول الخطبي) – حسب أفلاطون – فهو قول إثباتي غير جدلي لا يقوم على المساءلة، بل يعقده صاحبه على الظن، لا على العلم واليقين، ويقصد به الإقناع معتمدا في ذلك على ما يوافق اللذة (لذّة السامع القائل، لا لذّة الخبر، فالخطابة السفسطائية كما يبدو من محاورة جورجياس هي حج استهواء لا غير.[1]

إن نقد أفلاطون للسفسطائيين وتحامله عليهم باعتبارهم أدعياء على العلم والمعرفة واعتمادهم الظن والأهواء واللذة، وكل ما يقدمونه من مفاهيم تشكل في واقع الامر ضررا وخطرا على الأخلاق والإيمان واليقين والقيم الاجتماعية الحاضنة للبشر والمميزة للمجتمع البشري. وحجّته في ذلك، أي أفلاطون، أنّهم لم يقدموا إلا نتائج ظنيةغير مؤكدة أو يقينية، جلّها قائم على الظن، الهوى واللذة فحسب.

من هنا فمهما كان من آراء من لدن السفسطائيين، ومهما كان مكن ردّ من طرف أفلاطون عليهم، ومهما كانت انتقاداته لهم عبر محاوراته المتعددة ووفق الحجج المختلفة، نتبين من كل هذا أن بدايات الحجاج كانت مع أفلاطون في ردّه على السفسطائيين. فعلى الرغم من قساوة الحكم الأفلاطوني، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أنه كان للحجاج والبلاغة السفسطائيين عمق وجدوى منشؤهما يكمن في تصورهم للخطاب ودوره في تحقيق الوجود وتجسيد الحضور ونفي الغياب، وإن كان هذا الحضور الغوي في نظرهم يظل مجازيا، إذ هو تجسيد صوتي (لغوي) للحضور العيني – الواقعي نظرا لاستحالة نقل الحقيقة الوجودية بشكل تام.[2]

لقد كان للحجاج والبلاغة السفسطائية أهمية كبيرة كونهما نتيجة حتمية تمخّضت عن تصورهم للخطاب وتمثّلهم لوظيفته في أثبات الوجود وتحقيق الحضور المنشود، هذا الحضور الذي وسمه المجاز وطبعه كونه حضور لغوي يجسّد ذلك الغياب العيني للحقيقة الوجودية التي يعد نقلها ضربا من المستحيل.

من هنا أحدث الحجاج والخطابة التفاعل الوجودي بين البشر في المجتمع، ليس للتأكد من إثبات الفرضيات فحسب، إذ عمد السفسطائيون في ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة النفعية المتصلة باللذة والهوى ولسنّ النفع المتعلّق بالمثُل والخير، وبالتالي، فقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار، وذلك اعتمادا على سلطة القول Force du langage في الاحتيال على الحقيقة **والخبر** إذا كانا لا يخدمان غرض المحاجج، كما تعدّ فكرتا التوجيه

[1]-ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، (م. س)، ص51.

[2]-ينظر محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص26

Oientation والتوظيف Fonctionnement من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة.[1]

وقد واجه أفلاطون تلك الممارسات الحجاجية بمحاورتين هما جورجياس كما ذكرنا قبلا وفيدر، نقد من خلال هاتين المحاورتين البلاغة السوفسطائية بصفة عامة واعتمد في نقده استراتيجية واحدة سماها هشام الريغي "استراتيجية الكشف "، لأنه رأى أن افلاطون وجد في مقارعته لهم تعد كشفا للقناع عن أغاليطهم ومزاعمهم وتلاعباتهم اللغوية.[2] ففي محاورة جورجياس، يحلّل أفلاطون موضوع الخطابة في ضوء المقابلة بين العلم والظن مؤكدا أن الإقناع نوعان: إقناع يقوم على العلم ويعتمد عليه وإقناع مرتكزه الظنّ، فالأقناع الذي يقوم على العلم ويرتكز عليه ويتدعم به مفيد في أن يكسب الإنسان معرفة وإدراكا، أما الظن فلانه يقوم على الظن والمحتمل، فإن الغقناع الذي يعتمد عليه غير مفيد حسب أفلاطون، لأنه لا يكسب الإنسان معرفة، بل ينشئ لديه اعتقادا .Croyance [3].

نقد أفلاطون الحجاجات السفسطائية من خلال محاورات جورجياس وفيدر من خلال كشفه عن كل أقنعتهم اللغوية، فمن خلال محاوراته (جورجياس) أكد أفلاطون أنه يجب أن يقوم الإقناع على العلم ليكسب الإنسان معرفة ويقينا، وأما ذلك الإقناع الذي يقوم على الظن والاحتمال فإنه يحرم المرء العلم والفائدة ولا يكسبه غير الاعتقاد والاحتمال، والفرق كبير بين العلم والمعرفة الناجمين عن اليقين المؤكد وبين الاعتقاد والتوقع الناجمين عن الاعتقاد والتكهن الناجمين عن الاحتمال.

وقد سحب أفلاطون هذا التصور على الخطابة أيضا إذ اعتبرها أداة تزيينية تمويهية تحقق اللذة ولا تحقق الفضيلة، بل وزاد الرجل أن عدها أداة للتملّق.

وهذا الرأي في الخطابة مخالف لرأي تلميذه أرسطو الذي ألحّ على هذه الصناعة واعتبرها مدار الرقي والمدنية. ولكنّ أفلاطون وفي مواطن أخرى عرّف الخطابة على أنها صناعة قيادة النفوس بالقول ولكن إلى الحق والخير لكي تكون جميلة، لأن الجمال عنده قرين بالحقيقة، أما إذا كانت القيادة نحو الزينة والزخرف والظاهر كما هو حال الخطابة السفسطائية في نظره فإنها تكون قبيحة وهو ما يفسر وقوع الأسلوب عنده في دور ثانوي مقارنة بالأقسام والعناصر الخطابية الأخرى.[4]

اعتمد أفلاطون معياري العلم والخير أساسا لكل حجاج أو بلاغة مجديين ومفيدين للفرد وللمجتمع، وكلاهما معيار رقمي، كما تعرض أفلاطون أيضا في نقده للسفسطائيين لحجاجهم المعروف الذي كانوا يعمدون فيه إلى إقناع السامعين بما يخالف المشهور (البارادوكس Paradox) والذي يعني

[1]-ينظر المرجع السابق، ص27.

[2]-هشام الريغي، الحجاج عند أرسطو، (م. س)، ص63.

[3]-ينظر المرجع نفسه، ص63.

[4]-ينظر محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص28.

المفارقات والمتناقضات، فرأى أنهم يؤسسون حجاجهم ذلك على الظن والحقيقة انطلاقا من تصورهم للخطابة التي يرون فيها الصانعة للإقناع.[1]

لقد كان معظم النقد الذي وجّهه أفلاطون إلى السفسطائيين في المحاورتين المذكورتين يدور حول منطق الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي الحق والخير وما ينجرّ عنهما، ومقصده في ذلك كلّه أن يبيّن أن الحجاج السفسطائي لا يحرر فكر الإنسان ولا يحقق له الخير.

وخلاصة القول، أن أفلاطون في نقده لخطابة السفسطائيين لم يعالج الحجاج بما هو "صناعة قول" وإن كان هذا البعد حاضرا في مشروعه بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع.[2]

فلقد كان لقضية التأثير الشكلي للخطاب في المتلقين حضور بيّن في هذا النقد، حيث أن السفسطائيين أولوا الشكل عناية كبيرة في الحجاج، لكن أفلاطون على العكس من ذلك رأى " أن المبالغة في تحسين العبارة تخلخل علاقة الفكر باللغة في الخطاب، وبالتالي، فالجمال عنده قائم على نشدان الحقيقة والفضيلة وتلازُم اللغة والفكر."[3]

فالصياغة اللفظية والمبالغة في تزيين الأسلوب وزخرفته يفسدان علاقة الفكر باللغة ويؤدّيان إلى خلخلتها ويفقدانها روحها وسرّ جمالها، فأصل الجمال عند أفلاطون وسرّه هو طلب الحقيقة واتّباع الفضيلة وتحقيق العلاقة القائمة باللغة والفكر وتأكيدها.

وفي انتقاد أرسطو للسفسطائيين، نجده يركز أكثر على إنتاج الحجاج عندهم وما يتعلق به من آليات وبخاصّة الشراك القولية التي كانوا ينصبونها ويوقعون بها خصومهم، وقد ذكر أن لحجاجهم خمسة أهداف هي التبكيت، الإيقاع في خطأ، الدفع إلى مخالفة المشهور، استعمال صيغ قولية غير مألوفة ودفع المجيب إلى الكلام الفارغ بجعله يكرر كلامه. ويحقق السفسطائيون في نظره هذه الأهداف انطلاقا من المغالطات التي حاول أرسطو حصرها اعتمادا على القياس والاستقراء.[4]

رغم مآخذ الفلاسفة وبخاصة أرسطو على السفسطائيين، ورغم الملاحظات التي سجلها عليهم ورغم استنكاره لهم كونهم يسعون الى المغالطة ويهدفون إلى تبكيت مجادليهم، إلا أنه لا يمكن أن ننكر دورهم في وضع تقنينات وإرساء قواعد خاصة في الحجاج.

لقد قام أرسطو بصوغ أنماط من الحجاج المضاد لكل مغالطاتهم اعتمادا على منهج تفكيكي لكل أقوالهم، لأنه رأى أن خطابهم مبني على أغاليط دلالية متنوّعة يتم فيها أحيانا التلاعب بمعنى المقدمات أو إحداها كي يكون القياس مخالفا للمتوقع وموافقا لمآرب السفسطائي، الذي يعتمد بالأساس في حجاجه

[1]- المرجع السابق، ص 27.

[2]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، (م، س)، ص72.

[3]- محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص28.

[4]- ينظر المرجع نفسه

هذا على التفنن في توجيه اللغة، وقد أشار أرسطو إلى عمليتين تعتمدان في بناء الدلالة اللغوية في هذا النوع الحجاجي "فلإنجاز العملية الاولى يعتمد السفسطائي ثلاث وحدات لغوية تتميز بما تحمله وتنشؤه من تعدد دلالي، وهذه الوحدات بعضها معجمي(الاسم المشترك) وبعضها صرفي (شكل اللفظ) والثالث فوق تقطيعي (النبر)، وبهذه الوحدات يظهر السفسطائي حجاجه متناسقا رغم ما بداخله، ومن خلاله يوهم بأن القول الصادق يجب أن تكون أجزاؤه صادقة، وبناء على ذلك يتمكن من إحداث انزلاق في الحكم الذي يتوافق مع هواه، وإن كان يخالف المقدمة الكبرى التي ركب عليها الحكم الصادق.[1]

يقوم الحجاج أساسا على اللغة ويبنى على الدلالة اللغوية ومنه يعتمد السفسطائيون في حجاجهم على المغالطة من خلال التلاعب باللغة والتفنن في توجيهها.

ومن المسائل التي انتقدهم بها أيضا اعتمادهم على مبدأ المصادرة وعلى المطلوب الذي يجده أرسطو خطأ قياسيا كبيرا لأن القياس المطلوب نفسه يتضمن مقدمة كي يتمكن من حمل محاججه على التسليم بعرضه إن لم يفطن إلى خلل القياس، كما يضاف إلى نقده لهم في حيل مثل الإيهام بالعكس وجعلهم ما ليس علة بعلة (أي أنهم ما ليس علة يجعلونه علّة)[2].

أما عن دراسة أرسطو للحجاج فهي تقوم على دعامتين كبيرتين، أولاهما يختزلها مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي، ففيما يتعلق بمفهوم الاستدلال نلاحظ أنه يحمل شحنة منطقية صورية فهو عند أرسطو تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم، ولكن هذا الاستدلال لا ينطلق من فراغ، بل من معارف سابقة، أهمها: المبادئ والتعريفات أو حتى مسلمات شائعة، ومن هنا كان تركيز أرسطو على أكثر صور الاستدلال أهمية والمتمثلة في الصور القياسية، فهو يعرّفه بأنه "قول مؤلّف من أقوال إذا سُلّم بها لزم عنها بالضرورة قول آخر"[3].

وإن بدا من كل هذا أن استدلالات أرسطو العقلية تبدو في صورة استنباطات، فإن بعض الدارسين المعاصرين أمثال لوكاسيفيتش Lukasiewics يؤكدون بأن " الاستدلالات الأرسطية تأتي دائما في شكل تضمينات واقتضاءات يسبقها تلازم المقدمات وترابطها، بحيث تأتي النتيجة حصيلة لذلك التضمين"[4].

يرى عديد الدارسين أن الاستدلال عند أرسطو يستهل بمقدمات مترابطة ومتلازمة، تعقبها نتائج تؤكدها وتحققها أو تفندها.

وهو ما يفسر مرونة هذا المفهوم/ التصور وانجذابه إلى حقول علمية بحتة حيث إنه يقبل التوظيف في الرياضيات والجبر، مثلما يقبله أيضا في البلاغة والدلالة واللغة الطبيعية ومباحثها

[1]-ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، (م.س)، ص227.

[2]- ينظر محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص35.

[3]-أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد جويلية، 2001، ص126، 127.

[4]-المرجع السابق، ص127 .

الوجودية، ومن هنا يمكن استعمال الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي عامة واخطاب البلاغي بالخصوص بوصفه المنهجية أو الطريقة العقلية التي يسلكها الفيلسوف والبلاغي والناقد والمبدع بهدف إرساء حقيقة معينة، وما يقتضيه ذلك الإرساء من عمليات عقلية – منطقية تدعم ذلك الطرح دعما حجاجيا من جهة وأساليب إفحامية توجيهية من جهة أخرى.[1]

فالاستدلال الحجاجي كمفهوم يستعمل في علوم ومعارف متعددة، علوم إنسانية ولغوية كالفلسفة والبلاغة ووعلوم الدلالة كما يوظف في العلوم الدقيقة والتجريبية من رياضيات وجبر وعلوم الطبيعة والفيزياء.

والواقع أن الاستدلال والحجاج حسبما يورده - حبيب أعراب – يلتقيان ويتقاطعان تكامليا في الفلسفة إنتاجا وتعليما وضمن مدار واحد، ومركز هذا المدار هو عرض الحقيقة العقلية اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة بصفة تناسقية مع إنجازات لسانية بلاغية وتداولية وغيرها، "فالتقاطع بين الاستدلال والحجاج ضمن الدائرة الفلسفية يكسب الحجاج الاستدلالي أبعادا ضمنية ذهنية تحفيزية للفكر والتأويل والقراءة بصفة عامة".[2]

يصرح أعراب في مقاله بأن الفرق بين الحجاج والاستدلال ليس دقيقا عند الكثير من البلاغيين، بينما عند الفلاسفة فالأمر غير ذلك، فالحجاج عند أرسطو مثلا أنواع، ولكنه لا يفضي إلى نتائج يقينية ولا يؤسس علما لأن نتائجه ظنية، تعتيمية أو جدلية أو تطبيقية أو استشارية، لذلك رسم خطا فاصلا بين الحجاج والاستدلال البرهاني، وهذا المنظور للحقيقة الحجاجية هو الذي قاد غرنيي H.Gernier إلى الشك في هشاشة العقلانية الحجاجية طالما كل حجة هي مجموعة من الحجج.[3]

الاستدلال والحجاج عند بيرلمان

فالاستدلال هو استنباط نتائج من مقدمات وتكون هذه النتائج منبثقة بالضرورة ومن غير لبس من هذه المقدمات، وبالتالي، فهو أساس البحوث المنطقية، ويقتضي الاستدلال أيضا أن تكون عناصره المكونة له غير قائمة على التعدد والاشتراك، بحيث تكون مشتركة بين كل الناس، ولا يثير تأويلها أي خلاف، بعكس الحجاج الذي لا تكون الحقيقة فيه مؤكدة ولا موضوعية، بل نسبية وذاتية مرتبطة بالمقام المنجب لها وبعناصره ووحداته.[4]

[1]-ينظر محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص37.

[2]-أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، م، س، ص138

[3]-ينظر المرجع السابق، ص138.

[4]- ينظر محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص37.

من هنا يتوضح لنا أن بيرلمان يجد أن الاستدلال لا يستقيم إلا بعرض المقدمات التي تعد بدورها أساسا لاستخلاص نتائج مؤكدة لها، كما يجب أن تكون عناصر الاستدلال ومكوناته متعارفة بين كل الناس وضمن ومتداولة ضمن ثقافتهم وكل خطاباتهم التواصلية.

وأما الحجاج - عند بيرلمان طبعا- فيختلف عن الاستدلال، فالأول في نظره حقائقه ونتائجه ليست مؤكدة ولا مطلقة دائما، كما أنها تفتقر في عمومها إلى الموضوعية، كما أنها وليدة المقام الذي ينتجها. والسياق الذي يولّدها.وأما الاستدلال، فنتائجه مؤكدة لمقدماته التي يقتضي أن تكون وحداتها مشتركة بين الجميع ومتفق عليها في السياقات التواصلية والثقافات الاجتماعية، وفي كل ظروف التخاطب.

الحجاج، المحددات والأطر:

يعرف بيرلمان في كتابه "مصنف في الحجاج" الحجاج انطلاقا من موضوعه الذي هو "درس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم."[1]

وأما الغاية من الحجاج فيقول عنها:"....إن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه، أو الكفّ والإمساك عنه، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة."[2] ويمكن أن يستنتج من هذا أن بيرلمان يحاول جعل الحجاج نظرية مطابقة للبلاغة بحصرها فيه، وقد وافقه في هذا التصور العديد من البلاغيين المعاصرين، وبخاصة أوليفي روبول Olivier Reboul الذي يعتبر أن كل ما في الرسالة اللغوية المكتوبة والمسموعة والمرئية من وحدات تكوينية "هي حجة في حدّ ذاتها حتى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثفة، وبالمثل، فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج، بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصّة."[3]

يتفق بيرلمان مع أوليفي وعدد من الدارسين والبلاغين المعاصرين في القول بأن الرسالة اللغوية بكل تضميناتها وأقسامها إن هي إلا حجة في حدّ ذاتها من خلال ما تحمله من بلاغة تحمل استعارات تعد في حد ذاتها استدلالا. فبيريلمان مع زميله تيتكا يريان في البلاغة فنا للحجاج وينتقيان أمثلتهما من الخطباء الدينيين والقانونيين والسياسيين، بل وحتى من بين الفلاسفة.[4]

---

[1]- ينظر المرجع السابق.

[2]- ينظر المرجع نفسه.

[3]-أوليفي ريبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ تر: محمد العمري، علامات، ديسمبر 1996، ص77.

[4]- أوليفي ريبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، تر: الغروس المبارك، نوافذ (16)، ربيع الآخر 1422، جوان 201.

ويميز الحجاج عند بيريلمان خمسة ملامح أساسية، أولها أن يتوجّه إلى مستمع، ثانيها أن يعبّر عنه بلغة سليمة وطبيعية، ثالثها، ألا تعدو جميع مسلماته كونها احتمالية، ورابعها، ألا يفتقر تقدمه وتناميه إلى ضرورة منطقية، وأخيرا يجب أن تكون نتائجه غير ملزمة.[1]

ومن خلال هذه الملامح والتحديدات والوظائف يتبين لنا أن الأطر الحجاجية عند بيرلمان تتمثل في العلاقات الثنائيةالقائمة بين الحجاج والاستدلال، ثم الحجاج والخطابة، ثم الحجاج والجدل، وذلك في إطار عملية إقامة الدليل والبحث عن آليات حصول الإقتناع بالتحرك من أجل إنجاز الفعل المقصود من طرف المرسل أو الخطيب.[2] ويقسم بيرلمان الحجاج من حيث نوع جمهور المتلقين إلى قسمين، الأول هو الحجاج الإقناعي، وأما الثاني فهو الحجاج الاقتناعي، فالأول هدفه إقناع جمهور خاص ولا يتحقق(الإقناع) إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة وهو ما يضيق من فرصة العقل وحرية الاختيار، وأما الاقتناعي الذي يمثله النوع الثاني من الحجاج الذي هو هدفه الأول والأساس فإنه يقوم على الحرية والعقلنة وتحكيم العقل فيما يعرض عليه من أمور يرى صلاحها وجدواها ويسلم بالتالي بها المحاجَج ويغير أسلوبه جرّاءها مدركا ومقتنعا بما يعرض عليه لا مستميلا وعواطفه وقلبه .

فالاقتناع أولى من الإقناع وأجدى، فالحجاج باعتباره حرية وحوارا عقليين لا يمكن الاستغناء عن الأطر المكونة له والمحيطة به وبخاصة الاستدلال والخطابة، وإن كان في جوهره أقرب إلى هذه الأخيرة، لأن الحجاج لا يكون إلا في الأمور المثيرة للشك والمتطلبة جهدا فكريا وعقليا لتدقيقها وكشف لبسها وهو ما حدا ببيرلمان أن يجمع بين الخطابة والجدل الأرسطيين في نظريته.[3]

الحجاج والخطابة عند بيرلمان

وعلى الرغم من قرب الخطابة من الحجاج إلا أنه أي الحجاج يختلف عنها حسب بيرلمان في ناحيتين اثنتين هما: نوع الجمهور ونوع الخطاب، فلئن كان جمهور الخطابة يقتضي حضورا أمام الخطيب في فضاء مكاني محدد، فإن جمهور الحجاج متنوّع ومتعدّد يمكن أن يكون حاضرا كما يمكن أن يكون غائبا، على غرار الكتابة وفيما تتطلبه الفنيّة خاصّة من خطط حجاجية لتعويض غياب المرسل من خلال توظيف عناصر اللغة توظيفا تتولّد منه عناصر حضور بليغة، أما من جهة نوع الخطاب، فإن الحجاج يكون تلفظا شفويا أمام سامعين مثلما يكون مكتوبا مقروءا متداولا بين جماعة المعنيين به.[4]

وتركّز نظرية الحجاج كثيرا على المكتوب وآليات البرهنة فيه لانّ مجال إعمال العقل فيه تحليلا وتأويلا أوسع مما هو متاح في الخطابة التي تتميّز بالشفوية فقط، فمجمل كتابات بيرلمان وبخاصة كتابه

[1]- ينظر أوليفي ريبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ (م، س)، ص77.
[2]- نظر محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص108.
[3]- ينظر المرجع نفسه، ص109.
[4]-المرجع نفسه، ص110.

"مصنف في البلاغة" ينظم لأنواع البراهين والحجج بحسب كل من المقامات والمخاطبين، كما يهتمّ بتقديم دليل عميق لمستويات حضور الكاتب المبدع في مكتوبه بوصف ذلك الحضور حركة حجاجية تتم بموجبها محاورة الآخرين الذين تتوقّع منهم استجابات معينة، إذ يركز بيرلمان في كتابه هذا ويؤكّد فكرة المستمعين الواردة في البلاغة الكلاسيكية من خلال تركيزه على غيابهم المادي ويعمل على تنمية عناصر الخطاب الحجاجية بعيدا عن وسائل الضغط والتحريض من جهة والعمل من جهة ثانية على استثمار كل ما من شانه أن يمنح الخطاب نفاذيته المطلوبة من تقنيات ومكونات معرفية واجتماعية ونفسية وسياقية، تساعد مجتمعة في تحقيق الخطاب.[1]

فبيرلمان يراهن على الخطابات المكتوبة ويولي اهتماما وتركيزا أكثر على مستوى حضور جمهور المخاطبين، كون الخطاب المكتوب يتيح مجالا لإعمال الفكر من حيث التحليلات والمناقشات التي تثيرها أهم القضايا والتي تستوجب تفاعل الجمهور المخاطب واستجابتهم من خلال العملية الحجاجية التي تولد استجابة هذا الجمهور من خلال اقتناعهم واستمالتهم أو تغيير سلوكهم.

الحجاج: البناء والمكونات

يرى محمد الامين الطلبة أن الحجاج "ينبني على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج منها المحاجج خطيبا كان أو كاتبا خططه البرهانية، فبهذه المقدمات يستمال المعنيون (المرسل إليه) كما لديهم مطلق الحق في رفضها إذا هي لم تنسجم مع تصوراتهم، أو كانت من البساطة والسطحية لا تمثل أي عنصر جذّاب."[2]

تنشأ الاستراتيجيات الحجاجية على جملة من الفرضيات الناشئة من تصورات معينة والقائمة على مقدمات محددة تهدف في عمومها إلى جلب جمهور المخاطبين الذين يعينون مرسلا إليه محددا بعينه، هذا المخاطب أو المرسل إليه المقصود له كل الحق في قبولها أو رفضها إن هي لم تنسجم مع تصوراته ولم تطابق هواه.

ويرى بيرلمان أن مقدمات الحجاج هي التي تؤسس نقاط الانطلاق[3]، ومن أهم هذه المقدمات: **الوقائع Les fais**، **الحقائق Les réailtés**، **الافتراضات Les présemptions**، **القيم Les valeurs** **هرمية القيم Hiérarchies des valeurs**، **والمواضع Les lieux**، الوقائع بما انها ثابتة فلا شك فيها فإنها تصلح لتكون وتؤسس نقطة البداية فهي " تمثّل ما هو مشترك بين عدد من الاشخاص أو بين جميع الناس.....والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوبا منه، مع ما يفرض نفسه على الجميع، إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا."[4]وعموما، كل هذه المقدمات – حسب بيرلمان – تنقسم إلى ضربين أولهما، مداره على الواقع وهو

[1]- المرجع السابق، ص110.

[2]-محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م. س)، ص111.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 111.

[3]-القاضي محمد، الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، منوبة، تونس، دت، ص313.

الذي يشمل الوقائع، الحقائق والافتراضات، والآخر مداره على المفضل، وهو المتعلق بالقيم ومراتبها وبالمواضع وتمثل هذه المقدمات على اختلاف أنواعها منطلقا للمحاجة ويعتمد الحس المشترك، Le sens commin لجماعة لسانية معينة والذي هو جماع معتقداتها ومناط مواقفها، بل مناط موافقة كل عاقل، وتسمى المحاجّة في هذه الحال المواجهة للإنسان عامة.[1]

وللحجاج في هذه المستويات مظاهر متعددة منها ما يولّده المقام ومنها ما يهتدي إليه المحاجج بنفسه بحذقه ووعيه بطاقات مخاطبيه المعرفية وبظروف القول عموما، فهذه المقدمات أو الفرضيات التي يتأسس عليها الحجاج ليست ذات فعالية في ذاتها ولا هي بمعزل عن كفاءة الخطيب ووعيه اللذين بهما تكتسب عناصر الحجاج شحنتها الحجاجية.[2] من هنا يتضح لنا أن حذق المحاجج وذكاؤه ومدى إدراكه بإمكانات مخاطبيه وقدراتهم وكذا وعيه بالمقام التواصلي الذي يجري فيه خطابه، وكذا مراعاته لظروف القول حيثياته وكل ملابساته إجمالا،

هذه الأمور كلها هي وحدها الكفيلة بإنجاح الحجاج ووصوله إلى غايته المرجوة، فالمقدمات والفرضيات وكل ما يتبعها لا تثبت فعاليتها ولا نجاعتها مالم تطبع ببراعة المحاج الخطيب وقدراته الإقناعية.

ومن أبرز مظاهر كفاءة المحاجج منهجه وطريقته في بناء خططه القولية ورؤيته التي يؤسس عليها اختياراته في تقديمه للمقدمات والفرضيات التي من حقها التقديم في مقام خاص ومع جمهور بعينه، لأن وحدات البداية هي أهم ما يقرع الاذهان ويلفت الانتباه للمتلقين ويحدد درجة القبول أو الرفض للتصور المقدم، وهكذا "فإن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، وهو ما ينبغي على نظرية الحجاج أن تاخذه بعين الاعتبار."[3] ولذا فالمحاجج إذا أحس من مخاطبيه التسليم سلفا بفكرة أو عنصر يدعّم تحقّق ما يرمي إليه، فإن عليه إبراز هذا العنصر وتدعيمه بكل ما يعضده ويجعله حاضرا في المقدمة ويزيد من أهميته ويؤكدها.

فالاهتمام بالعناصر المقوية والمعززة لأفكار المرسل والتي يبغي بثها في متلقيه، والتي يجب أن يؤكد عليها من خلال مقدماته وفرضياته تجعل الحجاج يحقق غايته ويبلغ مداه ويحقق هدفه، لأن أولى أوليات المحاجج التركيز على عناصر الإقناع التي يضمنها مقدماته وفرضياته ويعمل جاهدا على تدعيمها بها.

الإفحام والإقناع:

تركز هذه النظرية على التنوع الشديد للمخاطبين الذين يتوجه إليهم خطاب أو مكتوب حجاجي، هولاء المخاطبون الذين يتوجه نحوهم الحجاج يتراوحون كميا من فرد واحد إلى البشرية جمعاء،

[1]-ينظر محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م.س)، ص114

[2]- محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م.س)، ص114

[3]-القاضي محمد، الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، (م، س)، ص313.

ويتراوحون كيفيا من محموعة من العوام المجتمعين في الساحة العامة إلى الفرق الدقيقة التخصص والعالية الكفاءة، كما أنه ثمة مخاطبون من نوع خاص بحيث يوازن المتكلم بين الانتصار للشيء أو معارضته.[1]

ويتمثل هدف الحجاج بالدرجة الأولى في التأثير في الجمهور، والمعيار الأول الذي يقاس به خطاب ما هو نجاعته غير أنه ليس معيارا كافيا لأنه لا يمكن إهمال نوعية الجمهور الموجّه إليه الخطاب، إذ يكمن التمييز بين خطابات السياسي والمحامي والفيلسوف والعالم، ليس فقط بمواضيعها، بل نميزها أيضا بالجمهور المستهدف الذي توجه إليه آلية تلك الخطابات .

وفي الواقع، فإن نجاعة الخطاب تكون بحسب ملاءمته للجمهور، وبحسب الآليات والتقنيات المستعملة، فمن أجل إقناع سامع أو مخاطب مخصوص واستمالته، تستعمل آليات لا تستعمل ولا تصلح لإقناع جمهور كوني، ويتسم الحجاج العقلاني بقدرته على إقناع جمهور عام، ومن الخطأ الجسيم، ربط الحجاج بأطروحة يظن أنها صالحة ولكن السامع لا يميل إليها لأنه من المفيد والأساسي معرفة الأطروحات التي يسلم بها المستمع أو المخاطب، كما من الجدير أيضا معرفة درجة القوة التي تعتنقها الأطروحات، وذلك من أجل اختيار تلك التي تساعد الحجاج ويمكن اتخاذها نقطة ارتكاز من خلال عرضها باعتبارها مسلمات.[2]

فالجمهور المستهدف ومدى قابليته لما يبثه فيه المحاجج (المخاطب)، وكذا قدرته (المحاجِج) ومدى اقتناعه وقوة ايمانه بما يريد به استمالة مخاطبيه، لهما دورا كبير في وصول المحاجِج إلى هدفه وبالتالي، اقناع مخاطبيه واستمالتهم، ومن ثم نجاح الحجاج وتأديته غايته.

ومن المعايير التي تكسب مقدمات المحاجج وفرضياته حسب بيرلمان قوتها ونفاذها السياق القولي والأسلوب البلاغي اللذان يقدمهما فيهما، كما يدخل في هذا أيضا كل أنواع الصفات والأمثلة والتأكيدات التي ينبغي أن يتخلل بها الخطاب، فهذه المكونات البلاغية والأسلوبية داخلة أيضا في آليات العرض الحجاجية (Présentations argumentatives) والتي يوليها بيرلمان أهمية كبيرة حيث يرى ان لها دورا كبيرا في تحقق القول فعلا في الواقع.[3]

يحتاج الخطاب القولي الحجاجي ليحقق نفاذيته ويصل إلى هدفه المتوخى منه لأن يتضمن مجموعة من الآليات البلاغية والأسلوبية والتي تتمثل في الصفات والتأكيدات ومختلف الروابط المنطقية وغير المنطقية. والواجب أن تكون متعارفا عليها بين جميع أطراف الجماعة اللغوية وأن تكون ضمن تعارفهم الثقافي واللغوي.

---

[1]-ينظر صاير حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، (م، س)، ص 70.

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص70.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص70

الفصل الأول

التداولية : الأسس، المنطلقات والمفاهيم

الفصل الأول: التداولية: الأسس، المنطلقات والمفاهيم

لا يزال التواصل البشري مذ وجد الانسان على هذه الأرض موضوعا للفكر الانساني، ذلك لأن الإنسان منذ بداية وجوده في حاجة إلى عقد علاقات بين أفراد بيئته من أجل إحداث التآلف والتجانس والتفاهم داخل المنظومة الاجتماعية، فكانت اللغة أرقى وسيلة للتواصل البشري.

من هنا، عُدّ التواصل اللغوي مبحثا بالغ الأهمية، إذ لم تعد التداولية موضوعا مستقلا عن الدراسات اللغوية فحسب، بل إنها تتفرع إلى مباحث عدة، تتوغل جذورها منذ القدم، بدءا من أرسطو الذي يرى أن أصوات الكلام هي رموزلمشاعر الروح، مرورا بابن جني الذي أكد على الخاصية الرمزية للغة[1].

كماعرفت اللسانيات أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تطورا كبيرا، وتقدمت الدراسات اللسانية بشكل ملحوظ، وقدمت أبحاثا رائدة للغة في مختلف مستوياتها الصوتية والتركيبية، والملاحظ أن هذا التطور لم يواكبه انشغال متعمق ببعض إشكالات الاستعمال اللغوي من قبيل أفعال الكلام والإحالة، والافتراض المسبق والأقوال المضمرة. ومن ثمة، ظلت النماذج والنظريات اللسانية المختلفة تتحاشى هذه الإشكالات بذريعة أنها عصية على البحث ويجب أن يطويها النسيان، بيد أن التحولات المعرفية التي شهدتها خمسينيات القرن العشرين أثبتت أنه لا يجب الاستمرار في تجاهل قضايا الاستعمال اللغوي، فجاءت محاضرات **أوستين** وأبحاث تلميذه **سورل** لتعلن بداية عهد جديد في الدراسات اللغوية، وتؤرخ لثورة على النماذج اللسانية البنيوية، هي ثورة التداولية.[2]

التداولية بين المفهوم، النشأة والتأصيل

التداولية: مهاد مفاهيمي تحديدات ومفاهيم

لم تعد اللسانيات مجرّد علم ينعزل في مختبراته بعيدا عن تدفق الحياة اللغوية، إذ لم تعد علما مخبريابحتا يعتمد المناويل اللغوية بمعزل عن صخب العلوم الأخرى التي تجاورت معها وترافدت في نطاق العلوم المعرفية (Sciences cognetives) باعتماد مقاربات متعددة الاختصاصات، رياضية، لسانية، رياضية، فيزيائية، منطقية ومعلوماتية...إلخ.[3]

فالمنهج التداولي تيار نشأ بامتزاج وتقاطع مجموعة كبيرة من الأفكار والنظريات التي تتفق فيما بينها على دراسة الطابع الاستعمالي للغة، ما يجعل إيجاد تعريف دقيق وواضح المعالم لمصطلح التداولية أمرا صعبا للغاية.[4]

---

[1]- يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2014،

[2]- جواد ختام، التداولية، أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص9.

[3]- المرجع السابق ص9.

[4]- علجية آيت بوجمعة، التداولية، دراسة في المجالات والفروع، الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، المجلد 07، العدد 03، ص160.

فالتداولية حلقة وصل بين علوم عدة، يصعب تقديم تعريف جامع مانع لها، ويعزى ذلك إلى كونها – أي التداولية - تجمع بين اللسانيات والمنطق والفلسفة وعلوم إنسانية أخرى (علم الاجتماع، علم النفس المعرفي) من جهة، وتجمع بين دراسة اللغة ومستعمليها من جهة ثانية[1].

فكل باحث أو دارس يحاول تحديد مفهوم للتداولية من منطلق تفكيره ومن زاوية رؤيته ووفقا لتوجهاته ومشاربه، ومن هنا ندرك أن للتداولية تعاريف ومفاهيم شتى تختلف باختلاف انتماءات مريديها ودارسيها.

التداولية بين المعنى المعجمي والمفهوم الاصطلاحي

تعد اللسانيات التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، والتداولية - حسب "فرانسوازأرمينغو" - في كتابها المقاربة التداولية درس جديد، إلا إنه لا يمتلك حدودا واضحة، فهي من أكثر الدروس حيوية وتقع في مفترق طرق البحث الفلسفية واللسانية، تنوعت وجهات النظر فيها بين الدارسين سواء عند مؤسسيها ومريديها في الغرب، أو عند دارسيها والباحثين فيها من العرب. ولعل السبب في ذلك يعود إلى تنوع مجالات اهتمام الباحثين أنفسهم[2].

تناولت التداوليةَمفاهيمٌ عديدة مما صعّب من عملية تحديدها وحصر تعريفها نظرا لتعدد المشارب التي استقيت منها، وقد عدّتها "أرمنقو"جزءا من السيمييائياتبقولها: " إن التداولية هي ذلك الجزء من السيميائيات الذي يعالج علاقة العلامات بمستعمليها".[3]

فبعدّ اللغة مجموعة من الرموز والعلامات التي تعارف عليها مستعملوها (مستعملو اللغة) من خلال اتفاقهم على الثقافة اللغوية والأعراف الكلامية المختلفة، فإن التداولية تبحث في مجال تلقي العلامة بالنسبة للمتلقي وأثرها عليه، بالضبط تماما كما تبحث في أغراض المرسل وأهدافه.

بدأ الاهتمام بالتداولية كنظرية متأخرا نظرا لعدة أسباب، إذ تعد اللسانيات التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، فبعدما كانتاللسانيات تقصر أبحاثها على الجانبين البنيوي والتوليدي، فتهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية -جانب بنيوي-، وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المتحكمة فيه-جانب توليدي-.[4]

---

[1]- محمد الورداشي، بعض المفاهيم الكبرى في التداولي، الحوار المتمدّن، ع/ 5499، متاح على الموقع: http://www.ahewar.orgبتاريخ 2017/04/22.اطلع عليه بتاريخ: 2020/7/23.

[2]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 21.

[3]- ذهبيةحمو الحاج، البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري، مجلة الأثر، ع17/ 2013، ص24.

[4]- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، العدد (7)، 2011، الجزائر. ص 155.

وفي إطار ما يُصطلح عليه ب "لسانيات الوضع"، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى ب" لسانيات الاستعمال"، ولعل هذا ما جعلها أكثر دقة وضبطا، حيث تدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.[1]

وعليه، فالتداولية وإن عدّها بعض الدارسين اتجاها لسانيا أو فرعا عن اللسانيات إلا أنها جاءت لتدرس الجانب الإجرائي من اللغة، أي أن التداولية تعنى في أهم أدوارها بدراسة دور اللغة في العملية التخاطبية، كون الدراسات اللسانيات كانت صورية محضة في تناولها للغة من خلال اهتمامها بالجانب البنيوي والتوليدي لها وكذا الاهتمام بالملكة اللسانية والنظام اللغوي.

و لعلّ من أهم الأسباب الداعية إلى الاهتمام بالتداولية أيضا هو عدّها ردّة فعل على معالجات تشومسكي(أفرام نعوم تُشُومسْكِيChomsk AvramNoam للغة بوصفها "أداة تجريدية" أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال على استعمالاتها ومستعمليها، والسبب الآخر هو الانتهاء إلى أن النحو والدلالة قد عجزا عن التعامل مع بعض الظواهر المعينة، ويمكن اعتبار الإدراك بوجود هوة بين النظريات اللسانية من جهة ودراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سببا آخر في الاهتمام بالتداولية، ومن الأسباب الأخرى أيضا ظهور الحاجة إلى تفسير مرجعي خارجي للسمة اللغوية.[2]

التداولية في المعنى المعجمي:

يرجع لفظ التداولية إلى الجذر (د و ل)، فقد جاء في " لسان العرب لابن منظور (ت 711 ه)": "تداولنا العمل و الأمر بيننا أخذناه بالدول، وقالوا دواليك، أي مداولة الأمر، وتداولت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيادي، أخذته، هذه مرة وأخذته هذه مرة، وتداولنا الأمر بيننا".[3]

والدولة، -حسب ابن منظور- انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور، والدولة العاقبة في المال، والدولة في الحرب: أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة.[4] ومنه قول الحجاج بن يوسف: " إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها"، قيل: ستأكل منها كما أكلناها، وتداولوه: أخذوه بالتداول، وقد تداولته الأيدي: أخذته هذه مرة، وهذه مرة.[5]

والتداولية مصطلح مركب من وحدتين إحداهما معجمية: "تداول"، والأخرى صرفية: "ية" دالة على مصدر صناعي.[6]

---

[1]- المرجع نفسه، ص155.

[2]- ينظر: خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2002، ص177.

[3]- أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد11، ط3، 1994، ص252، 253.

[4]- المرجع نفسه.

[5]- ينظر، جواد ختام التداولية، أصولها واتجاهاتها، (م، س)، ص14.

[6]- المرجع نفسه، ص14

وقد ورد في معجم الوسيط في اللغة: "دواليك بلفظ التثنية والإضافة من المصادر المثناة للمبالغة والتكثير، تداول بعد تداول، ومداولة على الأمر، والدول: النبل المتداول، والدولة: الاستيلاء والغلبة، والشيء الذي يتداول.[1]

أما ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة فقد أورد لمادة "د و ل" أصلين، يدل أحدهما على التحول من مكان إلى مكان آخر، و يدل الأصل الآخر على الضعف والاسترخاء، وقد قال أهل اللغة في الأصل الأول: "اندال القوم: إذا تحولوا من مكان إلى مكان، من هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال: الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا "[2].

وقد ورد في معجم "أساس البلاغة" دَوَلَ دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوّهم، جعل الكثرة لهم عليه (...) وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد (...)، والله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول الشيء بين قدميه، يراوح بينهما"[3].

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: " **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** "[4] .

فسّر ابن كثير الآية في تفسيره بقوله:" أي نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العاقبة لكم، لما لنا في ذلك من الحكمة[5].

فالله تعالى يديل الأعداء على المومنين فيغلبهم و يظهرهم عليهم تارة، لينصر المسلمين على الكفار في النهاية.

تكاد المعاجم العربية تتفق على إيراد لفظ (دول) للدلالة على معنى الانتقال والتحول والتبدل والتغيير من حالة إلى أخرى ومن موضع إلى آخر.

كما أن هذه المعاني والدلالات واردة في معاجم أخرى كتاج العروس الذي ورد فيه أن الدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدولة.[6]

---

[1]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص304.

[2]- أحمد بن فارس بن زكريا أبو محسن، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2، ص314.

[3]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1998، ص303.

[4]- سورة آل عمران، الآية 140.

[5]- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ج2، 1999،

[6]- محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، ج28، سلسلة التراث العربي، الكويت، ط6، 1965، ص506، 507.

وقد قال الفرّاء في الآية الكريمة " كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم.. "[1]، قرأها السلمي بالفتح فيما أعلم، وقال: ليس هذا للدولة بموضع، وإنما الدَّولة (بالفتح) للجيشين، يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فنقول قد رجعت الدولة على هؤلاء، كأنها المرّة، قال: و الدُّولة بالضم في الملك والسنن التي تغيّر وتبدّل عن الدهر، فتلك الدّولة، أو هما على السواء بمعنى واحد، يضمان ويفتحان، وقيل الدُّولة بالضم اسم الشيء الذي يتداول به والدولة بالفتح تدل على الحرب..[2]

من خلال ماسبق وبعد هذا الرصد لما جاء في بعض معاجم اللغة، نجدها تتفق عموما على ربط دلالة المدخل اللغوي (د. و. ل) بمعنى التبدّل والتحوّل والتغيّر من حال إلى حال، أما البعض فيميّز بين الدلالتين بناء على حركة الدّال، فالفتحة تدل على الحرب والضمة تدل على السنن التي تتبدل وتتغيّر، في حين يساوي البعض الآخر بين الفتح والضمّ.

أما المعاجم العربية الحديثة فإنها تتقاطع مع القديمة في الدلالة المعجمية للجذر (د. و. ل) والتي تدل على تبدّل الأحوال وتغيرها، إلا أنها تتفرّد ببعض الدلالات المستحدثة مثلا: " أدال الشيء، جعله متداولا، وداول كذا بينهم، أي جعله متداولا، تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ف"أدال وتداول" بالدلالة نفسها، والمداولة في القضاء: إجالة الرأي في القضية قبل الحكم فيها.[3]

من هنا، يرتبط المدخل المعجمي (د. و. ل) دائما بالتداول والترابط المعمم، كما يتصل بالتحاور، ومنه المداولة وتعني تقليب القضية لمعرفة وجوهها المختلفة قبل البتّ في الأمر، وهذا الفعل يقتضي الاستشارة وتبادل الآراء والأخذ بوجهات النظر المختلفة.[4]

وأما طه عبد الرحمن، فقد ربط بين الفعل " دول " بمفهوم المجال التداولي إذ يقول: " إن لفظ المجال مشتق من الفعل جال، يجول، والذي يدلّ لغة على معنى الفعل دار، فيكون المجال هو موضع الدوران مما يجعل هذا المفهوم يشترك مع مفهوم "التداول" في معنى "النقلة" أو الانتقال و"الحركة"، فيكون المراد من إضافته إلى التداول هو تحديد مكان وزمان هذه النقلة والحركة نطقا كانت أم إحساسا"[5]

فالأفعال جال من الجولان، ودار من الدوران، ودال من التداول تقريبا تشترك في حقل مفاهيمي واحد يتمثّل في الحركة والانتقال.

ويقصد بالتداول – حسب طه عبد الرحمن – جعل المنقول مأصولا، والتداولية من الفعل تداول، أي "تداول الناس كذا بينهم" يفيد معنى تناقله الناس و" أداروه فيما بينهم"، ومفهوم النقل والدوران

---

[1]- سورة الحشر، الآية 07

[2]- ينظر المرجع نفسه.

[3]- إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، وعبد الحليم منتصر، ومحمد خلف الله أحمد، (مجمع اللغة العربية)، المعجم الوسيط، المجلد1، دار الفكر، ط2، د.ت، ص304، 305.

[4]- جواد ختام التداولية، أصولها واتجاهاتها، (م، س)، ص15.

[5]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، دت، ص244.

يستعملان في نطاق اللغة[1].**وكذلك اللغة تدار بين طرفين أوجماعة وتتداول بينهم، ليشكل هؤلاء أطراف أو مكونات العملية التواصلية.**

التداولية في الاصطلاح

ويتفق عديد الدارسين أن كلمة براغماتية مشتقة من الكلمة اليونانية براغما (Pragma) ومعناها – حسب جميل صليبا – "فعل ونشاط وعمل... و كلها ترى ان المنفعة العملية للمعارف مصدر لها ومعيار رئيس لصحتها." [2]

يعد وضع تعريف شامل و جامع للتداولية لا يُستمد إلا من خلال مجال استخدام هذا المعرَّف– أي التداولية- في مجاله وحقله، ولما كانت للتداولية عدة توجهات، لم يتفق الباحثون بعد على صيغة موحدة وشاملة لتعريف التداولية، إذ إنها حسب فرانسوازأرمينيغو " درس جديد وغزير إلا أنه لا يمتلك حدودا واضحة."[3]

كانت التداولية في بداياتها تستلهم وجودهامن خلال ما يحيط بها من علوم نفسية واجتماعية وفلسفية وتاريخية وثقافية ودينية...، لذلك فإن التداولية في بداياتها لم تكن ذات طبيعة تخصصية، وبعد ظهورها على الساحة العلمية بدأت تسعى لإثبات ذاتها، بأن يصبح لها طابع مستقلّ، وكيان منفصل عن العلوم الأخرى يعرف باسم: "التداولية"، والتي بدورها تربط دارس النص بما يحيط به من ملابسات سياقية.[4]

وبالتالي، فإن الحديث عن هذا الحقل وعن شبكته المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الدلالة، فعلم الاجتماع يشترك مع التداولية من خلال أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث(أطراف الخطاب)، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والمستمع، وجنسهما، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها، و أما علم النفس، فيشارك التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه والذاكرة والشخصية، فعلم الدلالة يتقاطع مع التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته.[5]

إنّ هذا التعدد في التعريفات والتحديدات إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى تغلغل المنهج البراغماتي في مختلف مجالات المعارف والعلوم، الأدب والفلسفة والدين وعلم الاجتماع والسياسة والقانون... وغيرها، وكل ميدان يطبقها من منطلق تجربته الخاصة ومن منظوره الخاص ومن زاوية رؤيته

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 244.

[2]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص203.

[3]- فرونسواز أرمينيغو، المقاربة التداولية، تر. سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب 1986م، ص7.

[4]- محمود أحمد أمين نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2002، ص10

[5]- المرجع نفسه، ص11.

من هنا، فالتداولية تنتمي إلى حقول معرفية ومفاهيمية كثيرة تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغوي وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال.[1]وفي أثناء البحث عن مفهوم موحّد للتداولية تبيّن ان هناك العديد من المفاهيم التي تختلف باختلاف المعرفين لها، وباختلاف الوجوه العملية التي يمارس بها البراغماتيون أفكارهم في الواقع الحياتي.[2]

لقد تأخرت الدلالة الاصطلاحية للفظ "تداول" في المعاجم اللسانية الغربية رغم استعماله قديما وحديثا في القرن العشرين حين أشار شارل موريسإلى أن دراسة السيميوزيسSimiosis أو سيرورة التدليل بها ثلاث مستويات هي التركيب، الدلالة والتداولية. وأوضح أن هذه الأخيرة تبحث في العلاقة بين العلامة ومؤوليها. إلا أن المرحلة الحاسمة في تطور التداولية تزامنت مع أبحاث أوستين وغرايس في إطار فلسفة اللغة، لتنفتح بعد ذلك على روافد معرفية متعددة جعلتها ملتقى عدة تخصصات.[3]

وتذهب بعض الدراسات إلى أن شارل ساندرس بيرس(1839/ 1914)هوأول من ابتكر كلمة "**البراجماتية**"، وذلك في مقالته الشهيرة: "كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟"، و مما جاء فيها قوله:"لكي نبلغ الوضوح التام في أفكارنا من موضوع ما، فإننا لا نحتاج إلا إلى اعتبار ما قد ترتب من آثار يمكن تصورها ذات طابع عملي، قد يتضمنها الشيء أو الموضوع."[4]

ألمح شارل ساندرس جدا رغم بعد المسافة الزمنية إلى قضية هامة هي الطابع العملي المتصور من الفكرة المستقبلة.

فوضوح الفكرة أو الرسالة التي يحملها موضوع ما وبلوغها المخاطَب من أهم مقاصد المتكلم، فرد الفعل الذي يبديه المتلقي جراء تلقيه الرسالة من المرسل هو تحديدا ذلك الأثر ذو الطابع العملي الذي يقصده بيرس، وكيف تتحول استجابة المتلقي لرسالة المتكلم وأفكاره إلى أثر عملي.

وبتبسيط أكثر يمكن أن نقول: أن التداولية تهتم بدراسة اللغة من خلال التركيز على الانتباه على المستعملين (مستعملي اللغة) من أطراف العملية التواصلية أي أطراف الدائرة الحوارية، فهي أي التداولية تركز على سياق استعمال اللغة بدلا من التركيز على المرجع أو الحقيقة أو قواعد النحو.

والتداولية إذ تدرس استعمال اللغة في السياق – كما تقدم - فاهتمامها ينصب أكثرعلى دراسة العلاقة بين المتكلم والمخاطب أو المستمع بكل ما يعتري هذه العلاقة من شروط وملابسات مختلفة، بحيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الاتصال والتفاعل وبالنهاية: التواصل،

---

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16.

[2]- سمير شريف أستيتية، منازل الرؤية، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2003، ص108.

[3]- جواد ختام التداولية، أصولها واتجاهاتها، (م، س)، ص15.

[4]- فاطمة العلمي، تعريف التداولية، بوابة نون الإلكترونية، نقلا عن سماح رافع، المذاهب الفكرية المعاصرة، ص 49-52. ضمن المقال المتاح على الموقع: https://www.noonpresse.com/ بتاريخ 2018/09/18. اطلعنا عليه بتاريخ 2020/05/08

فالجملة الواحدة يمكن أن تعبّر عن معانٍ مختلفة أو مقترحات متعددة تختلف من سياق إلى سياق آخر.[1] **كما أن المعنى الواحد يمكن التعبير عنه بعدة جمل، بحسب الاقتضاء.**

وبالتالي، أصبحت التداولية من أكثر المناهج اللسانية قدرة على التحليل اللغوي المعتمد على السياق من جوانبها المختلفة، سواء من جانب الإشاريات(Diectics)، والافتراض المسبق (Presupposition)، والاستلزام الحواري (ConversationalImplicature) ، أم من الأفعال الكلامية (Speech Acts).[2]

وقد وردت تعاريف عديدة للتداولية قصد رفع اللبس عنها، فتعرفها آن ربول وجاك موشلار على أنها دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات، وهذا الاستعمال ليس محايدا، فالإشاريات مثلا لا تؤول إلا داخل سياقها التلفظي، كما أن الكلمات تدل في مناسبات كثيرة على معان تفوق ما ننوي التعبير عنه.[3]

وتعرّف التداولية عموما بأنها مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، إذ هي الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية.[4] كما أنها دراسة لكل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط، وقصر علم الدلالة على هذا النوع من الأقوال غير مسلم به في النظريات الدلالية التي ظهرت منذ العقد الثامن من القرن العشرين، فضلا عن أن ما وراء ذلك لا يمكن حصره.[5]

وثمة من عرّف التداولية على أنها مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية المتمثلة في الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية.

وتعرفها (آن ماري *ديلر*) Anne Marie Diller وفرونسوازريكاناتي FrançoisRécanati بأنها دراسة تهتمّ باللغة في الخطاب وتنظر في الوسميات الخاصة به قصد تأكيد الطابع الخطابي فيه، ويعرفها جاك.فرانسيس FrançaissJack بكونها دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، ويعرفها

---

[1]- نور الوحدة، التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجالات، مجلة التعريب، الجامعة الإسلامية الحكومية، بالانغاريا، أندونيسيا، العدد الثاني، السنة الرابعة، 2016، مقال متاح على الموقع: https://www.neliti.com/journals/al-tarib اطلع عليه بتاريخ20/10/28، ص 38.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- Moeschler Jacques, Reboul Anne, Dictionnaire encyclopedique de pragmatique, Seuil 1994, p1.

[4]- الموسوعة الكونية: (EncyclopediaUniversalis)

[5]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، مصر، 2002، ص12

ل. سفيز L.Sfez على أنها الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، وتهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل.[1]

تكاد التعاريف السابقة تجمع على أن التداولية في تحديدها العام والشامل هي دراسة أو مبحث يتناول بالاهتمام والبحث اللغةَ أثناء الاستخدام وبالتالي تتناول دراسة الخطاب بصفة عامة في العملية التواصلية، ومدى أثره في المنجز الحواري بين مرسل ومستقبل.

وعلى الرغم من ذلك كلّه، فإن مبدأ الواقع الفعّال (Agissanterealite) الذي يقع في صلب التداولية، إنما يمثّل نمطا أصليا و تأليفيا في مقاربة الظواهر ضمن العلوم الإنسانية، وهو الذي يعرف التداولية بوصفها تحليلا للوقائع الملاحظة، وينظر إليها في علاقاتها بسياقات وجودها الواقعية، هو في الواقع مبدأ علمي وإن كان ينزع إلى حقل التواصل، الذي يمثل كل شيء للإنسان.[2]

وبالتالي لا يمكن أن تُعدّ التداولية اختصاصا بالمعنى المتعارف عليه للفظ الاختصاص[3]، ذلك **أن الإنسان بطبيعته ابن بيئته ولا ينفصل عن مجتمعه لأن التواصل السمة التي لا يمكن أن تنفصل عنه، كونه في اتصال وتواصل أبدي مع جماعته ولا ينقطع عنها بأي حال من الأحوال.**

وقد اكتسبت التداولية عدداً من التعريفات، بحسب اهتمام الباحث نفسه فقد يكون اهتمام الباحث اهتماما بالمعنى في سياقه التواصلي أو يكون اهتمامه منصبا على المرسل منشئ الخطاب ومحركا له وباعتبار وجهة نظره، فيعرفها بداية بأنها "دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله."[4] أو أنها دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية[5].

كما قد تعرّف من وجهة نظر المرسل – كما تقدم - وذلك بأنها: كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب من خلال استعمال الجوانب اللغوية المختلفة، في ضوء عناصر السياق ومتطلبات المقام، بما يكفل ضمان التوفيق جانب المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه[6].

إذن، التداولية فرع من علم اللغة يهتم بالبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة المعنى الذي يرومهالمتكلم[7].

---

[1]- المرجع نفسه، ص10.

[2]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تع: صابر الحباشة و عبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص11.

[4]- عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية، (م، س)، ص22.

[5]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص08..

[6]- عبد الهادي الشهري، ، إستراتيجيات الخطاب، 22 (م، س)، ص22.

[7]- ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (م، س) ص06.

فمثلاً حين يقول شخص: أنا عطشان (فقد يعني أريد كوب ماء) وليس من الضروري أن يكون إخباراً بأنه عطشان. أو أن يقول: أنا مرهق أو تعِب، ربما ليس للإخبار بما يعانيه بقدر ما يريد الإخبار بأنه لا يريد إنجاز عمل طلب منه، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته[1].

فليس بالضرورة دوما أن تشي الملفوظات بمقاصد المتكلم، فأحيانا تفوق المعاني الألفاظ المعبرة عنها وتقصر عن ترجمتها الترجمة الدقيقة والصحيحة.

ومن هنا، يمكننا القول أن أشمل تعريف للتداولية هو: " أنها دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، ذلك أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا بالسامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما."[2]

فدراسة اللغة في التواصل تقتضي أيضا الوصول إلى دراسة الأنساق الثقافية المشتركة والأعراف اللغوية السائدة بين أطراف الحلقة التواصلية.

ونتيجة لذلك فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداولية في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة.[3]فالدراسة التداولية تقتضي الإلمام بكل ما يحيط بالمخاطِب وأهدافه ومقاصده، كما تتناول المخاطَب وكيفية تلقيه الخطاب وتأثره بأفكار المتكلم والتغير الطارئ عليه أي ردّات أفعاله نتيجة هذا التأثير"ومن أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب"[4].

فمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشاركه في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التداولية.[5]

فالمعجم المشترك، والأعراف الثقافية المشتركة، وشخصية المتكلم والمتلقي ومن ثمة زمان الخطاب ومكانه، كلها عوامل تعمل على إنجاح العملية التواصلية، و هذا هو صميم الدراسة التداولية.

تعد الكلمات والعبارات مكونات اللغة وأساس الكلام وهي لا تعني شيئا دون سياقاتها، إذ لا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به ومن خلال زمان المتكلم ومكانه، كي تتضح مرامي المتكلم والمعاني التي يريد إيصالها للمخاطب والتي يهدف إليها، "وكل

---

[1]- المرجع نفسه، ص06.

[2]- المرجع نفسه، 14.

[3]- نعمان بوقره، التصور التداولي للخطاب اللساني، عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير 2006، ص83.

[4]- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب(بيروت، المركز الثقافي، ط1، 1991)297 .

[5]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت، عالم المعرفة، أغسطس، 1992، ص99 . و ينظر السيد عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية (عمّان، دار الحامد، ط1، 2004، ص 120، و أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص48.

هذه الأمور تتناولها الدراسة التداولية، كما تهتم التداوليات أيضا بنوعية العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين أطراف العملية التواصلية والتي تبثّ عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المخاطِب عدّة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار..."[1]

وتجدر الإشارة إلى أن المقاربة التداولية تسعى إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة من مثل ماذا نصنع حين نتكلم؟ نحن حين نتكلم، ماذا نقول بالضبط؟ من الذي يتكلم إذن وإلى من يتكلم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء ونحن نريد شيئا آخر؟ و هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟[2]

هي جملة من الأسئلة التي حاولت فرانسواز أرمينغو (Francoise Armingaud) الإجابة عنها في كتابها"المقاربة التداولية"، وذلك من خلال تقديم تعريفات للتداولية، وكيف ظهرت وتكونت، وأهم المفاهيم التي تهتم بها الدراسة للتداولية من مفهوم الفعل إلى مفهوم الإنجاز، مرورا بمفهوم السياق ثم تناولت دراسة بعض مبادئ التداولية من الرموز الإشارية، وأفعال اللغة، و المعنى الحرفي والمعنى التواصلي.[3]

وهذا الفرع من المقاربة التداولية الذي يعنى بالتخاطب يهتم بكيفية انتقال المعنى، ليس فقط على صعيد المعرفة اللغوية بين متكلم ومستمع، بل على أساس سياق الكلام المنطوق وسياق الاستقبال والمعرفة بوضع المتشاركين في التخاطب وكذلك بمقاصد المتكلم وظروف الكلام.[4]

وهي لب الأصول التي تسعى التداولية للاهتمام بها، كعناصر الدائرة الخطابية وكذا موقف الخطاب وسياقه، والاهتمام بأهداف المتكلم ومراميه و ردة فعل المخاطب، ومدى تأثره وتغيّر موقفه.

مما يقتضي – حسب حافظ اسماعيلي علوي - استحضار مجموعة من المعطيات لا يمكن أن تستقيم المقاربة التداولية إلا بها، من مثل هذه المعطيات نذكر:[5]

- التركيز على مستعملي اللغة و سياق/ سياقات الاستعمال.
- مراعاة ظروف استخدام اللغة الإنسانية كما يقررها سياق المجتمع.
- الاهتمام بمظاهر التأويل كما يقررها سياق المجتمع.
- تحليل مقامات الخطاب ومقاصده.
- دراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلم.
- دراسةالاستلزام الحواري، ومعرفة كيف يكون الاتصال شيئا أوسع من مجرّد القول.

---

[1]- نعمان بوقرة، التصور التداولي للخطاب اللساني، (م، س)، ص83

[2]- فرانسواز أرمينيغو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، ص7.

[3]- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، (م، س)، ص12.

[4]- المرجع نفسه، ص12.

[5]- حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات: علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص2.

- استحضار الشروط التي تجعل المنطوقات مناسبة وناجحة إنجازيا.

- بلورة نظريّةٍ لأفعال الكلام، أي نماذج مجرّدة أو مقولات تصدق على السلوكات الملموسة والشخصية التي ننجزها ونحن نتكلم.

- دراسة العوامل التي تحكم اختيارنا للغة.

تؤدي المعطيات أو التحديدات السابقة إلى أن التداوليات تهتمّ بكل أشكال التفاعل الاجتماعي والتفاعل الخطابي، ودراسة المعطيات اللغوية والخطابية المتعلّقة بالتلفظ ...، إنها تهتم بالعملية التواصلية في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والإيديولوجيا، وبدراسة العلاقة بين اللغة والسياق، وبذلك يمكن القول إنّ التداوليات هي علم الاستعمال اللغوي، و إنها بحق علم جديد للتواصل.[1]

والتداولية و إن عدّت مبحثا لسانيا جديدا تطور خلال سبعينيات القرن الماضي، إلا أن البحث فيها يمكن ان يؤرخ له أبعد من ذلك بكثير، حيثترجع كلمة التداولية Pragmatique في أصلها الأجنبي إلى الكلمة اللاتينية Pragmaticus والتي يعود استعمالها الى عام 1440م و مبناها على الجذر Pragma ومعناه الفعل Action، وبعدها صارت الكلمة بفعل اللاحقة تطلق على كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي.[2]

أما في الثقافة الفرنسية، فإنها قد استعملت في المجال القانوني قبل أن تعرفها الدراسات الفلسفية والأدبية، وهي تتحدد في الحقل القانوني في عبارة: Pragmatique sancion وتعني المنشور أو المرسوم أو نحوه، والذي يسعى إلى معالجة قضية ما أو تسويتها باقتراح الحلول العملية والنهائية في الوقت ذاته، ثم كان توظيفها في حقل العلوم التجريبية لتدل على صفة إمكانية التطبيق العملي على كل اكتشاف أو بحث علمي، لتدخل اللفظة مؤخرا اللغة المستعملة في عبارات من مثل "أنت شخص عملي" للدلالة على أنك شخص تميل إلى إيجاد الحلول الواقعية والعملية للإشكالات المطروحة.[3]

تسعى التداولية لأن تتجاوز حدود الخطاب لتصير نظرية عامة للفعل والنشاط الإنساني، شغلها الشاغل إنما هو دراسة اللغة في المقام والسياق، الذي يهتم بما يفعله المستعملون بالألفاظ أثناء العمليات التواصلية.

وقد كانت تستعمل كلمة Pragmaticos الإغريقية وكلمة Pragmaticus اللاتينية بمعنى "عملي"، وقد تعددت الآراء التي تناولت بالبحث الأسس والجذور التي كانت تمثل المرتكزات الأولية للتداولية المعاصرة. فمنهم من يؤرخ لها منذ القدم، ومنهم من يرجع تأسيسها إلى الفلسفة التحليلية للفيلسوف غوتلوب فريجه (Gottlob Frege) وفنجنشتاين (Ludwig Wittgenstein).[4]

---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص3.

[2]- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، المبادئ والإجراء، (م، س)،

[3]- المرجع نفسه

[4]- بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب (لندن)، (2012) ص 12.

نجد أن التداولية وإن عدّت مبحثا جديدا أوتيارا حداثيا في الدراسات المعاصرة، إلّا أن لها جذورها ومرتكزاتها تعود بها إلى عهود بعيدة تجعل من الفلسفة التحليلية مهادا لها.

و يرى بعض الدارسين أن الفيلسوف الأمريكي شارل موريس أول من استعمل التداولية Pragmatics بالمعنى الحديث، من خلال كتابه: "أسس نظرية العلامات" والذي تأثر بالفلسفة الأمريكية البراغماتية الذرائعية.[1]

فقد قسم شارل موريس السيميائية إلى ثلاثة أقسام:

- **علم التراكيب (Syntaxe)** ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها ببعض، .ويعنى علم التراكيب بالدراسة النحوية التي تسم العلائق بين العلامات المتمثلة في علاقات الألفاظ والجمل داخل الخطابات.

- **علم الدلالة (Sémantique)** و يهتم بدراسة العلاقات بين العلامات والأشياء التي تحيل إليها وتدل عليها، دراسة علاقة العلامة بالمرجع المشار إليه، أي المعاني التي توحي إليها العلامات وتدل عليها من خلال علاقتها بمرجعها.

- **التداولية (Pragmatique)** والتي عرفها بيرس بأنها الجزء الذي يدرس العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، أي دراسة العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال.[2]

فالتداولية عند بيرس تتناول دراسة الأداء اللغوي أو الفعل الكلامي بين المتخاطبين وتدرس أثره على مستوى المتكلم أو المخاطب في حين تكتفي الدلالة بدراسة معاني العلامات ودلالاتها.، وبالتالي يتبين لنا أن الدلالة جزء من المبحث التداولي، وهذا الأخير لا يستوي أو يستقيم بعيدا عن الدرس الدلالي، فكلاهما يكمل بعضه بعضا.

وفيما يتعلق بالقواعد التداولية فإنها حسبه " تقدم الشروط التى تستخدم فى إطارها تعبيرات، من حيث أن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم القواعد النحوية والدلالية "[3]، ولكن ذلك لا ينصرف بالتداولية انصرافاً كاملاً إلى الأبعاد المعيارية، فقد كان أول تحديد لوظيفة التداولية فى حقل اللسانيات هو تحديد شارلز موريس Morris1938Charles: "الدلالة تبحث فىعلاقة العلامات بمدلولاتها، والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها "[4] وقد أقر شارل دور الرؤية التداولية فى عملية التأويل، وكانت التداولية حسبه " مقتصرة على دراسة ضمائر المتكلم والمخاطب وظروف الزمان والمكان (هنا، الآن)، وكل العبارات

[1]- إيمان هنشيري، آليات اشتغال المنهج التداولي على التراث الشفوي، جامعة عنا بة، ص 324.

[2]- خوسيه ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر: حامد أبو أحمد، دار غريب، القاهرة 1991م، ص232.

[3]-زتسيسلافواورزنياك، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد بحيرى، ط 1مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2003م، ص 86

[4]- المرجع نفسه، ص 88.

التي تكتسب معانيها من معطيات خارجة عن اللغة ذاتها، أي من الوضع الذي ينتج فيه الاتصال وتتم خلاله العملية التواصلية.[1]

وقد اهتم الباحثون بدراسة اللغة وفقًا لمنحيين رئيسين: المنحى الشكلي، و هو الذي من خلاله قعّد العرب لعلمي النحو والصرف، وتمّثل عند الغربيين في اللسانيات الصارمة، التي تعنى بدراسة النظام اللغوي، معزولاً عن سياق التواصل الاجتماعي وبعيدا عنه، ومنحى آخر، وهو المنحى التواصلي الذي يدرس اللغة من خلال المنجز اللفظي في سياق معين، وقد تمثَّل هذا الاتجاه في مناهج كثيرة منها: تحليل الخطاب، اللسانيات الاجتماعية واللسانيات التداولية[2].

إذن، تجلت الدراسات اللسانية العربية في الاهتمام بشكل لافت بعلوم النحو والصرف على اعتبار أنهما الأساس والركيزة في الدراسات اللغوية، في حين اهتم الغربيون بدراسة البينية اللغوية بعدّها نسقا صوريا بعيدا عن أي سياق خارجي يربطه حيثيات التواصل الاجتماعي.

لقد حظيت التداولية اليوم باهتمام كبير، وغدت مجالا خصبا لإثارة قضايا محورية مرتبطة بالتواصل الإنساني، إلا أنها كثيرا ما يكتنفها الالتباس ويعتري مفهومهاالغموض، ويعزى هذا الالتباس المصاحب لمفهوم التداولية إلى تعدد مباحثها، وتباين روافدها، واختلاف وجهات النظر حول وضعها الاعتباري، كما يرجع الغموض أيضا إلى ذلك التقاطع الذي يتيحه الدرس التداولي بين حقول معرفية متنوعة: فلسفية، لسانية، نفسية، اجتماعية انتروبولوجية... إلخ،

كل هذا جعل التداولية ملتقى عدد من التخصصات، وهو مادعا أيضا إلى إعادة النظر في جملة من القضايا ذات الصلة باستعمال اللغة ومقتضيات التواصل من قبيل الإحالة والحجاج ومقاصد المتخاطبين، والاستلزامات الحوارية الناتجة عن التفاعل الإنساني، وترتبط التداولة بجملة من العلوم: كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس... إلخ، ولكن سمتها الغالبة تتجه إلى التوجه العملي.[3]

ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد عرضت للتداولية كثيرمن الترجمات في اللغة العربية منها: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، إلى جانب التداولية.[4]وأفضل هذه الترجمات (التداولية) إذ أي تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة.[5]

---

[1]- أحمد سالم عوض حسان، التداولية بين المفهوم والتصور متاح على الموقع: https://www.alukah.net بتاريخ: 2018/4/1 اطلع عليه بتاريخ: 2020/5/11

[2]- المرجع نفسه.

[3]- للاستزادة أكثر، يمكن العودة إلى إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 1999).

[4]- ميجان الرويلي، و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص 100.

[5]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة، 2002، ص 52.

حيث يرى عدد من الدارسين العرب أن أفضل ترجمة للبراغماتية هي التداولية كونها مشتقة من الفعل تداول، والتداول في معناه هو الأخذ والرد بين طرفين وأكثر، وهو ما يكون مع اللغة من تداول لها بين أطراف نسميهم عناصر العملية التواصلية.

تعدّ اللسانيات التداولية اتجاها لسانيا يعنى بدراسة اللغة و ظروف مستعمليها، من حيثُ مراعاةُمقامات التواصل ووضعية المتخاطبين في سياقات تواصلية معينة، فالتداولية تتقاطع مع علوم معرفية مختلفة– كما تقدم - ما جعل منها نظريات لم يكتمل بناؤها بعد، كما أن مفاهيمها انبثقت من مصادر مختلفة، ما جعل كل باحث أو دارس يعرفها منطلقا من مجال اشتغاله، ودائرة تخصصه، ومن الزاوية التي ينظر منها إلى اللغة. ما نتج عنه تحديدات وتعاريف تتجاذب التداولية من أطراف عديدة ومتنوعة، "فقد عُرّفت على أنها: "اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولا سيما المضامين والمدلولات التي تولد الاستعمال في السياق."[1]

فالتداولية مجموعة من النظريات تتقاطع في علوم شتى وتنبثق من مصادر جمّة، فاتجاهاتها متعددة ومشاربها مختلفة مما يعسر على الباحثين وضع تعريف شامل لها والاتفاق عليه، إلا أن ما يقرب للاقتناع أو ما يحصل الاقتناع به حتما هو تناول التداولية حدود التفاعل التخاطبي بالدراسة والاهتمام من خلال الاهتمام بالمعطيات المتعلقة بالكلام والمتكلم والمخاطب.

إذ تشمل هذه المعطيات:

- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشاركهم في الحدث اللغوي.
-الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.
- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها.[2]

مبادئ التداولية ومميزاتها:[3]

أ- أسبقية الاستعمال الوصفي والتمثيلي للغة.

ب-أسبقية النظام والبنية على الاستعمال.

ت-أسبقية القدرة على الإنجاز.

[1]- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1 2012، ص32.

[2]- المرجع السابق، ص32.

[3]- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ت، سعيد، علوش، مركز الانشاء القومي، المغرب، ص9.

درجات التداولية:

من بين الذين اشتغلوا بالدرس اللساني التداولي وساهموا في تطويره. هانسون(Hansson) الذي يعد أول من حاول التوحيد بين مختلف مكونات التداولية، وذلك من خلال تقسيمه للتداولية على ثلاث درجات، فكل درجة تهتم بالسياق لكن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى، وهذه الدرجات هي:[1]

أ- **تداولية الدرجة الأولى:**

وهي تهتم بدراسة الرموز الشارية (أي التعابير المبهمة)، ضمن ظروف استعمالها (أي سياق تلفظها). سياق هذه الدرجة هو الموجودات، أو محددات الموجودات، ومن ثم فالسياق الوجودي الإحالي هو : المخاطبون، ومحددات الفضاء والزمن.[2]، و مثل هذه الدرجة قولنا:"هل هذا كتابك؟"، فما من شأن هذا" نشير إلى شيء محدد هوالكتاب، وأن الضمير " الكاف" يشير إلى المخاطب، ولكن المتكلم لا يقصد هذا المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات، بل يتعداه إلى مقصود آخر، وهو استعارة الكتاب منك بما أنه ملكك. وبالتالي، ستكون هذه الدرجة الأولى.

ب-تداولية الدرجة الثانية:

وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة لمتلفظ بها في الحالات الهامة، إذ على القضية المعبر عنها أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة، وسياق هذه الدرجة هو سياق بالمعنى الموسع، فهو يمتد إلى ما يتوقعه المخاطبون، أنه سياق الأخبار والاعتقادات المتقاسَمة، لا السياق الذهني[3].

وأهم نظريات تداولية الدرجة الثالثة، هي:

- قوانين الخطاب.
- مبادئ المحادثة.
- الحجاج.
- الأقوال المتضمنة ...وغيرها

و مثال هذه الدرجة اقتبسناه من نظرية : الأقوال المتضمنة" ويتمثل في قول متكلم ما: "الجو حار جدا."ومن الأقوال الضمنية لهذا المتكلم أنه لا يصف حالة الجو، بل يتعداها إلى طلب القيام بفعل ما، كأن يقول: "الجو حار جدا"، "افتح النافذة لو سمحت"، أو كأن يقول: "الجو حار جدا، فهل ترافقني إلى الشاطئ؟".

---

[1]- المرجع نفسه، ص38.

[2]- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، (م، س) ص38.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 88.

ج- تداولية الدرجة الثالثة:

هي نظرية أفعال اللغة، أو أفعال الكلام (speachacts) ، لأستين(Austin)، ويتعلق بمعرفة ما تمّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، لأن الأقوال التي تُتلفظ لا تصف حالة راهنة للأشياء فحسب، بل إنها تنجز أفعالا، والسياق هو المحدد فيما إذا كان التلفظ أمرا، أو نهيا، أو استفهاما...وفيما إذا اسقنا مثالا يشكل تنبيها أو إعطاء أمر"[1].

مثال:جملة" ستشرق الشمس"، تتضمن دلالاتٍ متعددةً في إطار التداولية فقد تكون: سؤالا من المتكلم إلى المخاطب: هل ستشرق الشمس؟ أو إخبارا: أخبرك بأنه ستشرق الشمس، أو تعجبا: كيف ستشرق الشمس والسماء ملبدة ! وتتحدد الدلالات بتعيين أفعال الكلام، التي يمكن أن تتضمنها الجملة التي تمثل القصد الحقيقي للمتكلم، والتي تُسهم إلى جانب السياق في تحديد الدلالة الدقيقة ونوع التواصل بينه وبين المخاطب.[2]

فالتداولية هي دراسة وظيفة اللغة أثناء التخاطب–كما تقدم - أي من خلال العملية الحوارية التي تهدف إلى خلق التواصل الناجحبين المخاطب و المتلقي بحكم أن " المعنى في الدراسة التداولية ينبثق من علاقة العلامة بالمتكلم من جهة، وبالسياق من جهة ثانية، وليس المقصود بالسياق اللغوي فحسب، كما يرتبط بالاستعمال في الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها طرفا العملية التواصلية من جهة ثالثة."[3]

فالعبارة " أحسنت" مثلا قد تفيد معنى الاستحسان حقيقة إذا صاحبها هش و بشاشة وجه، أو صياح أو تصفيق أو غير هذا من حركات أو إيماءات مما يدل عليه، كما قد تحمل اللفظة على الاستهزاء والسخرية إذا خوطب بها مصاحِبة لإمالة الصوت أو هز الرأس...، كما قد تحمل العبارة دلالة التوبيخ ممزوجة بالغضب إذا كان المخاطِب أباً مثلا أو معلما أو من له سلطة ما والسامع ولدا أو تلميذا فرّط في أمر كان من المفترض أن يحسن فيه، فتلقى العبارة على عكس مدلولها الحرفي من باب التعريض والزيادة في اللوم".[4]

ومثل ذلك قوله جلّ في علاه في موقف أخذه فرعون : "ذق إنكّ أنت العزيز الحكيم.." الآية 49 سورة الإنسان.

و التراث العربي يتضمن ما يشفع لما خطته التداولية اليوم لنفسها ما نجده في علم المعاني تحت باب أضرب الخبر من وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال إخراجا له على مقتضى الظاهر، وأحيانا من

---

[1]- المرجع السابق، ص 39.

[2]- سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة، انجليزي-عربي- مكتبة لبنان للنشر، لبنان، مادة (PRA)، ص 112.

[3]- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ط 1، 2009، ص19.

[4]- المرجع السابق، ص20

باب التلميح فيما يسميه أهل الفنّ بإخراج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر، ومن هنا يقول جون كليبر: "تبدو التداولية اليوم علما متناميا ومجالا رجراجا شديد الانفتاح."[1]

لقد اتخذت التداوليات منحى معرفيا Cognitive مع أعمال سبيربر D. Sperber وويلسن D.wilscen[2] حتى غدت تنعت بالتداوليات المعرفية التي تنطلق من تصور فودور حول آليات معالجة الذهن للمعلومات اللسانية في قوالب معرفية منفصلة، فبالنسبة إلى سبيبر تستقبل قوالب الإدراك الحسية (السمعية والبصرية) المثيرات ليعالجها النسق اللساني.[3]

وهذه الصورة يتكفل بها النسق اللغوي المتخصّص، ليحوّلها إلى صورة منطقية أي صورة دلالية جزئية بعدّها متوالية من المفاهيم، وبعد ذلك تنقل هذه الصورة الدلالية الجزئية إلى النسق المركزي في الذهن الذي يقوم باستنتاجات واستنباطات، موظفا آليات معرفية مختلفة مثل التعميم والمقارنة والاستنباط[4].

وبالتالي، ينفذ إلى قوالب لسانية متعدّدة، وإلى الذاكرة قريبة المدى وبعيدة المدى، والمعلومات السياقية لبناء الصورة القضوية التامّة للملفوظ، حيث يتمّ إسناد كل أشكال الإحالات الزمنية أو الاستلزامات المنطقية أو السياقية، وأشكال فك الالتباس، وتمثّل الصورة القضوية التامّة البنية الأكثر استجابة لمبدإ الورود، لأنها تتناسب مع مقصدية المتكلّم.[5]

إن التواصل اللفظي في تصوّر سبيربر وويلسون قائم على بعدين مترابطين هما البعد القصدي والبعد الاستنتاجي، فمؤوّل الملفوظات مدعوّ للقيام باستنتاجات، مستعملا معلومات سياقها يستقيها من المحيط المعرفي لانتقاء المعلومات الأكثر ملاءمة لتأويل الملفوظ، لذلك يدعو المتكلمُ المخاطَبَ إلى التعرّف على المقاصد المضمرة في كلامه مستعملا كل المعلومات اللسانية التي يوفرها لبناء استنتاجات ملائمة من أجل التعرّف على مقاصده.[6]

الأصول الفلسفية للتداولية:

أصبحت التداولية في السنوات الأخيرة منهجا مألوفا في اللسانيات وفي الدراسات الأدبية بعدما كانت تعد سلّة مهملات لتلك الموضوعات التي كانت اللسانيات تسجّل عجزا في توصيفها ومعالجتها بأدواتها

[1]- المرجع السابق، الصفحة نفسها

[2]- حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات: علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص3.

[3]- المرجع نفسه، ص 03

[4]- المرجع نفسه، ص3.

[5]- المرجع نفسه.

[6]- المرجع نفسه.

التقليدية، وفي هذا المنحى يقول جيفري ليج: "لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية.." أي كيف نستعمل اللغة في الاتصال؟"[1].

وللدرس التداولي المعاصر أصول كثيرة تضافرت مجتمعة في بلورة وتحديد مفاهيمه الكبرى، حيث تعد الفلسفة الينبوع المعرفي الأو ل محصورة أساسا في الفلسفة البراغماتية الذرائعية والفلسفة التحليلية، ولكن، على الرغم من اختلاف التداولية عن المذهب الذرائعي الفلسفي، فإن معظم الباحثين يرون أنه من أول مصادرها، والبراغماتية أو كما عرّبها المحدثون إلى "براغماتيك" أو "براغماتيكا" إلى غير ذلك، أو كما تترجمها المعاجم إلى "الذرائعية"، أو "النفعية" أو "الغائية"[2].

والبراغماتية، كلمة يونانية الأصل وتعني الفعل أو العمل – كما سبق وذكرنا–وورد في الموسوعة البريطانية أنّ أوّل من استعمل هذا المصطلح هو المؤرخ الإغريقي "بوليبوس" المتوفّى سنة 118 ق.م، الذي أطلق هذه التسمية على كتاباته لتعني آنذاك" تعميم الفائدة العملية ".[3]

وقد اشتقت اللغة الإنجليزية منها جميع المفردات التي تتعلق بكلمة Practice، وأهمها Pratical والتي من من رحمها ولدت الفلسفة الذرائعية أو البراغماتية Pragmatism التي كانت بدورها سببا في ظهور مصطلح آخر في القرن العشرين هو Pragmatics.[4]

وتشير الجذور التاريخية لفكرة التداولية إلى تأثرها بالمذهب الفلسفىPragmatism، وإن كانت جذورها الأولى ترجع إلى أبعد من ذلك بكثير، إذ ترجع إلى وشائج تربطها بعمق تاريخ الفكر الغربى، فعلى الرغم من أن التداولية فرع جديد نسبياً فى اللسانيات الحديثة " فإن البحث عنها يمكن أَن يرجع قديماً إلى اليونان والرومان، حيث إن المصطلحpragmaticusيوجد فى اللاتينية المتأخرة، كما أن المصطلح pragmaticos يوجد في اليونانية، وكلا المصطلحين يتداولان بمعنى العملى.[5]

أما الاستعمال الحديث لمصطلح التداوليةpragmaticsفقد اعتمد على تأثير المذهب الفلسفي الأمريكي البراجماتيةPragmatism، كما أن تأثير الفلسفة البراجماتيةPragmatismقد قاد إلى دراسات دولية متجاوزة البعد اللسانى لاستعمال اللغة " أنتجت ضمن ما أنتجت نظرية الصلة

[1]- عادل الثامري، التداولية ظهورها وتطورها، مجلة إيلاف الالكترونية، مقال متاح على الموقع، www.eleph.com، بتاريخ: 2006/04/27، اطلع عليه بتاريخ: 2020/09/20.

[2]- ينظر دنحا طوبياكوركيس، البراغماتية والفائداتية، جامعة جدارا للدراسات العليا، إربد، الأردن، ص، 01 والمقال متاح أيضا على منتدى واتا على الموقع: http://www.wata.cc/forums/showthread.php بتاريخ: 2006/11/20، اطلع عليه يوم 2020/12/12.

[3]- ينظر المرجع السابق، الموقع نفسه.

[4]- ينظر المرجع نفسه، الموقع نفسه.

[5]- ينظر عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، دراسة جديدة، ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ع /22، ، 2005، نقلا عن Shaozhong Liu WhatisPragmatics 1999

سبيربيرSperberوويلسون1986 Wilson التى توضح بشكل قاطع كيف يتحادث الناس وكيف تتم عملية الحوار وبالتالي التواصل ."[1]

وعلى الرغم من هذه الصلة التى أكدها عدد من العلماء الغربيين، فقد أشار بعض الدارسين في الحقل التداولي إلى أنه " يجب ألا نخلط بين علم التداولية Pragmatics والمذهب البراجماتى Pragmatism، وهو المذهب الفلسفى الذى يحبذ التركيز على كل ما له أهمية عملية للبشر ويتجنب البحث فى القضايا المطلقة أو المجردة."[2]وهذا المذهب الفلسفى مؤداه : " أن معيار الصدق في الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التى تترتب عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرة "[3]

وقد ذهب عدد من الباحثين و الدارسين في مجال التداولية إلى أن أصل الفلسفة البراغماتية يرجع إلى الحركة التي نشأت في أمريكا أواخر القرن التاسع عشر، وعرفت باسم البراغماتيزم Pragmatism، ومما يحدد المفهوم الاصطلاحى للتداولية pragmatics، تلك العلاقة بينهاوبين الذرائعية Pragmatism، حيث لا تنفصل التداولية pragmatics عن المذهب الفلسفي Pragmatism الذى يُترجم بالذرائعية - كما تقدم - انفصالاً تاماً.[4]

فثمة أبعاد تجمع بينهما تتعلق أساساً بالغاياتوالأهداف والمقاصد الفعلية فى الواقع العملى، وإن كان مصطلح البراجماتية Pragmatism الأقدم نسبياً عن مصطلح التداولية pragmatics، "فأول من استعمل مصطلح البراجماتية Pragmatism هو(تشارلز ساندر بيرس Charles Sanders Peirce 1839-1914م)، وذلك فى مقال نشره فى يناير 1878م، ومعناه عملى أو صالح لغرض معين."[5]

فالفكرة الأولى التى نادى بها بيرس Peirce هى أن البراجماتية " Pragmatism نظام فلسفى لتفسير معنى الفكرة أو العقيدة، فالفكرة إنما هى مشروع للعمل وليست حقيقة فى ذاتها كما تزعم الفلسفة العقلية ... Rationalism هى خطوة تمهيدية للعمل ولإحداث النتائج فى هذا العالم المحسوس. "[6]وتبعه وليم جيمس Willim James(1842 -1910)فى محاضرته "التصورات العقلية والنتائج العملية " سنة 1898م.[7]

وصحة الفكرة تقوم على ما تؤديه من نفع، أيا كان نوعه، أو على ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة تطبيقا لما ذهب إليه بيرس بقوله: وجود الشيء يعني كونه نافعا، ويقول "جيمس" في

---

[1]- المرجع نفسه، الموقع نفسه.

[2]- محمد عنانى، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، جولدمان، القاهرة 1996م، ص 77، 78

[3]- مجدى وهبة، معجم المصطلحات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، ص 430

[4]- يعقوب فام، البراجماتية، أو مذهب الذرائع، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1998م، ص 131

[5]- المرجع نفسه، ص131

[6]- يعقوب فام، البراجماتية، أو مذهب الذرائع، (م، س)، ص 142

[7]- محمد الشنيطى، وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط1، 1975م، ص 72، وذكر هنا أنجيمس هو أول من استعمل المصطلح، ولم يشر إلى مقال بيرس.

سياق دعوته إلى تغيير العالم بواسطة العمل:"حيث تكون الأفكار نفعية وتؤدي إلى نتائج عملية"، ويؤكد جيمس على ضرورة عدم الاكتفاء بالوصف التأملي لبعض الأفكار أو البحث عن منشئها، بل المهم هو نتائجها العملية والتي تؤثر في سلوكنا وتغير واقعنا إلى الأفضل.[1]

وجاء وليم جيمس William James الذي عرف بهذه الفلسفة وعرفت به فأضاف إلى هذه الفكرة : "أن كل عقيدة تؤدى إلى نتيجة مرضية كانت أو حسنة، إنما هى عقيدة حقيقية، فليست الفكرة مشروعاً للعمل فحسب، وإنما العمل أو النتائج هى الدليل على صحة الفكرة، (...)، فقيمة الفكرة ليست فى الصور والأشكال التى تثيرها فى الذهن، وليست فى انطباقها على حقائق الموجودات، وإنما فى الأعمال التى تؤدى إليها هذه الفكرة، وفى التغيرات التى تنتجها فى الدنيا المحيطة بنا، ولا يهم فى هذه الحالة حقائق الأشياء فى ذاتها."[2]

وقد أشار ليفنسون Levinson إلى أن وليم جيمس فى محاضرات ألقيت فى هارفارد 1967م هو أول من اقترح مصطلح الإضمار Implicature فى المحادثات والذى استخدمه بعد ذلك غرايس Grice 1975 فى نظريته.[3]

و قد أطلق الفيلسوف بيرس عليها هذه التسمية، حينما نشر مقالين له، الأول في عام 1878بعنوان " كيف تجعل أفكارك واضحة؟ " والثاني عام 1905، بعنوان: " ما هي البراغماتية؟"، ثم طورها بعد ذلك الفيلسوف وعالم النفس وليم جيمس William James من خلال كتاباته الفلسفية التي أدت دورا هاما في الفلسفة المعاصرة بدءا بمحاضرته: **"التصورات العقلية والنتائج العملية "** سنة 1898 كما تقدم [4]

ثم أيدهما بعد ذلك الفيلسوف جون ديوي Johon Dewey (1859-1952) الذي حاول في مختلف كتاباته أن يجعل منطلقا للتفكير البراغماتي، وأن يضع له مجالات للتطبيق، بالإضافة إلى فلاسفة آخرين من أمثال تشوسنيرايتCh - Wright (1830-1875)، جون جرين J.Green (1835-1876) و أولفروندل هولمزO .W. Aolmes (1841-1935) والفيلسوف الإنجليزي ف.س.ش. شيلرF.C.S.Shiller(1864-1937).[5]

---

[1]- ينظر يعقوب فام، البراجماتية، أو مذهب الذرائع، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، ص 131.

[2]- المرجع نفسه، ص142، 143.

[3] - Levinson , Stephen : Pragmatics , Cambridge UniversityPress, 1983, P 100

[4]- ينظر محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 14، وينظر محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص 175.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص 175

فالبراغماتية في ما تعنيه على العموم حسب تعريف جون ديوي لها في "قاموس القرن" DictionaryCentry 1909، هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادّها إنما تتحدّد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية، فليس هناك و الاعتبارات الفكرية المجردة.[1]

ومن هنا، ترفض البراغماتية الفلسفات التأملية أوالعقلية المثالية التي تروم استخدام الوضعَ المثالي وتنزع إلى التنظير، محاولة فرض نظام واحد على العالم المتعدد المختلف، وتنشئ فلسفة قوامها وأساسها ينهضان على أن قيمة الأفكار المجرّدة تقاس بمدى انطباقها على الواقع أو بإمكانية تبلورها عمليا، وحتى حين تكون الأفكار غير عملية، فإن الواقع التاريخي والعملي يظل مهيمنا عليها.[2]

ولقد وضع أوستن و تلميذه سورل نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية، إذ أعطاها أبعادا أخرى، فطورا من وجهة نظر المنطق التحليلي(Logique analitique) مفهوم العمل اللغوي (L'acte de langage)، وقد كان أوستين (1911-1996) أستاذا للفلسفة بجامعة أكسفورد(Oxford) ، وأما سورل(1932) فيدرس بجامعة باركلي (Berkely)بكاليفورنيا، وقد كان أوستين أول من بعث نظرية الأعمال الغوية (أفعال الكلام) [3]– كما تقدم معنا –

و لم يكن بدعا أن يعكف الفلاسفة على النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب في ستينات القرن العشرين، فقد كان أوستين أول من بعث نظرية الأفعال اللغوية وقد كانت الفلسفة تعنى باللغة منذ القديم، "فقد كان البلاغيون القدامى تداوليين، إذ كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق، ، وبخاصة المنطق الحجاجي من جهة، وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى، وقد طوّروا منذ أفلاطون وأرسطو وصولا إلى سينيك (Séneque) وشيشرون (Cicéron) وكوينتيليان (Quintilien)منوالا كلاسيكيا للبلاغة يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع."[4]

وقد كان أرسطو يميز بين الخطاب الجدلي الموجه إلى إنسان مجرد يختزل في وضعية ذات تشترك مع المتكلّم في سننه اللساني، وبين القول الخطبي الذي يتوجّه إلى إنسان واقعي يتمتّع بملكة الحكم، وذي انفعالات وعادات ثقافية، ويصنف أرسطو الأقوال الخطابية إلى ثلاثة أجناس وذلك بحسب معيار العلاقة بين الخطاب والمتقبِّل، لا حسب مضمون الخطاب:

- جنس مشاجري(Genre judiciaire) ويتضمن أحكاما على الأعمال المنقضية.
- جنس منافري: (Genre épidictique) يدين أو يرفع من شأن الأعمال الحاضرة.

[1]- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، (م، س)، ص14.

[2]- ينظر ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، (م، س)، ص102و103.

[3]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط07، ص 20.

[4]- ينظر المرجع نفسه ص12.

– جنس مشاوري: (Genre délibératif): يقترح حلولا يبقى تحقيقها رهن الإمكان إذ جهتها استقبالية أساسا.[1]

وتلك هي الأعمال اللغوية الأساسية التي اشتغل عليها أوستين وسورل، وإن تصنيف أنواعالخطاب، الذي وضعه موريس أحد مؤسسي التداولية، والمرجع الأساس لدى التداوليين سيكون تحسينا للتصنيف الذي وضعه أرسطو، وما يميز أرسطو وأفلاطون في هذا الصدد هو أن الأخير – أفلاطون جعل الخطابة عنصرا لتأمل أخلاقي له مدى كوني، في حين أن ارسطو جعلها أداة عملية للتمويه (Manipulation) بواسطة الخطاب.[2]

وتتمثل إحدى المهام الأساسية للخطابة عند أرسطو في القيام بجرد المواضع[3]، أي وجهات النظر التي حيث يمكن أن يعالَج موضوع ما عبر التوسل بها، ويمثل الجرد تصنيفا قائما على الذاكرة لمداخل افتراضية لمشكل مامن مهام الفن الخطابي وضع قائمة بالمواضع، أي بوجهات النظر الاكثر عمومية، والتي يمكن للفرد، بل يجب عليه أن يعرضها، وإن أخذ كل المواضع في الاعتبار، وفي نفس الوقت توقع الاعتراضات أو حتى المقاومة والشكوك التي قد تنتاب السامع، هي الوسيلة الوحيدة لمعالجة موضوع ما بشكل استقصائي.[4]

وقد عادت التداولية بعد أوستين وسورل إلى التحليل الحجاجي تحديدا مع لسانيين فرنسيين من أمثال أوزفالدديكرو (O. Ducrot)وكربراتأوركيوني (C.KerbratOrecchioni)، وفضلا عن ذلك، فقد كانت الخطابة موضوع مصنفات كثيرة، نشرت في أوروبا الغربية طيلة قرون، وبخاصة في فرنسا، حيث ظل الذوق العام يسعى نحو المعيارية الشكلية يتطور سواء في العصر الكلاسيكي، تحت تأثير الوضعية (Positivisme) في القرن التاسع عشر، أو بالعودة المنتظمة نحو المناويل القديمة، ولم يحدث هذا دون ردّ فعل.[5]

اضطلع التيار الرومانسي بتمثيله في الأدب، وقد لخص فيكتور هيغو هذه الثورة في كلماته التي أعلن فيها "حربا على الخطابة وسلما مع النحو، وقد حافظ بعض البلاغيين على مكانتهم في مجال البلاغة مثل بوردالو (Bourdaloue 1632- 1704) وبوفون (Buffon 1707 - 1788)، والذي يعد أحد الأوائل الذين جعلوا البلاغة تتمحور حول النص المكتوب.[6]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 21.

[2]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر المرجع نفسه، نقلا عن Pierre Aubenque، فصل أرسطو، الموسوعة الكونية الفرنسيةEncyclopeadiaUniversalis

[4]- المرجع نفسه.

[5]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، (م، س)، ص26.

[6]- المرجع نفسه، ص 26.

وظل الخطباء والدعاة والمحامون والأساتذة والسياسيون إلى عهد قريب يتبعون الأعراف بشكل يكاد يكون إجباريا في الصناعات الخطبية الكلاسيكية ويحرصون على إتقانها خاصة من خلال استظهار الخطاب وفق نبرات منغمة وبخاصيات معينة، ويواصل التطور الحالي لتقنيات التواصل المنبثق تحديدا عن النظريات التداولية في الغالب كما هو الشأن مع مدرسة بالو ألتو (عبر البرمجة اللسانية العصبية PNL)[1]، هذا الاهتمام بالبلاغة المكيفة بما يلائم الوسائل الحديثة في التواصل السمعي البصري.[2]

إذ مسّ التطورفي الأبحاث العلمية مواكبة في تطورعلوم اللغة من خلال الاهتمام بها عن طريق التطورالحاصل في النظريات التداولية والبحث التداولي المستمر.

وقد اتصلت التداولية Pragmatics بالذرائعية Pragmatism وارتبطت بها ارتباطا شديدا جعل بعض معاجم المصطلحات تطلق على التداولية : الذرائعية الجديدة New Pragmatism [3].

غير أن هذه الصلة التى لا تعنى بأي حال تطابق المصطلحين، كانت سبباً فى كثير من الخلط والاضطراب فى استعمالهما، وبالتالي وقع الاضطراب فى تحديد المفاهيم الاصطلاحية، وكذلك فيما أحاط بالمصطلحين من غموض و مشكلات تتعلق بالترجمة والتعريب.[4]

وعلى الرغم من أن يوسف أبو العدوس حاول تحرير المصطلح فى دراسته : " البراجماتية مصطلحاً نقدياً"[5]، فإنه بعد أن استقر على استعمال مصطلح " التداولية " مقابلاً للمصطلح Pragmatics عاد إلى الكلمة المعربة مستخدماً كلمة " البراجماتية " التى جاءت فى عنوان دراسته، وحاول تمييزها عن تعريب البراجماتية Pragmatism بوصفها بالبراجماتية اللغوية (أو اللسانية)، فى مقابل البراجماتية بالمفهوم المطلق.[6]

[1]- البرمجة اللسانية العصبية، هي علم نفس علاجي عن طريق التواصل، شديد الرواج في هذا العصر، رغم أنه محلّ جدل كبير.

[2]- ينظر، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، (م، س)، ص27.

[3]- ينظر ميجان الرويلى، سعد البازعى : دليل الناقد الأدبى، ط1 السعودية 1995م ص 89

[4]- المرجع نفسه، ص89.

[5]- يوسف أبو العدوس، البراجماتية مصطلحاً نقدياً، منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولىالثانى للنقد الأدبى، القاهرة 2000م، بإشراف عز الدين إسماعيل.

[6]- المرجع السابق، ص67.

ومن هنا، تم تحديد مصطلح التداولية مقابلاً للمصطلح الأجنبىPragmatics، كما استخدم مصطلح الذرائعية مقابلاً للمصطلح الأجنبي Pragmatism.[1]

ويظهر التقاطع بين المذهب الفلسفى (البراغماتيزم) والتداولية جليا فى الواقع العملي الذى يجمع بينهما، فإذا كان المذهب الفلسفى ينطلق من أن الفكرة لا تكمنفى الصور والأشكال التى تثيرها فى الذهن، وليست كذلك فى انطباقها على جوهر الموجودات وحقائقها، وإنما فى الأعمال التى تفضي إليها هذه الفكرة، فإن التداولية تسعى إلى تجاوز تفسير اللغة فى ذاتها إلى تفسيرها حال استعمالها فى الواقع العملي، بما يحمله ذلك من رد فعل على المذاهب التى اعتمدت على كثرة التنظيرات التى تفرض معايير تفسيرية أو تقويمية كلية على الظواهر اللغوية شأن البنيوية مثلاً، [2]

ولكنْ إذا كانت التداولية قد قيدت خلال تطورها بالممارسة الفلسفية للبراجماتيةPragmatism، فإنها " أخذت فى صيانة استقلالها بوصفها حقلاً لغوياً بديلاً بمحافظتها على حيز وجودها العمليفى معالجة الاهتمام بالمعنى اليومى ."[3] وهو الذى يهتم بالممارسة العملية للغة المتعلقة بالمقاصد التى تحققها الظواهر اللغوية فى التواصل، ومن هنا فهي تعمل على دراسة الفعل الإنجازي للغة أثناء عملية التواصل من حيث غاياته وأهدافه، ومدى تحقيقه النجاح المطلوب في العملية التواصلية.

التداولية عند علماء الغرب وأهم إجراءاتها:

تقوم التداولية على مخطط موريس (Charles Morris 1938) –كما تقدّم معنا – الذى يؤسس فيه لثلاثة أجزاء من السيميوطيقا هى : النحو، والدلالة، والتداولية، هذه الأخيرة التي تتحدد بدراسة العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال[4]، وهو فى الوقت نفسه يفرق بين ثلاثة أنواع من القواعد وفقاً للأبعاد الثلاثة المذكورة، وفيما يتعلق بالقواعد التداولية فإنها " تقدم الشروط التى تستخدم فى إطارها تعبيرات، من حيث أن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم القواعد النحوية والدلالية "[5].

وقواعد التداويلية تتصدى بالدراسة للظروف التي تصاحب التعبيرات المعينة والخاصة التي تتنصل أو تنتفي فيها القواعد النحوية أو الدلالية.[6]

---

[1]- وقد وردت هذه الترجمة "التداولية"عند أحمد المتوكل في كتابه التداولية فى اللغة العربية، طبعة الدار البيضاء 1985م، ثم صدرت في العام الموالي ترجمة سعيد علوش لكتاب " المقاربة التداولية " لفرانسوازأرمينكو عن مركز الإنماء القومى، الرباط المغرب 1986م، كما وردت عند محمد البكري فى ترجمة كتاب " مبادئ فى علم الأدلة " لرولان بارت، طبعة دار الحوار، اللاذقية، سوريا عام 1987م، وعند صلاح فضل في بلاغة الخطاب وعلم النص، عن عالم المعرفة، الكويت، عدد 164، عام 1992م.

[2]- ينظر، عيد بلبع، التَّدَاوليَّة، البُعد الثالث فسيميوطيقا موريس، (م، س).

[3]- ينظر عيد بلبع، نقلا عن Shaozhong Liu: WhatisPragmatics، (م، س).

[4]- خوسيه ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر: حامد أبو أحمد، دار غريب، القاهرة 1991، ص232

[5]- زستيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد بحيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2003م، ص 86

[6]- المرجع نفسه، ص 86.

و يعد " شارل موريس" Charles W. Morrisأول من بادر إلى إرساء تعريف مقصود لمصطلح "التداولية "، وخلاصة هذا التعريف هي أنها "دراسة علاقة العلامات بمستعمليها، أي دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية. وقد عدّها جزءا من السيميائيات"[1]، وذلك لمّا أقرّ بأن للسيميائيات ثلاثة فروع هي[2]:

- التركيب النحوي : ويُعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات.
- الدلالة وهي دراسة علاقات العلامات فيما بينها وبين الأشياء، أي ارتباطها بالمعنى.
- التداولية : وهي دراسة ارتباط العلامات بمؤوليها .

إلا أنهذا لا ينصرف بالتداولية انصرافاً كاملاً إلى الأبعاد المعيارية، فأول تحديد لوظيفة التداولية فى حقل اللسانيات - كما تقدم - هو تحديد شارلز موريس(1938 morris Charles) " فالدلالة تبحث فى علاقة العلامات بمدلولاتها، والتداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها "[3]الذى أقر دور الرؤية التداولية فى عملية التأويل.

وإن كان موريس قد أخذ المؤول (interprétant) فى الاعتبار، فقد سبقه فى رؤيته شارل ساندرس بيرس(Charles Sanders Peirce) الذى جعل المؤول هو الحد الثالث داخل البناء الثلاثي للعلامة وفق تصوره، "فالعلامة هىماثول (Representamen) يحيل على موضوع (objet) عبر مؤول(interprétant) ، ويشكل المؤول أداة التوسط الإلزامى الذى يقود معطيات التجربة الصافية إلى التزام القانون والضرورة والفكر، إن غياب العنصر الثالث داخل سيرورة إنتاج العلامة معناه الاقتصار على تجربة غفل لا تعرف الفكر ولا تعرف الماضى ولا المستقبل، إنها مثيرات لحظية تنتهى بانتهاء اللحظة التى أنتجتها ."[4]

وبالتالي، التداولية مبدأ من مبادئ الدراسة السيميولوجية يعنى بكيفية تلقي العلامة وسريانها بين منتج لها ومستقبل، بغض النظر عن القوانين النحوية الصارمة وبعيدا عن تلك الأنظمة الدلالية صريحة كانت أو ضمنية، فهي بحث للعلامة انطلاقا من منتجها ووصولا إلى متلقيها.

وقد تبع شارل عدد من الدارسين اللغويين والباحثين والمهتمين، تناولوا الأبحاث التداولية بالدراسة والاهتمام وأسهموا فيها محاوليين تطوير إجراءاتها وأدواتها، من خلال محاولة كل دارس تطوير أو الإضافة على ما جاء به غيره.

[1] - ينظر نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص72.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

WhatisPragmatics, 1999 Shaozhong Liu :

[3] - http://www.gxnu.edu.cn/Personal/szliu/definition.html

نقلا من مقال عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، دراسة جديدة، ص36.

[4] - سعيد بنكراد، التأويل بين بورس ودريدا، مجلة علامات، مكناس، المغرب عدد 11 سنة 1999

لنبدأ جيوفري ليتشGeoffrey Leech) G. Leech)[1] الذي يرى أن موضوع التداولية الذى أصبح مألوفاً جدا و إلى درجة كبيرة فى اللسانيات، لم يكن يذكر عند اللغويين من قبل إلا نادراً، وفق رؤية دأبت التداولية فيها على أن " تُعالَج بوصفها سلة مهملات يودع فيها ركام البيانات أو البنيات المستعصية على التصنيف العلمى بشكل مناسب، وهناك تُنسى أيضاً بشكل مناسب.

أما الآن فثمة من يناقش - مثلما أفعل– (يقول ليتش) أنه لا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهماً حقيقياً ما لم نفهم التداولية : كيف تستعمل اللغة فى الاتصال وكيف تتحقق العملية التواصلية؟ومن ثمة هل حقق الحوار أهدافه وغاياته أم لا؟ "[2]

كل ذلك إنما يتحقق من خلال فهم كل طرف لدوره فيسعى جهده لأن يلعب دوره المنوط به، فهذا مرسل يحسن استعمال أدوات الخطاب، وذاك متلق أو مخاطب حقيق به أن يشترك مع المخاطب في أعراف ثقافية واجتماعية معينة، ويتفق معه في عادات تواصلية محددة تخوله لأن يستوعب ما يبثه إياه فيحققان بالتالي نجاح العملية التواصلية المطلوبة.

ويضيف ليتشLeechأنه فى أواخر سنة (1960م) بدأكاتزجيرولدKatz Jerroldمع معاونيه أمثال جيريفودورFodor Jerryينادون بإدماج التركيب في الدلالةمن خلال اكتشاف كيفية دمج المعنى فى النظرية اللغوية الشكلية، فقد قام كل منهما بتحليل معنى الكلمة بطريقة تشبه الطريقة التي قام بها أستاذهما تشومسكي في تحليل الجملة إلى عناصرها اللغوية. لكنهما انطلقا من المعنى لا التركيب، وذلك بتشذير كل معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العناصر الأولية من العام إلى الخاص.[3]

فهماأي(كاتزوفودور) من أنصارنظريةالتحليلالمكوناتي، ويرون أن معنى الكلمة يتحدد بما تحمله من ملامح أو عناصر Elements أو بما تحتوي عليه من مكونات Component فهي (أي النظرية) تهتم بتجزئة الوحدات المعجمية إلى مكوناتها الأساسية (خصائصهاالبارزةأومقوماتماهيتها) .[4]

وتعد هذه النظرية من أحدث الاتجاهات الرئيسة فيدراسة المعنى الذي تبلور في النصف الثاني من القرن العشرين عند كاتز جيرولدKatz Jerrold، وجيري فودورFodor Jerry، تلميذي تشومسكي اللذين قدما نظريتهما لأول مرة في تحديد دلالات الكلمة في مقالهماالمشهور "The structure of a semantictheory " المنشورعام 1963م.[5]

[1]- كان جيوفري نيل ليتش متخصصًا في اللغة الإنجليزية واللغويات، وقد كان مشاركا في تأليف أزيد من 30 كتابًا وأكثر من 120 بحثًا منشورًا. كانت اهتماماته الأكاديمية الرئيسية منصبة على قواعد اللغة الإنجليزية واللغويات اللغوية والأسلوبية والبراغماتية ودلالات الألفاظ. ينظر: الويكيبيديا

[2]- G. Leech : The principles of Pragmatics , Longman , U,S,A, 1983 , P.15

[3]- ميشال عازار مخايل، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب، , 2012، ص 92.

[4]- عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص83.

[5]- ينظر ميشال عازار مخايل، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، ص92.

وجدير بالذكر هنا أن مهمة النحو عندشومسكيAvramNoam Chomsky (1957) تكمن في توليدكل – وفقط كل – الجمل النحوية، حيث تقترن كل جملة بوصف بنيوي يبين كيف تأتلف الأجزاء المكونةلها، وتقوم القاعدة التحويلية بإعادة النظر في ترتيب هذه الأجزاء أو حذف بعضها، ويتم التمييز بين تحويلات إجبارية تخرجها سلاسل نووية، وتحويلات اختيارية تخرجُهاسلاسل معقدة. مثال الأولى تحويل التطابق، ومثال الثانية تحويل الصلة.[1]

إن النظرية التحويلية ذاتها نظرية حديثة النشأة وكان أول ظهورها مع نعوم تشومسكي في كتابه الشهير " التراكيب النحوية Syntactic Structures، والقواعد التوليدية (Generativegrammar) هي نظام من القواعد والقوانين تتعهد وصف تركيب جمل لغة ما بطريقة غاية في الوضوح، ولا يقصد بالتوليد الإنتاج المادي للجمل، بل يقصد به أن يكون للقواعد القدرة الذاتية على تمييز الجمل الصحيحة من سواها. [2]

وقد أكد تشومسكي أن القواعد التوليدية يجب أن تطابق الحقيقة اللغوية، وهي ما يمكن تسميته بالملاءمة الخارجية فضلا عن الملاءمة الداخلية، أي قدرتها على بناء نظام ذي كفاية تفسيرية، وتستطيع النظرية اللغوية بها بناء على انتقاء القواعد الاخرى بناء مادة لغوية تنسجم معها تلك القواعد كلها، [3] لأنه في نظر النحو التوليدي لابد أن تولّد كل الجمل النحوية في اللغة، أي أننا باتّباع القواعد النحوية، يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة.[4].

وتعد القاعدة التوليدية جزءا من جهاز توليد الجمل، وينحصر مفهوم التوليد بعملية ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة وتثبيتها، ويمكن أن تعرف القواعد التوليدية أيضا بأنها النظام الموجود لدى متكلم لغة ما، والذي من خلاله يستطيع النظام أن يميز الجمل الصحيحة من غيرها.[5]

نخلص مما سبق إلى أن اعتماد نظرية تشومسكي القاضية بالتوليد وفق قانون النحو بعده نظاما بنيويا صارما يعنى برصد العلاقات بين البنيات أوالعلامات من خلال علاقاتها ببعضها داخل النسق النصي، أي العلاقات التركيبية التي تسم عناصر البنية اللغوية.

من هنا يتأتى لمنشئ الخطاب - تبعا لنظرية تشومسكي - توليد كل الممكنات من الجمل في لغته، أي توليد عدد لا حصر له من الجمل، ولكن دون أدنى مراعاة لدلالاتها، ذلك أنها خاضعة لقانون نحوي مضبوط، فهي بالتالي جمل صحيحة المبنى لكنها في مجملها لا تخضع لأي نظام دلالي..

---

[1]- عبد المجيد جحفة، مدخل الى الدلالة الحديثة، ص60، مقال متاح على الموقع: .https://almerja.comبتاريخ: 2018/04/29 وقد اطلع عليه بتاريخ: 2020/11/28على الساعة 00ساو 45 د

[2]- محمد علي الخولي، القواعد التحويلية للغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ص 23.

[3]- نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد باقر، مديرية مطبعة الجامعة، جامعة الموصل، العراق، 1985، ص28.

[4]- ينظر، أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص20

[5]- رفعة كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي، دراسة وصفية تاريخية، منتدى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال الجاهليات، أطروحة دكتوراه آداب، بغداد، 2000، ص89.

الملاحظ على هذه النظرية أنها نظام من الجمل و سلسلة من القوانين الصارمة التي تقف على توليد سلاسل من الجمل و تحويلها وفق انظمة وأنساق محددة، بغض النظر إن كانت الجمل أو التراكيب سليمة ومستقيمة من حيث المستوى الدلالي، إن تم التسليم بصحة المستوى النحوي البنيوي، إذ وفق نظرية تشومسكي يمكن خلق عدد لا نهاية له من الجمل سليمة كلها من حيث المبنى ولكنها لا تكون قطعا سليمة كلها من حيث المعنى.

من هنا أثبتت النظرية التحويلية عدم جدارتها في تناول اللغة والكلام، ولعلّ هذا من أدعى الأسباب إلى الاهتمام بالتداولية. بعدّها "ردة فعل على معالجات تشومسكي للغة بوصفها أداة تجريدية ومقدرة ذهنية".[1]

فقصور النظرية التحويلية وفشلها في تناول الخطاب كونها تجريدية بحتة، أدى بالباحثين إلى الاهتمام بحقل آخر يمتاز بمرونته في تناول اللغة التواصلية و عدها مبحثا هاما في الخطاب التواصلي داخل المؤسسة الاجتماعية.

وبعد نموذج تشومسكي "البنيات التركيبية" الخالي من المكونات الدلالية، اقترح كاتز *Katz* .مع فودور (1963) من جهة، و مع بوستل *Postal* (1964)من جهة أخرى نموذجاً اعتبر الدلالة جزءً نسقيا في تحليل اللغة، وبالتالي مكونا خاصا بإسناد المعاني إلى المتواليات اللغوية، ويمكن أن نجمل اقتراحات هؤلاء الباحثين فيما سمي بجهاز التأويل الدلالي.[2]

فالأمر لا يمكنه أن يستقيم مالم تتناول المعطيات الدلالية أو بالأحرى المعاني إلى البنيات اللغوية أو الأنساق اللغوية للاستعانة بها في الدراسات التداولية، ومن هنا رأى كاتزوبوستال Postale أن التفسير الدلالي للتركيب يتمّ على مستوى المجال الإجرائي للبنية العميقة دون سواها.[3]

ولم يكن ذلك قبل تطور التداولية واحتلالها واجهة الدراسات البحثية التداولية وتطور دراساتها بوقت طويل، ويشير ليتش أيضا إلى أن لاكوف[4]George Lakoff)قد ناقش عام 1971عدم منطقية فصل دراسة التراكيب النحوية عن دراسة استعمال اللغة، ومن ثم فقد أصبحت التداولية منذ ذلك الحين فصاعداً تحتلّ موقعها الهامّ على مستوى خريطة الدراسات اللسانية، وذلك كله يعد الحلقة الأولى فى قصة التداولية[5].

---

[1]- ينظر خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، (م، س)، ص177.

[2]- رفعة كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي، (م، س)، ص60.

[3]- ينظر: أحمد حساني، البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، وهران، العدد الأول، 1992، ص73.

[4]- جورج لاكوف هو باحث أمريكي في اللغويات المعرفية، و كان مؤسسي دلالات اللغويات التوليدية في الستينيات، ومؤسس اللغويات المعرفية في السبعينيات، وأحد باحثي النظرية العصبية للغة في الثمانينيات. بين عامي 1965 و 1969، عمل كأستاذ في جامعة هارفارد، وبعد ذلك في جامعة ميشيغان. خلال عامي 1971 و 1972،

[5]- أحمد حساني، البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية، (م، س)، ص73.

فالدراسات اللسانية بمباحثها المختلفة تراعي الاهتمام بدراسة حيثيات التخاطب والاتصال اللغوي بين الأفراد في ظل التراكيب النحوية، ومن هنا حظيت الدراسة التداولية باهتمام الدارسين.

وتجدر الإشارة إلى أن المهتمين بهذا الأمر كانوا كلهم من الأمريكيين، ومن ثمة، فإن ما سبق يمثل النظرة الضيقة للسانيات المتمثلة فى البنيات الطبيعية للكلام، ثم جاءت النظرة الواسعة للسانيات جامعة بين الشكل والمعنى والسياق.[1]

و يضيف ليتش مفكرين مهمين من أمثال فيرث Firth وتأكيده الشديد المبكر على الدراسة السياقية (الاهتمام بالموقف والمقام) للمعنىSituationalstudy of meaning، ويذكر لأيضاهاليداى Halliday ونظريته الاجتماعية للغة في احتوائها و شمولها لكافة المستويات [2].

ومن المهم أيضاعدم إغفال تأثير الفلسفة، فعندما تعرض لاكوفLakoffلفكرة التداولية في عام (1960) وجدها متبناه من قِبَل فلاسفة اللغة الذين سبقوا بالتأصيل لها، فالحقيقة أن التأثير الأكثر بقاءً في التداولية الحديثة وجد بواسطة هؤلاء الفلاسفة: جون أوستنJohn Austin(1911-1962)، جون سيرل John Searle(ولد عام 1932)، وبول جرايسPaul Grice)(1913- 1988).[3]**فالجدير بالذكر أن التداولية وجدت مهادها الأول في الفلسفة وبين فلاسفة اللغة الذين هتموا بها وأصلوا لها.**

فقد قدم جرايسGrice (1975) معالجته للمعاني فى المحادثات وفق رؤية تداولية معالجةً حديثة للمعنى بتمييزه بين نوعين (من المعنى): طبيعي وغير طبيعي، واقترح غرايس أن التداولية يجب أن تركز على البعد العملي بصورة أكثر للمعنى، يقصد المعنى فى المحادثات الذي كان قد صيغ بعد ذلك في طرق متنوعة[4].

فثم شؤون عملية ساعدت فى تحويل تركيز التداوليين Pragmaticians نحو شرح طبيعة المحادثات وتفسيرها، وذلك أثمر فى اكتشافات الطابع المميز لمبدأ التعاون Principle Co-operative وفق مصطلح جرايس (1975م)، ومبدأ التأدب Principle Politeness وفق مصطلح ليتش(Leech1983).[5]

وبعد ذلك، وقبيل نهاية (1989م) عُرِّفت التداولية بشكل واضح على أنها فهم للغة الطبيعية، وقد تردد هذا المفهوم عند بلاكيمور Blakemore (1990)فى فهمها للملفوظ بأنه : تداولية اللغة الطبيعية، وقد كانت مؤسسة (I,Pr,A) الجمعية التداولية الدوليةthe International Pragmatic)

[1]- عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، (م، س)، ص37.

[2]- المرجع نفسه، ص 38

[3]- المرجع نفسه، ص 38

[4] - المرجع نفسه، ص 38

[5] المرجع نفسه، ص38

(Associationسنة 1987 رمزاً لهذا التطور، ففى وثيقة عملها اقترحت أَن تكون التداولية نظرية التكيف اللغوى والنظر فى استعمال اللغة من كل الأبعاد 1987.[1]

وتعرض فرانسوازأرمينغو ***Françoise* Armengaud** رأيا آخر لفرانسيس جاك 1982 Francis Jacqueينطلق من الأبعاد الاجتماعية التى تحكم الخطاب، ومن ثم يتسم هذا التعريف بالاتساع، ويتحدد هذا التعريف فى أن التداولية تعنى : "كل ما يرتبط بعلاقة الملفوظ بالشروط الأكثر عمومية عند المخاطب "[2]، وتضيفأرمينكو على هذا التعريف أن التداولية تمثل شروطاً قبلية للتواصلية، هى شروط دلالة تواصلية عامة ترتبط بكليات الاستعمال التواصلى العامة[3]، وتشير إلى أن أهمية التداولية هى " التقيد بالبحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلى للغة "[4]،

وبالتالي، فرانسوازأرمينغو Françoise Armengaud و جاك فرانسيس Jaque Francis يتفقمع عديد الدارسين لموضوع التداوليةبأنها تسعى لدراسة اللغة والخطاب أثناء الاستعمال والتواصل الخطابي بين مستعملي اللغة.

أما جيف فيرستشيرن Jef Verschueren فيذكر عدة تعريفات للتداولية تتصل بالتعريفات السابقة وتصب فيها، إذ إنه يبنى تعريفه الأول لها على تعريف موريس morris الذى أشرنا إليه آنفاً مع شىء من الشرح والتفسير بقوله : " إننا نعنى بالتداولية أنها علم يهتم بعلاقة العلامة بمؤوليها، ومن التمييز الدقيق للتداولية أن نقول إنها تتعامل مع الجوانب الحيوية لعلم العلامات، وهذا يعنى كل الظواهر النفسية والاجتماعية التى تظهر فى توظيف العلامات "[5].

فإذا كانت اللغة مجموعة من العلامات لغوية كانت أم غيرلغوية، فإن التداولية تبحث في هذه العلامات كلها وما يحيط بها وعلاقاتها بمنشئها ومتلقيها.

بالرغم من إشارة جيف إلى أنه من أبسط تعريفات التداولية هو أنها دراسة استعمال اللغة، فإنه يضيف أنه من الممكن تعريفها بصورة أكثر تعقيداً بأنها دراسة " الظاهرة اللغوية من وجهة نظر العلامات الاستعمالية، أو الخصائص الاستعمالية، في الظاهر العام لتعريف جيف أن التداولية تتناول بالدراسة كيفية استعمال اللغة في الدوائر الخطابية، كما أنها تهتم بدراسة العلامات اللغوية المكونة والمؤسسة للعملية التواصلية وخصائصها، ومدى إنجاحها.[6]

---

[1] - المرجع نفسهّ، ص 38

[2] - فرانسوازأرمينغو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، (م، س)، ص 84

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص84.

[4] -عن عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، (م، س)، ص 37

[5] - المرجع نفسه، ص 37

[6] - المرجع نفسه، ص 37

وإن كان هذا التعريف صائبا، إلا أنه لا يضع الحدود الفاصلة بين التداولية وموضوعات أخرى كتحليل الخطاب وعلم اللغة الاجتماعى وتحليل المحادثة، وإن كان لا يوضح هذه الحدود الفاصلة إلا أنه يبين الطريقة التى يمكن أن تضع التداولية فى موضع محدد من علماللغة"[1]، وبالتالي عدّت الدراسة التداولية مبحثا لسانيا.

من الواضح أن تحديداتالتداولية ومفاهيمها عند مختلف الدارسينكلهم كما تقدم ارتبطت بفكرة الاستعمال التتكاد تتردد فى جميع التعريفات بشكل أو بآخر، فالتداولية " هى دراسة اللغة التى تركز الانتباه على المستعملين وسياق استعمال اللغة بدلاً من التركيز على المرجعأو الحقيقةأو قواعد النحو"[2]

فالتداولية تتناول دراسة الكلام في سياقه أو مقامه، أي تتناول استعمال اللغة فالسياق، وتوقف شتى مظاهر التأويل اللغوية على السياق أي أنها تعطي الأولوية للسياق كونه الفيصل في مضامين الكلام المختلفة، فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معانى مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق[3]، **كما أن المعنى الواحد يمكن أن ندلّ عليه بجمل وعبارات متعددة.**

وقد قام كينت باش Kent Bach بحصر إحصائى لتعريفات التداولية ومفاهيمها التي تدور كلها حول فكرة الاستعمال التى ترددت فى أكثر التعريفات.[4]

من خلال كل ما سبق من التعريفات المختلفة نجدها وإن تعددت وتنوعت إلا أنها تتحد جميعها في كون التداولية مبحث لساني يهتم بالدرجة الأولى والأخيرة بدراسة اللغة أثناء الاستعمال كما يهتم بعناصر العملية التواصلية من منشئ العلامة لغوية كانت أو غير لغوية ومراميه ومقاصده إلى مستقبلها وكيفيات استقبالها مع مراعاة السياقات المختلفة والمقامات المتنوعة.

التداولية عند العرب بين المفهوم، التصوروالترجمة.

المتأمل في مفهوم التداولية في العالم العربي، يجد أن هذا المفهوم عرف ترجمات عديدة، إذ واجه الدارسون العرب المصطلح Pragmatique بعدة مقابلات في اللغة العربية، ويرى جميل حمداوي في مقال له عن التداولية منشور على شبكة الالوكة أن Pragmatics ترجمت بعدّة مقابلات في اللغة العربية، منها: الذرائعية والتداولية والبراغماتية والاستعمالية والتخاطبية والنفعية والتبادلية، ولكن أفضل مصطلح – حسب بعض المشتغلين العرب بحقل اللسانيات هو التداولية لأنه شائع بين الدارسين

[1]- المرجع نفسه، ص 39
[2]- المرجع نفسه، ص 39
[3]- المرجع نفسه، ص 39
[4]- المرجع نفسه، ص 39

في ميدان اللغة واللسانيات من جهة، ولأنها تحيل على الفاعل والحوار والتخاطب والتواصل بين الاطراف المتلفظة من جهة أخرى[1].

كما أن التداولية من تداول يتداول، و تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة ولعل أفضل هذه الترجمات وأرجحها (التداولية).[2]

ويضيف محمود أمين نحلة أن من ترجمات المصطلح أيضا: الاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية.[3]

ويرى صلاح فضل أن التداولية هي ذلك الفرع العلمي المتكوّن من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها من خلال إجراءات التواصل بشكل عام، فاللسانيات التداولية تدرس العلاقة بين المرسل والمرسل إليه وعلاقة التأثير والتأثر بينهما في ضوء ما ينتجانه من تحاور متصل.[4]

والتداولية علم يجمع بين اختصاصات متعددة، فليست التداولية بهذه المفاهيم المتعددة علما لسانيا يقف عند البنية الظاهرة للغة فحسب، بل هي كما يؤكد "جاك موشلار J. Moeschler علم للتواصل يسمح بوصف وتحليل استراتيجيات التخاطب اليومية بين المتكلمين في أوقات وظروف مختلفة.[5]

ويستخلص محمد عنانى مفهوم المصطلح من الدراسات الغربية التى تناولته فيحدده فى أنه : " دراسة استخدام اللغة فى شتى السياقات والمواقف الواقعية، أى تداولها عملياً، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها، تفريقاً لها عن مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظSyntactics، وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجى أو دلالاتها"Semantics [6].

ومن الذين عملوا أيضا على ترجمة المصطلح pragmatique الباحث المغربي طه عبد الرحمن، فقد قابله هو الآخر ب" التداوليات"، حيث يقول في هذا الصدد: " وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيكا أو براغماتية) لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته القائمة على معنيين: الاستعمال والتفاعل معا."[7]، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم.

---

[1]- جميل حمداوي، التداولية وتحليل الخطاب، ط1، 2015، ص، 5. نقلا عن محمد الورداشي، الحوار المتمدن، بعض المفاهيم الكبرى في التداولية، (م، س). ينظر نور الوحدة، التداولية: وعلاقتها بالعلوم الأخرى، (م، س)، مجلة التعريب، نقلا عن جميل الحمداوي، مقال عن التداولية متاح على الموقع: www.alukak.net، اطلع عليه بتاريخ 20/11/02.

[2]- ينظر محمود أحمد، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(الإسكندرية، دار المعرفة، 2002) 52.

[3]- ميجان الرويلي وَ سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000)، ص 100.

[4]- ينظر نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص72، 73.

[5]- المرجع نفسه، ص72، 73.

[6]- ينظر محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنصر، غولدمان، القاهرة، 1996، ص76.

[7]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 27.

وتبعا لذلك، يعد طه عبد الرحمن هو صاحب مصطلح التداوليات منذ 1970، ونستشف من خلال المصطلح أنه يقوم على دلالتين، فهو يعبر عن التواصل بين المتخاطبين والتفاعل فيما بينهم، وهو ما يرتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالممارسات التراثية.[1]

واللسانيات حسب طه عبد الرحمن ثلاث مجالات: الداليات، الدلاليات و التداوليات،

1. **الداليات:** تشمل الدراسات التي تدرس الدّال الطبيعي، وتمثلها علوم الصرفيات والصوتيات وعلم التراكيب.

2. **الدلاليات**: تشمل الدراسات الواصفة لعلاقات الدوال ومدلولاتها، سواء أكانت تصوّرات ذهنية أم عيانا في الخارج.

3. **التداوليات**: وتشمل الدراسات الواصفة لعلاقات الدوال الطبيعية ومدلولاتها، ثمّ يقترح طه عبد الرحمن شروطا للحوار بشكل عام، وتتمثّل شروط التداول اللغوي في شروط منطقية، و اجتماعية واقناعية واعتقادية.[2]

وقد تناول مصطلح التداولية كل من المتوكّل وغيره من الدارسين فوصفوه بالخفة والسلاسة، وقد صار المصطلح مهيمنا على استعمالات الدارسين، ومن أسباب عدم استقرار المصطلح العربي على صيغة واحدة عدم استقرار مفهوم التداولية نفسه وموضوعها في تيار واحد، ومن العرب الذين تناولوا مصطلح التداولية أيضا مسعود صحراوي الذي ربطها بالتواصل، وإيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي.[3]

كما يرى عبد الفتاح أحمد يوسف أن التداولية "علم يهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات والبحث في طبيعة العلاقات بين الاقوال الخطابية والأفعال الاجتماعية ومن ثمة التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيرا عن التواصل"[4]

فروع التداولية:

تشعبت الدراسات التداولية في اللغة وتفرعت، فنجمت عنها نظريات متعددة، اهتمت كل منها بجانب تداولي معين، وتطورت أبحاثها في عدة ميادين ومسارات مختلفة، فهناك:

1. **التداولية الاجتماعية:** التي تهتم بدراسة الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 27، 28.

[2]- المرجع نفسه، ص37.

[3]- ينظر خديجة محفوظ محمد الشنقيطي، المنحنى التداولي في التراث اللغوي، ، الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب، الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010، ص34، 35.

[4]- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساقها الثقافية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص34، 35.

2. **التداولية اللغوية:** والتي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.

3. **التداولية التطبيقية:** وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.

4. **التداولية العامة:** وهي التي تعنى بالأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً.[1]

وإن كان من تحديد للعلاقة بين التداولية و المذهب الفلسفى(الذرائعية) فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذا ليس هو التداخل للتداولية فى الحقول المعرفية المختلفة، فقد تشعبت التداولية بين الحقول المعرفية المختلفة واتسعت بحيث عُدت تداوليات وليست تداولية واحدة ومن ثم يأتى التساؤل عما إذا كانت التداولية درساً أم صراع دروس مختلفة.[2]

وحسب فرانسواز أرمينغو: " فالتداولية كبحث معرفي وإن كان في أوجّه اليوم، إلا أنه لم تتحدد بعد أبعاده في الحقيقة، ولم يتم الاتفاق بين الباحثين فيما يخص تحديد افتراضاتها أو اصطلاحاتها، ونكاد نرى جيداً، على العكس من ذلك إلى أي حد تكون التداولية مفترق طرق غنية ونقاط تقاطع وتداخل لاختصاصات متعددة كاللسانيين، والمناطقة، والسيميائيين، والفلاسفة، والنفسانيين، وعلماء الاجتماع، فنظام التقاطعات هو نظام للالتقاءات وللافتراقات."[3]

وقد كانت التداولية ولا تزال ملتقى لمصادر وأفكار مختلفة يصعب حصرها، فلا يكاد مفهوم التداولية يستقرّ، وربما كانت نشأتها غير المستقرّة سببا في ذلك، إضافة إلى كونها تتداخل مع علوم أخرى مما جعل مجالها ثريا وواسعا، فاللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل إننا نجد الكثير من علماء الاجتماع والمناطقة يهتمون في أبحاثهم بالتداولية، أو بما يتعلّق بالمعنى والتواصل.

ولاتساع حدودها ومداها أقرّ العديد من الدارسين بعدم وضوح معالمها، حسب تصريح فرانسواز أرمينيكو بذلك فهو يرى "أن التداولية درس جديد وغزير ولكنه لا يملك حدودا واضحة."[4]

وتدخل التداولية فى قضايا فلسفية ومنطقية ونفسية واجتماعية لاحصر لها، من بين هذه القضايا، مفهوم الذاتية، فهى تثير تساؤلات حول مفهوم الفاعل بعدّه متكلماً ومتحدثاً، ليس انطلاقاً من الفكر بل انطلاقاً من التواصل، ومنها أيضا مفهوم الغيرية وما توليه التداولية من نظر إلى المتلقى بوصفه الطرف الآخر فى عملية التواصل اللغوىفى المحادثة وغيرها من أشكال التواصل اللغوى، وأن هذا الطرف يمثل بشكل ماسلطة على المتكلم، إذ يراعى المتكلم ما يقتضيه حال المخاطب مهما كان وضعه الاجتماعي.[5]

---

[1] - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 15.

[2] - فرانسواز أرمينغو : المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، (م، س)، ص10.

[3] - المرجع نفسه، ص10.

[4] - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص63.

[5] - ينظر عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، (م، س)

علاقة التداولية باللسانيات

في إطار الحديث عن التداولية بوصفها منهجا في دراسة اللغة له أسسه ومفاهيمه، هناك بعض المسائل التي قد تطرح نفسها بشدة من مثل الحديث عن علاقة التداولية بالمستويات اللسانية عموما هذا من جهة، ومن جهة أخرى عن علاقتها بعلم الدلالة خصوصا، وهو علم يضع نصب عينيه دراسة المعنى اللغوي فحسب، من جهة ثالثة عن علاقتها بعلم العلامات أو السيميائيات، وأي الجوانب التي يمكن أن تغطّيها التداولية وتستوعبها في إخضاعها اللغة لوقائع لعملية المحاورة والتأويل، إلى جانب إشكالية أخرى تطرح، وهي: ما مدى استيعاب اللغة لوقائع التخاطب وتثبيت حدث التواصل وإقراره.[1]

إن موضوع التداولية كما اللسانيات هو اللغة مع اختلاف في طريقة المقاربة عند كل منهما، وهذا التداخل المبدئي هو ما حدا **برودولف كارناب** (Rudolf Carnap) وهو أحد فلاسفة اللغة لأن يصف التداولية بأنها قاعدة اللسانيات وأساسها المتين الذي تستند إليه.[2]

فالتداولية حاضرة في كل تحليل لغوي، ذلك أننا إذا تتبعنا اهتمام الدراسة اللسانية فسنقف أمام عتبات المفارقة أو الحدود، إذ بمجرّد انتهاء عمل اللساني في دراسة اللغة (البنية) يظهر إسهام التداولي في تتبع الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للمتكلم والمتلقي والجماعة التي يجري فيها التواصل مع الأخذ في الاعتبار السنن الذي يحكمه[3].

وهذا ما يقنعنا بأن التداولية فعلا هي امتداد للسانيات وتبع لها نحو جانب جديد أشار إليه بنفنست وأسماه لسانيات التلفظ، والذي بموجبه ينتقل الاهتمام من ثنائية اللغة والكلام إلى ثنائية الملفوظ الذي يحمل المضمون أو الدلالة وفعل التلفّظ أو القول في حدّ ذاته (L'action de dire)، وهو ما يتمثل في أفعال الكلام عند أوستين وسيرل.[4]

يقول جورج كليبر: " تبدو التداولية اليوم علما متناميا ومجالا رجراجا شديد الانفتاح" حيث لم تعد اللسانيات ذلك العلم المنعزل في مختبراته، بعيدا عن تدفق الحياة اللغوية – كما يقول أوستين – فهي لم تعد علما مخبريا يعتمد على المناويل اللغوية بمعزل عن صخب العلوم الأخرى، إذ تجاورت معها تجاورا ترافديا في نطاق العلوم المعرفية(Ssiences cognitives) باعتماد مقاربات متعددة الاختصاصات من لسانية ورياضية وفيزيائية ومعلوماتية ومنطقية...إلخ[5]

---

[1]- ينظر فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، (م، س)، ص20.

[2]- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص19.

[3]- المرجع نفسه، ص 19

[4]- المرجع نفسه، ص 19

[5]- فيليب بلانشيه التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص1.

تبدو التداولية مصطلحا شديد الغموض، إذ يقابله في الفرنسية المعنيان التاليان ويقترنان به: المعنيان هما محسوس وملائم للحقيقة، أما في الانجليزية – والتي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية – فإن كلمة براغماتيك (Pragmatique)تدل في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية، وهكذا يبدو لأول وهلة أن الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية، إذ ضخّم وتُلُقِيَ عموما بوصفه كيانا غامضا، أو قل جرابا جديدا توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسة وهي اللسانيات وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي و الدلائية وغيرها نحو المشاكل التي أثارتها هذه الاختصاصات ولم تتوصل إلى معالجتها بشكل مرض، ومن بين المنظرين الأعلام للتداولية نجد أوستين (Austin)، سيرل(Searl)وعالم الاجتماع غوفمان (Gauffman)، وتضاف إلى هؤلاء مدرسة ذات توجه نفسي في الأساس هي مدرسة بالو ألتو (Palo Alto).[1]

وقد وصل الأمر ببعض الألسنيين ممن بلغ بهم الأمر أن عدوا التداولية سلةَ مهملات للمباحث التي لا يستطيعون معالجتها وفق أي وجه من أوجه المباحث اللسانية، وعدّت التداولية كذلك من هذه الرؤية إلى أن أعيد اعتبارها من خلال الأبحاث والدراسات الدؤوبة والمستمرّة. والمعمقة.

و قد دفع ذلك بعض النقاد و اللغويين إلى إطلاق تسمية (Poubelle Espagnole) عليها، لأنها استطاعت أن تحتوي على مجموعة كبيرة من الأفكار و التصورات ذات مستويات و مشارب مختلفة و متفاوتة، و في سبيل ذلك استعانتها و توسلها لمختلف العلوم الاجتماعية و الإنسانية الأخرى، و هو أمر أنجر عنه اتساع أفقها المعرفي و النظري، و جعلها قادرة على تناول مختلف الخطابات الصادرة عن الإنسان، دون أن يشكل ذلك عائق للخروج بنتائج معتبرة[2].

ولا غرابة إذن ألا تتضح وحدة التداولية ولا مناهجها أو أهدافها، بل يناقش من خلال تيارات علمية قوية يضعها هؤلاء موضع التساؤل حتى في تحديد وضعيتها الاختصاصية، بل التساؤل قائم حتى عن وجود التداولية بصيغة المفرد، إذ يفضل اعتبارها تداوليات (Des pragmatiques)، وبشكل أدقّ، فإنّ التداولية تتموقع في الحقل الفلسفي الفسيح.[3]

وإذا كان الإشكال بين التداولية واللسانيات ناجما عن صعوبة ضبط حدود مجال دراسة كل منهما، فإن تداخل التداوليات بعلم الدلالة يرجع كونهما كلتيهما تتناولان المعنى، الذي يعد هدف التواصل، فمهما حاولنا التفريق بينهما - حسب نواري سعودي أبي زيد – " فإن هذه العلة تجعلنا نتردد إزاء التمييز، على الرغم من وجود ملامح التمايز".[4]

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 9.

[2]- عمر بلخير، مدخل إلىدراسة بعض الظواهر التداولية فيا للغة العربية (الخطابا لمسرحي نوذجا)، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد 2001، متاح على الموقع: https://doi.org/10.4000/insaniyat.9668 اطلع عليه بتاريخ: 2121/09/08

[3]- فيليب بلانشيه التداولية من أوستين إلى غوفمان، (م، س)، ص10.

[4]- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص22.

إذ تتفق حدود الدراسة في مجالي التداولية وعلم الدلالة كونهما يتقاطعان في تناولهما المعنى الذي يعد هدف الرسالة التواصلية وأساس الخطاب، إذ مهما تعددت محاولات التفريق بين العلمين رغم وجودبعض الفروقات إلا أنها تظل محاولات عابثة.

إن هذا التداخل بين التداولية واللسانيات هو الذي أعاق اتفاق الألسنيين على ضرورة الفصل وبيان حدود كل مجال[1].

إذ أن علم الدلالة شأنه شأن التداولية يسعى إلى تبين معنى الكلمة أو الجملة لا يمكن أبدا أن يكون بمعزل عن علاقة الأمر بالمتكلم ومقاصده، وعن السامع، و المقام أو الموقف الذي يجري فيه الكلام. و بالرغم من هذا التداخل، فإن شارل موريس يعد– كما تقدم - أول من حاول إجراء نوع من المقابلة المؤدية إلى التمييز بين ثلاثة حقول في دراسة اللغة **المجال النحوي أو التركيبي، المجال الدلالي والمجال التداولي.**[2]

أولا: المجال النحوي

يتعلق الأمر هنا بمجموعة من القوانين التي تضبط وتقيم العملية النحوية للكلام، من أجل أن يكون الكلام مقبولا لدى الجميع الذين يستخدمون اللغة المستعملة في التعبير، فدور هذا الحقل أو هذا المستوى هو الإشراف على مجموع العلائق التي يمكن أن تحدثها الكلمة مع نظيراتها في التركيب، إلى جانب القوانين التي تسهر على سلامة تحويل الجملة أو العبارة إلى نظير لها، مولّد جديد.

ثانيا: المجال الدلالي

وهو الذي يدرس مجموع العلائق القائمة بين المعاني والأشياء التي تعينها في إطار سياق اللغة، أو باعتبارها جملة، مفصولا ذلك عن سياق الاستعمال، إلا أن المعنى المتوصل إليه في هذا المستوى قد يحمل بعض الزيف، لاسيما إذا راعينا انقطاع الإحالة، وغياب المراجع، وحضور المجاز باختلاف أنواعه في الخطاب الأدبي خصوصا.[3]

ثالثا: الحقل التداولي

وهو الذي يدرس علاقة العلامات باستعمالاتها ومقاماتها وأطرافها التداولية، أو هو يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة وبين الناطقين بها والمؤولين لها[4]، وبعبارة أخرى، يمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفس موضوع الدلالة الثابت، مضافا إليه سياق الاستعمال[5]، ولابد من الحذر عند عند توظيف كلمة "سياق"، لأنه قد يجرّ إلى بعض المزالق المؤدية إلى لبس في الفهم، أو تداخل في حدود تلك الأطر الثلاثة من

[1]-ينظر السابق، ص 22

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص 22

[3]- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب1999، ص100.

[4]- نواري سعودي أبو زيد، ، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص22

[5]- المرجع نفسه، ص 23.

مثل قول بسام قطوس"... أما البعد الثاني، فيهتم بالمعاني في علاقتها بسياقاتها..."[1]، إلا إذا حملنا كلمة السياق على السياق اللفظي لا غير، لأن المجال الدلالي يكاد ينحصر في دراسة المعنى في علاقته باللفظ في إطار الشبكة السياقية اللفظية، أو علاقة العلامات بما تحدده.[2] **بمعنى مكونات الكلم أو الخطاب من ألفاظ وعبارات وتراكيب تحكمها -بتظافرها وتعاضدها- علاقات خاصة فيما بينها تضمن العملية التواصلية وتحقق الهدف منها.**

وتجدر الأشارة إلى أن بعض الألسنيين والفلاسفة مثل كارناب وفرانسيس جاك، يصنفون الدرس التداولي فرعا من اللسانيات ومستوى آخر منها، سواء عُدّ قاعدة في الدراسة اللسانية أو نهاية لتفاعل مختلف المستويات، في حين جعلها شارل موريس تدور في مجال السيميائيات، لأنها وحسبه تهتم بدرجة كبيرة بمعالجة العلامات ومستعمليها، انطلاقا من قصدية متعددة يعود إليها تحريك عملية التواصل، وإحداث العلاقات داخل اللغة، وفق المناويل النحوية المختلفة، ويوسع شارل موريس في هذا المضمار مجال السيميائية لتشمل مظاهر التواصل الحيواني والآلي حتى.[3]

وبالتالي، ما ذهب إليه شارل موريس في تناوله للتداولية قد يحيد بها عن سبيلها ليخرجها عن جديتها وجدواها كونها تنحصر في الاهتمام بالعلامات ومستخدميها وحسب، مما حذا بعض الباحثين العرب المحدثين أمثال محمد علي الخولي في تحديده لمجال التداولية أن يلحقها هو الآخر - جريا على ما قام به شارل موريس- بحقل علم العلامات أو السيمياء في كتابه " معجم علم اللغة النظري" أين قابل مصطلح Pragmatique بمصطلح علم الرموز.[4]

ومن هنا تعدد الرؤى والاتجاهات في النظر إلى التداولية بعدها مجالا للدراسة من باب اهتمامها بالعلامة ومستعمليها من خلال تفسيرها وتأويلها وتحديد مقصديتها ودرجة فعاليتها وكذا تعدديتها لتفعيلات العملية التواصلية ومن ثمة إنجاحها، ومن جانب آخر تتناول الدراسات اللغوية والفلسفية التداولية على أنها فرع أومجال متفرع عن الدرس اللساني لا ينفصل عنه، خاصة من جانب تناولها القوانين التي تضبط العملية النحوية والدلالية للكلام.[5]

---

[1] - بسام قطوس، دليل النظرية النقدية المعاصرة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2004، ص191.

[2] - ينظر نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص24.

[3] - المرجع نفسه، ص24.

[4] - نفسه، ص24.

[5] - نفسه، ص24

مهام التداولية وأهم استعمالاتها ووظائفها:

تجدر الإشارة إلى أن التداولية تدرس المنجز الكلامي وكل ما يجعل الخطاب فاعلا، ذلك لأن الخطاب نسيج من اللغة المنجزة، أي الخطاب المستعمل في إطاره التواصلي ولهذا، فالدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، لأن اللغةلا تؤدي وظائفها إلا فيه.[1]

ويرى دوكرو و جان ماري شيفر Jean Marie Schaeffer أنّ "التداولية بما هي دراسة لكل ما ينصرف إلى معنى الملفظ، تحرص على طبيعة الوضع الذي يستعمل فيهالملفظ وليس على مجرد البنية اللسانياتية للجملة المستعملة"[2].

الملاحظ أن التداولية من هذا المنظور تسعى إلى تناول الملفوظ بالنظر إلى بعده الاستعمالي وليس فقط من خلال بنيه اللغوية، فالدراسة التداولية تقتضي مراعاة الملفوظ ببعديه الاستعمالي التواصلي وبنيته اللسانية.

ويتجلى دور التداولية ووظيفتها أكثر في هذه التساؤلات، فالتداولية تسعى محاولة الإجابة عن أسئلة من قبيل الأسئلة التالية والتي تم طرحها من طرف فرانسواز أرمينكو في كتابها: " المقاترنة التداولية ": ماذا نصنع حين نتكلم؟من يتكلم وإلى من؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حين يرفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أي مقياس يحدد قدرة الوقع الإنشائي اللغوية؟[3]

بالعودة إلى السؤالين: من يتكلم ومع من يتكلم؟ ومن يتكلّم ولأجل من يتكلّم؟ ندرك أن التداولية تهتم بالمرسل (المتكلّم) والهدف المرسوم في ذهنه والذي يسعى إلى تحقيقه ولأجله تكلّم، ومن هنا، كانت اللسانيات التداولية هي التيار المهيمن على ساحة الدراسات اللسانية بعد التيار البنيوي والتوليدي، " فقد أفرزت المعرفة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي، وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"[4].

يتجلى من كل هذا أن التداولية تدرس نظام اللغة المستعمل في الواقع الاجتماعي التواصلي ولا يمكنها أن تنعزل عن الجانب التواصلي للغة، لأن اللغة نظام في ذهن الجماعة، وهذا لا يمكن للدراسة

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (م، س)، ص24.

[2]- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص402.

[3]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987 ص110.

[4]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، (م، س)، ص05.

التداولية أن تصفه، وأما اللغة التي هي تطبيق لذاك النظام، فتلك هي التداولية، وتعنى بالتالي بالاهتمام بظواهر التواصل اللغوي[1].وما دامت اللغة نظاما فكريا في أذهان المتكلمين بها، يظل التواصل في الواقع الاجتماعي من صميم اهتمامات الأبحاث التداولية، كون اللغة في ظل الواقع التواصلي تطبيقا لذلك النظام.

وبالتالي، تغدو اللسانيات التداولية "أحد أحدث فروع العلوم اللغوية، وتعنى بتحليل عملية الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام." [2]،

فالتداولية "ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره."[3]

من هنا يتبين لنا أن التداولية علم تواصلي يهتم بالدرجة الأولى بالجانب الاستعمالي للغة أثناء التواصل، أي تمثل التداولية دراسة تطبيقية للغة أثناء العملية الحوارية.

والمهم في فائدة اللسانيات التداولية عندما يتعلق الأمر بالبحث في الاستعمال اللغوي ليس وصف البنية اللغوية فقط، بل يتعدى ذلك إلى وظيفة الاستعمال اللغوي في عالم اللغة ونظرية التواصل.[4] فهي علم لغوي ولكن ليس بالمعنى الدقيق في تناولها للجوانب اللغوية المحضة بقدر ما تهتم بالشق العملي منها فحسب أي الجانب التطبيقي الذي يتمثل في العملية التواصلية المتمثلة في ممارسة اللغة عن طريق الحوار والتخاطب.

وعلى هذا اختلفت وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم عن "القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، فإن معظمهم يقرّ بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي."[5]

أي ما يتعلق بمرسل للخطاب ومتلق له مع مراعاة شروط وحيثيات العملية التواصلية من سياق ومقام وشروط أخرى..

ولهذا تعرف التداولية على أنها علم الاستعمال اللغوي، " إذ تنطلق التداولية من هدف أساسي هو استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة، وجعل المعني بها يعيها ويتحرك في إطار إنجازها[1].

---

[1]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص96.

[2]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص28.

[3]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص16.

[4]- المرجع نفسه، ص18.

[5]- ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص11

فالتداولية تسعى لبحث آليات انطلاق الخطاب من مرسل له مقاصد ومرام، ضمن شروط وحيثياته كما تدرس مدى استقباله من طرف متلق يتأثر به ويتفاعل معه، من ثمة يتحرك ضمن نطاقه.

وهذا هو الاستعمال اللغوي في شكله التواصلي فهي تسعى إلى تفسيره، من هنا كان للتداولية وظائف ومهام متعددة.

وتتعدداختلافات المتناولين والباحثين في صلب النظرية التداولية سواء في طرائق البحث أو غايته إلى حدّ يتيح لنا الحديث عن براغماتيات لا براغماتية واحدة، إذتعرف البراغماتية بكونها مجموعة من البحوث اللسانية " Logico L'inguistique"، فالتداولية إذن هي دراسة للجانب الإستعمالي للغة، و من هنا تحدد (أوركيونيOrecchioni) وظيفة التداولية والتي تتمثل "في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثيةالآتية : المرسل – المتلقي – الوضعية التبليغية. إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة."[2]

وهنا يتجلى العنصر الرابط بين مختلف النظريات والتوجهات التي شكلت ما نسميه التداولية، وهو السياقContexte. فاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إلى السياق، هو الذي جعل تلك النظريات تختلف فيما بينها في تحديد ماهية التداولية. فمن هم منيرى أنها هي الأقوال التي تتحول إلى أفعال ذات صبغة وامتداد اجتماعيين، بمجرد التلفظ بها وفق سياقات محددة ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار التي تظهر في الخطاب، ويدرس هؤلاء أثر الذاتية في الخطاب من خلال الضمائر والظروف المبهمة (Déictiques).[3]

ومنهم من يلخصها في مجموعة من قوانين الخطاب Lois du discours أو أحكام المخاطبةMaximes contersationnellesعلى حد تعبير الفيلسوف جرايس – التي تضفي على الخطاب صيغة ضمنيةأو تلميحية وذلك من خلال دراسة الأقوال الضمنية Les énonces implicités كالافتراضات المسبقة Présupposes والأقوال المضمرة.[4]

نجد أن مهام التداولية و وظائفها تتعدد وتختلف ولكنها تتحد في وظيفة أساسية تتجسد الاهتمام بالخطاب ودراسته أثناء الاستعمال، كما أن ومن وظائفها أيضا، ماحدده بعض الباحثين فيما يأتي[5]:

- تقوم التداولية على دراسة الاستعمال اللغوي، أو هي لسانيات الاستعمال، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.
ب- ليس للتداولية تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة.

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص175.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 176.

[3]- عمر بلخير، مدخل إلىدراسة بعض الظواهرالتداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحين موذجا)، (م، س)، متاح على الموقع: https://doi.org/10.4000/insaniyat.9668، اطلع عليه بتاريخ: 2021/09/05.

[4]- المرجع السابق

[5]- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15.

- تدرس التداولية اللغة من جهة وظيفة عامة(معرفية، اجتماعية، ثقافية).

- تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة، وبوصفها وصلة بينها وبين اللسانيات الثروة اللغوية.[1]

– دراسة استعمالات الكلام وتبحث في مطابقة الأشكال الدالة للسياقات المرجعية دراسة استعمالات الكلام كظاهرة استدلالية وتداولية في الوقت ذاته هي نظام لساني فرعي يهتمّ تحديدا باستعمال الكلام في التواصل.

– ومن مهامها أيضا، "دراسة استعمال اللغة... بعدّها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد وموجّها إلى مخاطب محدد، في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد.

– شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالم الملفوظات.

– شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.

– دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي.[2]

– بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر، وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

– دراسة استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة، فاللسانيات، كما هو معلوم، تتفرّع للدراسة الثانية أي لدراسة المستويات الصوتية والتركيبية وربما الدلالية، فقد تحولت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانية البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرّد، في حين أندراسة استعمال اللغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيّق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.[3]

وما يلاحظ على مهام التداولية أنها أصبحت الملجأ الذي يعوّل عليه الدارسون من أجل الوصول إلى كيفية وصف الاستدلالات في عملية التواصل، فعن علاقة التداولية بعلم الدلالة، فإن التداولية هي العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة أو ناجحة وملائمة في الموقف التواصلي، في حين تُعنى الدلالة بالشروط التي تجعل هذه الأقوال مفهومة أو قابلة للتفسير[4].

وتكمن العلاقة في أن وظيفة الدلالة هي جعل الأقوال ذات معنى والتداولية تجعلها قابلة للتواصل، في موقف ملائم، وأما عن علاقتها – أي التداولية– بعلم البلاغة فنستشفها من خلال تعريف بعض المعاصرين من البلاغيين للبلاغة بأنها "فنّ الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، لأن البلاغة في

[1]- المرجع نفسه، ص178.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص 26-28.

[3]- ينظر المرجع السابق، ص 28.

[4]- خلود العموش، الخطاب القرآني، (م، س)، ص29.

نظر هؤلاء نظام له بنية من الأشكال التصوّرية و اللغوية ويصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدّد[1].

وتتجسد هذه العلاقة أكثر وتتجلى بشكل أوضح في نظرة بعض اللغويين للبلاغة بأنها: " تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتّصال بين المتكلّم والسّامع، بحيث يحلّان إشكالية علاقتهما مستخدميْن وسائل محدّدة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية البراجماتية– على حد قول صلاح فضل – تتفقان في اعتمادهما اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي."[2]

كما أن أقرب حقل معرفي إلى التداولية –حسب مسعود صحراوي – هو اللسانيات، ويكمن وجه العلاقة في أن اللسانيات هي علم يسعى إلى دراسة اللغة من ذاتها ومن أجل ذاتها، والتداولية تبحث في قوانين الاستعمال اللغوي، و إذا نظرنا إلى علاقتها بالخطاب والنص، فمن زاوية أن التداولية تدرس المنجز اللغوي فهذا ما يجعل الخطاب يشكل أبرز المحطات التداولية و يجعل اللغة موضوعا للدراسة وأولى أولياتها.[3]

فالدراسة اللسانية تتناول البنى اللغوية كأنساق مغلقة وفق نظام خاص وصارم، في حين تهتم التداولية بدراسة الجانب التواصلي للخطاب، وبالتالي تميزت الدراسة اللسانية للبنى اللغوية بالصرامة، واتسم التناول التداولي في دراسة المنجز اللغوي بالمرونة.

وبالتالي، وبالنظر فيما تقدم من رصد مفاهيمَ وتحديداتٍ للتداولية وإحصاء بعض مهامها ووظائفها وعلاقتها بمختلف العلوم، فإنها تعدّ نظرية وحقلا منفتحا على كثير من المجالات والفروع المعرفية، كما أنها تقيم علاقات وروابط مع مختلف الحقول والمعارف، فهي تشكّل حلقة وصل قوية بين عدد من العلوم الإنسانية[4].

وكون التداولية متصلة بعلوم أخرى كالمنطق والفلسفة والسيميائيات واللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس المعرفي فقد ضمّت إليها مستويات علمية أخرى متداخلة دمجت تحت مشاريع معرفية مختلفة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي.[5]

الأبحاث التداولية وصلاتها بالعلوم الأخرى:

يرى الدارسون المشتغلون في الحقل التداولي كما يرى فرونسواز أرمينيغو" أن اللسانيات التداولية تعدّ ملتقى غنيا لتقاطع الاختصاصات وتداخلها بين الألسنيين والمناطقة والسيائيين وعلماء الاجتماع وعلم النفس."[1]

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، 175.

[2]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2004، ، ص121.

[3]- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص20.

[4]- المرجع نفسه، ص26.

[5]- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية لوحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2012، ص01.

فالتداولية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلوم الأخرى، إذ نجد لها علاقات باللسانيات البنيوية وعلم الدلالة وعلم الاجتماع واللسانيات النصية وتحليل الخطاب والأسلوبية والنحو الوظيفي والحجاج وعلم النفس اللغوي، كما لها تطبيقات عديدة في مجالات مختلفة كعلم اللغة الوظيفي، والتفاعل بين الإنسان والآلة، والاتصال وجها لوجه والاتصال عن بعد.[2]

فالأبحاث التداولية ترتبط بروابط وشيجة مع معارف مختلفة وتتداخل مع عدد من العلوم اللسانية والنظريات المعرفية، نحاول من خلال هذا المبحث التعرف على بعض هذه العلوم التي تتقاطع مع التداولية.

أ/ التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب واللسانيات النصية

وبما أن التداولية تعنى بتحليل عملية الكلام والكتابة، فلهذا علاقة بعلم النص، حيث أن علم النص قد استفاد من التداولية من هذا الجانب.[3]

لعل العامل المشترك بين التداولية وتحليل الخطاب، يتمثل في فكرة "التسييق" ووضع اللغة - بخطاباتها المختلفة- في سياقات استخدامها، إضافة إلى أهمية المقاربة التداوليّة وأهميتها في مقاربة الخطابات والكشف عن طريقة عملها وآليات بنائها وتشكيلها، بوصفها صورة من صور استخدام اللغة، ولذا تم الاتفاق على تعريف الخطاب بأنّه: "حدث تواصلي حقيقي أداته اللغة، أو هو بصورة أكثر عمومية: كل سلوك علامي يحمل معنى." [4] **فالخطابات اللغوية تعدّأنظمة من الأنساق العلاماتية تتبنى معان ودلالات تكشفها المقاربات التداولية ضمن سياقاتها وفي حدود مو اقفها الخطابية.**

و من خلال هذا التعريف، فالخطاب لا يتوقف على السلوك اللفظي فقط، بل يضيف إليه السلوك غير اللفظي، واستخدام الإشارات والسمات شبه اللغوية والحركات الجسدي

ة وغيرها من العلامات الدالة ذات المعنى، ويبصّر هذا التعريف بمهمة محلل الخطاب، إذ إنه لا ينظر للغة على أنها نسق مغلق من القواعد والبنى، فالمقاربة الخطابية تجعل الخطاب ممارسة عملية لنظرية البشر عن اللغة[5].

ولا يمكن من هذا المنظور اعتبار اللغة نسقا مغلقا ببناه وقواعده، بل يسعى محلل الخطاب هنا في مقارباته الخطابية للعودة إلى مو اقف مستعملي اللغة ونظرياتهم وممارساتهم لها في المؤسسة الاجتماعية كما يسعى لاكتشاف الثقافة اللغوية والكلامية المتعارف عليها.

---

[1]- فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، (م، س)، ص10.

[2]- نور الوحدة، التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى، (م، س)، ص38

[3]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص99.

[4]- حافظ علوي والدكتور منتصر عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، من مقدمة الكتاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، مقال متاح على صحيفة الغد، متاحة على الموقع: https://alghad.com بتاريخ:2014/01/02، اطلع عليه بتاريخ: 2021/10/25.

[5]- المرجع السابق.

فالخطاب وتحليله أضحى من المصطلحات المهمة في العلوم الاجتماعية والثقافية، كونه يغطي مساحة كبيرة من الصياغات الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع، ويتعامل مع الطريقة التي تعمل بها اللغة من أجل دمج الإنسان بعالمه المحيط به، ومن ثم فدراسة الخطاب هي دراسة اللغة في فعلها من خلال النظر إلى هذه الخطابات داخل سياقاتها الاجتماعية .[1]

تداخلت المصطلحات والمفاهيم وتزاحمت في خضم هذا الزخم المعرفي والتراكم المصطلحاتي، وتاه جراء هذا أولو الاختصاص وحتى المبتدئون لدرجة أنه لم يعد مصطلح النص يختلف عن مصطلح الخطاب وربما رادفه في بعض الاستعمالات، وإن كان في الخطاب إيحاء بأن النص يتجاوز كونه مجرّد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية إلى المقامية[2].

وقد يصادف الباحث مصطلح النص ومصطلح الخطاب فيعتقد أن النص هو الخطاب وأن الخطاب هو النص، ولتوضيح ذلك نقول إن الخطاب ينشؤه المتخاطبون في توجههم بعضهم إلى بعض وتخاطبهم، وهو بذلك يهتم بالجانب المنطوق من اللغة بالدرجة الأولى، وأما النصّ فهو كل ما يطلق على متتالية من الجمل ترتبط فيما بينها بعلاقة أو تحديد تكون بين بعض عناصرها علاقات كأن يرتبط عنصر ما مثلا من جملة بعنصر وارد في جملة سابقة لها أو لاحقة بها.[3]

ومجال اللسانيات النصية يتجاوز دراسة الخطاب بعدّه نصا إلى عده نشاطا فاعليا أساسيا يعتمد المعارف المقامية والسياقية وذلك من المجالات الثرية للدرس التداولي[4]

ب/ التداولية وعلاقتها باللسانيات البنيوية:

عند التعرض للعلاقة بين التداولية واللسانيات لاسيما اللسانيات البنيوية منها، والتي اعتمدت على مبادئ ديسوسير في دراسة اللغة، فإن معظم الدارسين يرون أن التداولية متممة للبنيوية ومكملة لها، ذلك لأنها تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان المبعد في مجال دراسة علم اللسان[5]، وذلك من منطلق ما قاله دي سوسير في مجال اللغة واللسان والكلام، فاللغة – حسبه – "تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة."[6]

[1]- ينظر المرجع نفسه.

[2]- ينظر بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، (م، س)، ص134.

[3]- ينظر محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص13

[4]- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، ص133، 134.

[5]- المرجع نفسه، ص132.

[6]- فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988، ص33.

فاللسانيات البنيوية تهتم أساسا بدراسة نظام اللغة دون النظر إلى نوايا المتكلم وسياق الكلام أو التلفظ وغيرها من القضايا التي تطور الدرس التداولي في كنفها، مما حدا بلسانيين آخرين بحد التداولية لسانيات كلام مقابل لسانيات اللغة التي أوضحها سوسير.[1]

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى الانتباه أن مفهوم لسانيات الكلام قد يحصر حدود التداولية ويحدّ كثيرا من امتداداتها، فضلا على أن الكلام ليس معزولا عن اللغة إلا افتراضا، فاللغة لا تتحقق إلا على مستوى الكلام ومن خلاله، وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤديها، بمعنى، أن الكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة في الواقع، وهنا تبرز العلاقة بينهما مما يحتّم اللجوء إلى دراسة متكاملة للظاهرة اللغوية ببعديها الفردي والاجتماعي، ولعلّ صعوبة التمييز بين ما هو تداولي وما هو بنيوي تبدو جلية هنا كما **تتضح أيضا صعوبة التمييز بين التداولية وجميع العلوم المعرفية الاخرى.**[2]

ما يمكننا قوله هنا أن اللغة لا تتحقق في إطار الكلام وضمن مستواه فحسب، بل تتحقق أيضا من خلال الكتابة، فالتواصل اللغوي يمكن أن يتم بالكلام مشافهة كما يمكن ان يتم كتابة، بل إن العملية التواصلية تتحقق كذلك من خلال إشارات اليد وحركات الجسم وإيماءات الرأس، ويتحقق التواصل وتنجح رسالته إذا ما استوفت العملية التواصلية شروطها من مرسل ومستقبل وسياق تلفظ ومقام تواصلي وأعراف أو ثقافات قولية متعارف عليها بين طرفي الدائرة التواصلية بقطع النظر عما إذا كان التواصل شفاهةأوكتابة أو من خلال الإشارة.

ويقر بعض المشتغلين والدارسين في المجال التداولي بصعوبة الفصل بين التداولية والحقول المعرفية الأخرى، بحيث "يصعب الفصل في علوم اللغة بين البراغماتية وكل من الدلالة والنحو والمباحث الاجتماعية اللغوية، ولكن المهمة الأصعب تكمن في فصل الجوانب البراغماتية عن الدلالية، إذ تبحث جميعها عن المعنى من زوايا متعددة."[3] ذلك لأن التداولية كونها مبحث يتناول بالدراسة والبحث اللغة أثناء الاستعمال فهو بالضرورة يبحث عن الجوانب الدلالية في ثنايا العملية التواصلية من خلال البحث في معاني الألفاظ حين التلفظ بها ووفق ما تقتضيه الملفوظية من أعراف لغوية متعارف عليها.

الملفوظية ترجمة للمصطلح الفرنسي Enonciation الذي أشار إليه الألسني السويسري شارل بالي(1865-1947) في كتابه: اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية. والملفوظية تقابل الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعا لهذه العبارة، مثلما تقابل صناعة الشيء، الشيء المصنوع وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ يعني نتيجة هذا الفعل.[4]

---

[1]- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، ص132.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص123.

[3]- فالح شبيب العجمي، الربط الذرعي في النص العربي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الاداب واللغويات، المجلد 12، عدد 1، سنة 1994 ص253، 286.

[4]- جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم مقداد، الملفوظية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص07.

و الملفوظية تتكون من جملة العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوظية، وقد أثارت ترسيمة جاكوبسون الشهيرة التي تتحدث عن وظائف اللغة اعتراضات لم تتوقف حدّتها إلى الآن.[1]

أما بينفينيست (Émile Benveniste) يقول: "إن الملفوظية هي عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي"، أما ديكرو وأنسكومبر فيريان فيها ذلك النشاط اللغوي الذي يمارسه المتكلم في لحظة كالمه، كما يمارسه المستمع في لحظة استماعه.[2]

وتكمن مهمة اللسانيات ووظيفتها في في دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني، أي بين الشكل والمعنى، كما أن البعد التداولي في الدراسة اللغة يسعى إلى أن يتجاوز المنوالُ شكلَ المعنى إلى مجالات أخرى لا يحكمها هذا المنوال، يحاول أن ينحو نحو الملفوظية والحجاج ومظاهر الاستدلال في اللغة والتضمين والاقتضاء وغيرها... حيث تحكم هذه الموضوعات حالات خاصة ومقتضيات تجعلها متجاورة لوصف شكل علاقة بمعناها.[3]

ج / التداولية وعلاقتها بالنحو والنحو الوظيفي

يعدّ النحو الوظيفي من أهم روافد الدرس التداولي، بل إن هناك من الدارسين من جعل التداولية امتدادا للوظيفة النحوية[4]، انطلاقا من أن خصائص البنيات اللغوية تتعدد انطلاقا من ظروف استعمالها، ويقصد بالنحو هنا مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، و التي تتمثل في ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل، ليسلم اللسان من اللحن أو الزلل نطقا، ويسلم القلم من الخطأ كتابة"[5]

يعد النحو نظاما تستقيم وفق مقتضياته العلامات اللغوية من خلال علاقات تركيبية معينة، فالنحو يسعى الى دراسة تلك العلاقات، ومن ثمة وظيفة تلك العلاقات ضمن ذلك النظام أو النسق اللغوي.

ويظهر الارتباط بين النحو والتداولية بصورة واسعة النطاق، لأن النحو يعتمد على مبدأ الإفادة وعلاقته بظواهر اليقين والإثبات والنفي والتقديم والتأخير، والغرض والمقصد بمباحثه المختلفة كالفهم

[1]- المرجع نفسه، ص07

[2]- المرجع السابق، ص07.

[3]- ينظر، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، ص126.

[4]- أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص8.

[5]- فضيلة عبد المحسن صالح أبو سوادة، ، تفسير أداء معلمات اللغة العربية بالمرحلة الثانوية في ضوء النحو الوظيفي، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 1998، ص50.

والإغراء وغيرها، كما أن النحو الوظيفي المقترح من سيمون ديك في السبعينات من القرن الماضي يجمع بين المقولات المعروفة، وبينما عرفته نظرية أفعالا الكلام.[1]

وإذاما عدّ تداول اللغة مظهرا من مظاهرها إلى جانب المعجم والتركيب، فإنه يمكن القول إن النحو الوظيفي وهو محدّدا أهدافه في تحقيق كفاية نفسية، كفاية تداولية، وكفاية نمطية يقدم دعائم هامة للتفسير التداولي للخطاب، وذهب سيمون ديك (Simon Dick) إلى أبعد من ذلك، إذ اقترح أن يدرج النحو ضمن نظرية تداولية أو نظرية لغوية شاملة، تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة.[2]

د / علاقة التداولية بعلم الدلالة:

علم الدلالة أو علم المعنى أو السيمانتيك المأخوذ من الكلمة اللاتينية (Sémantique) هي مصطلحات عديدة أو أسماء مختلفة لمسمى واحد هو علم الدلالة، إلا (Dick Simon)، إن المهم في كل هذا هو المفهوم الاصطلاحي لهذا الاسم والذي نحن بصدده، فقد عرفت الدلالة عدّة تعاريف تصبّ جلّها في مفهوم واحد، يرى أحمد عمر المختار أن الدلالة هي " دراسة المعنى أو هي العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرّها في الرمز حتّى يكون قادرا على حمل المعنى"[3]

فالدلالة علم يعنى بدراسة المفردات ومعانيها، فهي فرع من علوم اللغة يدرس الرمز اللغوي ومدى قدرته على تحقيق المعنى والإحاطة به من خلال توفر شروط خاصة يجب مراعاتهاحتى يتحقق الهدف المنوط به، والمتمثل في حصول المعنى، ومادام علم الدلالة يتناول دراسة المعاني، والتداولية كمبحث لساني، مهمتها الأولى البحث في المعاني أثناء استعمال اللغة، فما هي حدود العلاقة بينهما طالما كلاهما يهتم بالمعنى من خلال إنتاجه ودراسته.

التداولية –كما تقدم معنا- "هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة بذلك على مقدرتها الخطابية، وتحليل اللغة العادية، حيث تهتمّ ببعض الأشكال اللسانية التي لا تحدّد معناها إلا من خلال استعمالها"[4]

أو هي كما يرى مسعود صحراوي– أي التداولية – "تدرس اللغة بعدّها كلاما محدّدا صادر عن متكلم محدّد وموجها إلى مخاطب محدّد بلفظ محدّد، في مقام تواصلي محدّد."[5] وهو ما تتناوله الدلالة

[1]- محمد محمود السيد أبو الحسن، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ص16.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س).، 127.

[3]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1985، ص11.

[4]- فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، (م، س)، ص07.

[5]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص26

بالدراسة أيضا، "إذ تركّز اهتمامها على اللغة بين أنظمة الرموز بعدّها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان."[1]

فالتداولية تلتقي وتتقاطع مع علم الدلالة في كونهما كليهما تهتمان بدراسة المعنى الذي ينتجه المرسل للخطاب ويتلقاه مستقبل هذا الخطاب ضمن مقام سياقي معين على أن التداولية قد تتناول أشياء ممكن للدلالة أن تغفل عنها أو لا تدركها، فالدلالة تتناول المعنى بالدراسة والبحث بعيدا عن السياق الحقيقي، في حين تدرس التداولية المعنى ضمن سياقه الوارد فيه. إذا الدلالة والتداولية يشكلان مبحثين لغويين متكاملين من الصعوبة بمكان محاولة الفصل بينهما.

هـ / الأبحاث التداولية وعلاقتها باللسانيات التعليمية:

أسهمت التداولية بشكل كبير في بناء التعليم وصناعته وذلك بانتقاد طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية ومع أفراد أو أناس مثاليين، في مواقف مثالية، بعيدا عن أي سياق اجتماعي.[2]

وتقديم البديل الذي يتجاوز تدريس أنماط الترميز أي القواعد اللغوية، تتجاوز هذه الأخيرة إلى تدريس أنماط التأطير، أي أنها تهتم بالجانب المقصدي التبليغي للمتكلم، وقد جاء في هذا الصدد، " لقد بات أساسيا توسيع مجال المكتسبات من جهة وقلب ترتيب الأولويات من جهة أخرى، ذلك لأن مفهوم التبليغ هو الذي يجب أن يكون الأسبق والمحرك وليس اللغة، ذلك لأن الاهتمام بالمتعلم يعني الاعتراف الكلّي بأنّ هدفه هو التبليغ لأحكام اللغة وحذقها، وأنّ هذا الوجه الأخير ليس سوى وسيلة وغاية في حدّ ذاته، ووسيلة واحدة ضمن وسائل أخرى.[3]

وقد تجاوز التعليم مهمة التلقين لتحصيل كفاءة إلى مهمّة تحصيل الأداء بتوفير حاجات المتعلم والاقتصار على على تعليمه ما يحتاج إليه والاستغناء عما لا يحتاج إليه من أساليب تثقل ذهنه، كما ان البحوث التداولية أسهمت في مراجعة مناهج التعليم ونماذج الاختبارات والتمارين وفق الظروف السابقة، وعدّت البعد التداولي للغة أي ممارستها واقعيا أحد أهداف العملية التعليمية.[4]

إجراءات البحث التداولي و أهم نظرياته:

أتاحت المقاربة التداولية مدّ جسور تعالق بينها وبين اختصاصات متعددة وإمدادها بمجموعة من التوصيات والإجراءات التي تهدف إلى تعديل وتطوير شتى المعارف في مختلف الميادين والفروع، مما فتح أمامها رهانات عديدة أسهمت بشكل واضح في تطورها وإقامة صلبها، منها تضافر عدة إجراءات وآليات ونظريات استقام بها الجهاز المفاهيمي التداولي واستطاع عبرها بلورة هذا الحقل المعرفي الهامّ الذي كان

[1]- ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (م، س)، ص12.

[2]- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، ص133، 134.

[3]- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد حياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992، ص48، 49.

[4]- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، ص133.

من شأنه تغيير معالم المقاربات اللسانية التقليدية والتوسيع من آفاقها وبثّ امتداداتها نحو عوالم معرفية أخرى.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن التداولية قد انبثقت من عدّة ينابيع، وتعد الفلسفة التحليلية الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية، فقد كانت هذه الفلسفة تدعو إلى أن مهام الفلسفة تنحصر في البحث في اللغة، وقد يعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي علامة قوة لمنهجهم، ولهذا يعدّ هذا المذهب الفلسفي التحليلي ردّة فعل قوية على الفكر الفلسفي القديم برمته، لأنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية ولم يولها ما تستحقّ من العناية، وبالتالي الدراسة والبحث.[2]

كما أن " للمفاهيم التداولية الأخرى أصولها المعرفية الخاصة، فمفهوم نظرية المحادثة قد انبثق من فلسفة غرايس في مبدأ التعاون ومسلماته الحوارية، وأما نظرية الملاءمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي."[3].

فهذه مقولات ومفاهيم تداولية رفدتها أصول ومنابع معرفية مختلفة، فالمفهوم الأول – أفعال الكلام – له علاقة بالفلسفة التحليلية التي أتى بها أوستين وتلميذه سيرل التي تعنى باللغة، ومفهوم المحادثة له علاقة بالفلسفة التي أتى بها غرايس، ومفهوم الملاءمة له علاقة بعلم النفس التربوي.[4]

وباعتبار أن التداولية تدرس الوجهة الاستدلالية للتواصل، فإن ذلك ما يبرز العلاقة بينها أي التداولية وعلمي اللغة والتواصل. من هنا، نجد التداولية علم منفتح على معارف عدة كما أنها نظرية تشمل العديد من الأنساق، وهو ما يجعل " الحقل المعرفي للبراغماتية شاسعا، يمكن أن يضم اللسانيات والاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي."[5]

وما دامت التداولية تعنى بدراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال فهذا يعني وجود علاقة بين التداولية وعلم اللسان وعلم الاجتماع، ووجه العلاقة بين التداولية واللسانيات الاجتماعية يكمن في أن اللسانيات الاجتماعية هي التي تأخذ بعين الاعتبار حالة المتكلّم كمعطى اجتماعي من حيث أصله السلالي ووضعه الاجتماعي ومستواه المعيشي والثقافي وربط هذه الحالة بنوع اللغة التي يستعملها انطلاقا من مجموع الضوابط التي نسنها[6].

[1]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص99.
[2]- المرجع نفسه، ص99.
[3]- المرجع نفسه، ص99
[4]- ينظر المرجع نفسه، ص99.
[5]- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، (م، س)، ص16
[6]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص100.

ومن العلوم التي انفتحت عليها التداولية أيضا بالنظر إلى مهامها المتمثلة في معرفة الآليات المعرفية، علم النفس المعرفي والإدراكي، وكذا علم اللغة الاجتماعي، فالتداولية تقيم روابط وعلاقات أكيدة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي.[1]

هيمنت اللسانيات التداولية الحديثة على مختلف الدراسات اللغوية والنفسية والاجتماعية الحديثة وذلك بسبب انفتاحها الكبير وإقامتها علاقات ووشائج بين مختلف العلوم كاللسانيات الاجتماعية وعلم النفس التربوي والمعرفي وعلوم الاتصال والبلاغة والدلالة وعلم النص وتحليل الخطاب.[2] و لعلّ من أهم نظريات الحقل التداولي، نظرية الأفعال الكلامية والتي تعد أبرز ما يميّز مفاهيم الأولية وبحثها الغزير، فما المقصود بنظرية الأفعال الكلامية؟

نظرية الأفعال الكلامية Speech acts théorie:

ماهية الفعل الكلامي:

يقع مفهوم الأفعال الكلامية في موقع متميز من التيار التداولي في تصور المعاصرين، إذ يشكل جزءا أساسيا من بنيته النظرية، وبتصريح العلماء الغربيين المؤسسين للتداولية أنفسهم وقد أضحى النواة المركزية لكثير من البحوث التداولية.[3]

ويربط صلاح فضل بين التداولية وفكرة مقتضى الحال معرّفا إياها بالعلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم مما يطلق عليه سياق النص، ولقد غطى مفهوم التداولية " المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية " لكل مقام مقال"[4].

وذهب عبد الملك مرتاض هذا المذهب أيضا حين قال بأن هذا المفهوم كان موجودا بالفعل والقوة منذ العصور الموغلة في القدم، وأنه ظلّ مستعملا في تحليل الخطاب، وأن البلاغيين القدماء العرب واليونانيين كانو يطلقون عليه السياق، أو ما في حكمه، أو ما يطلق عليه أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي السكاكي (ت626ه) "مقتضى الحال".[5]

---

[1]-ينظر المرجع السابق، ص100.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص100.

[3]- ينظر كل من:

فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطا ب دلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا للشرق، د. ت، ص 255.

Françoise Récanati, Naissance de la pragmatique : Postface de : Qand dire- c'est faire, Traduction de Gilles Lane, Paris, Le Seuil,1991 ,p. 185.

[4]- صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، (م، س)، ص32.

[5]- ينظر عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، (م، س)، ص400.

وهذا بالعودة إلى ما يتنازع مفهوم السياق البلاغي، إذ كانت تتنازعه نزعتان إحداهما المرجع والأخرى تداولية اللغة.[1]

وتتجلى مقولة "القصدية" بالخصوص في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوفٍ للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية.

من هنا يتضح لنا وجود المباحث التداولية المعاصرة اليوم مبثوثة ضمن ثنايا العلوم اللغوية العربية القديمة، فمقولات مقتضى الحال أو لكل مقال مقام أو موافقة الحال لمقتضى الحال، جميعها مفاهيم عرفها البلاغيون العرب قديما في علومهم كما عرفها البلاغيون اليونانيون قبلهم.

ويحاول الباحثون في الحقل التداولي اليوم البحث فيها وتطوير مفاهيمها، إذ يمكن القول أنها مباحث قديمة متجددة، قديمة قدم مفهومها وتداولها عند علماء اللغة العرب وحديثة متجددة لبعث روح البحث فيها اليوم وفق الأبحاث التداولية المعاصرة.

ولا يتضح مفهوم الفعل الكلامي إلا بالرجوع إلى الإطار المفاهيمي الذي تم بحث الظاهرة ضمنه وفي نطاقه وهو ما يسمى ب "نظرية الأفعال الكلامية"، والتي جاء بها الفيلسوف المعاصر ج.ل. أوستين . J. L Austin المتوفى عام 1960، وطورها تلميذه ج. سيرلJ. Searl ، بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية[2].

فجون أوستين، يعد رائد هذا الاتجاه الأول (الفعل الكلامي) " وذلك عندما ألقى محاضرته في جامعة هارفارد ضمن برنامج " محاضرات وليام جيمس" وكان ذلك سنة 1955. "[3]، إلا أنه لم يكن آنذاك يطمح إلى تأسيس اختصاص أو فرع جديد في اللسانيات، لأن هدفه الأول كان تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو"فلسفة اللغة"، كما كان يرمي أيضا إلى تنظيم الدلالات تنظيما جديدا ومفيدا، فكان أشبه بمن قام بمسح فلسفي للغة لكي يسم خريطة يضع عليها الاستعمالات الهامة.[4]

بيد أن "محاضرات وليام جيمس" أصبحت بوتقة التداولية تمثل الركن الأساسي وذلك خلال ثلاثين سنة[5].

وبع دفترة قصيرة من تقديم"محاضرات وليام جيمس" التي نشرت سنة(1962)، ذاع صيت أوستين وكان عمله وراء العديد من البحوث اللاحقة في مجال الأعمال اللغوية.

فقد تعمّق أوستين في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية وتختلف عمّا عرف عند علماء الدلالة اللغويين خصوصا البنيويين منهم، فقد كان أوستين يلحّ على القيمة التداولية لعبارات

---

[1]- المرجع السابق، ص400.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص11.

[3]- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، (م، س)، ص199.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص200.

[5]- ينظر آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، لطيف زيتوني، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص29، 30.

لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزية، وربما في جميع اللغات، ومن الجديد الذي يُخالف به الفلاسفة الكلاسيكيين ويوافق به أسلافه من فلاسفة التحليل، إدخاله مفهوم "القصدية Intentionnalité" في فهم كلام المتكلّم وفي تحليل العبارات اللغوية، وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف هوسرلHusserl والظاهراتيين، واستثمره في تحليل العبارات اللغوية[1] .

وبالعودة إلى كتابات الفيلسوفين أوستين وتلميذه سيرل حول هذا المفهوم اللساني التداولي الجديد، فإن الفعل الكلامي يعني التصرّف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمة، ف " الفعل الكلامي " يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرّد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته الأمر والنهي والوعد والسؤال والتعيين والإقالة، والتعزية والتهنئة... فهذه كلها " أفعال كلامية ".[2]

والحديث عن هذه النظرية إنما هو حديث عن صميم النظرية التداولية وجوهرها، باعتبار أن النشأة الأولى لها كانت مرتبطة –كما ذكرنا - ارتباطا كبيرا بنظرية الأفعال الكلامية[3]، وقد ظهر أثر نظرية الألعاب اللغوية أو "الاستعمال" في البداية في مدرسة " كامبردج" ومدرسة "أكسفورد" وبخاصة في أعمال " جون أوستين J. Austine " حيث كان أول من أشار إليها من الفلاسفة المعاصرين، إذ استفاض في دراستها، لتأتي بعده أعمال "سيرلJ. Searl" الذي قدم دراسة منهجية منظمة، تمكّن من خلالها من تطوير أسس هذه النظرية.

وبداية سنحاول التعرف على أوستين وأهم جهوده في الفعل الكلامي.

الأفعال الكلامية عند أوستين

يعد جون أوستين مؤسس نظرية أفعال الكلام وواضع المصطلح الذي تعرف به اليوم في الدراسات الفلسفية واللغوية المعاصرة، وذلك من خلال محاضراته الإثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة هارفارد Harvard ثم نشرت عام 1962 في كتاب عُنون ب " How to do thinkwithwords" وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية عام 1972 إلى "Quand dire c'est faire "[4].

ارتبط مفهوم الأفعال الكلامية ارتباطا شديدا بأوستين، ويعني هذا المفهوم فاعلية أو إنجازيةPerformativeبعض الأفعال في المستعملة اللغة، وما يستعمله اللسان ويسخّره في التخاطب بهذه الأفعال، ويضرب أوستين للأفعال الإنجازية مثلا بعبارة قول شخص تعرض لحادث خطير مثلا فاندقّت ساقه فعالجه الطبيب المتخصص في جراحة العظام حتى شفي وأمسى يمشي بصورة عادية... فلمّا رأى

[1]- المرجع نفسه، ص 10.

[2]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2010، ص10.

[4]- Voir : Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, Dictinnaire Analyse du descours , édition du seuil, Février 2002, Paris, VI éme ,p .16.

طبيبه خاطبه: "أرأيت إني أمشي..." فأوستين يرى أن الملفظ لا يكون له معنى ملفوظ إلا إذا اتّخذ معنى " أراني أمشي في الوقت ذاته."[1]

وبهذا أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، ويدلّ مفهومه على أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وزيادة على ذلك، يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل أفعالا قولية Actes Loventions لتحقيق أغراض إنجازيةActes Illocutoires كالطلب، الوعد والوعيد... إلخ، وغايات تأثيرية Actes Perlocutoires تخصّ ردود فعل المتلقي كالقبول والرفض، ومن ثمة فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى ان يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم، إنجاز شيء ما."[2]

وقد مثلت أفعال الكلام موقفا مضادا للاتجاه الذي كان سائدا بين فلاسفة الوضعية المنطقية LogiqualPositivism الذين كانوا يعتبرون أن للغة وظيفة واحدة، تنحصر في رسم ووصف وقائع العالمState of affaires وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا، حيث أطلق أوستين على هذا المصطلح " المغالطة الوصفيةDescritivefallacy"، باعتبار أن هناك العديد من العبارات المشابهة للعبارات الوظيفية في تركيبها، ولكنها تصف وقائع العالم ولا يمكن أن ينطبق عليها معيار الصدق أو الكذب[3].

ترتب عن هذا الطرح الذي تبناه أوستين بعدا آخر بالنسبة للأقوال اللغوية، تمثل هذا البعد في النشاط الاجتماعي الذي تحمله الصياغات اللغوية المنتجة من طرف الأفراد في إطار التواصل، وهو بعد مهم في نظره بالنسبة لوظائف اللغة، فدورها لا ينحصر– حسبه - في نقل الأخبار ووصف الوقائع وتوصيل المعلومات إلى المتلقي عن طريق علامات صوتية، بل إن هناك أفعالا تنجز في الواقع لتبدّل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرّد التلفظ بها، حيث اعتبر هذا الفيلسوف أن " إحداث التلفّظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث"[4].

وقد عمد أوستين بداية إلى تمييز نوعين من الأقوال، فأطلق على النوع الأول مصطلح "**الأقوال الإنجازيةPerformative location**" "وهو الملفوظ المرهون ببعض شروط النجاح التي تحقق الفعل الذي تسميه"[5]، أي إنجاز ما قيل عن طريق التلفظ، فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجب، وأوامر، ونواه وتعابير خاصة بالوعود والأمنيات والترغيب و الترهيب والتشجيع. بينما أطلق على النوع الثاني مصطلح "**الأقوال التقريرية Constative Location**" وهي الأقوال الخاضعة لمعياري الصدق والكذب، مثل الملفوظ " افتح الباب...." فهذا ملفوظ إما صحيح أو خاطئ.[6]

---

[1]- ينظر عبد الملك مرتاض، نظرية النص الادبي، (م، س)، ص393

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص40.

[3]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص43.

[4]- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص17

[5]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص43

[6]- ينظر المرجع نفسه

وتحقيق الفعل مستقل تماما عن تلفظ الجملة، وبالتالي، يصبح هذا الملفوظ "تقريريا Constative "[1]، غير أن أوستين استخلص لاحقا عدم دقّة هذا التمييز، ومردّ ذلك أن الأقوال التقريرية غالبا ما تعمل هي الأخرى على إنجاز فعل الإخبار، وبالتالي، فإن كل ملفوظ خبري يتضمن فعلا إنجازيا، نقول مثلا:" السماء صافية"، وبما أنّ "أقول" فعل إنجازي، فإنه ينقل الجملة من الخبر إلى الإنجاز، ويتحدد نوع الملفوظ من خلال الفعل الذي يظهر فيه (يعمل فيه) على الشكل التالي:

أ. أفعال إخبارية، مثل قرأ / كتب...

ب. أفعال إنجازية، . مثل: أقبل، أرفض، أقول..

شروط تحقيق الأقوال الإنجازية:

حيث تتناول التداولية الأفعال اللفظية أو الأداء الذي يحصل في مواقف معينة، في حين يتناول النحو كيانات مجردة مثل الجمل. إذن فالتداولية تتعامل مع اللغة على مستوى أكثر ملموسية من النحو و الدلالة.[2]

كما أشار أوستين إلى إمكانية فشل الأقوال الإنجازية وعدم تحققها، مستخدما حيالها معيارا مختلفا عن معيار الصدق والكذب، فهي إما أن تكون موفّقة أو غير موفّقة، وقد وضع شروطا لتحقيق الأقوال الإنجازية، و جعل هذه الشروط قسمين: شروط تكوينية وشروط قياسية.[3]

أولا: الشروط التكوينية: وتتمثل في،

1/ وجود إجراء عرفي Conventinnel procédure مقبول، وله أثر عرفي معيّن.

2/ أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون وفي ظروف معينة.

3/ أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

4/ أن يكون التنفيذ صحيحا.

5/ أن يكون التنفيذ كاملا.

ثانيا: الشروط القياسية: وتكمن في[4]،

1/ أن يكون المشارك في صادقا في أفكاره.

2/ أن يكون المشارك في صادقا في مشاعره.

---

[1]- ينظر المرجع نفسه

[2]- ينظر عادل الثامري، جامعة البصرة، التداولية ظهورها وتطورها، مقال متاح في منتدى إيلاف المغرب، على الموقع: www.elaph.com بتاريخ 2006/04/27، اطلع عليه يوم: 2021/07/25.

[3]- ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (م، س)، ص44.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص44، 45.

3/ أن يكون المشارك في صادقا في نواياه.

4/ أن يلتزم المشارك بما يُلزم به.

وقد اعتبر أوستين الشروط التكوينية مهمة مقارنة بالشروط القياسية، ذلك كونها إذا تحققت كانت فعلا أدائيا موفّقا، وإن لم تتحقق كان ذلك إيذانا ب " إخفاق الأداء"Misfire، وأما بالنسبة للشروط القياسية فهي ليست ضرورية لإنجاز الفعل، بل لإنجازه إنجازا موفّقا غير معيب، أي أنها إن لم تتحقق ينتج جرّاء ذلك "إساءة" أداء الفعل Abuse[1].

و تهدف التداولية كونها نظرية ذات خلفية فكرية وتصوريةإلى مقاربة الخطاب البشري (الإنساني) عموما من خلال عمليات التواصل اللغوي، و الخطاب الأدبي بصفة خاصة، وبوصفها كذلك منهجا ذا خطوات إجرائية تفصح عن خلفيتها النظرية المعرفية، وتعين المشتغلين على تحليل الخطاب على الفهم الدقيق لمقصدية التواصل والتي تندمج فيها مختلف الأبعاد وتتصل، وبالتالي، فالتداولية من هذا الباب تتصل بثلاثة مفاهيم هامةهي مفهوم الفعل ومفهوم السياق ومفهوم الكفاءة.[2]

أولا: مفهوم الفعل: ويقصد منه أن اللغة لا تستعمل لتمثيل العالم فحسب، وإنما تستعمل بالمقابل في إنجاز أفعال، بمعنى: أن الإنسان المتكلم وهو يستعمل اللغة لا ينتج كلمات دالّة على معنى، بل يقوم بفعل و يمارس تأثيرا، وهذا انطلاقا من مناداة رواد المدرسة الفلسفية التحليلية (أوستين – سيرل) بضرورة اعتماد هذا المفهوم الذي رسخه أوستين في محاضراته التي جمعت في كتاب عنوانه: "كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟" (How to do thingswithwords) ليمكّن من نظرية جديرة بالاهتمام في المقاربات التداولية، وهي نظرية " **أفعال الكلام**"[3]كما سبق وذكرنا

و أما أفعال الكلام فيقصد بها: الملفوظات المتحققة فعلا من طرف مستعمل لغة معين وفي موقف معين[4]. دون إغفال الملابسات، التي تكتنف التداولية بمستوياتها الثلاثة، إذ ثمة ثلاث طبقات ذات صبغة تداولية، أولها **تداولية الدرجة الأولى**، وتتجلى من خلال لسانيات التلفظ، أي من خلال النظر إلى اللغة بوصفها فعلا كلاميا ذا طابع فردي، **وتداولية الدرجة الثانية** والتي تهتم بكيفية التعبير، في هذه الحالة يجب أن تتميز القضية التي يجرى عنها التعبير عن الدلالة الحرفية للجملة، كما هو الشأن في المستوى الأول.[5]

---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 44.

[2]- ينظر المرجع السابق، ص 44.

[3]- ينظر المرجع السابق، ص 44.

[4]- ينظر المرجع السابق، ص 44.

[5]- ينظر المرجع السابق، ص 44.

وينظر: محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2004م.

أما **تداولية الدرجة الثالثة**، فتعنى بأفعال الكلام، والتي تعد تكملة لتوجهات المدرسة الوظيفية الغربية، التي حاولت الثورة على النموذج التقليدي المقترح في تفسير عملية التواصل، انطلاقا من عزلة جهاز اللغة عن المعطيات الخارج لغوية.[1]

فقط نقول أن الفعل الكلامي لا يمثل اللغة ولا يعكس العالم التواصلي فحسب، بل هو إنجاز أفعال من خلال اللغة بواسطة ألفاظ تحمل دلالات أفعال ذات تأثير إيحائي على الطرف المخاطَب، ومنه، الفعل الكلامي يمارس أثرا تواصليا على المخاطب فهو لا يعني اللغة بألفاظها وحسب و إنما هو إنجاز، ممارسة وتأثير للمعطى الكلامي.

ويقترح أوستين في إطار نظرية أفعال الكلام نموذجا ثنائي التركيب مكونا من الأفعال الإنجازية (Acte performatifs)، والأفعال التقريرية، أو الواصفة (Actes constatifs)[2]، حيث يتميز النوع الأول باقتران الإنجاز بالتلفظ، فحينما نقول في صيغ العقود مثلا: بعت، زوجت وأعتقت...فإننا نقوم بعمل هو دلالة اللفظ، أي انعقاد الفعل (Acte) أو المضمون بالقول، أما النوع الثاني فهي الأفعال التي تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ ذاته، كأن نقول اقترب موسم الحج مثلا.

يريد أوستين من خلال نظريته هاته أن يوضح الفرق بين الأفعال الإنجازية التي يقترن فيها الفعل بالكلام أي أن المتكلم وهو يتلفظ كلمات فهو بالتالي ينجز أفعالا ويحقق أعمالا تدل على المعنى من التلفظ، أما النوع الثاني المتمثل في الأفعال التقريرية، ففي هذه الحال المتكلم وهو إذ يتكلم في هذه الحال فهو يقرر ويصف عالما آخر تحدده اللغة وتصفه ألفاظ المخاطِب.

أقسام الفعل الإنجازي(عند أوستين وسيرل)

يجعل جون أوستين الأفعال الإنجازية خمسة أقسام[3]:

- الحكمية(Verdictifs)
- التمرسية(Exercitifs) مثل أمَرَ، عيَّنَ، نبَّه...
- التكليف(Commissifs)، مثل أقسم، أتمنى...
- العرضية (Expositifs)، مثل أنكر، أكّد...
- السلوكيات (Comportementaux)، مثل شكر، هنّأ، انتقد...

وأما سيرل فيقدم اثني عشر معيارا محددا خاصا بالأفعال الإنجازية، ليختزلها في الأخير إلى خمسة أصناف هي[1]:

---

[1]- ينظر المرجع نفسه.

[2]- ينظر المرجع نفسه.

[3]- ينظر المرجع نفسه.

وقد اعتُمدت ترجمة سعيد علوش لفرونسواز أرمنغو، المقاربة التداولية، مركز الإنماء القومي، 1986، ص62، 63.

1- التأكيدات: وتجعل المتكلم منخرطا في في صميم القضية المعبر عنها –و إن كان بدرجات متفاوتة ومختلفة، فمثلا التشكي، يعد من التأكيدات بالموازاة مع مصلحة المتكلم.

2- الأوامر: ومدار الإنجاز فيها على استجابة السامع لأمر ما لصالح المتكلم، ويبدأ الأمر بالتلميح به ليصل في النهاية إلى التصريح على وجه الإلزام والاستعلاء.

3- الالتزامات:، وهي عند سيرل، بناء على توجّه أوستين فيها، الأعمال الإنجازية التي تهدف إلى جعل المتكلم ينخرط في أفعال مستقبلية.

4- التصريحات: والإنجاز فهي عبارة عن حالة نفسية وعن مشاعر مختلفة مثل الافعال : شَكَر، هنَّأ واعتَذَر...إلخ

5- الإدلاءات: وهي التي يتجه الإنجاز فيها إلى محاولة التقريب بين مضمون القضية المعبّر بها، وبين الواقع المعبّر عنه لضمان إنجاز أفضل[2].

هذه المنازل الخمسة للفعل الإنجازي سواء عند أوستين أو سيرل ترتبط ارتباطا عضويا بمفهومين آخرين، أو ببعدين محوريين يمثلان إلى جانب مفهوم الفعل، الأطر العامة للمقاربة التداولية التي تحاول تحديد المعنى، لا من منطلق إشكالية العلامة، بل من منطلق العلاقة التي تتأسس في العملية التواصلية بين المشتركين، المفهومان أو البعدان هما: مفهوم السياق ومفهوم الكفاءة اللغوية.[3]

فمفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره كل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.

وأما مفهوم الكفاءة: فيقصد بها إنجاز الفعل للسياق تمشيا مع المعنى الأصلي للكلمة،

فالكفاءة هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، وهذا الإسقاط الذي يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجاته، وبناء عليه تتحدد كفاءتهم التواصلية.

ومن هنا، فأوستين يميز بين ثلاثة مستويات في الملفوظ اللساني، وهي:

– **مستوى التعبير**، ويعود الأمر فيه بالأساس إلى تشكيل سلسلة من الأصوات اللغوية لها انتظام معين وثابت.

– **مستوى الإنجاز**، وله تعلق بالفعل الكلامي، وما يقوم به المتكلم نفسه من أمر واستفهام أو طلب أو غير ذلك.

[1]-نواري سعودي أبو زيد، ي تداولية الخطاب الأدبي، (م، س)، ص31.

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص 31

[3]-ينظر المرجع نفسه، ص 31

- **مستوى الإجابة**، ونقصد به ذلك الأثر الذي يتركه المتكلم بفعله الكلامي، وما يقوم به المتكلم بفعله الكلامي في السامع، في الموقف المعين، وهذا مستوى يخرج عن النطاق اللغوي.[1]

ويجب التأكيد في هذا المقام على أن مفهوم الكفاءة من جهة ومفهوم الاستجابة من جهة أخرى، باعتبارهما المنتهى في استعمال اللغة يرتبطان بأحد أهم المبادئ العملية في التحليل التداولي الذي أرساه فيلسوف اللغةبول غرايس (Paul Graice) وهو مبدأ التعاون القاضي بأن أطراف العملية التواصلية يفترض أن يكونوا متعاونين فيما بينهم لتيسير العملية التواصلية[2]..

فالمخاطب يراعي المخاطَب في كل ما يأتي أو يدع لغويا، نفسيا، اجتماعيا وثقافيا، بل إنه يحاول في ذلك يسخر كل ما يعين على التبليغ من استعمال الإيماءات والإشارات وملامح الوجه، ليجد من المخاطب نفسه تعاونا يتجسد في الإصغاء وقوة التركيز ومحاولة الفهم والانتباه، وغيرها من العوامل المساعدة في التلقي الجيد، وعن المبدأ نفسه برأي غرايس، تتفرع مبادئ ثانوية في المستوى التكويني لكنها مهمة من الناحية العضوية، تسمى مبادئ المحادثة(الكم، الكيف، الأسلوب والمنافسة).[3]

وبالتالي، فالتو افق اللغوي ضروري وأكيد من أجل إنجاح العملية التواصلية وتحقيق هدف التواصل، إذ يجب تضافر الجهد من المخاطب والمتلقي على حد سواء، فالأول يراعي مخاطبه ويستثمر كل ما يعينه في إيصال رسالته متوسلا في ذلك ما أتيح له من طر ائق لغوية وغير لغوية، وعلى المتلقي بذل ما في وسعه من إصغاء و انتباه و تركيز من أجل إنجاح العملية التواصلية.

وبما أنّ التداولية هي بالدرجة الأولى العلم الذي يعنى بدراسة الاستعمال اللغوي، كان من مهامها إذن دراسة الأفعال المنجزة لغويا أي دراسة الأفعال اللغوية الاجتماعية، ومن هنا غدت هذه الدراسة الفرعية للتداولية وأضحى هذا التناول لهذا الجانب منها نظرية تسمى بنظرية الأفعال الكلامية، ثمّ بالنظر إلى غايات الاستعمال اللغوي وأهدافه وغايات الأفعال الكلامية الإنجازية والتأثيرية...[4]

ويمكن القول أن أوستين بهذه الجهود وبهذا الدرس الخصب قد أحاط بكل ما يحيط بالعملية التواصلية من لحظة استعمال اللغة إلى النتيجة، ووصف الظاهرة اللغوية التواصلية، بتأسيسه للسانيات التداولية والأفعال الكلامية، يسعى من خلال ذلك لإقامة صرح تكون التداولية والأفعال الكلامية علما له وهذا الصرح هو الحجاج.[5]

---

[1]-ينظر المرجع نفسه، ص 31

[2]-المرجع نفسه، ص31.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 31.

[4]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص102

[5]-.المرجع نفسه، ص102.

علاقةالحجاج بالتداولية

نستخلص من المبحث السابق أنّ نظرية الأفعال الكلامية تعدّ من أهم محاور التداولية المعاصرة، حيث "إن صاحبها يعطي مكانة كبيرة لدور اللغة وأفعالها الكلامية في صنع الأحداث، ونقل المعنيين من مستوى التلقي إلى مسارح الفعل والتجسيد، وتكتسي هذه الأفعال قيمتها خاصة عندما يكون موجهو الخطاب من ذوي الكفاءات في المحاججة والإبانة."[1]

تهتم نظرية الأفعال الكلامية بعدّها الإجراء الأهم في النظرية التداولية بالعملية التواصلية من خلال عنايتها بالحجاج بعدّه من صميم الأفعال الكلامية، ولعنايته بالمتكلم والمتلقي في الآن ذاته وكونها تعطي أولوية كبرى للغة ودورها في تحقيق الأهداف وتجسيدها من خلال الأثر الذي يحدثه المتلقي.

ولم تقف التداولية عند حدّ الاستعمال اللغوي في التواصل فحسب، بل ربطت التداولية بنظرية الأفعال الكلامية العوامل التبليغية، بمعنى السياق والتركيب، ما دامت اللغة المستعملة ينتج عنهاأفعالا كلامية تؤدي إلى حمل المتلقي على التغيير والتأثير في معتقده وسلوكه، حيث ينبثق من الفعل الكلامي الذي هو جزء من الكلام ضمن التعامل الاجتماعي قوتان: قوّة بلاغية وهي الوظيفة الكامنة في الفعل الكلامي، تتحدد بفحص الفعل ذاته حيث علاقتها بالمعتقدات السائدة في اللحظة ذاتها، مثل: "سيغادر المكان في الحال"، تصنف على أنها نوع من الوعد لو تصورنا أن المتلقي سيسعد لهذا الخبر.[2]

أما القوة الثانية: هي القوة التأثيرية الفعلية خاصة بآثار الفعل الكلامي ونتائجه سواء كانت مقصودة أم غير مقصودة، فالقوة التأثيرية لها قد تكون إسعاد المتلقي أولا تكون.[3]

وتنقسم الأفعال الكلامية بحسب أوستين إلى أنواع وردت في أبحاثالدارسين اللسانيين بتسميات مختلفة، ويميّز أوستين بين الأقوال الخبرية والأفعال الإنشائية، فالأقوال الخبرية هي أخبار تتمثل في وصف الظواهر والمسارات أو الحالات في الكون، ولهذه الأقوال خاصية تتمثل في كونها يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وأما الأقوال الإنشائية فليس لها قيمة الحقيقة إذ نستعملها لصنع شيء ما، إذ لا نقول إن شيئا ما صادق أو كاذب[4].

كما أجرى أوستين تمييزا آخر داخل الأقوال الإنشائية بين الإنشائيات الأولية والإنشائيات الصريحة، حيث يمكننا إنجاز عمل الوعد بطريقتين مختلفتين في العربية كما في اللغتين الفرنسية والانجليزية، مثلا في قولك:

1- سأكون هنا على الساعة الثانية.

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص 183

[2]- ينظر ذهبية حمو الحاج، اللسانيات وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005، ص126.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، (م، س)، ص76.

2- أعدك بأنني سأكون هنا على الساعة الثانية.

فالقول 1 إنشاء أولي، وأما القول 2 الذي يحتوي فعلا إنشائيا (وعد) فهو إنشاء صريح[1]، و من ثمة، "يتبنى أوستين بعد ذلك تمييزا ثلاثيا بين الأعمال اللاقولية وأعمال أثر القول كما يلي: العمل القولي والعمل اللاقولي، وهو عمل ينجز بالقول شيئا ما، وعمل أثر القول: هو عمل ننجزه بفضل ما نقوله جَعَل شخصا ما يعتقد أن شيئا ما هو كذلك إقناعه بالقيام بأمر ما، إغضابه، شدّ أزره."[2]

يرى عباس حشاني أن للغة دورا في إنجاز أعمال، وذلك بإقناع المخاطب، ونتيجة هذا الفعل أو القيام به هو أثر القول، أي مدى تأثر السامع بأقوال المتكلم حتى غيّرت سلوكه ومعتقداته، ويمكن أن نصطلح على أثر القول بأنه ردّة فعل المستمع، وهذه نتيجة بعد عملية المحاجّة، فالمخاطب يحاجج من أجل أن يقنع المخاطَب نتيجة هذه العملية هي أثر القول عند أوستين.[3]

و يتضح الفعل الذي يخدم عملية المحاجّة والحجاج في التقسيم التالي: حيث يطرح أوستين على نفسه سؤالا مفاده: بأي معنى يمكن أن يكون قول شيء إنجازا له تماما؟ وللإجابة عن هذا السؤال، قسّم أوستين الأفعال اللغوية إلى ثلاثة أقسام:

1- القول في حدّ ذاته: أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة ويحمل دلالة معينة.

2- القول الفاعل: أي الفعل الذي ننجزه أثناء القول ونؤكّده بالقوة البلاغية.

3- الفعل التأثيري: ويمكن تسميته نتيجة القول الفاعل وأثره، وهو ما ننجزه في الواقع، أي تحقيق فعل الكلام بالإنجاز، وهذا ما ورد في كتابه: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟"[4].

فالنوع الأول يمثل فعل القول أي القول اللغوي، والنوع الثاني يمثل الفعل المتضمن في القول، ، بينما يمثل النوع الثالث الفعل الناتج عن القول والنوع الثاني هو الفعل الإنجازي الحقيقي، ويعد هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من إنشاء هذه النظرية.[5]

وللتوضيح أكثر، ترى ذهبية حمو الحاج أنّ"الفعل الأول يمثل أيضا الفعل الصوتي، والفعل الثاني يمثل الفعل التحدّثي، أي أن الأصوات لديها أشكال، والفعل الثالث يمثله الفعل الكلامي، بمعنى أن

---

[1]- المرجع نفسه، ص78.

[2]- المرجع السابق، ص80.

[3]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص 104.

[4]- ينظر محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص182، 183.

[5]- المرجع نفسه، ص183.

الكلمات لها معنى."[1] وهذا كله يدل على أن الحجاج نفسه نشاط فكري، والفعل التأثيري فكري إنجازي بمعنى لغوي خاضع لإنتاج القول وذو نظام يخضع للتركيب، بمعنى"أن لكل قول بعد حجاجي."[2]

ويوضح أوستين دلالة الفعل التأثيري من خلال "مفهوم القيمة او القوّة، بمعنى أننا حين ننجز قولا في حدّ ذاته، فإننا بذلك وفي الوقت نفسه ننجز قولا ثانيا ذا طبيعة أخرى من شأنه أن يقوم بالإخبار أو الاستفهام، أو التحذير، أو التهديد، كما أن هذا الفعل التأثيري يعرف من خلال مفهوم الأثر أو التأثير في مشاعر المتلقين وأفكارهم وتصرفاتهم."[3]

حيث تكمن قيمة الفعل الكلامي و قوته التأثيرية كونه يولّد قولا ثانيا يمكن أن يكون ذا دلالة إخبارية أو استفهامية، أو يفهم من خلاله التحذير أو الوعد أو الوعيد أو غير ذلك حيث نشتشفّ كل ذلك من خلال آثار نلمسها على المتلقين ومشاعرهم تترجمها أفعالهم وتصرفاتهم.

إن الفعل التأثيري وما قدمته نظرية الأفعال الكلامية بوصف الحجاج كنمط له آليات من القول ذاته والإنجاز أو الأداء ثم التأثير، وهي عملية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تُعرف دلالتها المرجعية إلا من السياق.[4]

إذ للسياق دور أساس في تحديد الدلالات المرجعية التي تتناول الأدوات اللغوية التي يتناولها الحجاج بوصفه آلية ضرورية يتبنى من خلالها الأداء والتأثير، الأول من جانب المخاطب، والثاني ما يعكسه رد فعل المتلقي.

كما ترتبط نظرية الفعل الكلامي بالسياق" لأنه لا توجد فائدة من الحديث عن ضروب إنجاز أفعال خارجا عن السياق المحدد تحديدا اجتماعيا ولغويا، أي السياق الذي يكون فيه المخاطب حاضرا، ويحدث تغييرا -أيا كان نوع هذا التغيير- فعلى المخاطب طبقا لأغراضه ومقاصده التي عليه أن يؤسس لها البناء الحجاجي اللازم، ومن أبرز المرامي و الأهداف التداولية للفعل الكلامي هو أن "نجاح الخطاب تداوليا مرهون بسياقه المنجز له."[5]

خصائص الفعل الكلامي وشروطه

للفعل الكلامي خصائص وشروط، فمن خصائصه أنه فعل دالّ، "أي الفعل الكلامي هو فعل إنجازي، بمعنى أنه ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات، كما أنه فعل تأثيري، أي يترك آثارا معينة

[1]- ينظر ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، (م، س)، ص127.
[2]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص104.
[3]- محمد سالم محمد الأمين محمد الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص183.
[4]- ينظر ذهبية حمو الحاج، تداولية الخطاب ولسانيات التلفظ، (م، س) ص128
[5]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية، (م، س)، ص 186 و 183.

في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا، ويقوم بكل فعل كلامي على مفهوم القصدية، وتقوم مسلمة القصدية على أسس تداولية"، قد وضعها سيرل.[1]

وأما شروطه وتخص العمل اللاقولي ليكون محققا وناجحا، ، فمن شروطه:[2]

1/ الشروط التمهيدية: إذ إن الشخص الذي ينجز العمل يجب أن يكون له الحقّ أو السلطة للقيام به.

2/ شروط النزاهة: إذا كان الشخص الذي ينجز العمل لايقوم به بشكل نزيه، فإن عمله اللاقولي لا يصبح لاغيا ولكنّه يكون مسؤولا حقّا عمّا يدعوه أوستين بسوء الاستخدام، ويضرب مثلا بذلك: إذا شكر الشخص "س" الشخصَ "ص" من أجل هدية أهداه إيّاها، أو خدمة صنعها له، فيجب على الشخص "س" أن يكون نزيها ويبيّن امتنانه ل "ص"، وأن يكون مقدّرا لحركته النبيلة تجاهه.

3/ الشروط الجوهرية: الشخص الذي ينجز العمل مربوط من جهة القوة اللاقولية لملفوظه ببعض العقائد أو المقاصد.[3]

وعدم احترام إحدى هذه المجموعات من الشروط يجعل الملفوظ خائبا بشكل خاص، وقد أثارت نظرية أفعال الكلام مع أوستين انتباه الدارسين إلى وجود طبقة من الأفعال التي لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة اللغة، فاللغة هي الأداة الوحيدة التي تمكن الكائن من إنجاز هذه الأفعال.[4]

الأفعال الكلامية ذات علاقة كبيرة بالوظائف النفسية والاجتماعية خارج الخطاب المرسل، وبرغم إسهاماتها في البحث اللغوي التداولي، فقد قوبلت بأصوات نقدية تعارض أوستين حول نفاذية فعل الكلام، من طرف ألان بيروندونييهA. Berrenedonnies الذي يرى أن الفعل الإنجازي يستخدم لإحلال الكلام محلّ الفعل المادي، فعندما أقول مثلا –حسبه طبعا – أعطيت نسختي من الكتاب لفلان، فإنني أكون قد استبدلت حركة الإعطاء بصيغة كلامية تعادل تلك الحركة، وقد تَمَثَّل نقده في كتاب له سماه "مبادئ في البراغماتية". وقد نقد فيه كتاب أوستين "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" في عنوان: "حينما نقول فنحن لا نفعل شيئا."[5]

ولم يحاول أحد من المنظرين تطوير نظرية الأفعال الكلامية " فظلت تراوح مكانها ولم تتقدّم خطوة واحدة (...) وسيلاحظ القارئ غموض تقسيم أفعال اللغة."[6]

---

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص44

[2]- ينظر صابر الحباشة، التداولية والحجاج، (م، س)، ص84، 85.

[3]-المرجع السابق، ص84.

[4]- ينظر عبد الواسع الحميري، ما الخطاب، وكيف نحلله؟، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (مجد)، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص41.

[5]- ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص182، 187، 188.

[6]- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الادبي، (م، س)، ص405.

الملاحظ رغم النقد الذي تعرض له أوستين من خلال تنظيراته حول أفعال الكلام و حول ما أورده في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" بخصوص هذه النظرية إلا أنه لم يحاول أي دارس أو باحث تطوير النظرية أو تقديم إضافات عليها بل ظلت كما هي وظلت تقسيمات أفعال اللغة يعتريها الغموض ويكتنفها الكثير من اللبس إلى حدّ الآن .

ولكي يكون فعل الكلام ناجحا يجب أن يتدخل المتحدث ليجعل المتلقي على علم بنيته في تأديةفعل معين[1]. فالفعل الكلامي يعني "التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"[2].

وتبرز الطاقة الحجاجية للأفعال الكلامية من هذا المنظور، أنها لا تستمدّ فاعليتها إلا من الشروط الاجتماعية لإنتاج وإعادة المعرفة باللسان السائد في منطقة السلطة والمعترف به داخل المؤسسة الاجتماعية.[3]

فمن هنا، ترتبط القدرة الحجاجية ارتباطا وثيقا بالأفعال الكلامية وتستمد منها تأثيرها وفعاليتها من خلال الثقافة والأنساق المعرفية المشتركة والمتداولة داخل السلطة الاجتماعية أو الدائرة المؤسساتية التي يتفق جميع أطرافها في إنشاء المعرفة وتشاركها داخل الوسط الاجتماعي.

لعبت اللسانيات التداولية بنشاطها الشامل دورا لا يستهان به في تطوير الخطاب الحجاجي والإحاطة به، ومن ثمة، إثرائه وفتحه على كثير من المجالات والحقول و الأصعدة من خلال نظرية الأفعال الكلامية[4].

وتعنى التداولية بعدة جوانب في الخطاب "إذ يمكن تصنيف هذه الجوانب إلى ثلاثة مسارات، يتضمن كل منها عدد من الدراسات بتطوراتها المتلاحقة كالأفعال الكلامية، والقصد أو المعنى المتداول، والإشاريات، ولا يتمّ تحديد هذه الجوانب بدقّةإلا في الخطاب المستعمل"[5]

لقد أصبح للتداولية منهج تدرس من خلاله الخطابات، فهي درس غزير و جدير بالبحث، فهي قاعدة اللسانيات، كما يرى عديد الباحثين، و منهجا وحلا لبعض المشكلات التي تتعلق بالمرسل والمرسل إليه.[6]

تعدّ التداولية اليوم علما له أسسه ومعاييره، فهي منهج قائم بذاته يتناول مختلف القضايا التي استعصى على الحقول اللسانية بحثها ومناقشتها، كما تتناول التداولية بالدرجة الأولى كل ما يتعلّق بأطراف الدائرة التواصلية وعناصر الخطاب من مخاطب ومتلق وموقف ومقام وشروط سياقية.

---

[1]- ذهبية حمو الحاج، تداولية الخطاب ولسانيات التلفظ، (م، س)، ص128

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، (م، س)، ص190.

[3]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص191.

[4]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص106.

[5]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (م، س)، ص24.

[6]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص107.

فالمرسل يبحث عن الطريقة المثلى "لينتج خطابا يؤثر في المرسل إليه، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل، كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ، وهذا يكون عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفقا لعناصر السياق.[1]

ومن هنا، تشترك البلاغة " مع ما تتناوله اللسانيات التداولية الحديثة وتحمل كثيرا من القيم التداولية في دراسة اللغة، مثل، تداولية المتكلم، تداولية الخطاب، وتداولية المخاطب."[2]

الأوجه التداولية لعناصر الموقف الكلامي:

للوقوف على تداولية عناصر الموقف الكلامي يطرح السؤال: ماهي الأوجه التداولية لعناصر الخطاب، وكيف يتم بلوغ المقصد وتحقيق الهدف المرجو من خلال تلاحم هذه العناصر؟

1/ تداولية المتكلم

قد تعددت الدراسات التي تهتم بتداولية المتكلم–أي المخاطب– من طريقة الأداء إلى طريقة الإلقاء، لأنه ذو دور بارز في عملية الخطاب، والدرس العربي لم يغفل العناصر التي تشارك في العملية التواصلية ومنها المتكلم وما يشترط أن يتصف به، ومدى علمه بأشكال الخطاب والسامع ليجعل الخطاب بما يناسب كلّ سامع.[3]

فوجه التداولية في المتكلم يكمن في أنه هو الذي ينتج الكلام يفتعله ليقصد به شيئا ما يهدف إلى تحقيق نتيجة أو نتائج معينة، وبالنظر إلى المتكلم وأنواعه: واصفا كان أوحاكيا، أوغير ذلك، وإلى قصده وأهدافه، نجد أن كل هذه أوجه تداولية تنبثق من تداولية المتكلم نفسه.[4]

ففعل الكلام والقصد هي مفاهيم تداولية مرتبطة بإحداث الكلام حقا في الواقع، ولا يعدّ المتكلم متكلّما إلا بهذه العناصر، و"الواقع أن ما يذكر بشأن المتكلم لا يستقيم إلا بدور السامع، حتى إن ما يرتبط بقصد المتكلم يفترض وجود سامع مقصود بالخطاب، ولذلك فالحديث عن المتكلم هو حديث ضمني عن السامع أيضا."[5]

---

[1]- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (م، س)، ص24.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس اللغوي القديم، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص162.

[3]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص107.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص108.

[5]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، 167.

من هنا، يتضح جليا أنّ للسامع دورا في توجيه الخطاب، فعلى المتكلم مراعاة كلّ ما يحيط بالسامع ثم مخاطبته للتأثير فيه وتحقيق الهدف، ويمكن عدّ المتكلّم سامعا لحظة إنتاجه ولحظة إرساله، والمتكلّم كالسامع لأن "المتكلم هو السامع الأول لكلامه، يسمعه حين إرساله وتبليغه للغير."[1]

فالمرسل أوالمخاطب أو المتكلم مهما كان دوره في العملية التواصلية مخول لأن يسعى لتوصيل هدفه من الخطاب فهو المتلقي الأول كما أنه السامع الأول لخطابه أو كلامه من لحظة إنتاجه له وقبل إيصاله لمستقبله، وبالتالي عليه الحرص والتأكيد على تحقيق الغاية من خطابه، وذلك بمراعاةالمخاطب و أهم السياقات المحيطة به.

2/تداولية المخاطَب

وأما تداولية السامع أو المخاطَب فهي بقدر وأهمية تداولية المتكلم من الدراسة، والحديث عنه أيضا يتضمن الحديث عن المتكلم والخطاب، فالمتكلم هو الذي ينتج الخطاب - كما نعلم – والسامع يوجّه له الخطاب، فهو بالتالي عنصر أساس في إنتاج الخطاب، لأن المتكلم حين يريد إبلاغه شيئا فإنه يراعي حاله كما يراعي مقامه.[2]

وبالتالي، تبرز فعالية السامع في "العملية الإبلاغية التواصلية، لأن الخطاب ينتج من أجله، بل ‘ن الخطاب في ذلك يكون في أغلب الحالات حسب ما يريده السامع لا المتكلم، وتلك هي سمة اللسانيات التداولية الحديثة التي تتقاطع فيها البلاغة العربية".[3]

ويتعلق فهم السامع بدرجة كبيرة بوضوح الكلام – الخطاب – بدرجة كبيرة على ما هو ومستعمل ومتداول في اللسان.[4]

3/ تداولية الخطاب.

و أما تداولية الخطاب الذي يرتبط بالاستعمال والتداول، فاستعمال الخطاب من أجل أن يكون هادفا، مقنعا، محققا لأهداف المتكلم، باعتبار مقصده، وحالة السامع مما يحقق ويوضح لنا معرفة نوع الخطاب وأقطابه.[5]

ووجه التداولية في الخطاب أنها تمثل علم الاستعمال اللغوي في شكله التواصلي، وتكمن فعالية الخطاب ونجاعته في استعماله لأنه نسيج من اللغة المنجزة بمعنى الخطاب المستعمل في إطاره التواصلي،

---

[1]- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط7، 2004، ص108.

[2]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص108.

[3]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، 167،

[4]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص108.

[5]- المرجع نفسه، ص108.

ومن المعلوم أن الدراسات التداولية تدرس هذا الإنجاز اللغوي في التواصل، بمعنى الخطاب، ومن هنا تبرز علاقة الخطاب بالتداولية، لأن مفاهيمها ومبادئها ونظرياتها لا تظهر إلا في الخطاب وأنواعه بتحليله واكتشاف بنياته وأنواعه.[1]

ولعناصر الخطاب في حقل اللغويات علاقة أكيدة بالتداولية الحديثة، كما أن اللسانيات التداولية تحكمها ثلاثة عناصر تداولية هي: المتكلّم، السامع والخطاب.

1- **المتكلم**: وتلزمه القدرة الخطابية، الإنتاج و الخطاب، كما تلزمه قدرة وكفاءة لغوية لتوظيف قواعد اللغة.

2- **السامع**: وتلزمه القدرة الخطابية التفكيكية لاستقبال الخطاب وتفكيك رموزه وشفراته لبلوغ مرمى المتكلم من إنتاج هذا الخطاب.

3- **الخطاب**: وتلزمه شروط نفعية لأن غرض الخطاب هو التواصل، بمعنى يشترط فيه القدرة التواصلية، والتي تتحقق بمدى تداولية هذا الخطاب واستعماله.وكل عنصر من هذه العناصر يقتضي الآخر ويتطلبه، وبهدا تتقاطع اللسانيات التداولية ونظرية التواصل لتكون هذه الأخيرة نتيجة للأولى وسببا لنشئتها.[2]

ويكمن وجه التلاقي في أنّ نظرية التواصل تم تحديدها " باعتبارها مبحثا تأمليا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين يهدف إلى غايات تواصلية."[3] والهدف من نظرية التواصل هو غاية الدراسة التداولية. "ويقتضي هذا التعريف أطرافا مكوّنة تؤثر في سيرورة تواصلية تبدأ من السنن المشترك بين المتكلمين إلى قناة الاتصال وإبلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية وقطبي التواصل المحوريين: المرسل والمتلقي."[4]

فالمرسل هو مصدر إنتاج الرسالة، إذ يعدّ " العقل الإنساني للغة المنطوقة والمكتوبة، والكلام الإنساني بالنسبة للهاتف أو الإذاعة، ويمكننا أن ندرج تحت مصطلح المتلقي كل آليات تلقي الرسالة وكذا المرسل إليه الذي يتلقّى الرسالة."[5]

تشترك نظرية التواصل بهذه المفاهيم مع اللسانيات التداولية فيما تتناوله مثل المتكلم، السامع، القصد والهدف، كما أن التداولية بكل تقاطعاتها مع النظريات الأخرى (نظرية أفعال الكلام، والنظرية

---

[1]- المرجع نفسه ص108.

[2]- المرجع السابق، ص 109.

[3]- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2003، ص24.

[4]- المرجع نفسه، ص24.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص25، 26.

التواصلية) والعلوم قد شيّدت وبنت نظرية أخرى تعرف بنظرية الحجاج والتي وسمت بأنها الأكثر شمولية واتساعا.[1]

مبادئ التداولية عند العلماء العرب:

إن في تراثنا اللغوي العربي ما يؤكد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية، وذلك من خلال إشارات كثيرة وردت هنا وهناك مبثوثة في بطون الكتب وثناياها[2]، ولا أدلَّ على ذلك ما نجده في كتب البلاغيين القدامى كالجاحظ، والجرجاني، والسكاكي...وغيرهم، فالجاحظ مثلا، تحدث عن المتلقي، ثم دعا إلى ضرورة الاهتمام به من خلال النظر إلى ظروفه ووضعيته في المقام التخاطبي.[3]

وإذا طبقنا هذا المعنى على اللغة العربية، فإن المقاصد والمعاني والإفادات التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه: كمعاني الأساليب العربية المختلفة، خبرية كنت أم إنشائية، ودلالات حروف المعاني، ودلالات الخوالف وأصناف أخرى من الصيغ والأساليب العربية... هي التي تمثل نظرية الافعال الكلامية في التراث العربي وتجيب عن السؤال المتعلق بإمكانية وجدوى تطبيق هذا المفهوم التداولي المعاصر على التراث اللغوي العربي.ولذلك، يصحّ أن تعدّ تلك المعاني والمقاصد التواصلية " أفعالا كلامية " في منظور عدد من الباحثين والدارسين.[4]

فاللغة ليست مجرّد دلالات ومضامين لغوية، وإنما هي فوق ذلك، " إنجازات وأغراض تواصلية " ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، والتأثير في المخاطَب: بحمله على فعل أو تركه، أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم للمخاطَب، أو وعيده، أو سؤاله واستخباره عن شيء، أو إبرام عقد من العقود، أو فسخه، أو مجرّد الإفصاح عن حالة نفسية معينة... إلخ.[5]

فمن منظور " نظرية الفعل الكلامي "لا تكون اللغة مجرّد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه وتحقيق التغير والتأثير فيه.

إن التداولية بحكم أنها توجه لساني تعد تطويرا للوظيفية ومحاولة لسد النقص الذي يشوب التيارات اللسانية، ومن باب الإنصاف نسجل قيمة ما قدمه رواد التداولية باختلاف توجهاتها وأهدافها في دراسة الخطاب بصفة عامة، وخصوصا ما حمله كتاب دومينيك مونغونو Dominique Maingueneau" تداولية من أجل الخطاب الأدبي"، من تسطير تداولية لها بعض الخصوصيات تتماشى وخصوصيات

[1]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص109.
[2]- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، (م، س)، ص10.
[3]- المرجع نفسه، ص10
[4]- المرجع نفسه، ص10.
[5]- ينظر المرجع السابق، ص11.

الخطاب الأدبي وتجدر الإشارة إلى أن معظم المبادئ التداولية الحديثة موجودة في تراثنا العربي وإن كانت بمصطلحات مختلفة و ربما غير مضبوطة، وذلك منذ بدايات الدرس اللغوي مع سيبويه وصولا إلى رجال اللغة و البلاغيين المحدثيين.[1]

امتدادات التداولية في الفكر اللغوي العربي القديم:

إن ما ذهب إليه أوستين من خلال نظرية أفعال الكلام منثور في ثنايا التراث العربي كمنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنّي في بابه أثر اللفظ، والصاحبي لابن فارس، وكذلك ما وصل إليه البحث الأصولي متمثلا في كتابات ابن القيم وابن خلدون، ويبرز من كل هذا أن العلوم والنظريات التي تقاطعت مع اللسانيات التداولية والتي من أهمها: نظرية الأفعال الكلامية وخاصة الفعل التأثيري ونظرية التواصل والبلاغة... كلها تقاطعات ساهمت من قريب أو من بعيد في وصف وبلورة ظاهرة لغوية أخرى تعرف بظاهرة الحجاج.[2]

وقد وصلت البلاغة العربية مبلغا هاما في مباحث الحجاج والتداولية وأفعال الكلام ونظرية التواصل، إذ يجد الباحث أو الدارس في هذا الحقل تقاطعات بين هذه المباحث والبلاغة العربية هي جلّ ما وقع عليه الدارسون من مباحث في الدرس العربي عند الجاحظ والسكاكي وغيرهما وعند الباحثين الأصوليين، مما يثبت وجود بعض المفاهيم التداولية الحديثة كفكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية، كما نلمس أيضا تقاطع المفاهيم التداولية مع المقولة السائدة في البلاغة العربية "لكل مقام مقام"، ولم يغفل الدرس البلاغي العربي عناصر العملية التواصلية ومكوناتها: من مخاطِب ومخاطَب وخطاب، وقصد و هدف و... وشروط كل عنصر من هذه العناصر.[3]

ومن هنا عدت التداولية بما تتتبناه من مباحث حقلا حداثيا يتضمن بين ثناياه دروسا و مفاهيم هي من صميم الدرس اللغوي في تراثنا العربي، إذ تشترك الدراسة التداولية مع البلاغة العربية في عدة محاور اهتم بها اللغويون العرب اهتماما كبيرا.

الأفق التداولي عند سيبويه:

نلاحظ أنه إذا كانت الانطلاقة من مبدأ القصدية الذي يعد الكشف عنه غاية الأدوات الإجرائية لوجدنا أثره واضحا عند سيبويه سنحاول في هذا المقام الاكتفاء بالإشارة إلى بعض المواضع فحسب كون الاستغراق في تعدادها يستغرق وقتا، ففي معرض حديثه عن الأفعال التي تقتضي مفعولين، يكشف عن أن التأليف النحوي، أو ما كنا رأيناه عند الغربيين يقع تحت تسمية تداولية الدرجة الأولى، أو مستوى

[1]- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، المبادئ والإجراء، (م، س)، ص33.
[2]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، (م، س)، ص110.
[3]- ينظر المرجع السابق، ص109.

التعبير يخضع في المقام الأول لمراد المتكلم، فأصل " ظننت " عند سيبويه[1] مثلا، " أن يتعدى إلى مفعولين صريحين، مثل ظننت الجو جميلا، أو غير صريحين يتقمصان صورة الجملة المصدرية نحو قوله تعالى:" **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** "[2]

وذلك متى كان قصد المتكلم ومراده أن يبيّن ما وقر عنده من حال المفعول الأول يقينا كان أو شكا، فذكر الأول كما في المعمولين الصريحين ليضيف إليه ما استقرّ عنده من هو..."[3] مما يعني أن الدلالات اللغوية وهي نتيجة التأليف فعل إرادي، وليست حقا لصيقا باللغة في أصل تصورها."[4]، **فالمعاني المختلفة رهينة الإنشاء الفردي الخاص و الخالص، وتختلف باختلاف منشئيها، و تنوع مخاطبيهم، كما تتنوع بتنوع المو اقف والمقامات التواصلية.**

التداولية عند الجرجاني:

وتترسخ هذه الفكرة أكثر، لتأخذ بعدا نظريا بشكل بارز ضمن النظم عند الجرجاني، في إلحاقه الألفاظ بالمعاني، وربطهما بمقاصد المستعملين، وعند حديثه عن ذكر المفعول وحذفه، العائدين رأسا إلى مراد المتكلم، قال: " فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين... (نظير) ... فلان يحل ويعقد."[5]

ومرة أخرى نجده يذكر القصدية عند المتكلم تحت تسمية (معاني النفس)[6] ويربطها بغرض المتكلم، الذي له الدور في التنضيد والرصف، فقد يوجب تقديما أو تأخيرا، أو حذفا أو ذكرا، أو وصلا أو فصلا... أم لا يعقل إلا إن صلحت ههنا – أي الألفاظ – لأن معناها كذا، ولدلالتها على كذا، ولأن معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا"[7].

ومن ناحية أخرى، فالقصدية ترتبط بالمخاطب أو المستمع، لا بوصفه طرفا أساسيا منتجا، بل لكونه طرفا معتبَرا في العملية التواصلية، لأننا إذ نتكلم لا ننظر إلى الآخرين بعدّهم طرفا مستهلكا سلبيا، بل طرفا فاعلا، كما أننا إذ نفعل ذلك فإنما نتكلم عبرهم ومن خلالهم، بغضّ النظر عن التكلم بوصفه عملية إصدار أصوات، بل باعتباره إنتاجا للدلالة، التي وإن تخلّقت في بدايتها الأولى في حضن المتكلم، فإنه علينا أن نعتدّ من جهة الفعل بأنها أي الدلالة تثبت في تربة التحقق والعلن عن طريق السامع، لذلك يجب مراعاته في ارتباطه بالقصد دائما، وهو ما أشار إليه سيبويه في باب الإخبار عن النكرة بالنكرة، باعتبار

---

[1]- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408، 1988، ص40.

[2]- سورة البقرة الآية 249.

[3]-المرجع السابق، ص40.

[4]- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص110، 111.

[5]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تص وتع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402، 1982، ص118، 119

[6]- المرجع نفسه، ص40.

[7]- ينظر المرجع نفسه، ص42.

حال المخاطب، حيث قال: "وإنما حسن الإخبار ههنا (يقصد في عبارة : ماكان أحد مثلك) عن النكرة، حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء فوقه، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعمله مثل هذا... ولو قلت: كان رجل ذاهبا، فليس في هذا شيء كان جهِله."[1]

النّظرية التداولية و أبعاد الفكر التداولي عند الجاحظ:

والأمر نفسه، ولكن في مجال البلاغة حيث نجده عند الجاحظ كتبنٍّ لما نقله أبو الأشعث عن الهنود، جاعلا من شروط التواصل الناجح أن يراعي المتكلم مخاطبه، فلا " فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة..."[2]

كما استند الجاحظ في هذا السياق على ما قاله بشر بن المعتمر الذي عدت صحيفته وثيقة مشهورة ومعتمدة في البلاغة لكل من جاء بعده، يقول بشر فيما ينقله عنه الجاحظ في البيان والتبيين:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار السامعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما..." [3]

فليس من المعقول أن ينشئ المتكلم كلاما يفوق مستوى المخاطبين أو ينزل عن أقدراهم، فالناس طبقات ومنازل، والكلام مستويات، كما ينبغي مراعاة الأحوال والمقامات، فالكلام الموجه الى السادة لا يوجه إلى السوقة أوالعامة.

و الخطاب الموجه إلى المثقف لا يمكن أن نخاطب به من هو دونه مستوى، وخطاب الكبار يختلف عن خطاب الصغار وهكذا، هذا بالنسبة للمنازل والطبقات، والأمر نفسه بالنسبة للحالات فعلى المتكلم أن يراعي حالات سامعيه وأن يوازن بين أقدار مخاطبيه وحالاتهم المختلفة، وقد تختلف الحالات في السامع الواحد أي السامع عينه، إذ أن خطابا واحدا موجها لسامع معين لا يمكن أن يتقبله السامع نفسهوهوفي حالة أخرى أو موقف آخر.

فلا جدوى أبدا أن يعمد الكاتب إلى ألفاظه ينتقيها انتقاء يختار منها ما ينظمه على ما يقتضيه مقصده ومبتغاه في الكلام، ثم لا يقيم مع ذلك وزنا للسامع، من حيث مقدرته على الفهم، أو مخالطته لفنون القول وأضرب الكلام، وهذا ما يكون من المعايب التي يقع فيها المنشئ، ولا سيما في مجال الخلق الأدبي، إذ لابد أن ينتقي المتكلم من اللغة - عدّة التواصل وذخيرته –ما كان من الألفاظ سهلا معتادا متداولا متجنبا الحوشي منها ومعقد التأليف، وهو ما أكّد عليه الجاحظ والجرجاني ونصا عليه صراحة.[4]

---

[1]- سيبويه، الكتاب، (م.س)، ص54.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، تقديم وتبويب وشرح علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ج1، ص95.

[3]- المرجع نفسه، ص131.

[4]- ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، ص16، والجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45و46

فعلى الأديب أن يأخذ من اللغة من الألفاظ مألوفها ومعتادها في التواصل وأقربها إلى الفهم ويتجنب التعقيد ما استطاع لأن الهدف الأول والأخير هو إنجاح عملية التواصل، ولن يتأتّى ذلك بالتعقيد والإبهام وتشوه الفهم، ومادام الأديب يتحرى سهولة المعاني ويسر الألفاظ فإنه يباغ هدفه ويحقق غايته.

ومن أهم الجوانب الواجب مراعاتها في التحليل التداولي، الجانب غير اللغوي في التخاطب، ويكادالجاحظ أن يحوز الريادة في الإشارة إليه، حينما تحدث عن مختلف الوسائط التعبيرية، لغوية كانت أو غير لغوية في أداء دور الإفهام، والتعبير عن المعنى المراد إيصاله، وقد فرق الجاحظ بين الخطاب اللغوي والخطاب غير اللغوي اللذين يحملان كلاهما دلالة معينة.[1]

إن الإختلاف الذي يبقى بين الجاحظ والسيميولوجيا إنما يتجلى في أمرين: الأول هو الوعي بالموضوع، فالجاحظ عند تصنيفه لأنواع البيان لم يكن واعيا بأنه كان يبحث في علم لم تتوضح معالمه إلا في القرن العشرين، بل إن حديثه عن عناصر البيان التي حددها في خمسة عناصر لم يحدث إلا في مستوى تأمله للعالم حيث قسمه إلى عالم نامٍ وآخر غير نامٍ، ويشتركان في البيان، وهو تأمل فلسفي – ديني أكثر مما هو تأمل سيميائي – علمي واعٍ بموضوعه، وهذا هو الاختلاف الثاني[2]

وقد أرجع بيان الدلالة إلى خمسة أنماط، فقال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم الَعْقد، ثم الخط، ثم الحال، وتسمى نُصْبَة، فالألفاظ هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خَاصِّها وعَامِّها، وعن طبقاتها في السَّارِّ والضَّارِّ، وعما يكون منها لغوًا بهرجًا وساقطًا مُطَّرَحًا."[3]

فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، ... والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط (....)، فأما الخط، فما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه :﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ الآية 4 سورة العلق، وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال :﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ الآية 1 سورة القلم ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين[4].

وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به، قول الله عز و جل :﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم ﴾الآية 96 سورة الأنعام، وقال جل وتقدس :﴿ الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَان، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،

[1]- ينظر، كريم مرشدي، الرؤية البيانية عند الجاحظ، ديوان العرب، متاح على الموقع: https://www.diwanalarab.com

[2]- المرجع السابق، الموقع نفسه.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، (م، س)، ص 83.

[4]- المرجع نفسه، ص83

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ الآية (1 – 5) سورة الرحمن، وقال تبارك وتعالى :﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾الآية 5 سورة يونس: وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ الآية 12 سورة الإسراء: والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا؛ لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب في الآخرة[1]....

وأما النُّصْبَة، فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة, والعجماء معربة من جهة البرهان."[2]

فالنصبة تختلف عن الدلالات الأخرى لكونها علامة لغوية خاصة، فهي لا تتشكل من دال ومدلول، بل هي مدلول فحسب، وهي المعاني اللامحدودة، إنها الوجود كله بكل ما فيه من كائنات ناطقة وصامتة، نامية وجامدة.

إنها الكون بأكمله وما يحوي من خلائق وجمادات، ومن هنا وبهذا الامتداد، تتحول النصبة من وظيفتها الدلاليةفي التعبير إلى وظيفة ميتافيزيقية [3]، حيث إنهاالسماوات والأرض والجبال والبحار، وهي كل ظاهر أو خفي، وهي الأرواح الخفية، وهي الأبدان قبل أن تنفق فيها الأرواح، وهي أيضا الخلق الذي لم يخلقه الله سدى، قال تعالى: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر، ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم" الآية27 سورة لقمان، وفي هذا الموضع ليس يريد بهذا القول والكلام المؤلف من الحروف وإنما يريد بها النعم والأعاجيب والصفات وما أشبه ذلك من بدائع الخلق وتدابير الكون و أقدار الكائنات."[4]

ومن أضرب الإشارة - كما يرى الجاحظ – " الإشارة باليد والرأس وبالحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السوط والسيف، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا ورادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا."[5] إن الإشارة إذا، من أدوات البيان التي يستعين بها المتكلم لزيادة الدلالة على معنى قد يقصر عنه الكلام، أو تغني هي عنه، من تمام دلالاتها أو كمالها في التعبير عما قد يعبر به عنه، مع

---

[1]- المرجع السابق، ص85

[2]- المرجع نفسه، ص 85.

و ينظر أيضا: إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 33-34

[3]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية، البلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية، 1983، ص78.

[4]- المرجع نفسه، ص78.

[5]- الجاحظ، البيان والتبيين، (م، س)، ص 83، 84.

قصور محقق أو محتمل، يقول الجاحظ:" وما أكثر ما تنوب (الإشارة) عن اللفظ وما تغني عن الخط ... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير و معونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض ... وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام البيان باللسان...".[1]

وأما النوع الثاني من أنواع دور الكلام في الدلالة على المقصود، إيضاح المستور في النفس، وله اعتبار في النظر إلى الخطاب على أنه شبكة موسعة من الدلائل، فما أسماه الجاحظ بالنصبة[2]، وهي الحال المفصحة عن نفسها من غير واسطة اللفظ، والتي تشير إلى ذاتها بلا يدٍ، والدلالة هنا قائمة من وجهة الربط بينهما وبين الحال أو النصبة، ونظير هذا ما بثّه الله عز وجل من آيات شاهدة على وجوده وقدرته ونحو من ذلك، وهذا المفهوم ألصق بواحد من أقسام العلامة في اعتبار السيميولوجيا الغربية، والمسمى "الرمز"، الموصل إلى كل ما له قابلية لأن يعرفه الإنسان ويدركه العقل البشري، وهو قائم على التوافق القياسي، أو التداعي الطبيعي للأفكار، على أن يكون الطرف الأول في الرمز (الدال) قائما في عالم الأعيان، والطرف الثاني (المدلول) من جملة عالم المجرّدات.[3]

ومن خلال كلام الجاحظ، ندرك أنه كان عالما بشتى جوانب العملية التخاطبية، بما في ذلك الإشارة والنصبة، التي قد تضم تنوعات شتى لما يكون التعبير به عن طريق الربط بين ما يبدو، "الدال أو الرمز" القائم في عالم الموجودات، وبين ما لا يبدو، المدلول المجرّد.

الأبعاد التداولية عند ابن جنّي:

يعدّ ابن جني من اللغويين الذين سجلوا أبعاد التخاطب بعد الجاحظ، فهو يذكر ذلك في مساق بيان ما قد يحسن الحذف فيه، فلقد أشار إلى أنه تحذف الصفة في مثل " سِير عليه ليلٌ" والقصد إلى صفة الامتداد الزمني والطول، لقيام مراد المتكلم في مثل هذالمقام أو الحال، يقصد بمقام الصفة، ما قاله ابن جني: " وذلك أن تحس في كلام القائل من التطويح والتفخيم والتعظيم فيما يقوله، كقوله طويل أو نحو ذلك"[4].

أو قد تقوم طريقة الأداء الصوتي في التعبير وحدها في بيان المقصد والغاية، مقام الكلام التام، فالصفة المحذوفة في " كان، واللهِ رجلاً "، غامضة، وغموضها الدلالي نابع من انفتاح البنية على محتمل ثنائي ضدي: المدح أو الذم، لكن ابن جني يرى أن أداء لفظ الجلالة (الله) بزيادة مطله ومدّه أكثر مما يستحق، أو مما تتطلب قيمته الصوتية، يؤدي دور الإفصاح عن معنى المدح، فكأنما قلت حينها: رجلا شجاعا، أو كريما أو نحوهما من الصفات الفاضلة، وقد تقوم حركة بعض تقاسيم الوجه وسحنته، مقام الإدلاء والتعبير، في نحو ما ساقه ابن جني: " سألناه وكان إنسانا "، فحينما يؤدي المتكلم هذه العبارة

---

[1]- المرجع نفسه، ص 86.

[2]- محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1407، 1987م، ص 46.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج2 ص 370، 371.

الناقصة بِنْيةً ودلالة، ويزيد على ذلك بأن يزوي وجهه ويقطب، فإنما يريد رفع اللبس عن البنيتين، فكأنما يصفه بالضيق والبخل واللؤم.[1]

فالتلفّظ ببنية ملفوظ حامل لمعاني صفات معينة ويصحبه المتكلّم بنبر خاص و وبقيم صوتية خاصّة أو حركات معينة في الوجه أو العينين أو إيماء معين بالرأس، يشحن الكلام بحمولات أخرى تغير من دلالته الحرفية، وتنحرف به اتجاها آخر.

الأصوليون ودورهم في الدرس التداولي:

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى ماكان للأصوليين والفقهاء من فضل في العناية بأطراف العملية التواصلية بأجمعها، وأبعاد الكلام المختلفة، عناية فاقت دون شك عناية اللغويين، النحاة والبلاغيين، ولا يعود ذلك إلى قصور هؤلاء عن بلوغ الغاية، وبراعة أولئك بقدر ما يعود الى اهتمام كل فريق، فالنحاة واللغويون صبّوا اهتمامهم، كما هو مقتضى على وصف الطريقة الأسلم للقول ببيان ما مجموع القوانين المتصرفة في التركيب، ليُعتبَر أُصوليا صحيحا.[2]

وكذلك الحال بالنسبة إلى جمع اللغة ومعالجة مسائلها، وما لهم من حديث عن أطراف العملية التواصلية، كان يخدم بوجه من الوجوه مقاصدهم، أما اهتمام الأصوليين ففَهْم التعبير الشرعي، قرآنا كان أو حديثا، أو سنة عملية أو تقريرية، أو إجماعا أو قياسا أو اجتهادا، ولعلمهم ذاك تعلّق شديد بالأحكام الشرعية، التي تسوس حياة الناس، وتوجّههم لخيرهم في العاجل والآجل.[3]

اهتم الأصوليون بالنص الشرعي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وانصب اشتغالهم و دراستهم بشكل كبير على الأحكام الشرعية وأمور الفقه والعقيدة نظرا لإلزاميتها في توجيه الناس وتنظيم حياتهم.

ولعظم هذه المصلحة والتي لا مصلحة فوقها، ولا حتى تضاهيها، انصبّ انشغال الأصوليين بأطراف الحكم الشرعي، وهي أولا الشارع أو الحاكم وهو الله عزّ وجل بالأصل، كما في القرآن الكريم، أو بالمآل كما في السنة والإجماع والقياس، وثانيا الحكم، وهو مضمون خطاب الله تعالى للعباد المكلفين، وثالثا المحكوم فيه، أو الشأن المتعلّق به الحكم، أو الفعل الذي يعنيه الحكم أو يشمله، ورابعا المحكوم عليهم وهم المكلفون، المتعلق الحكم بفعلهم.[4] ومن هنا كان الاهتمام بأطراف العملية التواصلية المتمثلة أساسا بعناصر الحكم الشرعي، فالله عز وجلّ هو الشارع الحكيم وأصل الحكم كله كما في القرآن والسنة الشريفة.

---

[1]- ينظر نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، المبادئ والإجراء، (م، س)، ص41.

[1]- المرجع نفسه، ص41.

[2]- ينظر وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر الإسلامي، دار الفكر الجزائر، دمشق، ط1، 1406، 1986، ص36، 35.

[3]- المرجع نفسه، ص36

[4]- ينظر نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، المبادئ والإجراء، (م، س)، ص41.

بالإضافة إلى كون الحكم قد لا يتعلق بالفعل من حيث هو مجردا عن ملابساته، فتحريم الخمر على سبيل المثال بالنسبة للمسلمين الأوائل، جاء على دفعات ومراحل، مراعاة لحال المخاطَبين الذين تمكّنت الخمر منهم، وهذا حكم خاص يخص مخاطبا خاصا، فلا يبني عليه الأصولي حكم التدرّج، بل الحكم لمن جاء من بعدهم هو منتهى التدرج في التحريم الأول، كما إن إسبال الثوب والحكم فيه الوارد في قوله ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم... المسبل والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب."[1] وهكذا، فمراعاة حال المخاطبين من شروط التدرج في إصدار الأحكام.

وهو عموم قد يحمل العامة من الناس على الظن أن ذلك جزاء كل من لبس ثوبا طويلا مثلا، غير أن مراعاة سياق الموقف الذي قيل فيه، والفرد الذي بمثل نفسيته تعلق الوعيد، يقيده، ويدل على مقصد النبي ﷺ من الحديث الشريف: فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: " بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي قدْ أعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وبُرْداهُ، إذْ خُسِفَ به الأرْضُ، فَهو يَتَجَلْجَلُ في الأرْضِ حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "[2]

فالكبر ذنب من أعظم الذّنوب، وإثم من أَكْبرِ الآثام، وقد نهى الله عنه نهيا شديدا، وتوعَّد أصحاب الكبرِ بأشدّ العذاب، حيث خلق الله عِباده كلّهم سواسِيةً، لا فضل لِأَحد على أحد.

وفي هذا الحديث يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشي"، قِيل: هو إِخبار عن شخص في الأمَّة سيحدث له ذلك، وقيل: هو إِخْبار عمّن سبقَنا من بني إسرائيل، "قدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ"، يَعْني هُنا سُرَّ حتَّى اسْتَكْبَرَ، والجُمَّةُ هي شَعرُ الرَّأْسِ إذا طال فَوَصَلَ إلى المَنْكِبَيْنِ، "وَبُرْداهُ"، أي: ثِيَابَهُ، فكان جَزَاءُ ذلك الكِبْرِ: "إذ خسف به الأرض"، أي: انْهارَتْ به، فَدَخَلَ فيها، "فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ حتَّى تَقومَ السَّاعةُ"، أي: يَتَحَرَّكُ وَيَضْطَرِبُ وهو يَنزِلُ وَيَغوصُ في باطنِ الأرضِ إلى قِيامِ السَّاعَةِ؛ فَقِيلَ: هذا العذابُ يَحْدُثُ له في باطنِ الأرضِ وهو حَيٌّ. وَقِيلَ: بل لَمَّا انْخَسَفَتْ به الأرضُ دُفِنَ فَماتَ، وَتَجَلْجُلُهُ فيها إلى قِيامِ السَّاعَةِ مِنْ عذابِ قَبْرٍ، وفي الحديثِ: تَّحْذيرُ مِنَ الكِبْرِ، و إثباتُ الخَسْفِ لِلْعاصينَ.[3]

ومما يقوي ذلك المذهب في التقييد وعدم تعميم التحريم، أن ينظر إلى مضمون الخطاب في إطار المدونة ككل، أو السياق العام للسنة النبوية الشريفة، إذ صرح النبي ﷺ في أكثر من حديث بنسبية تحريم الإسبال، من ذلك قوله ﷺ: " إن الذي يجر ثيابه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة"، كما يقيده أحد أهم أطراف العملية التخاطبية، وهو السامع، لا سيما المُعيَّن، فقد سأل أبو بكر الصديق ﷺ النبي ﷺ قائلا: "إن أحد شقّي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي ﷺ" لست ممن يصنعه خيلاء".[4]

---

[1]- الحافظ المنذري، مختصر صحيح مسلم، تح: محمد ناصر الدين الألباني، قصر الكتاب، البليدة، ط1، 1411هـ، ص 358، رقم الحديث 1360.

[2]- أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

[3]- ينظر علوي بن عبد القادر السقّاف، الدرر السَّنية، مرجع علمي موثّق على منهج أهل السنة والجماعة، الموسوعة الحديثية، متاح على الموقع: https://www.dorar.net

[4]- صحيح مسلم، ص358، رقم الحديث، ص1362.

فالنسبية ههنا تقتضي استثناء أبي بكر من تحريم الإسبال، كيف لا وهو الصديق أبو بكر..

ولأهمية القصد في تحديد دلالة الكلام وتبيينه، يميز الغزالي بين نوعين من الكلام، كلام لا يتلفظ به، فيظل حبيس الذات وطي الكتمان، وهو في حكم العدم إلا في علاقته بصاحبه، وكلام منجَز، مُتحقق فعليا، يحكي حديث النفس، أذا هي أفضت به، ودلالته ليست ذاتية راسخة، بل لا يدلّ عليها، إلا إذا أراد له المتكلم ذلك، وقريبا من هذا ذهب ابن حزم، وهو ما قد يصدق القول: "إن الكلام هو القول المفيد بالقصد."[1]

إن هذه الإشارات ليست كافية البتّة في عرض البعد التداولي عند الأصوليين والفقهاء في التعامل مع النصوص، ولكنها قد تضع اليد على لبّ المسألة، وترشد إلى حقيقة الاهتمام الموسع لديهم، كما قد تكون بداية الطريق لمن أراد أن يوسع القضية، بشيء من التحليل والمقارنات بين نصوصهم، وبين نصوص غيرهم من الغربيين.[2]

الفكر التداولي عند أبي هلال العسكري

وقد يكون السامع هو معيار الكلام أحيانا، فتتحدد درجته بناء على ردّة فعله حياله، مثلما يُفهم من كلام أبي هلال العسكري الذي يرى أنه" إذا كان الكلام قد جمع العذوبة... وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرده، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجّه، والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي (الصلب) البشع..."[3]

كل متكلم قبل أن يعزم على الإنشاء يقف على معيارية السامع لما ينشؤه من خطاب أو كلام، فيتوقّع ردة فعله ومدى استجابته وتفاعله مع ما يقول كما يستشرف إمكانية قبوله وكيفية وقع الكلام من نفسه.

وفي موضع آخر يقول أبو هلال في الصدد نفسه:" فإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام رديا، لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة."[4]ويرى الجاحظ ايضا أنه متى اجتمعت في النظم الذي يحركه القصد بلاغة اللفظ، وشرف المعنى، والبعد عن الشذوذ كان له التأثير المرغوب في السامع، وقد شبه الجاحظ هذه الحالة بفعل الغيث في التربة الكريمة الصالحة، بل إن الكلام إن كانت هذه حاله، رفع صاحبه وعظمه في أعين الملوك، وكان له فعل كالسحر[5].

---

[1]- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986، ص146

[2]- ينظر نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، المبادئ والإجراء، (م، س)، ص43.

[3]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1419-1998م، ص57.

[4]- المرجع نفسه، ص161.

[5]- الجاحظ، البيان والتبيين، ص87.

وقد حفظ التاريخ في الأخبار والسير قصصا لمثل هذا التأثير كقصة جعفر بن أبي طالب مع النجاشي وقصة ربعي بن عامر مع رستم ملك الفرس.[1]

شرط التواصل عند حازم القرطاجنّي

إن عقد التواصل بين طرفي التداول يفضي إلى نتيجة تعدّ الغاية في كل موقف، وقد تُنتهك بعض خصوصيات الخطاب - كما يرى حازم القرطاجني – بقدر ما تحقق الغاية المرجوة من ذلك الانتهاك المقصود، وقد ذكر حازم نموذجين من ذلك الانتهاك:

فالأول يتمثّل في استعمال الإقناعات، وهي خاصية ملازمة للحجاج في فني الشعر والخطابة، وأما النموذج الثاني: فيكمن في استعمال التخييل الذي هو عماد الشعر وقوامه في مقولات الخطابة، لأن الغرض في القولين واحد، والغاية متحدة، وهي " إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس محل القبول، للتأثير بمقتضاه، فكانت الصناعتان متواخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما."[2]

كما تعنى التداولية في بعض أصولها بما يعرف بالعقد اللغوي الذي ينبغي مراعاته لصالح عملية الخطاب بقصد الإفهام المحقق للتأثير، والعقد هو القاسم المشترك بين طرف التعاقد، انطلاقا من القاموس أو المعجم أي الألفاظ وتواضعات ارتباطاتها بمدلولاتها، وفق سنن الجماعة وصولا إلى قوانين التأليف، وهي قوانين تركيبية محضة، ثم قوانين التأويل، وهي ذات مسارات دلالية متعالية، تشتغل في أفق أبعد من تاويل الملفوظات لمسمياتها في عالم الأشياء.[3]

وقد نبه "سيبويه" أثناء تقعيده ضاما الأشباه لنظائرها إلى المرجعية اللغوية المحكمة والضابطة لكل استعمال، فقال عن "ليس" و"لات": " وأما اهل الحجاز فيشبهونها بليْسَ، إذ كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها (لات) في بعض المواضع، وذلك مع (الحين) خاصة ولا تكون (لات) تضمر فيها مرفوعا وتنصب الحين لأنه مفعول به، ولم تمكن تمكنها ولم تستعمل إلا مضمرا فيها، لأنها ليست ك (ليْسَ) في المخاطبة والإخبار عن غائب، تقول لست، وليسوا ... فتبنى على المبتدأ وتضمر فيه ولا يكون في (لات)، لا تقول: عبد الله لات منطلقا، ولا قومك لاتوا منطلقين..."[4]

يتبين من خلال ما سبق أن مستعمل اللغة في بيئة ما، مهما كانت هذه البيئة من أجل أن يحقق مقصده وهدفه من عملية القول وحتى يتمكن من إنجاح عملية التواصل، لابد أن يراعي عرف البيئة التي يوجد فيها (نقصد العرف اللغوي، أي الثقافة اللغوية المشتركة).

---

[1]- ينظر نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، المبادئ والإجراء، (م، س)، ص35.

[2]- أبو حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق: وتح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص361.

[3]-سيبويه، الكتاب، (م. س)، ص57.

[4]- المرجع نفسه، ص57.

الفاعلية التداولية وشروط نجاح العملية التواصلية:

قدم –سيبويه - تصورا من المقبول من القول، مع التعليل لذلك أحيانا، عندما حصر أضرب الكلام في باب عقده تحت عنوان (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة)[1].

فالمحال من القول نحو قولك أتيتك غدا، أو سآتيك أمس، وذلك لعدم أصوليتها في نظام التأليف العربي، ووجه المخالفة للعرف راجع إلى خرق الاتساع الزمني المقتضى والحاصل بين زمن الفعل المدلول عليه بالصيغة والسياق، وبين ظرفه أو وعائه الذي يجري فيه، وهو ما يعيق حتما عملية الفهم والإفهام، لأن المتلقي إذا كان عربيا مجّ الكلام وردّه، ولم يفهم معناه، أو لم يستطع تحديد وجهته على الأقل، ومثله في خرق العرف ضرب المستقيم القبيح، فهو مستقيم حيث البنية الشكلية، لكنه قبيح من باب الخروج عن عرف العرب في عدم دخول الحرف (قد) على الاسم، وهو مختص فيما جرت به العادة بالفعل. ومثل هذه الإشارات يقرها العسكري حين يقول:" إنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير."[2]

ويقصد بالنظام هنا، نظام المعنى والعرف اللغوي التواصلي القائم في بيئة معينة، لأن التركيب في شكله الظاهر صحيح، أي أن التركيب البنائي في عبارتي أتيتك غدا و سآتيك أمس صحيح، فالجملتان صحيحتان مبنى و نحوا، خاطئتان معنى ودلالة، فالدلالة هنا غير مستقيمة ولا مقبولة، وبالتالي يستقبحها المتلقي العربي ويستهجنها عرفه اللغوي.

ومن أشكال الخروج عن المألوف الصحيح من الكلام أيضا ما سماه أبو هلال ب"الكذب"، وهو من قبيلأفعال الكلام كما تقدم معنا مع نظرية جون أوستين، ويعني الأفعال الواصفة، والتي لا يكون القول هو نفسه في حقيقة الأمر المقول، وهو إن صح مبدئيا (نحو حملت الجبل، شربت ماء البحر)، غير أنه يمكن أن يكون ضمن مقولات شعرية، بحيث يُؤوَّل و يحمل على المجاز، وفق ما يسمح به الموقف، لأنه في هذه الحالة وفي مثل هذه التراكيب، تتدخّل قوانين من نوع خاص، هي قوانين المجاز لرأب ما يبدو صدعا بين الدلالة المنطقية والدلالة الإيحائية[3].

وهذه الخلخلة في نظام اللغة ودلالة التراكيب تعدّ من قبيل الاستعارة أيضا وفق ما يقتضيه الموقف او المقام ومقتضيات التواصل، فهذان تركيبان تحققت لهما الصحة التركيبية والسلامة النحوية كما رأينا، وقد ظهر العارض بين الدلالتين، فإن تضمنهما كلاما، كان القصد فيه إلى المجاز صار سائغا، لأن كل مجاز كما قال مصطفى حميدة " إنما كان مجازا لأنه يمثل بالضرورةمفارقات في العلاقات المعجمية التركيبية"[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 26.

[2]- ابو هلال العسكري، الصناعتين، (م.س)، ص70.

[3]- لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1997، ص77.

[4]- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 1997، ص85.

ولغتنا حافلة بمثل هذه التراكيب، والتخاطب اليومي لا يخلو من توظيف العبارات المجازية، وقد أصبحت من مألوف الخطاب اليومي في بيئتنا العربية من مثل طار قلبي فرقا، أو كدت أطير فرحا، فطيران الإنسان كما نعلم من باب المستحيل، والطيران في العبارتين وإن كان من باب المجاز إلا أن الموقف المقامي أو السياق هو ما يحدد طبيعة هذا الطيران، فطيران القلب في العبارة الأولى من شدة الحزن أو الخوف والطيران في التركيب الآخر من السرور.

كما نجد إشارات إلى عنصر المقام، وضرورة مطابقة الكلام لملابساته، فمما نقل إلينا من كلام بشر بن المعتمر في صحيفته التي تناولتها كتب البلاغة واعتمدتها و بنت عليها - كما ذكرنا – وفي صدد علاقة الموقف بالكلام تتولد فكرة الكفاءة المرتبطة بطريقة الإسقاط، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الفكرة، ومما ساقه قوله: "قال أبو الحسن: خطب مصعب بن حيانأخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح، فحصر، فقال لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله، فقالت أم الجارية: عجل الله موتك، ألهذا دعوناك؟ !".[1]

فالموقف يفرض منطقه على العملية التواصلية، إذ كل مقام يقتضي طقوسا خاصة من القول، وكل مقام يقتضي مقالا خاصا يناسبه.

التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

1/ أولا التداولية وعلم التراكيب (النحو العربي)

علم التراكيب هو العلم الذي يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض بمعنى هو العلم الذي يهتم بالتركيب الداخلي للجملة، مركّزا بشكل خاص على علاقة عناصر الجملة بعضها مع بعض، والتي تحكمها ضوابط وقواعد عرفية لا يجوز الخروج عنها.[2]

ومخالفة تلك القواعد يؤدي إلى إنتاج دلالة غير صحيحة ولا مقبولة، فترابط أواصر التركيب العربي واستقامته، وحركة العناصر بين التقديم والتأخير والحذف والعلامات اللغوية المختارة، وموافقتها للبنية الدلالية تقوم على قواعد النحو العربي ومقاييسه المعيارية، أي السياق النحوي الذي هو عبارة عن شبكة العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، اين تقوم فيها كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية مثل الإعراب، الذي يعد قرينة سياقية تتضافر جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية.[3]

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، (م، س)، ص 172.

[2]- محمود أمين نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2002، ص7.

[3]- ينظر عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص546.

وعلى هذا الأساس يسند النحو العربي وظيفة تصويب استقامة تراكيب اللغة العربية وسلامتها، وهو الذي نشأ على ثوابت راسخة أقام النحاة عليها أحكامهم المعيارية المستندة إلى عناصر مختلفة، منها المنقول ومنها المعقول[1].

وعلماء العربية يصفون النحو العربي بأنه نحو تصنيفي، فهو يعتمد أساسا على تصنيف الكلمات إلى أقسام، وتصنيف الكلمات داخل كل قسم حسب فئات نحوية تختلف من قسم إلى آخر، وتهدف إلى وصف مفصل للكلمات من حيث الشكلُ، ومن حيث علاقتها ببنية الجملة، فالاسم مثلا فئات نحوية هي: النوع والجنس والعدد والحالة الإعرابية، واما الفعل فيوصف بالتعدي والزمن والتصريف والبناء للمعلوم أو للمجهول، والأمر نفسه ينطبق على بقية أقسام الكلام.[2]

فعلماء اللغة حددوا أقسام الكلم و ورأوا أن لكل قسم ميزات وخصائص فالاسم معرفة ونكرة، مؤنث ومذكر، مفرد ومتعدد، وكذلك للفعل خصائصه و للحرف أنواعه.

ويعتمد النحاة في تحليلهم للجملة وصولا إلى المعنى الدلالي على تلك القواعد التصنيفية التي تجعل من النحو العربي قوالب ومجسمات تتشكل داخلها العبارة، فإن خالفت العبارة قالبا من تلك القوالب، من تقديم أو تأخير أو حذف، خرجت عن هيأتها التركيبية المألوفة.[3]وفسدت بالتالي العبارة واختل المعنى وتشوّهت دلالته.

عمد النحاة إلى ردّ البنية السطحية إلى العميقة، وأولوا العبارة تأويلا ينسجم مع ما وضعوه من قواعد تصنيفية، فينطلقون لتحقيق ذلك معتمدين على المعنى العام السطحي الناتج عن ترتيب تركيبي لمفردات العبارة، قصد الوصول إلى المعنى الخاص الكامن خلف ذلك التركيب الذي يلائم قواعدهم التصنيفية التي وضعوها للصحة اللغوية ليكتب الناس ويتكلموا على أساسها. وبالرغم من اهتمام علم النحو العربي بتنظيم سياق التركيب الداخلي، إلا أن دوره لا يهمل في مجال التحليل التداولي، فالعلاقات القواعدية التي تسيطر على نص ما والتي تتحكم في عملية البناء اللغوي من خلال ترابط عناصره التركيبة، ليست إلا خطوة أولى في عملية التفسير.[4]فالنص نسق من العلامات تقوم بينها علاقات خاصة تحدد نظام هذه البنية التي تتحرّك وفق هذا النسق، لتتحدد دلالة هذه البنيات بعد ذلك، فالنحو يدرس قواعد التركيب ويحلل نسقه قبل أن يلج مجال التفسير.

والفهم التداولي المرتكز بالأساس على مجموعة من من العناصر التي تقتضي من المحلل اللغوي أن يتجاوز حدود المادة اللغوية إلى ما يحيط بها من ملابسات عامة وقرائن خارجية، ومن المعروف أيضا أن

[1]- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، (م.س)، ص24.

[2]- أحمد صديق الواحي، نقد النظريات اللغوية المعاصرة، مجلة فصول، ع 70، 2007، ص240.

[3]- المرجع نفسه، ص240

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

المعنى النحوي له أهمية كبيرة في عملية التحليل التداولي، فالبعد التداولي حاضر بمجرد ما ندخل لمفهوم القاعدة النحوية[1].

وبالتالي، وإن كانت الدراسة اللغوية تقتضي في ظاهرها تلك الإحاطة الصورية الصارمة لبنية اللغة ونسقها، إلا أنها تتجاوز أحيانا هذه الحدود وتتعداها إلى ما يحيط بها من سياقات خارجية و ملابسات عامة.

ودراسة علاقة المعنى بالسياق والموقف ضرورية للوقوف على دراسة اللغة دراسة دقيقة، كون المعاني تتعدد باختلاف سياقاتها ولو اتحدت ألفاظها لأن هذه الأخيرة كما الجمل في اللغة ليست ذات معنى واحد أو دقيق.

وقد نبه ابن هشام إلى ضرورة معرفة السياق في إعراب الكلام وأثناء الاشتغال بوصف التراكيب، إلى جانب الإلمام بالصحة الصناعية، فالمعرب المدرك لهذه الصحة، إنما يقوم بتحصيل المعنى أولا اعتمادا على السياق، لذلك فالإعراب تابع للمعنى الذي يحدده السياق، فالاحتراز في عملية الإعراب بالأخذ بالسياق يوجه المعْربَ للإعراب الصحيح و"ربما مر به فأعربه بما لا يستحقه ونسي ما تقدم له". كما أن "قول بعضهم في: ثمودا فما أبقى إن ثمودا مفعول مقدم، وهذا يمتنع لأن ما بعد (ما) النافية لا يعمل فيما قبلها، وإنما هو معطوف على (عادا)، وهو بتقدير (وأهلك ثمودا).[2]

فربط الإعراب بالسياق والاعتماد عليه يؤدي إلى الإعراب الصحيح والوصف السليم للتركيب.

و يرى طه عبد الرحمن أن "القول الطبيعي مجردا عن مقامه تصير محامله كثيرة، ولا يتعين واحد منها إلا بتعيين المقام، حتى أنه يصحّالادعاء بأن الأصل في القول الطبيعي أن تتعدد معانيه إلى أن يثبت بالدليل

خلاف ذلك، وإذا كان كذلك فقد وجبأن تكون صوره الممكنة متعددة، وألا ينحصر تقويمها في حتمية واحدة."[3]

ولهذا فقابلية الكلام للإعراب يعني قابليته للوضع في سياق، يمكّنه من الفهم والتأويل، عبر القرائن المعينة، التي يمكن أن تكون ظروفا أو ضمائر أو أسماء موصولة أو أسماء إشارة، لاسيما عندما يتعلق الأمر بشواهد قرآنية أو شعرية.[4]

وفي نموذج آخر، مثلا: ترك عبد الله التدخين قبل شهر لأنه ضار، نجد أن الدلالة العامّة المتولّدة من هذا التركيب نتيجة لضبط البنية الداخلية له، لا تنير طريق المحلل اللغوي للوصول إلى المعنى، وهنا

[1]- أرمينيكو فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، (م، س)، ص33.

[2]- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، سوريا، دمشق، ط1، 1964ص698.

[3]- طه عبد الرحمان" اللسان والميزان"، (م. س)، ص45.

[4]- ينظر المرجع السابق، ص 45.

تبرز أهمية التحليل التداولي في إبراز المعنى، فقد تتعدد معاني التركيب وفقا لاختلاف الأحداث السياقية المرافقة لعملية التلفظ، فيكون بالتالي المعنى واحدا مما يلي:[1]

1- كان عبد الله مدخنا.

2- التدخين ضار.

3- عليك أن تترك التدخين كما تركه عبد الله

4- ترك عبد الله التدخين قبل شهر.

ولو نظرنا في تركيب المثال الموالي وفق مستوى الترتيب النحوي:

" أنا عطشان "

المستوى النحوي ← مبتدأ وخبر.

نجد: عناصر الجملة السابقة هي: المبتدأ: وهو الضمير المنفصل "أنا" والخبر: "عطشان" لا تعطي دلالة واضحة يستطيع من خلالها المحلل اللغوي أن يصل إلى المعنى المراد من خلال الربط بين المسند والمسند إليه، وما يحيلان عليه من دلالة معجمية، ولكن بالاعتماد على التفكير التداولي في تحليل التركيب اللغوي، يتوصل المخاطَب إلى دلالة واضحة، كأن يُفهم من الكلام أن المرسِل يحتاج إلى ماء، أو أنه صائم، أو إن الماء غير متوفر الآن... أو غير ذلك من المعاني المقترنة بسياق الحديث.[2]

2/ علاقة التداولية بكفاءة اللغة

إذا كانت اللغة وسيلة يطل من خلالها الإنسان على العالم بكافة تمظهراته، يفهمه ويتفاهم معه ويفهم به ومن خلاله، كما تترجم من خلالها الأفكار المجردة، والعواطف و الأحاسيس المكنونة في قالب مسموع بالأصل، ثم في قالب مكتوب كإجراء تال افتراضا أو تحقيقا، فهي الكلام الذي نستعمله، ومنها ننتهي إلى النص الذي نقرأه، وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة، فما مدى أهلية هذه الوسيلة لأن تنقل بأمانة، وبالكم نفسه والكيف ذاته تلك الأفكار والمشاعر من نفس إلى نفس أخرى؟وهل اللغة قادرة فعلا على استيعاب كل أحداث الكلام وما يحيط به، كي تعتمد الوثيقة الأدبية، والمكتوبة تحديدا، وتحلل تداوليا، وتستشف مقومات المقال جميعها، أو معظم عناصر سياق الموقف الذي جرت فيه عملية التخاطب، كأقل تقدير.[3]

أو بعبارة أخرى: كيف يمكن أن ننظر إلى حقيقة مرجعية الخطاب الأدبي المكتوب؟ وهل هي حقيقة كلها؟ أم مفترضة كلها، أم إنها تأخذ من هذه الخاصية بالقدر نفسه الذي تأخذه من تلك؟ لنجد

[1]- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، (م.س)، 26

[2]- المرجع نفسه، ص27

[3]- المرجع السابق، ص 25.

أنفسنا في الأخير نتعامل مع عبارات وألفاظ قد تتآلف، وقد يتبرأ بعضها من بعض، لاسيما إذا قصدنا إلى عنصر الإيحاء الذي يمثل أهم مقومات أدبية الخطاب.[1]

فأي دور سيلعبه الإيحاء؟ وهل هو عامل إيجابي في التعاطي التداولي مع المدونة المعينة؟ أم انه يعرقل الوصول إلى حقيقة انبثاق الدلالة، وآلية الإنتاجية فيما بين أطراف الخطاب المتعددة؟ وما مدى تحكم كل طرف من تلك الأطراف في العملية الخطابية في بناء الدلالة، بحكم أن اللغة قد تخون صاحبها أحيانا، بل قد تُحمل الدلالة على عكس القصد.[2]

ويتعقّد الأمر أكثر إذا تحولت اللغة من طابعها العفوي البسيط إلى شكلها الثاني المعقد، والمصور في مقابلات شكلية للأصوات، فالذي يكتب ليقول، غير أنه بالمقابل يفلت أحداث القول[3]. فقد لا يُفهم ما يكتبه كاتب ما من طرف متلقيه بسبب انفلات القول عن حدود المعنى.

والأمر نفسه، بل وأكثر حدّة في اللغة المتعالية عن النفعية أي اللغة الأدبية في جانب المجاز المقدم في صورة المشكل إذ لا يمكن تفجيره للوصول إلى مذخوره أو معناه الدلالي إلا إذا اشتركت جميع الأبعاد التي لا يجب أن تغيب عن الصائغ للخطاب ولا عن المؤول له كشرط ملازم مستصحب.[4]

فقد يكتب كاتب أشياء لا تفهم على الوجه الذي يراد لها أن تفهم به، كما يمكن لها أن تؤول تأويلا لم يكن يقصده كاتبها، وهكذا انفلت المعنى وانفلتت أحداث القول وحادت عن الوجهة التي كان مخططا لها أن يسلكها من قبل المتلقي الذي يفهمها فهما أو يؤولها تأويلا بعيدا عما كان يقصده الكاتب.

التداولية وعلاقتها بالبلاغة

اهتمت اللسانيات التداولية بالمباحث البلاغية و تضمنت الحجاج واعتنت به، فكيف تم هذا الاهتمام؟ وكيف تناولت التداولية الأبحاث الحجاجية؟ وهل تفرّدت بهذا الاهتمام؟ أم هناك نظريات أخرى تبنّت الحجاج بغية تطويره واكتشاف وسائله وآلياته؟[5]

يقتضي الحديث عن العلاقة بين البلاغة والتداولية الذهاب بعيدا في البحث عن جذور علم قديم قدم الوجود الإنساني، فالبلاغة علم تراثي متجذّر في الموروث البشري بخاصة عند اليونان والعرب، وهو ما يطلق عليه بالبلاغة القديمة او البلاغة الكلاسيكية، ولكنّ هذا العلم لم يبق حبيس عصره، بلساير التطوّر الإنساني، بكل ما تحمله العبارة من دلالة، فالدراسات الحديثةوالمعاصرة أطلقت على الدّرس البلاغي تسميتين: البلاغة الجديدة والبلاغة والبلاغة المعاصرة، حيث ألبست البلاغة حلّة جديدة

[1]- المرجع نفسه، ص25.

[2]- المرجع نفسه، ص25.

[3] - Jean Gaune : Esthétique de lacommunication, Que sais –je, PUF, 1er édition, 1997

[4]- ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص26

[5]- ينظر المرجع نفسه.

معاصرةلما وجدت من تداخل وتقاطع بينها وبين مناهج نقدية ولسانية مختلفة كالسيميولوجيا والأسلوبية والتداولية.[1]

فإذا كانت التداولية يدرس اللغة أثناء الاستعمال، فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء الاستعمال، ويتقاطعان في اعتماد كليهما على اللغة بعدّها أداة لممارسة الفعل اللغوي على المستمع أو المتلقّي في سياقات مناسبة ومراعاة المقال لكل مقام في العملية التواصلية، لانّ اللغة وسيلة للتعبير عن الأغراض والمعاني ذات القيمة النفعية، فهما عِلمان يسعيان للاهتمام بكلّ أشكال التفاعل الخطابي وبالعملية التواصلية: لأنّ اللغة وسيلة للتعبير عن الأغراض والمعاني ذات القيمة النفعيّة، فهما علمان يهتمان بكلّ أشكال التفاعل الخطابي وبالعملية التواصلية في كلّ ابعادها الاجتماعية والإيديولوجية والنفسية.[2]

فالبلاغة علم قديم متجذّر في التراث الإنساني وبخاصة عند اليونان والعرب لما فيه من إمكانات معرفية وإجرائية تسهم في تحليل الخطاب ونقده، مقدمة نفسها بوصفها المعرفة الجديرة بالاهتمام لِما صارت تحظى به الخطابات التداولية، دينية كانت أم سياسية، أم إعلامية من وقع لدى المتلقّي، ولأجل ذلك اتّجهت مجموعة من الدراسات إلى استثمارها في تحليل نصوص تنتمي إلى أنواع خطابية مختلفة.[3]

والحقّ أن " التحليل البلاغي للأدب وإن أسهم في إبراز المكّن الحجاجي الذي تنبني عليه مجمل الأعمال الأدبية الكلاسيكية، إلا أنه لا يمكنه اختزال تلك الأعمال، فيما تضطلع به وظائف تأثيرية عمليّة، إنه سيظلّ تحليلا يتطلّبه نوع من الإنتاج الأدبي للأعمال الكلاسيكية والشعر السياسي."[4]

شكلت العلاقة بين البلاغة والتداولية عوامل ربط بين البلاغة وعلم اللغة، فموضوع البلاغة والتداولية هو استعمال اللغة بوصفها وسيلة تواصل بهدف ممارسة فعل على المتلقي، فالنص اللغوي هو نص تداولي، أي نص في موقف، ومن ثم يتفق المنظور البلاغي والتداولي في مراعاة الملابسات الخارجية والعناصر السياقية المختلفة في عملية التحليل، لأن المتكلم في الأصل قد راعى هذه الظروف والملابسات المقامية التي تحقق لرسالته اللغوية أقصى درجات التواصل. تأثيراً أوإقناعاً مع المتلقي.[5]

فالبلاغة نظام من التعليمات تستخدم في إنتاج النص. في بعدها المعياري. ومن ثم يصبح من المجدي أن ينتفع المحلل بمعرفة الأشكال البلاغية التي يستخدمها المرسل.[6]

وإذا كانت التداولية قد نشأت ضمن مباحث الدرس اللساني الحديث وما يتعلق به من قضايا في فلسفة اللغة فإن الظاهرة البلاغية إنما هي ظاهرة لغوية، ومن ثم تدخل الظاهرة البلاغية ضمن الرؤية

---

[1]- عمّار لعويجي، علاقة البلاغة بالتداولية، مجلّة علوم اللغة وآدابها، جامعة الوادي، ص248.

[2]- المرجع السابق، ص248.

[3]- محمد مشبال، البلاغة والسرد، منشورات كلية الآداب، ط1، تطوان، المغرب، 2010، ص50.

[4]-المرجع نفسه

[5]- شلباب جمال، البلاغة العربية والتداولية، مجلّة المقري، للدراسات اللغوية والنظرية والتطبيقية، عدد 03، مجلّد 02، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة ص 31.

[6]- المرجع السابق، الصفحة نفسها

التداولية للظاهرة اللغوية وإذا كانت الظاهرة البلاغية تختلف عن غيرها من الظواهر اللغوية بتضمنها لإيحاءات ودلالات إضافية.[1]

فبقدر هذا الاختلاف يكون تناسب الرؤية التداولية لمقاربتها، أي أن الرؤية التداولية بتجاوزها للمعنى الحرفي للملفوظ وبحثها في المعاني المضمنة تكون هي الأنسب لمقارنة الظاهرة البلاغية في تجاوزها المعنى الحرفي إلى معنى المعنى، ولذلك فالدراسات التداولية تتبنى الظاهرة البلاغية ضمن معالجتها بوصفها استعمال للغة، والظاهرة البلاغية في بعدها التداولي تلتقي مع نظريتين تأخذان الموقف في حسابهما هما: النظرية السياقية ونظرية أفعال الكلام، وهاتان النظريتان كان لهما أثرهما الذي لا ينكر في التأسيس للتداولية.[2]

والتداولية هي كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى هذا التخصص من جانب آخر بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث . ومن هنا جاز لنا القول إن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات "الحوار" أو الملكة التبليغيةcommunication de compétence " ، والتي تقابل الملكة اللغوية الصرفة عند "تشومسكي" . وبالاستناد إلى هذه التعريفات تغدو التداولية العلم الذي يدرس الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات، وكل ما له علاقة بالاستعمال اللغوي، وبعبارة جامعة نقول إن التداولية هي أداة للتفسير والنقد معا، تبدو قيمتها في عدّها وسيلة معرفية نلجأ إليها لتعيننا على فهم ومعرفة وتمييز هل أن ما نبحث فيه له قيمة ومعنى أم ليس كذلك، ومن جهة أخرى تعد التداولية بمفهومها الحديث وما أفرزته الدراسات والأبحاث من رؤى للظواهر البلاغية يؤسس لتحليل هذه الظواهر وفق منظور تداولي.[3]

وبذلك تعود البلاغة في العصر الحديث لتعتمد على المناهج والنظريات اللغوية الحديثة، ومن هنا تأتي صعوبة الفصل بينهما عند محاولة تتبع تطور البحث النصي، "فقد أدى التداخل الشديد بين البحوث اللغوية والبلاغية والأسلوبية إلى صعوبة تمييز ما هو نصي مما هو غير نصي، إذ أنها كلها تعنى بالمضمون، وإن كانت تتواصل إليه بطرق مختلفة، حتى أدوات هذه المناهج تتداخل بشكل يدعو إلى الدهشة، وصار الربط بين مستويات اللغة من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، سمة مشتركة، وإن أضيف إليها المستوى التداولي الذي هوجزء أصيل منها.[4]

فالعالم اللغوي استثمر في علوم البلاغة قديما وعاد يستثمر فيها من جديد في جدلية أخذ وعطاء لا تنقطع، لإنتاج خطاب ذي أبعاد تأثيرية في عموم المتلقّين، فالبلاغة تعدّخزّان معلومات دلالية ودلائليّة وفنّية وجمالية لا ينفد.[5]

---

[1]- المرجع نفسه.، الصفحة نفسها.

[2]- المرجع نفسه، ص31.

[3]- -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة 1991، ص12، 13.

[4]- المرجع نفسه، ص 13

[5]- عمّار لعويجي، علاقة البلاغة بالتداولية، مجلّة علوم اللغة وآدابها، (م، س)، 249.

إنّ العلاقة بين البلاغة والتداولية تتمثل في رصد كيفيات إيصال المعنى إلى المتلقي لأنه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة. ولابدّ من أن يتمكّن من فكّ شفرة هذه الرسالة عن طريق عمليات التحليل والتفسير والتأويل وفق سياقات لغوية وغير لغوية مع مراعاة مقتضيات الأحوال.[1]

أشار أبو هلال العسكري إلى معنى البلاغة وأصلها اللغوي فرأى أنها "سمّيت بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع في فهمه"[2].

وينهض معنى البلاغة على مراعاة طرفين اثنين، الأول هو المتلفظ بالخطاب البليغ، ويجب أن تتوفر فيه صفات معينة حتى يتمكّن من التأثير في مخاطبه وبلوغ المبلغ الذي يريده منه، والطرف الثاني هو المتلقي للخطاب المرسل من طرف المخاطب في شكل رسالة بليغة وسليمة حتى تحدث الأثر المطلوب، مما يعني ان البلاغة تقوم على مبدأ الاتصال، فتبحث في كيفية استخدام اللغة بطريقة سليمة تضمن وصول قصد المتكلّم ومراده إلى مخاطبه والتأثير فيه بتوظيف ما يناسب من أدوات اللغة وتراكيبها، ومراعاة حاله أثناء الكلام بما يضمن نجاعة الخطاب في الاخير.[3]

ولذلك يعرّف الخطيب القزويني بلاغة الكلام بكونها "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[4] إذ يراعي البليغ مخاطبه وظروفه المحيطة به، كما يراعي ظروفه النفسية لينتقي من الكلام ما يوافق حاله .

فالبلاغة ترمي إلى الإبلاغ، فتعالج كيفية التأثير في الآخر وإقناعه، وبيان المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها، وهذا يعدّ من صميم البحث التداولي الذي يعالج درجات التفاعل الاتصالي بين المخاطِب والمخاطَب، وشدّة التأثير وقوّته، التي تتم بالأفعال الكلامية الموظفة في الخطاب، والأدوات المختلفة)أدوات التوكيد، النفي، العريف، النغم ...إلخ)، كما ترمي إلى تحديد صمات الخطيب الناجح (الكلام البليغ).[5]

للبلاغة صلات قربى مع نظريّة الاتصال واللسانيات التداولية، فإذا كانت هذه الأخيرة في أبسط تعريف لها هي " دراسة مناحي الكلام، أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإنّ اللغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها.[6]

وتشترك البلاغة العربية والتداولية في في الاعتماد على اللغة بعدّها اداة لممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة، ولذلك نجد من الدارسين المحدثين من يسوّي بين البلاغة والتداولية، مثل جيفري ليتش J. Leitch الذي يرى " أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلّم

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص249.

[2]- ينظر أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص06.

[3]- ينظر باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع07، 2011، ص165.

[4]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص11.

[5]- ينظر باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، (م، س)، ص166

[6]- خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية، (م، س)، ص154.

والسامع."[1] فكلاهما يهتمّ بعملية التلفّظ والعوامل المتحكّمة فيه قبل الكلام، وأثناء التلفّظ بالخطاب، وإلى غاية إنجازه، فالبلاغة والتداولية علمان يلتقاطعان في " دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثّرة في اختياره أدوات معيّنة دون أخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقةبين الكلام وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلّم والمخاطب على الكلم والمقاصد من الكلام."[2]

وقد تحقق للبلاغة العربية هذا التقارب في المعالجة مع اللسانيات التداولية، من خلال دراستها للتعابير اللغوية بمستوياتها المختلفة: (صوتية، صرفية، تركيبية ودلالية)، والبحث في العلاقات القائمة بينها (النظم والتعليق)، وسياقات استعمالها، أي أنها تهتم بكل ما يهتم باللغة وممارساتها، وكأنها تبحث في نظرية تواصلية شاملة لكل عناصر الحدث الكلامي، ففقد تركّزت أبحاث البلاغيين العرب، واللغويين بصفة عامة ودراساتهم على محاولة وصف ما بين بنية اللغة ووظيفتها من ترابط، "فباعتبار التراكيب اللغوية رسائلَ لتأدية أغراض تواصلية معينة، انصبّت هذه الدراسات على رصد العلاقة بين كل نمط من أنماط التركيب والغرض المتوخّى تحقيقه."[3]

وكل هذا جعل البلاغة العربية مصدرا من مصادر التفكير التداولي العربي، وأرضية خصبة لمعالجتها بتقريب تداولي يعيد إليها مكانتها بكشف مظاهرها وأبعادها الوظيفية التداولية. والبلاغة العربية واللسانيات التداولية تتداخلان وتتشابكان في قضايا عديدة تجعل من التقريب التداولي للتراث البلاغي العربي منهجا لا يعوزه التأسيس اللساني لما بينهما من وشائج قربى وصلات في مباحثهما.[4]

---

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص31 يراجع

[2]- جون براون و ج يول، تحليل الخطاب، تر و تع: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1997، ص32.

[3]- أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان، ط2، 2010ص 84.

[4]- ينظر باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، (م، س)، ص171.

الفصل الثاني

الخطاب الحجاجي بين المدرستين العربية و الغربية

الفصل الثاني : الخطاب الحجاجي بين المدرستين العربية والغربية

يعد التواصل ضرورة ملحة في المجتمع البشري لتتضمنه اللغة التي تتجسّد في مختلف الخطابات التي تتغيا الإقناع من خلال التوسّل بالحجاج.

ويقتضي البحث في هذا الفصل العودة إلى تحديد ماهية المصطلح والوقوف على حدوده ودلالته، ولذا تجدر الإشارة بداية إلى العودة إلى الدلالة المعجمية بالاستعانة ببعض المعاجم للوقوف على المعنى اللغوي للخطاب.

الخطاب الحجاجي بين اللغة والاصطلاح

يعرف مصطلح الخطاب استعمالا واسعا في الدراسات المعاصرة ويستعمل في الغالب تعريبا لمصطلح Discours في الفرنسية ومصطلح Discourse في الإنجليزية، ومن معانيه الأساس في هاتين اللغتين تلك التي تفيد من الناحية اللغوية الملفوظ الشفوي الذي ينتجه المتكلم ويلقيه أمام شخص أو جماعة من الناس.[1] وتلك التي تتعلق من الناحية الاصطلاحية بالتيارات اللسانية والبلاغية والتداولية التي ظهرت لتعيد النظر في بعض مبادئ ومنطلقات المفهوم اللساني البنيوي للغة والخطاب.

ولم تعد اللغة مدركة بعدّها لسانا ونسقا مستقلا بذاته مفصولا عن الانسان وثقافته ومجتمعه وتاريخه، بل بعدها فعلا لغويا اجتماعيا، أي إلى خطاب، هذا الأخير الذي يعني " كل قول يفترض متكلّما ومخاطبا مع توفّر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا المخاطب"[2] من خلال تحليل كلام بنفيتيست Émile Benveniste، نجد الخطاب لا ينفصل عن الحجاج، كون الأخير يقتضي توفر مرسل ومرسل إليه مع ضرورة توفر عنصر التأثير بأي شكل من الأشكال.

الخطاب عموما هو مصطلح يشتمل على أكثر من نسق وسنحاول في هذا المبحث تحديد معالمه المتعلقة بالحجاج.

مما لا شك فيه أن التحديد والضبط المفاهيمي اللغوي ضمن أي مجال معرفي يعدّ الخطوة الأولى التي تقود الباحث إلى امتلاك مفاتيح العلوم، "فلا يمكننا فهم قيمة الأشياء التي نتحدّث عنها قبل أن نستوعب حدّها"[3]، وقبل أن نستوعب دقائقها وتفاصيلها، وهو ما ينطبق على دراسة مبحث متشابك

---

[1]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص17، نقلا عن .Le Grand Robert de la langue française, t 2 ,Discours, p 1548

[2]- ينظر المرجع نفسه، نقلا عن . Emile Benveniste, Problèmes de l' linguistique générale, T I, p246

[3]- شيشرون، الجمهورية، (كتاب 1، باب 24، فقرة 38)، نقلا عن عبد الرزاق بنور، جدل حول الخطابة و الحجاج، الدار العربية للكتاب، تونس، (د، ط)، 2008، ص21.

كالحجاج، " لذا كان لزاما علينا بداية أن نرسم معالم حدود المفاهيم اللغوية والتداخلات التي حدثت على مستواها.

وقبل التعرض لمفهوم الحجاج وعلاقاته التباينية وتقاطعاته المصطلحية وجب أن نشير إلى أن مفهومه من المفاهيم المثيرة للالتباس، ومردّ ذلك إلى عدّة عوامل لعلّ أهمها: [1]

- تعدد استعمالات الحجاج وتنوّعها من حجاج صريح، إلى حجاج ضمني، إلى غيرهما.
- خضوع الحجاج في دلالته لتأويلات متجددة وطواعية استعمالية.
- تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها: كالقضاء، الفلسفة، المنطق، السياسة، الدين، التعليم، ...إلخ حيث نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية المنطقية والبلاغية، وفي الدراسات القانونية والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة،

وبالتالي، يسعى كل تخصص من هذه التخصصات والحقول المعرفية إلى ضمّ الحجاج إلى حضيرته الخاصة والاستفادة من إمكانياته، مما جعل الحجاج يطعم بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة تتداخل مع كثير من المصطلحات تتقاطع معه حينا مع وتتعارض معه أحيانا أخرى.[2]

وهذا التباين والتعدد في مرجعيات الحجاج، جعل منه مصطلحا عائما يتميّز بالانسيابية، مما جعله في الوقت ذاته تتجاذبه صعوبة وثراء، وتنظر له جميع التخصصات، وبالتالي تشعّبت المفاهيم وتداخلت

فالحِجاج (Argumentation) يقوم بدور مهم في "نظرية تحليل الخِطاب"، ذلك أنّ مجالَه الوحيدَ هو "الخِطاب"، بمختلف أشكاله: الإشهاري، والسياسيّ، والقضائيّ، والتربويّ، والدينيّ، ...و الأدبي إلخ. ذلك أنّ "الخِطاب"، بكل أدواتِه وتقنياتِه وآلياتِه، يشتغل حِجاجيا، من أجل غاية واحدة، هي "الإقناع وبالتالي الاقتناع".[3]

بدأ مصطلح الخطاب في العقود الأخيرة من القرن العشرين يعرف عودة إلى العلوم وارتباطا بها، والعلوم اللغوية بخاصة، وكانت هذه العودة علامة على تحول في طريقة إدراك اللغة، وهو تحوّل ناتج عن عن تأثير مختلف التيارات اللسانية والتداولية والبلاغية التي سجّلت عددا من الأفكار القوية.

إذ من أهم هذه الأفكار أنّ الخطاب يفترض تنظيما من الجمل وشكلا من أشكال التفاعل الخطابي الذي ينبغي النظر إليه من خلال تفاعله مع خطابات أخرى، إذ حسب بنفينيست Benveniste الذي يتفق معه عدد غير يسير من الدارسين بأن" لا معنى للخطاب إلا داخل عالم خطابي يبني فيه طريقته،

[1]- محمد طوروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البضاء، ط1، 2005، ص6.

[2]- ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3]- خالد حسين دلكي، أحمد محمّد أبو دلو، الدّرس الحجاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب، "دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف من خلال تفسير ابن عاشور"مجلة المنارة، المجلد 21، ع/3، 2015، ص35.

وينبغي النظر إليه باعتباره فعلا لغويا مصاغا صوغا سياقيا، فهو فعل مسؤول ويخضع لمعايير اجتماعية."[1]

ومن هذه الأفكار أيضا حسب أوليفي ريبول Olivier Reboul " عدم الفصل بين الحجّة والأسلوب، في دراسة الخطاب الحجاجي الإقناعي، والبحث عن العنصر المشترك، فهذا العنصر المشترك هو الذي يمكن ان يكون أكثر أهمية، وهو يعني تمفصل الحجج والأسلوب في الوظيفة نفسها.[2]

بين الخطاب والبلاغة والتداولية

يقوم الكلام البليغ بالنسبة إلى البلاغي على مبدأين أساسيين مترابطين ومتداخلين: مبدأ التداولية ومبدأ الشعرية، ويستعمل البلاغيون مصطلحات غير مصطلح الخطاب، من أهمها: الكلام، المقال، ...ويتعلّق الأمر في كلّ هذه المصطلحات باللغة وهي تتحوّل إلى كلام بليغ يصدر عن متكلّم كفء، ويتوجّه إلى مخاطب مؤهّل لتلقّيه، والفروق المحتملة بين هذه المصطلحات تندمج في هذا التحديد العام الذي يستحضر في كلّ خطاب ثلاثة عناصر أساس هي: المتكلّم، النص والمخاطب، ويأخذ بالاعتبار أنّ القول لا يكون خطابا إلا إذا كان يصدر بقصد التأثير والإقناع.[3]

الخطاب الحجاجي في الثقافة العربية

إذا ما عدنا إلى التراثي البلاغي العربي الإسلامي سنجد معنى غير بعيد للخطاب عن هذه الأفكار المعاصرة، فابن منظور يقول أن "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان" [4] فالخطاب حسب ابن منظور يتصل بالفعل اللغوي الحي والملموس الذي يستلزم ثلاثة عناصر أساسية، المتكلّم، الكلام، المخاطب.

وفي القرآن، يقول عزّ وجلّ: " **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ** "[5]

ويذكر الجاحظ في البيان والتبيين" أن زيادا قدم البصرة واليا لمعاوية بن أبي سقيان... فخطب...فقام إليه زياد بن الأهتم فقال: أشهد أيها الأمير، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب"[6]

---

[1]- .حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، (م، س)، نقلا عن:
Emile Benveniste, Problèmes de l' linguistique générale, T I, p246

[2] - Olivier Reboul, Introduction a la rhétorique, PUF, Paris, 2eme ed,1994, p4.

[3]-حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، (م، س)، ص19.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، (م، س)، مادة خ ط ب، ج2، ص1194.

[5]- سورة الفرقان، الآية 63.

[6]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص61- 65.

وفصل الخطاب عبارة تحمل دلالة الحجاج والإقناع والقدرة على ممارستهما، وقد قيل أن فصل الخطاب هو البينة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه"[1]، وتشرح بمعنى التخلص وهو من الفنون التي يستند إليها الشعراء والكتّاب والخطباء في بناء خطاباتهم.[2]

وموضوع نظرية الحجاج حسب عبد الله صولة هو درس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم."[3]

ويُعدّ هذا دليلا كافيا على قدرة "الحِجاج" في تحقيق "الانسجام" (Coherence) التامّ له، وهذا – ما من شكٍّ- الهدف الذي تطلبه وتسعى إليه "نظرية تحليل الخِطاب". وفي هذا، يقول العزاوي: "أمّا ما تدرسه نظرية الحِجاج في اللغة، فهو اشتغال الأقوال داخل الخِطاب، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخِطاب بصورة استنتاجية، وبعبارة أخرى، إنها تدرس منطق الخِطاب."[4]، وتتناول بالبحث والدراسة الآليات والقواعد الحِجاجية التي تحكم الخطاب، وتضمن انسجامه.

ويشير أبو الوليد الباجي (ت 284 ه) إلى الحجاج بقوله: "إن هذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحقّ من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولما اتّضحت محجّة، ولا عُلم الصحيح من السقيم."[5]

نتبين من خلال تعريف أبي الوليد أن الحجاج علم قائم بذاته له مكانته العالية كما له أسسه ومعالمه، يسعى إلى بيان الحق وتمييزه عن الباطل ويهدف إلى إثبات الصحيح من الخاطئ ووسيلته في ذلك إقامة الحجّج.

لعلّ ما يدعو إلى الدراسة البراغماتيّة للحجاج في "نظرية تحليل الخِطاب"، ويسوّغ لها هو بروز مكانة القصدية والفعالية والتأثير في كل عمليّة حِجاجية. [6].

وهذا ما يجعل من الحجاج، ضمن إطار المبحث التداولي، أداةً فعّالة في تحليل الخطاب، والكشف عن الأساليب والآليات التي يتوسلها المتكلم في خِطابه للتأثير على المخاطَب، وتحقيق النتائج التي يترجمها سلوكه وعقله.

---

[1]- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ناشرون، لبنان، بيروت، 2000، ص 549.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس ط1، 2006، ص13 .

[4]- أبو بكر العزاوي، الحِجاج في اللغة، دار الأحمدية، المغرب، ط1 2006، ص71، 72.

وينظر أيضا حسن الملخ ومجموعة من المؤلفين، الحجاج: رؤى نظرية ودراسات تطبيقيّة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015م، المقدمة.

[5]- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح، عبد المجيد تركي، دار المغرب العربي الإسلامي، بيروت، لبنان ط3، 2001، 2000، ص08.

[6]- حبيب، أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظريّ، مجلّد30، ع1، عالم الفكر، 2001، ص101.

الخطاب في التعريف اللغوي:

تعددت الأبحاث التي أجريت حول الخطاب واختلفت الدراسات باختلاف توجهات الدارسين واختصاصاتهم وتعدد زوايا نظرهم.

ورد في معجم مقاييس اللغة للرازي: "خطب: الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه، يخاطبه خطابا ... والخطبة من ذلك هي الكلام المخطوب به ...، وأما الأصل الآخر فاختلاف لونين."[1]

ما يهمنا من كل هذا التعريف هو المعنى الأول، إذ يتبين من دلالة الأصل الأول أن الخطاب يعني الكلام بين اثنين يستلزم أحدهما الآخر، متكلما ومتلقيا سامعا، بينهما كلام، في حين الخطبة تستلزم ملقيا وستمعين سواء كانوا حاضرين أم مستمعين غير حاضرين.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "خطب، الخطْب: الشأن أو الأمر، صَغُر أو عَظُم، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه، قولهم: جلّ الخطْب...، يقال: خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه، أي أجابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد حاطبه بالكلام محاطبة وخطابا وهما يتخاطبان"[2]

ويعني الخطاب عند الزمخشري" المواجهة بالكلام"[3]، ويأتي معنى الخطاب في سؤال: ما خطبك؟ والسؤال يتطلّب ردّا وإجابة، يستدعي السؤال والرّدّ أو الإجابة مخاطِبا ومخاطَبا، فكأنّ المصطلح في أصله يعني إفهام السامع بعد الرّدّ على سؤاله وجوابه، أو إقناعه وإفحامه.

فالكلام بين اثنين والمواجهة بالكلام، وهما يتخاطبان استعمالات لمادة خطب التي قد تعني لحدّ بعيد الإفهام بمعنى الإقناع والحجاج، وورود مصطلح الخطاب في آيات من القرآن الكريم، ومنها قوله عزّ وجلّ "وشددنا ملكه، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" الآية 20 سورة ص، وقال تعالى أيضا:" رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا" الآية 37 سورة النبأ. وقال أيضا: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" الآية 37 من سورة الفرقان.

تكاد مجمل التعاريف اللغوية تتفق على "ألا تخرج الخطاب عن صيغته التخاطبية بين شخصين، إذ تستوجب المخاطبةُ الإجابةَ وردّةَ فعل، تستدعي الإجابة تحويل الكلام من المتلقي إلى المرسل، فذلك يعني تبادل الكلام."[4]

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، المجلّد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 368، مادة (خ ط ب).

[2]- ابن منظور، لسان العرب، (م، س)، مادة (خ ط ب)، ص275.

[3]-الزمخشري، أساس البلاغة، (خ ط ب)، ص255.

[4]- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب، (م، س)، ص14.

على ألّا يمثّل الخطاب الحجاجي نوعا ونمطا من هذا الإرسال والتلقّي، لأنّ المخاطب أثناء العملية التواصلية لا يخاطب المتلقي لمجرّد الكلام فحسب، ولا ليخبره أو يشرح له أو يفسّر له لمجرّد الإخبار والشرح والتفسير فقط، بل هناك هدف ما قابع في ذهن المتكلّم حمله على التكلّم ألا وهو الإقناع أو الحجاج L'argumentation.[1]

الخطاب في الاصطلاح:

لعلّ من وظائف اللغة الرئيسة التواصل، وتتحقق هذه الوظيفة من خلال عدّة وسائل منها الخطاب الذي يعدّ وسيلة اتّصال لأنّه كلام بين اثنين، من متكلم إلى مستمع، والخطاب كما يبدو في مختلف البحوث عملية اتّصال تتمّ في الإطار اللغوي الذي يتكوّن من متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسل واحد، أو تتمّ بين عدّة متخاطبين، كما يحدث في الحوار أو غيره.[2]

ويشير معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب في تعريفه للخطاب أنه " يحيل على نوع من التناول للغة أكثر ما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعدّ بنية اعتباطية، بل نشاطا لأفراد مندمجين في سياقات معينة."[3]

من هنا كان الخطاب مجموعة من الجمل تحمل مضامين معينة وتهدف إلى مقاصد محددة، يتمّ إنتاجها من طرف مرسِل ما مع مراعاة السياق، فالخطاب الحجاجي يحقق عملية اتصالية، كما يهدف إلى إقناع المخاطب من أجل التأثير فيه، ويعرّفه إيميل بنفينيست ((E. Benveniste بأنه كلّ تلفظ يفترض متكلّما ومستمعا يهدف الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة ما."[4]

يهدف الخطاب الحجاجي بالدرجة الأولى إلى التأثير والإقناع مما يقتضي أن يتضمن باثا أو متكلما مرسلا للخطاب ومنتجا له يتوجه برسالته الخطابية إلى متلق أو مرسل إليه يتوخى تغيير وجهة نظره أو موقفه، ويتمّ كل ذلك ضمن سياق موقفي محدد.

ولتحقيق هدف التأثير يجب أن تطبّق استراتيجية تعرف باستراتيجية الإقناع، "ويعد الهدف الإقناعي من أهمّ الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، وبذلك يمكننا أن نصنّف استراتيجية نسميها استراتيجية الإقناع، انطلاقا من أنّ المرسل يتوخّاها لتحقيق مآرب كثيرة."[5]

---

[1]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، 119.

[2]- ينظر خلود العموش، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثال من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص23.

[3]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص38.

[4]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص14.

[5]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (م، س)، المقدمة.

وهذا يرتبط بصوة جليّة بالحجاج إذا ما نظرنا إلى هدف المتكلّم هو التأثير على المستمع، ومن هنا، ينظر إلى الخطاب الحجاجي بوصفه: " استراتيجية التلفّظ أو بوصفه نظاما مركّبا من عدد من الأنظمة التوجيهية والتركيبية والدلالية والوظيفية النفعية التي تتوازى وتتقاطع جزئيا أو كلّيا فيما بينها."[1]

وهذا التقاطع من شأنه تحقيق الوظيفة الحجاجية للتلفظ، إذ يتحقق هدف المتكلّم المتمثل في إقناع المتلقي من خلال توافر الأنظمة التوجيهية والتركيبية والدلالية وتظافرها.

والمراد بالأنظمة التوجيهية، أن المخاطِب يوجّه خطابه إلى مخاطب خاص، وذلك لهدف أو مقصد محدد يسعى المخاطَب إلى تحقيقه، وإذا نظرنا إلى ذلك التقاطع المشار إليه بنوعيه الجزئي والكلّي بين النظام الدلالي والتركيبي والتوجيهي في صناعة الخطاب والغاية منه، أدركنا العلاقة بين التركيب والدلالة (المعنى)، وهذا التقاطع من شأنه تحقيق الوظيفة النفعية لهذا الخطاب، وقد تحيل الأنظمة التوجيهية والوظيفية النفعية لخطاب ما إلى مدى تموقع الحجاج في شتى أنواع الخطاب، أو مدى حجاجية الخطاب.[2]

يحوي الخطاب في نظامه حجاجا - أو بعبارة أخرى - بوصف الخطاب حجاجا " يقتضي أنّ الخطاب هو نظام السلوك الاجتماعي والتواصلي بوصفه نظاما للتفاعل والجدل بين أطراف العملية التواصلية أي بين المتلفظ وملفوظه من جهة وبين المتلفظ وملفوظه والمتلفّظ فيه وبه وله و إليه من جهة ثانية، أو بوصفه نظاما للفعل الفاعل من طرف واحد (خطاب التعالي)، أو بوصفه خطابا للتبعية والخضوع، أو التبعية والاستتباع لاستتباع المتلفّظ لملفوظاته وفرض شروط تبعيّتها له."[3]

ويقول عبد الواسع الحميري أنّ الخطاب هو ما نعبّر عنه بلغة القول أو الفعل، وهو " نظام العقل الذي نعقل من خلاله الأشياء ونتصرّف إزاءها بمقتضاه، إنّه نظام الوعي الواعي بنفسه، وبما هو وعي فيه وله ولأجله."[4]

ومنه، لا خطاب بلا نظام ولا وعي دون نظام، فالوعي شرط لإقامة الخطاب الذي يعد النظام من أهم أبعده.

ويقول طه عبد الرحمن: " كلما وقفنا على لفظ (خطاب) سبقت إلى أفهامنا دلالته على معنى التعامل، أو قل: إنّ الخطاب أصل في كل تعامل كائنا ما كان."[5]

---

[1]- عبد الواسع الحميري، ما الخطاب، وكيف نحلله؟، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص09.

[2]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، ص120.

[3]- عبد الواسع الحميري، ما الخطاب، وكيف نحلّله؟، (م، س)، ص12.

[4]- المرجع نفسه، ص12.

[5]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، (م، س)، ص225.

فكل التعاملات القائمة بين الجماعة البشرية داخل المؤسسة الاجتماعية مهما اختلفت موضوعات هذه التعاملات وتعددت محاورها، فمدارها كله قائم على الخطاب الذي يعد سمة فيها.

وأما الحجاج فقد اتفقت معاجم اللغة جميعها، قديمها وحديثها على تعريفه وإيراد مشتقاته من المعاني المتصلة به، وسنذكر في هذا المقام ما يورده ابن منظور في معجمه من معانٍ مرتبطة به، فالحجاج عنده يمكن أن يتفرّع إلى: **الحَجّ، الحجّة، التحاجّ والاحتجاج.**[1]

•**فالحَجّ**، القَصْد، حجَّ إلينا فلان، أي: قَدِم، وحجَّه يحجُّه حجًّا: قصَدَه، وحججتُ فلانًا واعتمدتُه، أي قصدتُه، ورجلٌ مَحجوج، أي: مَقصود، وقد حَجَّ بنو فلان فلانًا: إذا أطالوا الاختلافَ إليه، أي: يقصدونه ويزورونه.

• **والحجَّة** :البُرهان، وقيل: الحجَّة ما دُوفع به الخصم، والحُجَّة: الوَجْه الذي يكون به الظَّفَر عند الخصومة، وجمعُ الحجَّة: حُجَجٌ وحِجاجٌ، والحجَّةُ: الدليل والبرهان.

•**والتحاجُّ** :التخاصُم، وحَجَّه محاجَّةً وحِجاجًا: نازَعَه الحجَّةَ، والرجل المِحْجاج: هو الرَّجل الجَدِل.

•**وأما الاحتجاج** : أي احتَجَّ بالشيء : اتَّخذه حجَّةً.[2]

ممَّا يبرز أنَّ لفظةَ الحِجاج أو المحاجَّة تَستقي معناها الأساسي مِن الظَّفر والتخاصُم والجَدَل الذي يَقتضي التحاج والتخاطُب، الذي تتحقَّق مِن خلاله العمليَّة الحِجاجية التواصلية.[3]

من هنا، يرصد "ابن منظور في معجمه " للفظة "الحِجاج"[4]، عددًا من المعاني تشكّل في مجموعِها الإطار العامّ للحِجاج، بوصفه جِدالا بين متخاصمَين، يحقق أحدُهما الغَلَبة على الآخر بالدليل والبرهان (الحجّة). وهذا يعني أنّ الحِجاج، بما يقربنا من مفهومه النظريّ أنّه:

(1) مبنيّ على الاختلاف، فهو قد يولد الخِصام،

2) وتفاعليّ، إذ إنه لا يكون إلا في التواصل، فهو موجّه إلى خَصم.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المعنى اللغويّ للحِجاج في العربية لا يختلف عنه في اللغات الأخرى، لا سيّما في وظيفته الجِدالية وإطاره التواصليّ.[5]

وقد ميَّز مؤسِّس التداولية) **شارل موريس Charles morris** بين ثلاثة عناصر تَدخل في تحديد الرمزية، وتبرز التصوُّر التداولي التقليدي لعلاقة مستويات التحليل اللُّغوي فيما بينها:

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة ح ج ج، (م، س)

[2]- المرجع نفسه،

[3]- تطرقنا إلى الحجاج ومفهومه اللغوي والاصطلاحي خلال المدخل من هذا البحث ص 4.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مادة ح ج ج، (م، س)

[5]- حبيب، أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، (م، س)

•الرَّمز من حيث هو **علامة**.

•الرَّمز من حيث هو **دلالة**.

•الرَّمز من حيث هو **محل للتأويل**.[1]

وهو تَقسيمٌ للرمز استَعاره موريس مِن المنطق، ونقله للّسانيات، مميزًا مِن خلاله بين ثلاثة مستويات، تحدِّد علاقة) **علم الدلالة Sémantique** و**التداولية Pragmatiqu** وهي تتعاقب خطِّيًّا.[2]

وهذه المستويات هي المستوى **التركيبي**، الذي يهتمُّ بتحديد قواعد تأليف جُمل لغوية تامَّة البناء تتميَّز بصِفة **النحويةGrammaticalité** ، والمستوى **الدلالي** الذي يتناول علاقة العلامات بمدلولاتها، أو مراجعها، ومدى استيفاء الجمَل لشروط الصِّدق، والمستوى **التداولي** الذي يعالِج علاقاتِ الرُّموز بمؤوليها، ويُعنى بالبحث في مدى استيفاء القول لشروط المقام وطاقته التأثيرية؛ أي: مدى مناسبته للمقام والأفعال الكلاميَّة التي تمكن مِن إنجاز القول، وما هي طبيعة رد فعل المخاطب.[3]

وإذا كانت الحجَج هي الطُّرق التي يتَّبعها صاحبُ الحجَّة مِن أجل إقناع السامع) **المخاطب** (واستمالتِه والتأثيرِ فيه، فمستوى الإقناع والتأثير يَختلف وَفق الآليات والطُّرق المستعمَلة في التحاجِّ، بالإضافة إلى الأساليب اللغوية الإقناعيَّة المستعملة في الخِطاب.

ليس الحجاج تمرينًا أو عمَلًا وصفيًّا أو حكاية حدَث معيَّن، بل هو مقصد يرومه صاحبُه عبر التأثير في الآخر وفي الواقع، أوالدِّفاع عن الفكرة عن طريق الاستدلال العقلي دون إكراهٍ بالبحث عن المعلومات الملائمة وسوقِها كأخبار حجاجيَّة غير عادية، حيث تكون للقيمة الحجاجية أَوْلوية في الخبر الحجاجي.[4]

ومادَّة الحجاج - وفق أرسطو - هي الأفعال الإنسانيَّة والمصالح الإنسانية، وهي مادَّة تتميَّز عمومًا بغموضها وعدم خضوعها أو انضباطها لأية قاعدة دقيقة وثابتة، وهو الغموض الذي يكون أَوْفر حينما نواجِه مجالًا مَحصورًا من هذه المادَّة، وهذا هو مجال الحجاج. وموضوعه حسب **بيرلمان وتيتيكاه Tyteca** هو دراسة تقنيات الخِطاب التي تضطلع بجعل الأذهان مسلِّمة بالأطروحات المعروضة عليها، أو الزيادة في درجة التسليم .[5]

---

[1]- ينظر طه عبد الرحمن اللسانيات والمنطق والفلسفة، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 121.

[2] - Voir: Anscombre et ducrot " L 'argumantation dans la langue" Piere Mardaga. Editeur, 2ed p 15, 16

[3]- ينظر: رضوان الرقبي الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، ص 88.

[4]- عبد السلام عشير "تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 2010، ص152، 153..

[5]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، (م، س) ص83.

لقد ساهمت الطفرة غير المسبوقة التي عرفتها العلوم في إفراز أفكارٍ، في مقدّمتها: تلاشي اليقين، الذي كان يجد أساسه في مبادئ الرياضيات أو قطعيات الواقع المحسوس؛ ممّا أدّى إلى إحياء الخطابة والحجاج في منتصف القرن العشرين، والاهتمام بالاحتمال والممكن.[1]

الحجاج مِن القضايا الهامّة التي تتأسّس عليها **الملاءمة**، فهو المحرّك المهمّ للتفاعل الحواري، على أساس أن التبادل الحجاجيّ يروم التأثير على السلوك والمعتقدات.[2]

والحجاج هو" توجيه خطاب إلى متلقٍّ ما؛ لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألّف من معجم اللغة الطبيعية".[3]

فالحجاج إذن، خطاب ميدانه اللغة الإنسانية وعناصره مخاطِب ومخاطَب أو جماعة يوجه إليها الخطاب في إطار سياق معين و في ضوء معطيات معينة.

كما كان دومًا، وعمومًا، دفاعًا عن ملفوظ أمام ملفوظات أخرى؛ فهو **فن الإقناع** الذي يتمّ توجيهه إلى شخص بهدف إقناعه بتبنّي موقف معيّن، اعتمادًا على حجج تُظهر صحّة الموقف، فهو عمليّة هدفها الإقناع، ووسيلتها الحجج.

ويراعي طه عبدالرحمن البعد الإقناعي والطّبيعة التداولية التواصليّة في تعريفه للحِجاج، الذي يستثمِر كلّ ما يمكّن المخاطَب مِن الاقتناع، فيقول: "وحدّ الحجاج أنه فعاليّة تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال مِن معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجّهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيّا في إنشاء معرفة علمية إنشاءً موجّها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعيّ، قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسَع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، ويعتبره ميشال مايير Michel Meyer جهدا إقناعيّا، والبعد الحِجاجي بعد مِحوري في اللغة، لأنّ كل خطاب يسعى لإقناع المخاطَب به.[4]

وهو مسعى يحاول به فرد أو جماعة إقناع مخاطب بتبنّي موقف ما، وذلك بالاستعانة بتمثيلات أو حُجَج مستهدفة البرهنة على صحّة الموقف وأحقّيته، وهو يقوم على تدخّل مجموعة من العناصر: منتجوه، ومستقبلوه، وعند اللّزوم جمهور أو شهود؛ لذلك فهو ظاهرة اجتماعية.

فمحاولة التأثير والتحكّم في الإنسان بواسطة اللغة هو ما يسمّى حِجاجًا، أمّا التأثير فيه بأداة أخرى غير اللّغة، فذلك ليس حِجاجا، فتوَجّه مدير الأمن في الساحة العموميّة بخطابه إلى المحتجّين مِن

[1]- عبد السلام عشير، تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، (م، س) ص 3.

[2]- محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، إفريقيا الشرق، 2010، ص 9.

[3]- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، ص 11

[4]- Voir: Michel Meyer 1982" (Logique langage et Argumentation" Classique Hachette,P13.

أجل الانسحاب، بسبب عرقلة حشودهم لحركة السير وخلقها لحالة من البلبلة هو حِجاج، وغايته الإقناع، لكن التلويح بالهراوات أو السّلاح أو خراطيم المياه هو تهديد مادّي، وليس حجاجا.[1]

و(الباث) و(المتلقي) متجذران في أيّ خطاب حجاجي، فالمتكلّم يراعي استعداد المتلقي لقبول ما يُلقى إليه من حجج، يفترض فيها أن تنطوي على مقومات المقبولية، وهو الاعتبار الذي لا يراعى في الخطاب العلمي، فلا ينتظر أن يوافق مخاطَب ما على كون زوايا المربع متساوية وذات تسعين درجة.

فالطرفان ينخرطان في عمليّة التواصل الحجاجي، محمَّلَيْنِ بمجموع انفعالاتهما ونوازعهما واعتقاداتهما وثقافتهما وأيديولوجيتهما وكفاءتهما العلمية وغير العلمية، وهما متأهّبان بصفة دائمة لاستنفار المكنونات كلها لتشغيلها جزئيّا أو كليّا في العملية التواصلية الحِجاجية.[2]

في السياق العلمي تنتفي الضرورة الحِجاجية فأيّ ظهور للباث يمكن أن يلاحَظ في هذه العبارات:

•الكرة الأرضية تقوم بدورتين إحداهما حول نفسها، والأخرى حول الشمس.

•إنّ دورة الأرض حول الشمس تستغرق ثلاثمائة وخمسة وستين يوما.

•كلّ إنسان فانٍ، سقراط إنسان إذًا سقراط فانٍ .

أو في هذه العملية الحسابية مثلا: $2+2=4$.[3]

والحجاج الخطابي تقريب بين المتكلّم والمتلقّي، وهو غير الحجاج الجدَلي الذي يروم محاولة تخطئة الطرف الآخر، باستعمال البراهين المؤسّسة على مقدّمات وعلاقات ونتائج صوريّة منطقية، فالحجاج الخِطابي لا يستعمل البراهين بصورتها الموجودة في الحِجاج الجدلي البرهاني، كما أنّ النصوص الخطابيّة يمكن أن تكون نصوصا مقنعة (أو إقناعية)، وليست نصوصا حجاجيّة، أي: إنّ كلّ نصّ حِجاجي نصّ إقناعي، وليس كلّ نصّ إقناعي نصّا حجاجيّا.

الحجاج فعل إنساني يمارسه الإنسان مستهدفا تحقيق الإقناع، وهو يتميّز بخصائص معيّنة، منها:

•اتّخاذه مسارا حواريّا تستعمل خلاله أحكام محدّدة.

•استهدافه الإقناع على أسس عقلية.

•توجّهه بالبرهنة التي لا تلزم الجهة المستقبلة التي تكون جمهورا خاصّا يقصد من خلاله جمهور كوني.

•نصوصه إقناعية ضرورة.

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 13.

[2]- المرجع السابق، ص14.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

•ليس هدفا لكلّ تواصل.[1]

النماذج التواصلية للحجّة في الخطاب الحجاجي:

ويقتضي التفاعل الحواريّ بين المتواصلين عناصر أساسية، يتمّ تفعيلها في الحوار، وهي تتميّز بتنافرها أو تقاربها بين أطراف الحوار، ووروودها في النّقاش يُفضي إلى قدر من التقارب أو مستوى من التنافر، وذلك بحسب ما يؤول إليه التبادل الحجاجي والقدرة الإقناعية للمتحاورين.[2]

وما دام كلّ حجاج تواصلا، فيمكن الحديث عن ثلاثة نماذج تواصلية للحجة:

•**النموذج الوصلي للحجّة**: حيث تعامل معاملة البناء الاستدلالي المستقل الموصول العناصر، وتكون الحجّة في هذا النموذج حجّة **مجرّدة**.

•**النموذج الإيصالي للحجّة**: لأنه يجعل مِن الحجّة فعلا استدلاليّا يتوجّه به المتكلّم إلى المستمع، وتكون الحجّة في هذا النموذج حجّة **موجّهة**.

•**النموذج الاتصالي للحجّة**: إذ ينظر للحجّة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلّم والمستمع، جمعا بين تَوجيه الأول وتقويم الثاني، وتكون الحجَّة في هذا النموذج حجَّة **مقومة.**[3]

ويختلف الحجاج Argumentation للاستدلال Raisonnement ، فهما ينتميان لنظامينِ مختلفين؛ نظام ما يسمّى عادة ب**المنطق ونظام الخِطاب**، فاستدلال **القياس الحملي أو الشرطي مثلا لا** يشكّل خطابا بالمعنى الذي يعطيه **ديكرو** لهذا المصطلح، فالاستدلال يتألّف من أقوال مستقلّة بعضها عن بعض، بحيث إن كلّ قول منها يعبّر عن قضيّة ما، أي يصف حالة ما أو وضعا من أوضاع العالم بعدّه وضعا واقعيّا أو متخيلا ولهذا فإنّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسّسا على الأقوال نفسها، ولكنّه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي: على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم.[4]

وتبيّن الأمثلة الآتية الفرق:

أ - قال زيد إنه سيأتي غدًا.

ب - إذًا أنت سعيد.

---

[1]- ينظر محمد البوزيدي، الحجاج اللساني، مقال متاح على شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، على الموقع:
https://www.alukah.net/literature_language/ بتاريخ: 2017/05/08، اطلع عليه بتاريخ: 2022/02/20

[2]- محمد نظيف "الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، (م، س)، ص 7.

[3]- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، كلية الآداب، أغادير، المغرب ص6

[4]- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي سلسلة ندوات ومناظرات، تنسيق حمو النقاري، و ينظر التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص 57.

فالمتكلم ب في الحوار محقّق لاستدلال، ويستند إلى الحدث المذكور في قول المتكلم أ، أي: حدث مجيء زيد غدًا، فهذا ليس حجاجا.

أما في القول:

أ - أنا متردّد في اقتناء هذه الموسوعة.

ب - فهل مبلغها قليل؟

فيقع الترابط بين القول الإثباتي والاستفهام الثاني على أساس حِجاجي؛ فقدم الاستفهام) ب (على أنَّه حجَّةٌ لفائدة النتيجة) أ(، وهذه النتيجة لا تَستند إلى أيِّ حدَثٍ سابق أو لاحِق، وبما أنَّ) أ (استفهام، فالحجَّةُ ليست هي الاستفهام، بل هي التعبير عن عدَم اليقين الملازم لبِنية الجملة الاستفهامية[1].

غاية الحِجاج هي الإفحام والتأثير وإقناع المتلقِّي، بصَرْف النَّظَر عن صِدْق الحجَّة وصحَّتِها، فليست غايتُه البرهنةَ القطعيَّة الصَّارمة، ولا الحُكمَ بالصِّدق والكذب، وبخلاف ذلك؛ فالبرهانُ قد يكون سليمًا، غير أنَّ المتلقِّيَ لا يقتنع به، ولا يدفعه للعمل بمقتضاه.[2]

فالآليَّات الحجاجيّة تتميّز بفعالية جدليّة تتجاوز البرهان الصارم وآليّته الحسابية، حيث يؤخذ بالتراتب والتفاضل، وفي أحيان أخرى بالتناقض، الذي يستسيغه العقل، ويقود للإقناع، بخلاف البرهان الذي يمكن أن يكون دليله مستويا ولا يقتنع به المخاطب. [3]

وقد قابل **مايير** بين المنطق والحجاج عندما قال بأنّ المنطق لا يسمح بأيّ غموض، فأحادية المعنى المشكلة لقاعدته ليست نتاجا لأوضاع واقعيّة ترتبط بالاستعمال، ففي الأوضاع الواقعيّة لا يتمّ التصريح بكلّ المعلومات، فنحن نترك للمخاطَب مجالا لاتّخاذ القرار بشأن المفاهيم المستعملة، بل وفرصة جعلها أحاديّة المعنى، وهذا اللّبس الذي يميّز اللغة الطبيعيّةَ هو سبب السمعة غير المحمودة للحِجاج، فلا شيء يمنع من اللّعب على تعدّدية المعنى، والتلاعب بموافقة المستمع عن طريق الغموض والضبابيّة، إذا ما كانت ألفاظ رسالة ما ملتبسة، وهذا اللبس هو ما يشكّل غِنى اللّغات الطبيعية، فبإتاحتها إمكانيَّة مَنْح المستمع وسائلَ الحَسْم للسياق، باتّجاه معنى معيَّن، ستتوفّر اللُّغة الطبيعية على مرونة كبيرة، وذلك بالنّظر إلى كلّ وضعية ممكنة للاستعمال.[4]

---

[1]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، (م، س) ص، 91.

[2]- المرجع نفسه، ص82.

[3]- طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 65.

[4]- Michel Meyer , Logique , langage et Argumentation" P 113

ولا يعود الالتباس الذي ينطوي عليه الحِجاج دون غيره من طرق الاستدلال إلى المعاني المتعدّدة للّفظ الواحد في الدليل، ولا لغموض تركيب الجملة الواحدة في الدليل بحيث تقبل هذه الجملة تحليلين نحويّين متباينين فأكثر.[1]

بل الأساس في الالتباس الحِجاجي هو أنّ الحِجاج لا يرجع فيه إلى أحداث واقعية، ولا يعتمد على ترابطات منطقيّة ضرورية، بالإضافة إلى أنّ قيمة الحجَّة وقوَّتها تختلفان وفق السياقات التي تردان فيها .

ملامح الخطاب الحجاجي:

يتميّز الحجاج بخمسة ملامح محوريَة:

- **أن يتوجَّه لمستمع**.
- **أن يعبّر عنه بلغة طبيعيّة**
- **مسلّماته لا تعدو أن تكون احتماليّة**
- **لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة**
- **ليست نتائجه ملزمة**.

كما حدَّد بيرلمان لوظائف الحجاج سلّما يتكوّن من ثلاث درجات، وهي:

- **الإقناع الفكري الخالص**.
- **الإعداد لقبول أطروحة ما**.
- **الدفع للفعل**.[2]

وقد اعتبر **بيرلمان** عنصر" **القصد والمقام** "أساسين لكلّ حجاج خطابي، فالقصد حاسم في تحديد مجال التخاطب، وهو محدّد لطبيعة المخاطبين المستهدفين بالتأثير عبر الاحتجاج، لذلك قد يتّسع مجال المخاطبين، فينطلق من إقناع المتكلّم نفسه بقضيّة ما إلى إقناع الناس جميعًا.[3]

ووفق **بيرلمان**، **ينبغي** التركيز على معايير الأولوية في ما يتعلّق بعلاقة المخاطبين مع المقام والموضوع معا، فكلّما استثمرت حقائق فعليّة وأحداث محدّدة يثق المخاطَبون في ثبوتها، كان التأثير أكبر.

والخطاب الحجاجيّ تقف وراءه ذات متكلّمة، أي: إنّ له مصدرا، وكثير من أفعال القول - حسب ديكرو - تملك وظيفة حجاجيَة، عندما تستهدف توجيهَ المتلقي، لكي يفعل أو يترك، ولذلك يصطلح

[1]- طه عبد الرحمن (1987) "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (م، س)، ص35.

[2]- محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، المجلة العربية للثقافة، ع/ 32، مارس1997، ص 29 و 30.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص19.

ديكرو وأنسكومبر على هذا الحجاج الخطابي" **الحجاج داخل اللغة**" فالأمر يتعلّق بالحجاج أو منطق الكلام أي: القواعد الداخليّة للخطاب، والتي تشكّل ترابطه وتسلسله.[1]

نظرية الحجاج والأفعال اللغوية:

تعدّ نظريّة الحجاج امتداد وتطوير لنظريّة الأفعال اللغوية، فـ**ديكرو**(Oswald Ducrot) يعدّ الحجاج فعلا لغويّا خاصّا، والحجاج بالنّسبة لنظريّة الأفعال اللغوية هو إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخِطاب، أي: متواليات مِن الأقوال والجمل، بعضها بمنزلة الحجج، والبعض الآخر بمنزلة النتائج المستنتجة منها.

وللحجاج علاقة دلالية بين الأقوال في الخطاب، تنتج عن عمل المحاجّة، وهذا عمل محكوم بقيود لغويّة، كما أنّ القيمة الأساسية للقول ترجع في جزء مهمّ للاستعمال الحجاجي، رغم أنّ الحجاج مسجّل في بنية اللغة ذاتها.[2]

الحجاج والخطابة

يُعرف الخطاب الحجاجي، بأنه خطاب يستنفر كل الطاقات الإقناعية لدى المرسِل من أجل الدفاع عن وجهة نظر ما ليجعل المتلقي يذعن لها، فهو أولا وبالأساس فكر الآخر وكلامه اللذان يتعارضان مع اعتقاد المرسل وبما أنه يعارضه في نقطة ما يبدو خطابه مجانبا للحقيقة لا يرقى إلى اليقين، بل يظلّ ضمن دائرة الممكن والمحتمل.[3]

الحجاج الخطابي عند أرسطو

الحديث عن الحجاج والخطابة يقتضي لا محالة العودة إلى أرسطو وإدلاءاته فيهما، تجدر الإشارة بداية إلى الحديث عن كتاب الخطابة وتبويبه، ثم التطرق إلى محتواه، فالكتاب يتكوّن من مقدّمة وثلاث مقالات:

المقدمة: وهي مدمجة في المقالة الأولى، حيث حدّد فيها أرسطو طبيعة الخطابة، وعلاقتها بالعلوم والفنون الأخرى، مثل الجدل والأخلاق والسياسة والشعر، وقسمها بحسب المقامات إلى استشارية وقضائية وتقويمية (مدح وهجاء).

- المقالة الأولى: تتضمن الأخلاق والأدلّة المناسبة والوسائل الإقناعية الصناعية الخاصة بالخطابة القضائية.

---

[1] - ينظر المرجع نفسه، ص19.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص19.

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص19.

- المقالة الثانية: تتضمن الأحوال النفسية المؤثرة في المخاطبين والاقيسة الخطابية والامثال.

- المقالة الثالثة: تعنى بالأسلوب وترتيب أجزاء القول."[1]

والملاحظ على هذا التبويب أن له علاقة بالحجاج، ولئن كان البلاغيون من العرب القدامى قد تناولوا مفهوم الاستدلال في أبحاث البيان والمعاني وجعلوه في دائرة التشبيه والاستعارة والمجاز، وهو ما نجده عند السكاكي، فإن الاستدلال عند ارسطو تفكير عقلي يتمّ إنتاج العلم من خلاله وبواسطته، وهو الدعامة الأولى التي تأسّست عليها دراسته للحجاج، وقد تأسست دراسة الجاحظ على دعامتين كبيرتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال، والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي."[2]

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أنّ ارسطو كان تركيزه على صور الاستدلال الأكثر أهمية، المتمثّلة في الصور القياسية التي نستشفّ منها الاستدلال بأنّه " قول مؤلّف من أقوال، إذا سُلِّم به لزم عنها بالضرورة قول آخر."[3]

ويمكن استعمال " الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي عامّة والبلاغي خاصة، بوصفه تلك المنهجية او الطريقة العقلية التي يسلكها الفيلسوف والبلاغي الناقد والمبدع أيضا بهدف إرساء حقيقة معيّنة وما يقتضيه ذلك الإرساء من عمليات عقلية منطقية تدعم ذلك الطرح دعما حجاجيا من جهة وأساليب إفحامية توجيهية من جهة أخرى."[4]

ويعرّف أرسطو الخطابة بقوله: " الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة."[5]

ويضيف أرسطو موسعا في مفهومها بقوله: " فقد استبان إذاً أن الريطورية ليست جنسا لشيء واحد مفرد ...، وأنها جدّ نافعة، وأنه ليس عملها أن تقنع ولكن تُعرِّف المقنعات في كل أمر من الأمور."[6]

وهو ما نلحظه في البلاغة العربية القديمة، وعند علماء الكلام والأصوليين والمفسرين حين يذكرون الإقناع والاستدلال والخطبة، وقد اهتم أرسطو كثيرا بالاستدلال وبالحجج وهي عنده على أنواع، وأن

---

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 1996، ص271.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص36.

[3]- المرجع نفسه، ص37.

[4]- المرجع السابق، ص37.

[5]- الريطوريا هي الخطابة في اللغة اليونانية.

[6]- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص09.

الأهم من هذه الأنواع " هي تلك القائمة على التصديقات (الحجج) الصناعية التي يقوم بها المحاجج وبصناعتها ونحتها اعتمادا على معايير عقلية منطقية لا على معايير عاطفية توجيهية."[1]

والمقصود بتصديقات الحجج هنا هي تلك التي يصنعها أو ينشؤها المتكلم أو المحاجج ويصوغها اعتمادا على حالة المتلقي بمقدمات عقلية منطقية، وهذا بغية تغيير وظيفة الحجاج والانتقال من تحقيق أهداف عاطفية إلى تحقيق أهداف منطقية، ويميز أرسطو بين نوعين من الحجج: حجج صناعية، وأخرى غير صناعية.

أنواع الحجج عند أرسطو

1. **الحجج أو التصديقات الصناعية:** وهي ما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا ...، فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام، فهي أنواع ثلاثة، فمنها ما يكون بكيفية المتكلّم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت، فأما بالكيفية والسمت، فأن يكون الكلام بنحو يجعل المتكلّم أهلا أن يصدّق قوله ويقبله.[2]

2. **التصديقات غير الصناعية** فهي " تلك الحجج التي لا تكون بحيلة منا، ولكن بأمور متقدّمة."[3]

وما يمكن ملاحظته أن الأولى تكون جاهزة ويوفرها المقام العامّ للخطاب، وعلى الخطيب أو المحاجج أن يستعمل منها بقدر مقتضى الحال، إذ ينبغي ان تتناسب الحجج مع درجة التصديق أو الإنكار الحاصلين لدى المعنيين بالخطاب."[4]

فأما ما يكون بكيفية المتكلم فيختصّ بالجانب الأخلاقي، أي أخلاق الخطيب، وأما ما يكون بتهيئة السامع، فذلك الجانب الانفعالي، أي انفعال المتلقي، وما يكون بالكلام فهو ما يختص بالجانب العقلي، أي الاستدلال المنطقي، وبهذا يكون أرسطو قد أعطى في درسه للخطابة اهتماما كبيرا للجانبين العقلي والنفسي معا.[5]

ويميز أرسطو بين الحجج الخطابية، فثمّة المشتركة والخاصة، وفي هذا يقول: "إذا كانت الحجج الفرعية والتي هي حجج مساعدة للخطيب على بناء حجاجه وتوجيهه، فإنّ الحجج المشتركة هي المؤسسة للخطاب بمختلف فروعه وأنواعه، وبالتالي، تكون هذه أشمل من الأولى وتتضمنّها.

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص41.

[2]- ينظر أرسطو طاليس، الخطابة، (م، س)، ص09، 10.

[3]- المرجع نفسه

[4]- محمد السالم، محمد الأمين الطلبة، (م، س)، ص47.

[5]- ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2000، ص108، 109.

والحجج المشتركة في نظر أرسطو ثلاث الضمير والرأي والمثال، ولكنه يختزلها في الضمير والمثال، لأنّ الرأي حسبه مشمول في الضمير."[1]

كما يشير إلى أن كلّ من هذه الأنواع استعمالاته ومقاماته وبلاغته الخاصة، ويحدد أرسطو أنواع الخطابة وغاية كل نوع منها كما يشير إلى أنواع السامع ومما يتركّب الكلام والغاية منه، فيقول:" الكلام نفسه مركّب من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه ومن الذي إليه القول، والغاية إنما هي نحو هذا أعني السامعَ...، يكون الكلام الريطوري ثلاثة أجناس: مشوري، ومشاجري، وتثبيتي.[2]

كما يتطرّق أرسطو إلى ذكر الأسلوب وسلامته وتناسبه، ووسائل الإطناب، وغيرها من الأبحاث الحجاجية.[3]

ويتمثل الغرض الحجاجي في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل، وهو غرض ممكن التحقّق، بواسطة" **الحجة المادية"**، غير الصناعيَّة المعتمدة على الوقائع الموضوعيّة **العقود والشهادات**، وعلى الخلفيّة العامَّة المشكلة من آراء المجتمع (ما يهم الأخلاق مثلا)، ويتحقّق هذا الغرض مِن ناحية أخرى ب" الحجة المنطقية "و"شبه المنطقية" الصناعية (التي تتَّجه مِن الخاص إلى العام **(الاستقراء)**، أو مِن العامّ إلى الخاص **(الاستنباط)**، والقصد من ذلك جعل غير المحتمل محتملا، وغير الأكيد أكيدا، ويمتد مجال هذا النشاط إلى الجانب البرهانيّ للخطاب **(الاحتجاج)**، كما يمتد إلى أيّ شكل من النصوص الاحتجاجيَّة، **مثل العرض السياسي**.[4]

كما أنّ غايته هي جعل العقول تذعن أو تزيد في مستوى الإذعان، ولذلك فأنجعه هو الموفق لتقوية حدّة الإذعان عند السّامع، بحيث يحثه على الإنجاز أو العدول، أو ما وفق لتهيئة السّامعين للعمل في الوقت المناسب.[5]

ورغم تعدد نظريات الحجاج واتجاهاته، فإنه يعدّ من الأبواب الأساسيّة في التداولية، فهو أحد الأركان فيها، ومجال غني ينبثق من تياري المنطق والبلاغة الفلسفية، كما أنه يغطي كلّ مجالات الخطاب الاجتماعي والسياسي والقانوني والإشهاري، والذي يروم إقناع المتلقّي وإفهامه، بصرف النظر عن الطريقة المتّبعة وطبيعة الموضوع المناقَش[6].

---

[1]- ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص46.

[2]- أرسطو، الخطابة، (م، س)، ص16، 17.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص198، 200.

[4]- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999 ص 25.

[5]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 83.

[6]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها..

وقد عولج الحِجاج في التداولية، بعدِّه فعلا تداوليّا، يفسّر بإبراز مراتب المتكلّمين وما يقومون به من أدوار في الفعل الكلامي وبيان أهميّة السياق التخاطبي، كما عدّت الروابط الحجاجيّة في التداولية أدوات مساهمةً في تحديد العلاقة الخطابية بين المتكلمين من جِهة، وبين أطراف النصّ من جهة أخرى، كما اهتمّت بـ**السلالم الحجاجية** في الأقوال، ولهذا اتّخذ التحليل التداولي للحجاج النصوص وطرائق إنتاجها موضوعه المحوريّ، وذلك للمساهمة في تحديد أسس قراءة النصوص الحجاجية.[1]

وقد" أصبحت التداولية في إطار الحِجاج أقرب إلى الإبداع منها إلى الاتباع، تسعى إلى معرفة عميقة للعالم والإنسان واللّغة، وإلى معرفة الماضي والحاضر، ومعرفة العلوم والثّقافات، والوقائع والأحداث، والتوقّعات والملابسات، بل معرفة النوايا، وبذلك أصبحت تشتغل على قضايا اجتماعية وسياسية، ناهيك عن بعدها المعرفي."[2]

وهذا بخلاف المنطق الصوريّ الذي يعتمد لتحصيل معنى القول (إيجابًا أو سلبًا) على تَحليل القولِ الخبريّ، خصوصا الحملي، بإعطاء أسبقية منطقيَّة ونظرية لمعاني مفرداته، معتمدا في تقويم الأقوال وتحديد دلالتها على أصول برهانية، معتبرا القول تركيبا لمفردات تدلّ في تآلفها على معنى كلّي، مستغنية في شكلها وترتيبِها عن اعتبار مضامينها القصديَّة، معتبرًا أن القول يفيد معناه بمقتضى" **الاستلزام الصناعي**."[3]

انطلاقا من أنّ مدلول القول يقوم بناء على تركيب مدلولات أجزائه (مفرداته)، وليس على أساس كونه تابعا للمعنى المراد تبليغه، ممّا يعني التقيّد بمبدأ عام هو "تفرّع المعنى الكلّي على معنى الجزء"[4]، وهذا ما يخالف المبدأ الأساسي في" **نظرية النظم** "القائمة على أساس" **الكلام النفسي**" أي: وجود المعنى والقصد والفكرة في الذّهن قبل استوائها في الملفوظ، أي: انتقالها من القوّة إلى الفعل، ولهذا، فالتدليل الحجاجيّ الذي يمارس في الخطابات الطبيعية ذو فعل تداوليّ، أمّا التحليل المعتمد على القواعد الصوريّة، فطبيعته آليّة صوريّة، في التصديق والتصوّر، وهو مرتبط بلغة اصطناعية، ولا يكترث باللغة الطبيعيةِ، لذلك لا يعير أيّ اهتمام لمقام القول ولا للقائل، أي: إنَه مستقلّ عن كلّ فعل تداوليّ.[5]

فعندما يعرف طه عبد الرحمن **الحجاج بأنه "فعالية تداولية** جدلية، و أنه **تداولي** لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، حيث يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، فهو يهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاءً موجها

[1]- المرجع السابق ص 87.

[2]- عبد السلام عشير تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، (م، س)، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ص (145).

[3]- المرجع نفسه، ص87.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[5]- ينظر المرجع السّابق

بقدر الحاجة، وهو **جدلي** أيضا، لأن هدفه إقناعي يقوم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة."[1]

هذه الثنائية التي تميز الحجاج جعلته أكثر حضورا في العملية التواصلية مما ساعد المُرسِل على إيصال أفكاره إلى المتلقي، و تجعله يذعن إلى ما يطرح عليه من رسائل، و أفكار، و ذلك لأن الحجاج "عملية استدلال عقلي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، وتعتبر أن موضوعه درس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية."[2]

ومن شأن هذا التعامل أن ينشئ علاقة تخاطبية تكون وظيفتها التواصل، ولكنّ ماهية الخطاب ليست مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبين فأكثر، ذلك أنّ حقيقة الخطاب ليست هي مجرّد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الإدعاء والاعتراض، أي أن الذي يحدد ماهية الخطاب هو العلاقة الاستدلالية وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج، وإن تضمّن الخطاب علاقة تخاطبية، فيجب إذن ردّها إلى العلاقة الاستدلالية. وللخطاب دور كبير في تقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق وتوجيه الناس صوب الوجهة التي نرتضيها.[3]

نستخلص من كل هذا أن الخطاب يتضمّن الحجاج الذي يعدّ صفته وميزته وذلك بالنظر إلى العلاقات الاستدلالية و التعاملية والتخاطبية التي تسم مختلف الخطابات.

ويشترط في نجاح العملية التواصلية الحجاجية طبعا توفر عناصر الخطاب والمقام أو الموقف السياقي.

خصائص الخطاب الحجاجي وأهم سماته

يتنزّل الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر وأتباعهما في صميم المدرسة البراغماتية التي عرف روّادها بأنهم ينكبّون على الأشكال الدلالية مقابل انكباب البنيويين والنحويين التوليديين على الأشكال الدّالة، ويعتبرون المقام اللغوي في مقابل اهتمام الدّراسات السّابقة بالنظام اللغوي، وينظرون في القول بعدما كان النظر اللغوي يبحث عن الجهاز المختفي وراء القول ويتساءلون في علاقة اللغة بالكلام وجدوى التفريق بينهما، بعدما كان اللغويون جازمين في إبعادهم إنجاز الكلام عن الدراسة العلمية.[4]

---

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط3، 2007م، ص.65

[2]- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، د.ت، ص 59 .

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، (م، س)،

[4]- محمّد صلاح الدين الشريف، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، أهمّ المدارس اللسانية، 1938، ص95

وتجدر الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية ديكرو الحجاجية وهو "التّوجيه"، إذ عدّ أنّ غاية الخطاب الحجاجي تتمثّل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النّتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيها.[1]

ومن هنا، فقد أقرّ ديكرو بسلطة الخطاب الحجاجي الذي يعد في نظره خطاب يسدّ المنافذ على أي حجاج مضادّ، فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها، وبالتالي تتحدد رؤية ديكرو الحجاجية في ميزتين أساسيتين هما التّأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية وإبراز سمة الخطاب اللغوية وإبراز السمة التوجيهية. للخطاب.

إنّ الاستعمال الاجتماعي للكلام يبرز للحجاج سمة مميزة، فكلّ حجّة تفترض حجّة مضادة ولا وجود لحجاج دون حجاج مضادّ، فميدان الحجاج ليس الصّادق الضّروري –مما يميزه عن البرهنة– وإنما الممكن المحتمل، لذا يقول جيل دوكلارك Jilles Declarcq: " إنّ الحجاج وهو يتّخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلا له يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح اتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة[2].

ومن خصائص النص الحجاجي أنه يختلف عما سواه من النصوص من جهة هدفه الذي يمكن اعتباره دون ريب برهانيا، فإذا كان قصده معلنا واستدلاله واضحا وأفكاره مترابطة، فلأنّه يحرص كل الحرص على إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان دون اقتناع حقيقي، فهو خطاب يلزم صاحبه على نحو صارم بما جاء فيه، بل يورّطه بشكل واضح جليّ.

وعلى هذا النحو يمكن تعريف الخطاب الحجاجي بكونه "خطابا أو نصّ متناغما مترابطا، يقوم على وحدة معيّنة لا تكون بالضرورة واضحة جلية، بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه، وضع لإقناع المتلقّي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة."[3]

ووقد جمع رونو بنوا Benoit Renaud. سمات الخطاب الحجاجي، في النقاط التّالية:[4]

القصد المعلن: وهو البحث عن إحداث أثر في المتلقّي، أي إقناعه بفكرة معيّنة، وهو ما يعبّر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية (Conative) للكلام، وقد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا الشّكل النّاجح من أشكال التّواصل.

---

[1] - ديكرو، السلالم الحجاجية، منشورات Minuit، باريس، 1980، ص60، نقلا عن سامية دريدياً الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، (م، س)، ص253.

[2] -ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2007، ص26.

[3] - المرجع نفسه ، ص 26.

[4] - المرجع نفسه ، ص 26.

كما تكمن السمة القصدية للحجاج في "تحديد العلاقة الحجاجية حين نعتبر العبارة (س) موجّهة لخدمة (ع)، تتحقّق السّمة القصدية"[1]

- **التّناغم:**

النصّ الحجاجي نص مستدلّ عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كلّ مراحله، ويوظف على نحو دقيق التّسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلّق الأمر بالفتنة أو الانفعال، أو إحداث مجرّد تقدّم، وهو ينمّ عن ذكاء صاحبه وقدرته ويشي بمعرفته الدّقيقة بنفسيّة المتلقّي وقدراته وآفاق انتظاره، لذلك نراه يعلن أمرا و يذكر آخر ويختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى، ويسأل ويجيب، بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة فيتجلّى في نصه سحر البيان وتتأكّد فتنة الكلام.[2]

- **الاستدلال:**

وهو سياق الخطاب العقلي أي تطوّره المنطقي، ذلك أنّ الخطاب الحجاجي قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معيّن تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لسانيّ بالأساس، ذلك أنّ الخطاب الحجاجي إلى أبسط صورة وهو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية ترتيبا يستجيب لنية الإقناع.

- **البرهنة:**

وإليها تردّ الأمثلة والحجج وكلّ تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وتنفيذها.[3]

وعلى هذا النّحو يتضح أن هذا التّفريع المتداول للنّصوص يمكّن فعلا من حصر سمات الخطاب الحجاجي أو على الأقل يهدي إلى أبرزها، وهي سمات تؤدي بالقول بأنّ هذا الصّنف من النصوص لا يمكن إرجاعه إلى قالب البرهنة المنطقية حتى وإن حاكى إجراءاتها في أحيان كثيرة.

- **الحوارية أو التحاورية**

وبالإضافة إلى سمات الخطاب الحجاجي وخصائصه، أثار عدد من الباحثين سمة أخرى هي الحوارية أو التحاورية، التي يرى طه عبد الرحمن أنها من مسلّمات القياس الخطابية ويرى أن مقتضاها: " أنه لا كلام مفيد إلا بين اثنين لكل منهما مقامان هما: مقام المتكلّم ومقام المستمع، ولكل مقام وظيفتان هما: وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد، بحيث إذا كان المتكلّم معتقدا كان المستمع منتقدا، وإذا كان المستمع

[1]- محمّد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثّقافة، المغرب، ط1، ص110.

[2] - ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ص 26.

[3]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، (م، س)، ص26.

معتقدا كان المتكلّم منتقدا"[1] وبالتالي، تتحقق الحوارية وبلوغ الهدف يتحققان بوجود متخاطبين تجمع بينهم خبرات اجتماعية وثقافة معرفية مشتركة.

فالخطاب الحجاجي في جوهره حوار مع المتلقي، حوار يقوم على علاقة بين مؤسس النص ومتلقيه، وهي علاقة تتخذ دون شكّ أشكالا عديدة يكشفها الخطاب ذاته باعتباره يراهن على إقناع عدد أكبر من المتلقين، وتبقى الخاصيّة التحاورية هامة وأساسيّة في تأكيد حجاجية الخطاب، إذ تجعله بشكل ضمني وصريح موضع رؤى متباينة ومتناقضة.[2]

- **التخطيط:**

ويتمثّل التخطيط في الإعداد سلفا لكيفية بناء النّصّ الحجاجي وفق معايير معيّنة، فحينما نحتجّ " لموضوع ما أو لأطروحة معيّنة، يعني أننا نرسم عن طريق الخطاب كونا مصغّرا يمثّل النموذج الأمثل لوضعية ما، لكن دون أن يعكس مقتضيات البناء العلمي مع الاعتماد أساسا على بعد حواري."[3]

ومن هنا، أمكن الحديث عن تعدد الأصوات في النص أو الخطاب الحجاجي، غير أنّ تعدّدها في الخطاب المجسم لخاصيته الحوارية و الدّال عليها يقتضي من مؤسسه تدقيق اختياراته على مستوى العالم الذي يبنينه بالخطاب، [4]

- **الانتقاء:**

وهو انتقاء العناصر المكوّنة لهذا العالم بشكل دقيق وموجّه، أي بشكل تساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب من جهة، وتلائم وضع المتلقي وقدراته وتستجيب خاصة لآفاق توقّعه وانتظاره، وهذا من شأنه أن يقود إلى ملاحظة هامّة تؤكّد تعقّد العملية الحجاجية رغم بساطتها.[5]

كما على المرسل أو المخاطب تحري الدقة والصواب في اختياره لبنيات خطابه حتى يضمن التلقي الحسن والناجح والتأويل السليم من طرف مخاطبه.

- **الغائية:**

الخطاب الحجاجي خطاب غائي وموجّه، يهدف إلى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار، أو زيادة الإذعان، فأنجح حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها، و بطريقة تدفعه إلى

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س)، ص99.
[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، (م، س)، ص28.
[3]- المرجع نفسه، ص30.
[4]- المرجع نفسه، ص29.
[5]- المرجع نفسه، ص30

المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو بالإحجام عنه، أو هي على الأقلّ ما تحقق الرّغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة." [1]

إن تأثير القول الحجاجي عادة ما يدفع إلى ردود فعل معينة، قد تكون عملا أو تركا، أو عدولا، وهذا العمل هو الذي يؤكّد فعلا حصول قناعة معينة.[2]

ومن ثمّة فهو خطاب يتأسّس على الصراع ويتولّد من رحم الاختلاف حول قضية ما، ويأتي الكلام تجسيما لهذا الصراع وذلك الاختلاف فتداخله بالضرورة تعددية بيّنة بين الوضع المتحدّث عنه والمنطلق المتحدّث منه بين منطلق الأنا ومنطلق الآخر.[3]

المرسل والمتلقي في الخطاب الحجاجي

إن الخطاب الحجاجي وهو يعرض فكرة ما ويحتجّ لها قد يكون صارما دقيقا وقد يفتقد أحيانا إلى تلك الصرامة والدّقّة المنشودتين، إنّما يهدف إلى إقناع المتلقّي أو إغرائه أو حمله على الإذعان ولو دون اقتناع حقيقي، "وتكمن نجاعة هذا الخطاب في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره، إذ إنّ الحديث عن وضعية ما خارج الخطاب يمكن أن ينتهي بتغييرها لا على مستوى الفكرة فحسب، بل على مستوى الوقائع، وهذا يعني حقيقة مؤكدة مفادها هو ارتباط الخطاب الحجاجي بوضعية كلّ من المرسل والمرسل إليه."[4]

وتعدّ نظرية بيرلمان هامة ومفيدة في هذا المجال ذلك أنه تناول مسألة الحجاج وأكد على خاصّيتي التحاور (Interaction) والتفاعل (Dialogique) في كل خطاب حجاجي مشيرا في الوقت ذاته إلى ارتباط هذا الخطاب بوضعية طرفيه بحيث يبدو التناقض جليا بين استراتيجيات الإقناع والاستدلال الصوري الذي يتناول الحقائق العامّة.[5]

ويذهب بيرلمان إلى أنّ الخطاب الحجاجي وهو يلزم الباثّ المرسِل بوجهة نظر معيّنة، ويتّخذ من إقناع المتلقي بها هدفا أساسيا، إنّما يبتعد عن كونه مجرّد تواصل عادي من جهة أنّه لا يقوم على مجرّد التّبليغ الذي يقتضي من المتلقي مجرّد فكّ الرّموز بواسطة اللّغة ليكون الفهم، بل وليقوم على الفعل في

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص451، 456.

[2]- ينظر: أوستين: نظرية أفعال الكلام، ترجمة: قنيني، د-ط، إفريقيا الشرق، المغرب، 1990م، ص134.

[3]- ماري جان بورال و جان بلاز قريز و دنيس ميافيل، محاولة في المنطق الطبيعي، ص05.

[4]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، (م، س)، ص32.

[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هذا المتلقّي ويقتضي منه تأويلا محدّدا لهذا الخطاب، وبهذا يكون الخطاب ناجعا وناجحا لأنه تمكّن من تغيير وضعية سابقة.[1]

ولا يتم ذلك طبعا إلا بمراعاة الموقف والسياق وبذلك يضمن الخطاب الحجاجي نجاحه وفاعليته من خلال إقناع المتلقي وإذعانه والتغيير من سلوكه.

إن توجيه الخطاب إلى السّامع يعني لقاء الأذهان، وأوّل ما يقتضيه هذا اللقاء وجود لغة مشتركة وتقنية تسمح بالتواصل.[2]

غير أن ذلك قد لا يكون كافيا لأنّ من نتواصل معهم هو مجموع متغيّر جدّا، ومن الصعوبة فهم الجميع أو إفهامهم، فهناك أناس يبدو التواصل معهم صعبا وغير مرغوب فيه، وهناك لا نقلق من توجيه الكلام إليهم، وهناك من يرى في الحديث الموجّه إليه تمييزا إيجابيا واعتبارا محمودا لشخصه.[3]

وفي الأحوال كلّها، يقتضي الإقناع التفكير في الحجج التي تؤثر في المخاطب والانشغال بأمره والاهتمام بحالته الذهنية، ويرى بيرلمان أن العلاقة بين المرسل والمرسل إليه ليست معطى كما هي عليه من وجهة نظر سكونية، بل هي موجّه يقود الخطاب في كل مراحله، وقد قاد اهتمام بيرلمان إلى تصنيف آخر هو حديثه عن المتلقّي الخاص (Particulier) والمتلقّي الكوني (Universal) مؤكّدا أنّهما وباعتبارهما موجّهين فهما يحدّدان نوع الخطاب الحجاجي.[4]

فالمتلقّي الخاصّ بعدّه الهدف في الخطابات التي ترمي إلى الإقناع، تجعل من هذه الخطابات تنزع إلى الإغراء والحمل على الإذعان أكثر من كونها ترمي إلى تحقيق الاقتناع الفكري بما تدافع عنه وتحتجّ له، في حين يجعل المتلقّي الكوني أيّ خطاب حجاجيّ إقناعا فكريّا خالصا.[5]

من هنا، ندرك أن المخاطبين يختلفون في تكوينهم المعرفي والاجتماعي، لذا وجب التفاعل معهم وإقامة الصلات والوشائج بينهم " فقد يكون المرسل إنسانا مركزا حول ذاته، ويعتقد أنّما هو بديهي وواضح بالنّسبة له، هو كذلك بالنسبة للطرف الآخر، أو أن ما هو مقبول منه يحظى بالضرورة برضى الطرف الآخر، أو يظل في قوقعته لا يرى سوى جدرانها الدّاخلية مما يمنعه من تقدير وضع المستمع وحاجاته ومواقعه تقديرا جيّدا حول ما يتمّ الحوار بشأنه."[6]

---

[1]- ينظر المرجع السابق الصفحة نفسها.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 32

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 32

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص 32

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص 32

[6]- عمار مصباح، الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآليته العلمية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2006، ص32.

وبالتالي، فإنّ على المحاجج القائم بالإقناع مطالب بأن يجيب على السؤال التالي: " ما هي السبل التي يمكن عبرها الوصول إلى قلب وعقل المستقبل أو المتلقي و بالتالي تقع رسالته موقع القبول والرضى والاقتناع؟ و منه، تكاد تكون عملية الإقناع "مرتبطة ارتباطا مباشرا وكليا بالآليات التي يتبناها المرسل، وتكمن هذه الآليات في بحث المرسل وهو القائم والمتكفّل بعملية الإقناع والتّأثير عن السّبل والمنافذ التي يدخل من خلالها إلى المستقبل."[1]

فالخطاب الحجاجي القائم على الإقناع الفعلي "يقتضي أن يتمّ تصوّر المخاطب بشكل أكثر قربا من الواقع ما أمكن ذلك، إذ لا بد من الأخذ في الحسبان ثقافة المتلقّي وذهنيته وخصائصه، ما يجعله يعتمد حججا متنوعة."[2]

إن المخاطَب الذي يمكن أن تراعيه حجج الخطاب بنجاح هو الذي يحدد إلى حدّ كبير مظهر الحجاج وطابعه وحمولته، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع: يتشكّل النوع الأوّل من الإنسانية جمعاء، أو على الأقلّ من أشخاص بالغين، وطبيعيين، وهو ما تسميه البلاغة الجديدة بالمخاطب العامّ، ويتشكّل المخاطب الثّاني داخل الحوار من قبل ذلك المحاور الذي نتوجّه إليه، ويتشكّل الثالث من الذّات نفسها عندما تفكّر أو تتمثّل أسباب أفعالها.[3]

ويبقى المخاطب يحتلّ مكانة كبيرة ومهمة في الحجاج والإقناع وفي الخطاب الحجاجي عموما.

أنواع الحجاج وعلاقاته بعلوم اللغة:

الحجاج وعلاقته بالفلسفة:

والسؤال المتبادر للذهن هنا هو هل يمكن أن يوجد حجاج فلسفي؟ وما حدود العلاقة بين البلاغة الفلسفية والحجاج الفلسفي؟

لقد ظل التواشج والتعالق بين التفكير الفلسفي والفكر البلاغي قائما منذ عهد أرسطو وتواصلا إلى عهد الفلاسفة المحدثين والمعاصرين.[4]

وإذا سلّمنا بحجاجية كل خطاب، فسيكون للفلسفة إذاً طابع حجاجي يمكن تسميته بالحجاج الفلسفي، والحجاج بوصفه نشاطا خطابيا تداوليا يشكّل "مهادا منهجيا تقنيا للحوار الفلسفي الداخلي

[1]- المرجع نفسه، ص 29.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 43

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 43

[4]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص42، 43.

الذاتي والخارجي الجماعي على السواء، لأن الفلسفة هي خطاب العقل والفهم والتأويل وهي أمور وثيقة الصلة بالحجاج."[1]

وتتجلى صيغة الحجاج الفلسفية في قيمتها، " وقيمة هذا الحجاج الفلسفي قيمة خاصة تتجلّى في كون عملياته تتوخّى إفحام كل عقل مهيّأ للتفكير العقلاني، ومن ثمة فالطريقة الفلسفية ليس هدفها التأثير في الأشخاص، بل منح الأفكار قوّتها الإفحامية."[2]

ولو أننا أنعمنا النظر في الحجاج الخطابي، يكون هدف الحجاج فيه تحقيق الإقناع العقلي والعاطفي معا، واستمالة الآخر ودفعه إلى الفعل والتغيير من موقفه.

وأما الحجاج في الفلسفة أو بالأحرى هدف الحجاج الفلسفي، من وجهة نظر أنّها، أي الفلسفة خطاب، فهي تسعى لإرساء الحقيقة، مما جعلها ترتبط بالدليل والبرهان لا التعليل، مما يجعل الحجاج يفتقر للمظاهر الإمتاعية التي نجدها في نظيره الفني والأدبي بصفة عامة.[3]

الحجاج الجدلي

يقوم الجدل عادة على أمور الإثبات والنفي عبر استخدام الوسائل اللغوية البلاغية التي في مقدور المتكلّم توظيفها، كما أن لمقام الجدل أيضا دورا في اختيار أنواع الحجج ومراحل إيرادها ودرجات كثافتها وفي تحديد مدّتها تبعا لطباع وتخصصات المتجادلين (فلاسفة كانوا، أم علماء، مهندسين، أدباء، فنانين أو مواطنين عاديين." [4]

وفيما يتعلّق بأمور الإثبات أو النفي، يكون الإثبات للطرف المجادل الأول، ويكون النفي للطرف الثاني.

إلا أنّ نجاح كلا الطرفين في عمليتي الإثبات والنفي، يتعلّق بمدى معرفة كلّ طرف باستخدام الآليات الحجاجية، والوسائل اللغوية البلاغية، والحجج الناجعة لإثبات أو نفي قضية أو موضوع ما، ويختلف هذا كله بالنظر إلى منزلة المتجادلين وتخصصاتهم ليسهل تمييز نوع الحجاج الجدلي.[5]

ومنبع الحجاج الجدلي هو التساؤل والخلاف والحيرة حول قضية أو جملة قضايا، ويعدّ السّؤال والسّائل فيهذا المجال أهم من المجيب لأنه منهما تتحدّد معالم الإشكالية المطروحة، والجدال الجدلي أوثق صلة بالأمور العقلية السلوكية.[1]

---

[1]- المرجع نفسه، ص43.

[2]- المرجع نفسه، ص43.

[3]- المرجع السابق، 43.

[4]- المرجع نفسه، ص44.

[5]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، ص26.

والسمة التي تميز الحجاج الجدلي هي السّمة الفردية، وبالتالي، يكون الحجاج الجدلي هو الذي يدور في أوساط المتخصصين، والاستدلال الموجّه فيه يتوجّه به إلى سامع كوني، وبالتالي فهذا الحجاج لا يستغلّ الأخلاق والطبائع والانفعالات في كسب الاقتناع من محاوره.[2]

فالمجادل في الحجاج الجدلي يعالج قضية فكرية حادة وصفها أرسطو مرارا بأنها أشبه بالصراع والنزاع بين أبطال الكلام، وهو نفسه ما نجده عند علماء الكلام العرب في الدفاع عن القرآن الكريم.

ولقد أولى أرسطو اهتماما كبيرا في الحجاج الجدلي بآليات القول وبنائه وإنتاجه، كما اهتمّ بالقوى الناظمة له، مما جعله يولي اهتماما بأطراف العملية التواصلية (المتكلّم، المستقبل والرسالة)، فيحدّ ذاتها، وهذه هي عناصر الحجاج الخطابي، فالجدل -عند أرسطو - مؤسّس على خطة حجاجية يتم من خلالها استدراج المعني إلى التسليم بمضمون مقدّمات قد تمّت محاصرته بلاغيا، لكنّه قد يقتنع بعكس ذلك لاحقا" وهو ما يطمح إليه المحاجج المجادل الذي يسعى إلى إثبات طرحه.[3]

الحجاج الخطابي:

وميدانه توجيه الفعل والتوجيه إليه وخلق الاعتقاد، ولئن كانت الفردية سمة الحجاج الجدلي، فالحجاج الخطابي تميّزه السمة الجماعية، كما أن القائل في الحجاج الجدلي يفحص مضمون الحكم أي يفحص مضمون قضية فكرية، وأما القائل في الحجاج الخطبي فمشغله عملي ويتمثّل في بناء الحكم وتوجيه الفعل[4].

كما يميّز الحجاج الخطابي أيضا هدفه الذي يتمثّل في بناء حكم وتوجيه فعل، ومن أهمّ المراحل التي وضعها أرسطو لذلك في إنتاج القول حين يهتمّ بالخطيب من خلال إنتاج القول الحجاجي، وجعلها ثلاث مراحل:

أ- مرحلة البحث عن مواد الحجاج ومصادر الأدلّة.

ب- مرحلة ترتيب أجزاء القول.

ت-مرحلة الأسلوب والاهتمام به من حيث اختيار الألفاظ والمحسنات.

فالموادّ الحجاجية والأدلة خفيّة، على المتكلّم أن يبحث عنها ويجد ما يلائم موضوعه ويناسبه.[5]

---

[1]- المرجع نفسه، ص26.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص52.

[3]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، ص27.

[4]- الريفي، الحجاج عند أرسطو، (م، س)، ص136.

[5]- ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص56.

ويصاغ هذا الحجاج الخطابي لجمهور معيّن، يعرف الخطيب خصائصه الكبرى، وبالتالي يتوجّه إليه باستدلالات إقناعية محدّدة، يسعى من ورائها إلى دفعهم إلى فعل معيّن، وهذا ما جعل الحجاج عند أرسطو يتمثّل في عملية تقوم فيها الحركة الهادفة إلى تجسيد الإقناع على جوانب متعدّدة، وجدير بالإشارة هنا إلى جنس الحجاج الجدلي وهو نمط الحجاج في جنس المحاورة الجدلية، والحجاج الخطابي نمط حجاجي جنسه الخطبة.[1] إلا أن لكل من هذين النمطين أسلوبا حجاجيا متميّزا، وقد أشار أرسطو إلى أهمية كل من الجدل والخطابة وحاجة المجتمع إليهما، بقوله: "... إن الناس جميعا يتشاركون بدرجات متفاوتة في كليهما لأنهم جميعا إلى حدّ ما، يحاولون نقد قول أو تأييده والدفاع عن أنفسهم أو الشكوى من الآخرين"[2]

والناس بطبعهم مجبولون على القول ومن ثمة الجدل ومحاولة الإقناع، أو التأييد أو التفنيد كما أنهم دوما في مواقف النقد أو التأييد أو الدفاع عن أنفسهم وأفكارهم ...إلخ

وأهمّ مرحلة هي مرحلة البحث عن الأدلّة والمصادر وموادّ الحجاج، وهذه الأخيرة يجب مراعاتها حسب المقام، وحسب حالة السامع، وعلى المحاجج الناجح أن يعثر على الأدلّة والحجج المناسبة لمستمعه ولموضوعه، وفي هذا عرض لمواصفات الخطيب الذي يجب عليه أن يكون عارفا بمستويات المعنيين بخطابه، فالخطابة عند أرسطو صناعة وتقنية.[3]

كما تتطلب الخطابة حذق المخاطب وتمكّنه من معرفة مستوى مخاطبيه و مدى قدرتهم على تقبّل ما يقدّمه المحاجج، وطبعا هذا كله منوط بمواد الحجاج والأدلّة التي يسوقها والتي تكون في مستوى مستمعه وخطابه على حدّ سواء.

ويعرض أرسطو في كتابه الخطابة للشرط الذي يجعل الخطيب وخطابه مقبولين، فيقول: "إذ لابدّ من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا، من المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنّب البرهنة أو نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولا، ذلك أنه حين نبرهن إنما نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلا من أجل البرهنة عليه، وأولى هذه العمليات العرض، والثانية الدليل.[4]

فالبرهان يقتضي تقديم الدليل والحجج الضروري من أجل إثبات صحة الموضوع المعروض.

[1]- ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، ص27

[2]- أرسطو، الخطابة، (م، س)، ص90، 92.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص55.

[4]- أرسطو، الخطابة، (م، س)، ص228، 229.

الحجاج القضائي:

يربط أرسطو هذا النوع من الحجاج "بالسلوك الإنساني بصفة عامة، ويؤكّد أن أهم جانب في هذه الخطابة هو تحديد السبب الدّاعي إلى الفعل لأنّه تبعا لهذا الفعل يكون بناء الحجاج، وتكون المحاسبة، فالفعل الذي دافعه الغضب أو الغيرة يختلف عن الفعل الذي دافعه الإكراه او الشهوة"[1]

فاتسعت بذلك مناحي الخطاب القضائي وأقيمت له أبحاث خاصة تدرس الحجاج فيه باستخراج الآليات والوسائل البلاغية باعتباره حقلا يكثر فيه الجدل مع قوّة الحجج، فالقضاء من أهم المجالات التي يظهر فيها الحجاج، نظرا لما فيه من مرافعات ومداولات ومساجلات تعتمد كلّها على التأويل وحذق اللغويين.[2]

ولعلّ هذه المكانة الرفيعة للحجاج في القضاء هي التي دفعت بيرلمان Perelman إلى الاهتمام به أولا في هذا الجنس، قبل أن يعمّم بحثه فيه ليشمل المجالات الفنّية عامّة والإنسانية الاجتماعية خاصة.

وعلى المحاجج أن يكون صانعا للقول الحجاجي في حقله ومجاله، حيث يسميه أرسطو "الصناعة القولية" وهي عنده صناعة الخطابة والحجاج وهما مؤسسان على ركنين أساسيين: القول والقائل وما يتصل بهما من شروط.[3]

وبناء على ذلك، "يكون أرسطو قد حوّل مسار الخطابة والحجاج عامّة من كونهما قائمين على التأثير والتحريض والتّملّق، إلى كونهما عمليتين برهانيتين عقليتين من جهة، وداخلتين في مجال الاجتماع الإنساني من جهة أخرى."[4]

إن أرسطو قد سعى من خلال كتابه الخطابة إلى بناء صرح حجاجي جديد له علاقات شتّى ومجالات عديدة، وتجسّد ذلك في رفضه للأساليب السفسطائية، ودعوته لبلاغة قولية عمادها الحجاج، وقوامها عناصر العملية التواصلية: المتكلّم، الخطاب، والمستمع وتعرّضه لكلّ ما له علاقة بالحجاج.[5]

وتعريف طه عبد الرحمن للحجاج بأنه " فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، كونه يهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاءً موجها بقدر الحاجة، والحجاج

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص50.

[2]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، ص28.

[3]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص46.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص41.

[5]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، (م، س)، ص29.

جدلي أيضا، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة."[1]

هذه الثنائية التي تميز الحجاج جعلته أكثر حضورا في العملية التواصلية مما ساعد المُرسِل على إيصال أفكاره إلى المتلقي، وجعله يذعن إلى ما طُرح عليه من رسائل، و أفكار، و ذلك لأن الحجاج " عملية استدلال عقلي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، وتعتبر أن موضوعه درس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية."[2]

ويُعرف الخطاب الحجاجي أيضا بأنه خطاب يستنفر كل الطاقات الإقناعية لدى المرسِل من أجل الدفاع عن وجهة نظر ليجعل المتلقي يذعن لها، ومن هنا كان لزاما أن يُبنى الخطاب الحجاجي على جملة من العناصر يجب توافرها، كما أن لغة الخطاب الحجاجي يجب أن تتميّز بخصائص منطقية ترتبط بالمنطق الطبيعي (Logique naturelle) والذي يعدّ "نسقا من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا (متكلما، مخاطبا) في سياق ما من اقتراح تمثيلاته على متكلَّمٍ، مستمع له بواسطة الخطاب. "[3]

وقد أدخل كثير من الباحثين الحجاج في اللغة، وقد انحصر مفهوم الحجاج في التداولية المدمجة في التلازم بين الحجة و النتيجة، فقد عرفه ديكرو في كتابه "الحجاج في اللغة" على النحو التالي: "يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول أخر (ق2) أو (مجموعة أقوال أخرى)."[4]

و على هذا، فإن الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر :" هو إنجاز لعملين هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية و عمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء أكانت النتيجة مصرحا بها أم ضمنية" .[5]

ويرى أبو بكر العزّاوي أن مجال الحجاج هو الخطاب واللغات الطبيعية، ونظرية الحجاج قد انبثقت في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل.

ويتمثل الحجاج(argumentation) ، من وجهة نظر هذه النظرية اللسانية في إنجاز تسلسلات داخل الخطاب – من نمط استنتاجي، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في تحقيق متواليات من الجمل والأقوال، البعض منها بمثابة الحجج، والبعض الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها.[1]

---

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س) ص.65 .

[2]- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منونة، د.ت، ص 59 .

[3]- أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، حوار أجراه معه حافيظ اسماعيلي علوي، مجلّة فكر ونقد، ع/61، سبتمبر 2004م، ص.37

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص 37

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص 37

الحجّة والحجاج

مفهوم الحجة: هي عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، وقد ترد الحجّة في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نصّ، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي، إلى غير ذلك.[2]

و يمكن القول إن المحاجة أو الحجاج يتضمن تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تؤدي إلى نتيجة معينة، والتي يكون القصد منها التأثير في الآخر أو إقناعه بفكرة أو تغيير آرائه ومواقفه بخصوص موضوع ما، والحجاج حسب أبي بكر العزاوي مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.[3]

ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.
- عليك أن تجتهد لتنجح.

بالنظر إلى هذه الجمل، سنجد أنها تتكوّن من حجج ونتائج، والحجّة يتمّ تقديمها لتؤدّي نتيجة معينة، فالتعب مثلا في الجملة الأولى، يستدعي الراحة ويقنع النفس أو الغير بضرورتها.، إذن، التعب دليل وحجّة على أن الشخص المتعب بحاجة إلى أن يستريح، وجمال الجو في المثال الثاني يدعو إلى التنزه، فيعتمد المتكلّم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى التنزّه، أو الذهاب إلى الشاطئ أو إلى الحديقة للاستمتاع بجمال الطبيعة، فالمتكلّم هنا يقدم هذا العنصر بعدّه حجّة ودليلا لصالح النتيجة المقصودة.[4]
انخفض ميزان الحرارة، سينزل المطر

هند جميلة ولكنها بعيدة

زيد إنسان جاد ومؤدب، إذن هو الشخص المناسب

الجو جميل، لنخرج إلى النزهة

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والمنطق والحجاج، حاوره حفيظ العليوي، حوار منشور على شبكة صوت العربية، على الموقع: https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/1985، بتاريخ 07 /2008/05، اطلع عليه يوم 2021/11/03. على الساعة 00:05

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة للطباعة، ط1، 2006، ص 18

[3]- أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص17.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص18.

فالجزء الأول من هذه الجمل يتضمن حجة مقدمة لخدمة النتيجة التي يشتمل عليها الجزء الثاني من الجملة نفسها.[1]

والحجة هنا هي عنصر دلالي يقدمه المتكلم باعتباره يستدعي النتيجة المقصودة ويؤدي إليها، وقد تتحقق على شكل كلمة أو جملة أو نص أو سلوك غير كلامي، ثم إنها تتصف بالنسبية والمرونة ولها طابع تدرجي وسياقي، وهي بالإضافة إلى ذلك قابلة للإبطال[2].

إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية، ولها بنية حجاجية، يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع (les faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المادة اللغوية التي تم توظيفها، إن اللغات الطبيعية تتضمن مجموعة من الأدوات والروابط الحجاجية التي لا يمكن أن نعرفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية والحجاج نجده في كثير من الظواهر اللغوية المعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية بشكل أو بآخر[3].

بالنظر إلى الجمل المتضمَّنة في الأمثلة السابقة، نجد انها تتكون من حجج ونتائج، ويتم تقديم الحجّة من أجل أن تؤدي نتيجة معينة، فالتعب مثلا يستدعي الراحة ويقتع النفس أو الغير بضرورتها، فالتعب دليل وحجة على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى ان يرتاح، والأمر نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للأمثلة الاخرى.

أنواع الحجج :

لو أننا قارنا بين الأقوال المدرجة في الامثلة السابقة، لوجدنا أنه تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأوّل، كما تم التصريح بالحجة والنتيجة وأضمر الرابط في المثال الثاني، واما المثال الثالث فقد صرح بالحجة وأمّا النتيجة فقد أضمرت ليتمّ استنتاجها من السياق، على عكس المثال الاخير الذي ذكرت فيه النتيجة وأضمرت الحجّة، كما تتسم الحجج اللغوية بسمات متعددة، منها:

أ/ إنها سياقية:

العنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم بعده يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره إنها سياقية: حجّة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثمّ إن العبارة الواحدة قد تكون حجّة او نتيجة أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.[4]

---

[1]- - أبو بكر العزاوي، اللغة والمنطق والحجاج، حاوره حفيظ العليوي، حوار منشور على شبكة صوت العربية، على الموقع: https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/1985، بتاريخ 07 /2008/05، اطلع عليه يوم 2021/11/03. على الساعة 00:05

[2]- المرجع نفسه.

[3]- ينظر المرجع نفسه.

[4]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص19.

ب/ إنها نسبية:

إذ لكلّ حجّة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، فقد يقدم خصمه حجة مضادة أقوى منها بكثير، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.[1]

ج/ إنها قابلة للإبطال:

وعلى العموم، إن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي، والعلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي التي تدعى "العلاقة الحجاجية"، وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي.[2]

من هنا، وانطلاقا مما عرضه العزاوي يتبيّن لنا أن الحجاج هو "علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب، تَنْتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية فلابد أن تتوفر في الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2)، لذلك فإن الخطاب الحجاجي متضمّن في بنية اللغة ذاتها، وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية."[3]

علاقة الحجاج بالتداولية المدمجة:

تتمحور نظرية أنسكومبر شو ديكرو على رفض الرأي القائل بأن هناك فصلا بين الدلالة والتداولية، ذلك أن" مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية، لا الخبرية الوصفية المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن".[4]

وهذا يعني أن التداولية المدمجة في الدلالة لا تعنى بالبحث عن الجوانب التداولية خارج إطار اللغة وإنما تبحث عنها داخل بنية اللغة نفسها وبالتالي" فالموقف المبدئي من التداولية المدمجة، هو أن اللغة تحقق أعمالا لغوية، وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون."[5]

---

[1]- المرجع نفسه، ص20.

[2]- المرجع نفسه، ص.20

[3]- شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (م، س)، ص360-361.

[4]- شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، (م، س)، ص351.

[5]- المرجع نفسه، ص354.

وبهذا يظهر لنا أن كلا الباحثين قد اعتبرا اللغة في حد ذاتها هي الأساس في البحث عن الدلالة التداولية .أما فيما يخص مفهوم الحجاج في التداولية المدمجة فقد عرفه ديكرو في كتابه" الحجاج في اللغة "على النحو التالي:

"يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) أو مجموعة أقوال (يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2)، أومجموعة أقوال أخرى."[1] فالقول (ق1) هو الحجة التي يصرح بها المتكلم، أما (ق2) فهي التي يستنتجها المستمع، وهذه النتيجة تكون إما مصرحا بها أو ضمنية، لذلك فإن الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر هو"إنجاز لعملين هما :عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء أكانت النتيجة مصرحا بها أم ضمنية ."[2]

أما شكري المبخوت الذي اجتهد في توضيح نظرية ديكرو في الحجاج، فقد قال إن الحجاج في التداولية المدمجة هو" علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب، تنتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية فلا بد من أن تتوفر في الحجة(ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2)، لذلك فإن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية."[3]

وبالتالي فإن التداولية المدمجة بالإضافة لحصرها لدراسة الجوانب التداولية في اللغة ذاتها، فإنها حصرت كذلك الخطاب الحجاج داخل أبنية اللغة، نظرا لما تتصف به هذه الأخيرة من وظائف حجاجية مختلفة تسمح بتوصيل رسالة معينة إلى المتلقي.

حصرت التداولية المدمجة دراسة الجوانب التداولية في اللغة وحصرت أيضا الحجاج، كما بيَّنا، داخل بنية اللغة، و ذلك لما تتصف به اللغة من وظائف حجاجية تيسر توصيل الرسالة إلى المتلقي، لهذا يعتبر الحجاج، كما أسلفنا، "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لان طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة."[4]

و انطلاقا من ذلك، وجدنا ديكرو و أنسكومبر يميزان بين نوعين من الأفعال فعل المحاجّة، وفعل الاستدلال، و ذلك لأن "الاستدلال و الحجاج ظاهرتان من مستويين مختلفين، فأساس الاستدلال هو

[1]- المرجع نفسه، ص354.

[2]- المرجع نفسه، ص354.

[3]- شكري المبخوت، (م، س) ص360، 361.

[4]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط3، 2007م، ص.65 .

علاقة اعتقادات المتكلم بحالة الأشياء، أي ترابط الأحداث والوقائع في الكون، أما الحجاج فهو موجود في الخطاب، و في الخطاب فحسب ومنه كان الخطاب الحجاجي."[1]

فإذا كان فعل المحاجة مرتبط بالخطاب يجعله يختلف عن فعل الاستدلال، وذلك لأنّ "عمل المحاجة باعتباره علاقة بين الحجة ونتيجة مختلف عن عمل الاستدلال، فالمحاجة علاقة بين عملين لغويين لا بين قضيتين وهذه الخاصية التي تجعل ا لخطاب الحجاجي مرتبطا باللغة الطبيعية."[2]

و تستمد الخطط الحجاجية خصائصها وسماتها من "الحقل الذي تتحقق فيه و يمنحها الشرعية، و قد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس، و قيمهم أوالفكر و التفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا و تجريدا."[3]

و من هنا وجب أن نبين بأن الحجاج لا يقصر توظيفه في خطابات ظرفية محددة، و إنما "هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق، والسبب في ذلك أن كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج، أي عناصر الاستدلال و التدليل...حتى إن العديد من حقول المعرفة الإنسانية يسعى كل منها إلى ضم الحجاج إلى حظيرته الخاصة والاستفادة من إمكاناته .و هذا ما جعل مفهوم الحجاج يُطعم بمفاهيم ووظائف و تنظيرات مختلفة مازالت في تجديد مستمر ".[4]

و لكن لا بأس في سبيل توضيح مقدمات الحجاج و منطلقاته، أن نبين بجلاء أكثر أهم المراحل التي يمر بها انتاج الحجاج حتى تتضح صورة ميلاد الخطاب الحجاجي عند المتكلم / المخاطِب حتى يبلغ صورته النهائية على شكل خطاب متكامل العناصر، و منسجمة فيما بينها، و قد أشار أرسطو إلى مراحل انتاج القول الحجاجي [5]. و التي سنجملها في المخطط التالي:

و كأن هذه المراحل تشير من ناحية أخرى إلى أهم الأطر الحجاجية التي تتحكم في بناء الخطاب الحجاجي، و توجهه توجيها يجعله يؤدي وظيفته الإبلاغية، و ذلك أن الحجاج لا يزدهر إلا حين تُفْتقد الأدوات اليقينية. هذا ما أشار إليه بارت لتحديد الأسباب التي دفعت إلى انهيار البلاغة.[6]

استنتاجا مما سبق، نفهم أنّ دور الخطيب يتمثّل في ضرورة الاهتمام بجمهوره حتى يختار لهم الحجج التي تجعلهم يؤيدون الفكرة أو ينفي عنهم ما كان في ذهنهم من أوهام حول الموضوع المطروح للنقاش الذي بفضله جاء الحجاج، وعليه فإنه على الخطيب أن يلتفت إلى مطالب المستمع التواصلية، ،

---

[1]- شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، (م، س)ص362.

[2]- ينظر المرجع نفسه، 363.

[3]- أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد يوليو 2001م، ص 100.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[5]- أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، بغداد :دار الشؤون الثقافية، 1986م، ص193.

[6]-http://balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html

وعليه فإن "الخطيب الذي لا يلتفت إلى مطالب المستمع هو شخص أناني أو أنه لا يتحدث إلا مع نفسه وينصت إلى هلاوسه."[1]

وهذه الخاصية الحجاجية للخطاب جعلت كثيرا من الباحثين، المهتمين بتحليل العلمية التواصلية، يعرفون البلاغة الجديدة بأنها: "حقل يُعنى بدراسة الخطاب الموجه نحو المخاطَب/المتلقي/الجمهور بمختلف أشكاله المتعددة، سواء كان حشدا متجمِعا في ساحة عامة، أو في اجتماع لمختصين، أو كان خطابا موجها نحو فرد واحد أو نحو البشرية جمعاء، إنه حقل يفحص حتى الحجج التي نوجهها إلى ذاتنا خلال حوار خاص بيننا وبين أنفسنا.[2]

من هنا ندرك أن كل خطاب نملك توجيهه إلى متلقّ معين فردا كان أو جماعة، ومهما كانت صفة هذا المتلقّي، فإنه خطاب يقتضي حججا تقتضي هي الأخرى فحصها، تحليلها، والكشف عنها.

الحجاج البلاغي:

الحديث عن البلاغة و حجاجيتها خاصة بعد انتقالها من لغة موضوع إلى لغة واصفة، يجعلنا ننظر إليها أنها أضحت " تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب و الأسلوبية و القراءة وغيرها."[3]، و هذا ما يجعل الدارسين للبلاغة ينظرون إليها أنها " ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع."[4]

وبالتالي، تعد البلاغة فرعا من علوم اللغة لا يحتفي بجمالية بنية النص واتساق علاماته ورونق عباراته فحسب، ليتناوله بعدّه نسقا مغلقا ليصف بنياته وصفا صوريا، وإنما تسعى البلاغة لأن تكون علما شاملا للمجتمع يمتح من جميع مناحيه.

وعلاقة البلاغة بالحجاج ممتدة وضاربة في القدم، إذ بدأت عند اليونان الذين أحلوا الحجاج من البلاغة محلا رفيعا، باعتبار أن البلاغة قادرة على التأثير والإمتاع والإقناع في آن واحد، باعتبار انّ امتلاك التأثير في المتلقي لا يتعلق بالتأثير العقلي أو البرهاني فقط، بل له علاقة بجانب الانفعال والعاطفة أيضا لأن العقل والعاطفة لا ينفصلان، فالحجاج شكل من أشكال التواصل والتخاطب والنقاش والحوار، إذ ليس له موضع محدّد، وهذا التواصل يتم عبر طرائق، وأساليب وآليات وتقنيات يتمّ اقتراضها من البلاغة

[1]- بن يحي الطاهر ناعوس، حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، ع/47، ص09، متاحة على الموقع: https://jilrc.com/ بتاريخ: 2019/01/15، اطلع عليه بتاريخ 2022/02/16.

[2]- Chaïm Perelman : Rhétorique et philosophie, avec Lucie Olbrechts-Tyteca, Paris, Presses Universitaires de France, 1952

[3]- رولان بارت، قراءة جديدة البلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب ط1، 1994م، ص7و 8

[4]- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، تر و تق: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص92.

ومن غيرها، فالحجاج يجد بغيته في كثير من الأساليب البلاغية، فيندمج معها خاصة أن مجاله هو المحتمل والمتوقّع كما هو الحال مع البلاغة.[1]

ولا شك في أن علاقة الحجاج بالبلاغة مثيرة ومعقّدة اهتم بها القدامى قبل المحدثين، ونقصد بالقدامى تحديدا فلاسفة اليونان ولاسيما أرسطو، وقد أعاد المحدثون طرح الإشكال مستندين إلى ما وصلهم من أفكار وآراء. متفقين حول فكرة أن القدامى لم يخطئوا حين جمعوا بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوّناته الوجدانية والجمالية، أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية، ويسّر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية.[2]

الخطاب الحجاجي في التراث العربي

يعد الحجاج من أقدم المفاهيم التي تناولتها الدراسة والتحليل، فقد عُرف عند العرب في موروثهم البلاغي بمصطلحات عديدة، منها الجدل الاحتجاج المجادلة المناظرة، أما في العصر الحديث فقد أدى انفتاح العرب المعاصرين على النظريات و المناهج الغربية إلى إغناء الدرس البلاغي العربي وذلك بإعادة الاعتبار لخصوصية التراث العربي. وسنحاول من خلال هذه الدراسة إلى التركيز على الخطاب الحجاجي في الدرس العربي القديم والدرس العربي الحديث من حيث الممارسة و التنظير، و دورهما في تطوير الدرس البلاغي العربي مبرزين طريقة معالجة كل من العرب القدامى و المحدثين لعمليتي التأثير و الإقناع.

الحجاج في التراث البلاغي العربي

إذا كانت الجذور الأولى للحجاج عند الغرب تتصل بالبلاغة كما ذهب إلى ذلك وأكده أرسطو، فأنه تتقاسمه في التراث العربي فروع أخرى -على غرار البلاغة- علوم القرآن الكريم، والتّفسير، وعام الكلام وأصول الفقه والفلسفة، ومر هذا هو اشتغال هذه الفروع بالخطابة بوصفها الفنّ القادر على مواجهة الجماهير وحملهم على الإذعان والإقتناع سواء تعلّق الأمر بالجانب العقدي أو بالأفعال وهو ما تنشده الثقافة الدّينية.[3]

وإذا كانت البلاغة الأرسطية قد صنّفت بحسب المخاطبين (قضائية واستشارية ومحفلية)، لأنهم المنجزون للخطاب والموجّهون لطبيعته، وبذلك يتجلّى الطابع التداولي والتواصلي في هذه البلاغة، فإنّ للبلاغة العربية حضورا لأهم أقطاب التواصل المتمثلة في المتلقّي والمقام.

---

[1]- ينظر باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص07.

[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربيأ بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، 2011، ص120.

[3]- علي الإدريسي، في تأسيس الحجاج لدى مفكّري الإسلام، الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان أنموذجا، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط01، 2006، ص82.

فالمتأمل في الدرس البلاغي التراثي العربي يسجل حضورا كبيرا لعناصر التواصل، من خطاب ومتكلم ومتلق ومقام تواصلي، وبدءا من الجاحظ (ت 255ه) الذي يمثل مرحلة التّأسيس وصولا إلى السكاكي (ت 626 ه) الذي يمثل مرحلة النضج والاكتمال، يدرك البعد الحجاجي للبلاغة العربية، شأنها في ذلك شأن البلاغات الأخرى القديمة، كانت تتناول نصوصا وخطابات أدبية يحكمها الوعي والقصد، إذ لم يكن البلاغي يعتم بالخطاب الذي يكتفي بذاته ولا يعير اهتماما بمخاطبه، كما لم تكن البلاغة تعتبر النص كلاما يهم المنشيء له فقط، أو كلاما مكتفيا بذاته، بل هي تهتمّ أساسا بالنّص الذي يتوجّه إلى الآخرين.[1]

و قد اهتمت البلاغة بالأثر الناتج عن الرسالة وبالشروط التي تجعل الخطاب ناجعا وناجحا، كما حفلت بالمرسل والمتلقي وبعملية القصد و التأثير ونوايا المتكلّم، وقد أشار محمد العمري أنّ للتّداولية الحديثة بعدا جاحظيا في أساسه، حيث تحظى نظرية المقام والتّأثير باهتمام كبير لدى الدّارسين اليوم، ويتجلّى الحجاج عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف، هي الوظيفة الإخبارية والوظيفة التأثيرية والوظيفة الحجاجية.[2]

- فالوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية وهي حالة حياد، ويتمّ من خلالها إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

- والوظيفة التّأثيرية وهي حالة الاختلاف بحيث يتمّ تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب. و هي الوظيفة التي اهتمّ بها أكثر.

- وأما الوظيفة الحجاجية وهي حالة الخصام، فيتمّ إظهار الأمر فيها على وجه الاحتجاج والاضطرار.

لقد حاول الجاحظ وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع، وجعلها شاملة لكافّة أصناف الخطاب اللغوي، وما يتضمّنه من رمزية وإشارية، وأنساق لفظية وغير لفظية، قوامها مراعاة أحوال المتخاطبين ومقاماتهم، لأن البلاغة -حسبه- هي اجتماع آلتها، فمدار الأمر وغايته هو الفهم والإفهام، فالبيان عند الجاحظ " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى... حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن اي جنس كان الدّليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."[3]

فالبيان هو وضوح المعاني وسهولة استجلائها وقرب مأخذها، و فهم دلالتها ومقصدها، ذلك أن البيان مرتبط بالإبانة والوضوح وبالتالي تحقيق الفهم.

---

[1]- حسن المرزوقي، مدخل إلى الحجاج، مجلة التربية، البحرين، ع/15، 2005، ص 41.

[2]- ينظر محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، 1999، ض112.

[3]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج/1، ص76.

لقد كان الجاحظ على وعي كبير بالفعل اللغوي ومدى أهميته في التأليف والتواصل، وعدّه أساس العملية البيانية الحجاجية، لذلك عقد في مؤلّفه رسالة خاصّة في تفضيل النطق على الصمت، معتمدا في ذلك بناء حجاجيا متنوّعا يجمع فيه الأدلة المختلفة من القرآن الكريم، والشعر والمنطق.

ولذا عدّ الجاحظ أول مفكّر عربي أقام نظرية متكاملة تقرّ بأهمية الكلام في التّواصل مع مراعاة الجوانب اللغوية من جهة و عوامل أخرى السّماع وظروف المقال، وتحتلّ الوظيفة التي وسمها ب "الغاية ومدار الأمر" حجر الزّاوية في هذا البناء، لأنّها مولد للحمة والهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.[1]

والمقولتان تنسجمان وتتفقان مع أهم مبدأ من مبادئ المدارس اللسانية المعاصرة، وهو مبدأ يضبط العلاقة بين الخطاب وما يحيط به من ظروف وملابسات وسياقات مختلفة ومنه ما تناوله فان دايك عن مهام التداولية إذ جعل مراعاة الموقف شرطا أساسا لنجاح الخطاب الحجاجي، حيث يقول في ذلك: " فإنّ المهمّة الثانية للتداولية يجب أن تنزل هذه الأفعال في موقف معيّن، وأن تصيغ الشروط التي تنصّ على أي العبارات تكون ناجحة في أي موقف من المواقف، أعني أننا نحتاج إلى وصف مجرّد لهذا الموقف لفعل كلامي متداخل الإنجاز، واللفظ التقني الذي نستخدمه لهذا الموقف هو مصطلح (السّياق)."[2]

وقد ربط الجاحظ البلاغة بالبيان وعدّ أوّل محاولة أدرجت الحجاج في التخاطب مع الأخذ بالاهتمام المقام الذي أولاه الجاحظ أهمية كبيرة في نظريته من خلال استحضاره في كل تحليلاته واستشهاداته، إضافة حسن تخيّر اللفظ الكفيل بتحقيق الغرض المتوخّى المتمثّل في الإقناع مع مراعاة فصاحة اللفظ ومعرفة أحوال المتخاطبين ومستوياتهم، مع الأخذ في الحسبان مناسبة المقال للمقام.[3]

وقد اهتم الجاحظ ومعه عدد غير يسير من البلاغيين العرب بهذه المسألة تحت تسميات عديدة دلّت كلها على عظمة الإنجاز وأهميته منها: "موافقة الكلام لمقتضى الحال" و "لكل مقام مقال"، و "لكل كلمة مع صاحبتها مقام". على أن تمام حسان يرى أنّ مصطلح "مقتضى الحال "هو جزء من المقالم وليس المقام كلّه، وأطلق عليه اسم: "غايات الأداء"[4]

وقد وصف تمام حسان وضع البلاغيين العرب للعبارتين الأخيرتين بأنّهم " وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كلّ الثّقافات على حدّ سواء."[5]

---

[1]- ينظر حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس الهجري، منشورات الجامعة التّونسية، (د، ط)، 1981، ص 185.

[2]- فان دايك، النص والسياق، تر عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د ت)، ص257.

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثّقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د، ط)، 1994، ص 370.

[4]- المرجع نفسه، ص370.

[5]- المرجع السابق، ص 372.

أهمية المخاطب عند اللغويين العرب :

الذي يجب أن تشترط فيه شروط ومؤهلات حسب -الجاحظ- تمكنه من إقناع المتلقي واستمالته، أوّلها كفاء لغوية مع الأخذ في الحسبان أقدار المستمعين وأحوالهم الأمر الذي يشترط توفّر كفاءتي الإنتاج والإنجاز في خطابه مستثمرا في ذلك كل إمكاناته الصوتية والحركية والجسدية. وإيماءاته المختلفة كما نبّه إلى ذلك الجاحظ من خلال إشارته إلى الحال والنّصبة والعقد والإشارة وذلك عند تعريفه للبيان، [1]مما تتيح له القدرة على التأثير، والإقناع، كما يجب أن يخلو أداؤه من كل معوّقات التواصل.[2]

أولا كفاءة الإنتاج:

وتقتضي هذه الكفاءة توافر ثلاث كفاءات وتظافره، هي الكفاءة اللغوية والكفاءة التداولية والكفاءة النفسية، فأما الكفاءة اللغوية فمدار الأمر فيها ان يكون المتكلّم ملمّا بأسرار اللغة وحقائقها، وأن ينتج الكلام وفق أصوله وقواعده المتعارف عليها، كما يجب أن تتوفّر لديه القدرة على الإبداع والابتكار في خلق المعاني وإبداع الصور البليغة التي تأسر المتلقي وتقنعه. في ذلك يقول أبو هلال العسكري: " فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرّصانة، مع السلاسة والنصاعة، واشتمل على الرّونق والطّلاوة، وسلم من حيف التّأليف، وبعد عن سماجة التركيب، وورد عن الفهم الثّاقب قبله ولم يردّه، وعلى السّمع المصيب استوعبه ولم يمجّه، والنّفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسي[3] البشع"[4]

وتعني الكفاءة الثقافية أن يكون المتكلّم على دراية وثقافة وأحوال من يتوجّه إليهم، وأن يستثمر كلّ ذلك الإقناع والتأثير، وهو ما يشير إليه الجاحظ حين يذكر مقوّمات التواصل النّاجح عندما يراعي المتكلّم مخاطبه بقوله: " فلا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السوقة." [5]

وأما الكفاءة النفسية فتتقسم هي الأخرى بدورها إلى كفاءتين، الأولى لها علاقة بالحالة النفسية التي يستحسن أن يكون عليها المتكلم عندما يقبل على إنتاج الكلام البليغ، والثانية تتعلق بالحالة النفسية المناسبة لإنجاز الخطاب وأدائه أمام السامعين، وقد اجتهد حازم القرطاجني في تحليلاته واهتدى إلى وجوب توفّر قوى وكفاءات تكون كفيلة بتحقيق إنجازية الكلام وبلاغته تتحدد في:

---

[1]- ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، (م، س)، ص 92.

[2]- نظر، يوسف آيت همو، من التواصل إلى التواصل الشعبي، مجلة فكر و نقد، مقال متاح على الموقع:
http://www. aljabriabed.net/n36_05ayathamo.htm

[3]- الجاسي: الكلام الجاسي: الخشن، ينظر معجم المعاني الجامع، متاح على منتدى تقييمات الموقع:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar اطلع عليه بتاريخ: 2022/10/29.

[4]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (م، س)، ص75.

[5]- الجاحظ، البيان والتبيين، (م، س)، ص92.

- القوّة الحافظة: وتعنى بتنظيم خيالات الفكر وترتيبها في أقدار معينة، وتمييز بعضها من بعض لتهب المرسل ما يناسب السياق.

- القوة المائزة: ويميّز بها ما يلائم الموضع والنظم والغرض مما لا يلائم ذلك.

- القوّة الصّائغة: وتتولّى العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمية إلى بعض، والتّدرّج من بعضها إلى بعض، وتتولّى جمع ما تلتئم به كلّيات هذه الصناعة.[1]

ثانيا: كفاءة الإنجاز:

للإنجاز دور هام في بناء الخطاب الإقناعي، ذلك لأنّ الكلام البليغ ما قُدّم موجزا، وكان جيد البناء بليغا في افتتاحه واختتامه، فيكون المخاطب، بليغا في صمته وكلامه، ومن سماته أن يكون خفيا في تأثيره وإقناعه، لا تمله الآذان و تتعلّق به الأذهان، وتحفظه الصدور، بعيدا عن الملل والنفور ولا يقف الأمر على التوظيف اللغوي وإنما قد يتعدّاه إلى توظيف بلاغات غير لغوية كالإقناع الشفوي كأن يستغل المتكلم جسده وحركاته ولباسه والإيماء وحركات الجسم ... إلخ[2]

وقد أشار الجاحظ في بيانه إلى هذه الامور من خلال حديثه عن اللفظ والخط والعقد والنصبة والإشارة. [3] وقد تناول الجاحظ موضوع الإشارة من ناحيتين:

الأولى باعتبارها مساعدة على التبليغ، مصاحبة للفظ مكملة له وقد حظيت باهتمام كبير وذلك بوصفها جزءا من بلاغة الخطابة العربية.

والثانية كون الإشارة دالة في حد ذاتها، باعتبارها نسقا منفصلا عن اللغة وتشمل عنده صور التعبير الاجتماعي مثل طريقة اللباس والأزياء والمراكب وغير ذلك من المظاهر المعبرة التي يقصد منها التأثير في الآخرين.[4]

والفعل في البلاغة -كما يرى العسكري- ليس إلا ما يعطف القلوب النافرة، ويؤنس القوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المتعصّبة، ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجّة، فتخلّص نفسك من الغيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيّجه وتقلقه وتستدعي غضبه، وتستشير حفيظته."[5]

---

[1] - ينظر أبو الحسن حازم بن محمّد بن حازم القرطاجنّي، منهاج الغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1936، ص42، 43.

[2] - ينظر فوزية زيار، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي نماذج من البلاغة العربية، مجلّة اللغة والاتصال، المجلّد 13، ع/22، 2018..

[3] - ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، (م، س)، ص76.

[4] - ينظر، محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 205، 206.

[5] - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، دار الفكر العربي، ط2، (د، ت)، ص57.

وأما الكفاءة النفسية فهي الأخرى تتفرع إلى كفاءتين، الأولى تتعلّق بالحالة النّفسية التي يكون عليها المتكلّم

قد تعددت وظائف البلاغة و مساهماتها " فهي تعدّ الأفق المنشود و الملتقى الضروري للتداولية وعلم النص والسيميولوجيا، و هي النموذج المؤمّل عليه للعمل الإنساني في إطاره الشامل الجديد."[1]

وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني، ففنون البلاغة تستدعيها الملابسات المحيطة بالخطاب وشروط نجاحه، فإنك على الجملة "لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه و ساق نحوه و حتى تجده لا تبتغي به بدلا، و لا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه و أعلاه، و أحقه بالحسن و أولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته، و إن كان مطلوبا، بهذه المنزلة و في هذه الصورة."[2]

و كأن عبد القاهر الجرجاني يبين بأن للبلاغة وظائف متعددةً لا نستطيع أن نحصرها فقط في الجانب الجمالي التزييني، و إنما جعلها تتسع لتشمل الجانب الحجاجي و غيره حتى يقول :"إن كان مدحًا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرّ المواهب و المنائح، وأَسْيَر على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر."[3]

فيحاول الجرجاني بذلك رصد أهم مهام البلاغة و وظائفها ليجعلها تتضمن الحجاج لتحقق بذلك الهدف الإقناعي والتأثيري.

و إن كان الأسلوب أو الفن البلاغي -حسب الجرجاني- "ذمًّا كان مسُّهُ أوجع، وميسه ألذع، ووقعه أشد، وحدُّه أحدّ، وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر وإن كان افتخارًا كان شأوه أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألدّ وإن كان اعتذارًا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسلّ، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث"[4]

وإن كان هذا الأسلوب البلاغي "وعظًا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلّي الغياية، ويبصّر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل."[5]

ومن هنا نفهم مما ذكره عبد القاهر، بأن القوة الحجاجية للبيان تجعله ""وسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولعل في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد هذه الصفة الحجاجية للخطاب البلاغي، وذلك

---

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 164، 1992، ص250.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 18.

[3]- المرجع السابق، ص 97.

[4]- المرجع السابق، ص98.

[5]- المرجع نفسه، ص99.

يجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، على اعتبار أن هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة التأثير من خلال قوتها الكلامية التي تتجلى بدورها من خلال طرائق منطقية في البناء وترابط العلاقات الاستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها."[1]

فالبلاغة علم يجمع شتات مناهج وعلوم عديدة تتضافر مجتمعة لتخدم نموذجا موحّدا يسعى ليكوّن إطارا عامّا يقوم عليه العمل الإنساني بما تقتضيه جميع مصادره وسياقاته.

الخطاب الحجاجي والبلاغة الجديدة

ولهذا فالبلاغة بما تمتلكه من قوة إقناعيه تأثيرية، تجعل كثيرا من الباحثين والدارسين المحدثين يرون بضرورة إعطائها مكانتها التي تستحقّ، بل عليها أن تحتل المقام الأول " لتأخذ مكانها بين العلوم القديمة، و ربما كانت هي التي تستحق وصف العلمية."[2]

كما يرى بعض اللغويين المحدثين اليوم أن البلاغة علم قائم بذاته تعدى مرحلة الوصفية ليشمل مجموعة من المناهج النقدية النسقية الحديثة التي تسهم في النقد وتمده باستراتيجيات مختلفة لتحليل الخطاب الأدبي، شعريا، كان أو نثريا، "لتقف البلاغة العربية بمختلف ممثّليها (الجاحظ، الرمّاني، الجرجاني، السكّاكي، حازم القرطاجنّي، ابن رشد وغيرهم) كممثّل قويّ لتحليل الخطاب، والنّقد المعاصر لا يستطيع أن يخطو خطوة في فهم النصوص دون الأخذ عنها، فبين البلاغة والنّقد تكامل وتلازم ضروريّان."[3]

لهذا كثيرا ما نخطئ عندما نحصر البلاغة في "دراسة لجماليات اللغة فحسب، لأنها، فضلا عن هذا، تعد فلسفة تفكير وثقافة للمجتمع وأسلوبية للحوار، و هذا سر اكتسابها تلك الطبيعة المزدوجة التي تجمع الآليتين الحجاجية والتفكيرية التأويلية على مستوى الملفوظ والمكتوب، إذ لم تعد تعنى بتحليل النصوص فحسب، بل بإنتاجها أيضا."[4]

واحتفاء النقد اليوم بالبلاغة الجديدة جعلها تتبوّأ المكانة اللائقة بها، إذ لم تعد البلاغة ذلك العلم الواصف أو المعرفة الواصفة التي كانت تعنى بالجانب السطحي للنص المتبلور في جمالية علاماته واتساق بنياته فحسب.

---

[1]- عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج، مقاربة تداولية معرفية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، المغرب، 2000، ص69.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص179.

[3]- بوعافية محمّد عبد الرزاق، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة من خلال مشروع محمّد العمري، مذكّرة ماجستير، جامعة سطيف 2

[4]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ا لحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص09.

كل ذلك وغيره، يجعل الحديث عن البلاغة ووظائفها المتعددة التي سيظل الإنسان يكتشفها باستمرار حديثا تفرضه العودة الجديدة للبلاغة في ظل ما تشهده المجتمعات من حراك فكري، وإيديولوجي، طلبا للحرية في إبداء الرأي و الرأي المضاد، علما بأنه "على الرغم من التنوع في الوظائف و المشاغل البلاغية، إلا إن المظهر الحجاجي (l'aspect argumentatif) يظل من ابرز خصائص الفكر البلاغي عبر مراحله القديمة و الوسيطة و الحديثة، وبالأخص المعاصرة."[1]

وكأن هذه المجتمعات، بما استحدثت من آليات في التواصل، وتقنيات متعددة متنوعة تيسر العملية التواصلية إن على مستوى المجتمع الواحد، أو بين مجتمعات متعددة متباعدة، "فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة الإقناع و التأثير في صيغة لم تعرفها من قبل.[2]

فالتطور الحاصل في المجتمعات اليوم وتعدد تقنيات التواصل واختلاف آلياته لتسهيل العمليات الاتصالية بين الناس من أهم بواعث الخطابة و متطلباتها.

و أصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة، و إحداث التأثير أساليبَ متنوعة، منها ما يقوم على بلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير، لا بمنطوقه، إنما بمفهومه و مُتضمنه، كما قوَّت المناقشة القائمة بين المستفيدين من استهلاك الآليات المرصودة لذلك، و أصبحت البلاغة قادرة، لا فقط على التأثير وتحويل القول و الصورة فعلا و ممارسة و إنما أصبحت متحكمة في أذواق الناس، تساعد على صياغتها و إعطائها الوجهة التي تهيؤها لقبول ما يُقترح عليها."[3]

هذه التهيئة لقبول ما يقترح على المتلقي إنما يُسِّرت بهذه القوة التأثيرية التي تحملها الوظيفة الحجاجية للبلاغة، التي جعلت "تمرير الأفكار والتصورات و الأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي، و الغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه و إحلال ما نريد نحن مكانه، بتحريك الإعجاب، بما نعرض عليه، أو نخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع"[4]. ومن هنا يلعب الحجاج الذي تتضمنه البلاغة دوره المنوط به من خلال وظائفه المتمثلة في الإقناع.

إذن نحن نتكلم، باستغلال تقنيات الحجاج الكامنة في البلاغة، بقصد "دفع المخاطب إلى القيام بمناورات أو تمثلات مختلفة متعلقة بموضوع معين لكسب أو مضاعفة تعاطف المستمع بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته."[5]

---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص11.

[2]- حمادي صمود، تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، تونس، ط1، 1999، ص133-135.

[3]- المرجع نفسه، ص 135.

[4]- المرجع نفسه، ص134.

[5] - Chaïm Perelman : Droit, morale et philosophie, Paris, Librairie Générale de Droit et de Jurisprudence, 1968

فالحجاج يجعل المتلقي يقتنع بما يبثّه إياه المتكلم من أفكار فيتأثر بها ويظهر ذلك من خلال ردود أفعاله إزاء ما يوجه إليه.

التداخل بين الحجاج والبلاغة الجديدة:

تتداخل كثيرا التعاريف بين الحجاج والبلاغة الجديدة عند كثير من الباحثين، و ذلك لأن المجددين للبلاغة الغربية، أمثال رولان بارت وغيره، فبارت كتب عن البلاغة الجديدة في عام 1963 قائلاً: "ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكيَّة بمفاهيم بنيويَّة، وسيكون – حينئذٍ – من الممكن وضع بلاغةٍ عامة، أو لسانيَّة لدوال التضمين، صالحة للصّوت المنطوق، والصورة والإيماء.[1]

أراد المجددون أن تنتعش البلاغة بما تحويه من خاصية إقناعيه التي يتسم بها الخطاب الحجاجي، فلا يكون النص حجاجيا، من وجهة نظر البلاغة الجديدة، إلا حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصدا تأثيريا، مضمرا أو معلنا، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب، أو حمله على مزيد من موافقة داخل مسار تواصلي غير إلزامي."[2]

هذا المنحى الذي بُني عليه الحجاج جعله يقتحم جميع العلوم بمختلف مشاربها المعرفية و المنهجية، لهذا فإن بلاغة الحجاج تتصف بالبينية إذ إننا نجدها في الأدب، بجميع أنواعه، و في الفن، بجميع تمظهراته الجمالية، مثلما نجدها في علم النفس والاجتماع و القانون و التجارة و الاقتصاد و السياسة و الإعلام بكل فروعه، لأنها بما تتسم به من إقناعية استطاعت أن تتوغل إلى جميع العلوم و المعارف[3].

وهذه الخاصية الإقناعية في البلاغة الجديدة جعلت اختيار الحجج يتحدد بعنصرين اثنين هما:

أولا: الانطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج.

ثانيا: مراعاة المقام، وذلك لأن المحاجة لا تؤتي أكلها إلا إذا اعتمدنا على حجج مضادة لحجج التي يُركز عليها الخصم في بناء خطابه[4].

و من هنا، كان موضوع نظرية الحجاج، كما بين منظروه، الذين يرون أنه "دراسة التقنيات الخطابية لإثارة أو زيادة الالتزام من العقول إلى الأطروحات المقدمة إلى اعتمادهم."[5]

---

[1]- بن يحي الطاهر ناعوس، البلاغة وتحليل الخطاب، مقال متاح على الموقع:
http://www.alukah.net/publications_competitions بتاريخ: 2011/12/17، اطلع عليه بتاريخ: 2022/02/16

[2]- Michel Meyer : Qu’est-ce que l’argumentation?, Paris, Librairie Philosophique Vrin, 2005.

[3]- بن يحي الطاهر ناعوس، البلاغة وتحليل الخطاب

[4]- ينظر المرجع نفسه.

[5]- ينظر المرجع نفسه.

و على هذا ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا لا انفصام له، و ذلك باعتماد تقنيات البلاغة في عملية الإقناع، التي ذكرناها آنفا، حيث ركّز في ذلك بيرلمان على مبدأين أساسين في العملية التواصلية هما :القصد و المقام[1].

وهذان المبدءان يمكن الارتكاز عليهما، باعتبارهما معينا على تكوين كوثر منهجي، فيما يخص "تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين. وعلى الرغم من مميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية. بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيما آخر تصير بمقتضاه كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لسانا طبيعيا خطابات حجاجية بدرجات مختلفة."[2]

ولا يخفى على أحد، بأن الحجاج حصر في جملة من الأهداف هي:

1. الإقناع أي رصد كل الوسائل المسعفة والمعينة على جعل المتلقي يقبل الرسالة كمرحلة أولى.

2. والتأثير أي جعل المتلقي في المرتبة الثانية ينساق وراء مضامين الرسالة.

3. والتداول أي جعل اللغة وسيلة من وسائل ترابط بين طرفي العملية التواصلية.

4. والتواصل أي أن الحجاج وسيلة أساسية في ربط العلاقة بين المرسِل والمتلقي، علاقتها هدفها الأساسي هو التفاهم والتعاون والاشتراك.

5. والتخاطب أي أن اللغة بهذا تصبح تمارس وظيفتها الأساسية التي من أجلها وجدت عند الإنسان عموما.

إلا إننا وجدنا بأن بيرلمان انتقل من الإقناع الذي ركز عليه أرسطو إلى الاقتناع حيث إن المجتمعات المعاصرة التي تبنت الديمقراطية منهجا في حياتها الشاملة تؤمن بالحرية لهذا وجدناها تميل إلى الاقتناع بدل الإقناع الجبري، فكأنها تجعل من بناء الخطاب يميل ميلا عظيما نحو مراعاة ظروف و وأحوال المتلقي حتى يقتنع بالرسالة، ولهذا اهتم بيرلمان بالمتلقي بدل الملقي الذي كان يركز عليه أرسطو و البلاغة الغربية الكلاسيكية[3].

[1]- المرجع السابق.

[2]- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

[3]- المرجع نفسه.

ومن هنا نجد أن الاقتناع أهم من الإقناع في ظل الديمقراطية التي تبنتها المجتمعات الحضارية التي تولي الأهمية القصوى للمتلقي وتراعي ظروفه وأحواله، وترى أن اقتناعه هدف يصبو إليه الخطاب الحجاجي اليوم، وهو تجسيد لأهداف الديمقراطية بدل من إقناعه الجبري.

ولعلّ الحجاج في الواقع ما هو إلا وظيفة من وظائف البلاغة، وعليه فليس "الحجاج علما أو فنا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأصوات يتم افتراضها من البلاغة ومن غيرها، كالمنطق واللغة العادية...، ولذلك فمن اليسير اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب."[1]

وفي هذا الإطار كانت البلاغة الجديدة في علاقتها بالحجاج "تهدف إلى التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور."[2]

فالحجاج من قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب الخطابة هو حجاج موجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي و إلى إثارة المشاعر والانفعالات وإلى إرضاء الجمهور واستمالته ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحّة الواقع على نحو تبدو معه الخطابة من هذه الناحية على الأقلّ من قبيل التخييل.[3]

على أن هذا قد يفسّر لنا تنزيل الخطابة ضمن سلم الصناعات الخمس في المنطق منزلة وسطى بين صناعة الجدل وصناعة الشعر أو التخييل، وحدّ هذا التخييل حسب عبد القاهر الجرجاني هو "ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه"[4] وكان الأجدر به -حسب عبد الله صولة - " أن يخدع به غيره ."[5]

البعد الحجاجي للبلاغة:

ارتبطت عودة البلاغة في زماننا المعاصر بإحياء بعدها الحجاجي، فقد كان لهذا البعد حضور مهم في بداياتها مع الإغريق، وخاصة مع كتاب أرسطو في الخطابة، لكنه سيتراجع مع التطور التاريخي ليفسح المجال لسيادة الأسلوب والصورة، وهو تراجع استمر مع الشكلانيات والشعريات وبعض التيارات البلاغية

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2008، ص50.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص17.

[3]-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة، ط01، 2001، ص18.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط 1981، ص 239.

[5]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص18.

الحديثة التي تريد أن تكون البلاغة محض أدبية بدون أية علاقة بالإقناع، وتختزلها في أوجه الأسلوب ومحسناته ومعرفة طرائق اللغة الخاصّة بالأدب.[1]

وهو الأمر ذاته الذي يمكننا الوقوف عليه في التراث البلاغي العربي "بحيث أبرزت الكثير من المصنّفات التي تراكمت منذ عبد الله بن المعتزّ حتى تجنيس البديع للسجلماسي[2] احتفاء خاصا ببلاغة المحسنات دون بلاغة الخطابة التي حدد الجاحظ أهم دعائمها.[3]

قبل عقود قليلة، بدأت البلاغة تعرف طريقها إلى العودة، ويوضح جان جاك روبريو أنه بعد الآداب الجميلة والنزعة الوضعية والشكلانية الروسية واللسانيات البنيوية، أدرك الغربيون في النهاية أنّ ظواهر مهمة من مثل السجال السياسي والخطاب الإعلامي والخطاب الإشهاري تتعلّق بطرائق معروفة ومكتسبة من طرف الخطباء والبلغاء منذ قرون. يتضح جليا مما أعلنه جان جاك روبريو Jan Jacque Robrieux [4]أنه لم يدم طويلا الاعتقاد أن البلاغة أو المباحث البلاغية عموما تنحصر في المادة الأدبية والبيان والبديع والقضايا الأسلوبية والأدبية، وجماليات الإبداع على النصوص الأدبية، وهو ما تم الوقوف عليه أيضا في التراث البلاغي العربي، إذ لم تكن البلاغة سوى رؤى بديعية وجماليات أسلوبية وحسب.

ويتفق عدد كبير من الباحثين والمهتمين بهذا الحقل على أن المؤلَّف الذي وضعه حائيم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتيكا : « Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique » في أواخر خمسينيات القرن الماضي، كان أكبر مؤشّر دالّ على عودة البلاغة، ويظهر ذلك واضحا من خلال العناية التي أولاها لأشياء كانت مهملة من قبل، مثل تقنيات الإقناع المؤثر، وإعادة الاعتبار للبعد الحجاجي وعدم حصر البلاغة ضمن النطاق الأسلوبي أو الشعري.

والعناية بالبعد الحجاجي لا تعني أبدا إبعادا للبعد الشعري او إقصاء له، فبيرلمان يورد دراسة لمختلف أنواع الحجج، ضمن مؤلفه، ويخصصا حيزا للمجازات والصور، وهذا الاتّجاه إلى الوصل بين الحجة الأسلوب سيعرف اهتماما كبيرا من الباحثين والدارسين المعاصرين.[5] لقد وضع كل من بيرلمان وتيتكا البلاغة في مكانها اللائق بها من خلال مصنفهما من حيث ربطها بالوظيفة الحجاجية الإقناعية بالإضافة إلى الوظيفة الجمالية والشعرية الأدبية.

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 18

[2]- هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسين هو أديب، من أهل سجلماسة.. ولد ونشأ بسجلماسة، ورحل إلى فاس لطلب العلم ودرس في القرويين. صنف كتاب «المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع»، أنجزه سنة 704 هـ. وقد طبع الكتاب بتحقيق من علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1980.

[3]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، (م، س)، نقلا عن عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، نسخة مرقونة بكلية الآداب، مراكش، المغرب، 2003 -2..4، ص8.

[4]- هو باحث متخصص فى الحجاج من جامعة باريس

[5]- ينظر حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، (م، س)، ص9.

ويتحدّث جورج موليني عن تداولية أدبية تعتبر النص فضاء يحدث فيه شيء ما، ويتمّ فيه توجيه مجموع العمليات اللغوية في علاقة معينة، فالأدب من خلال موليني إنجازي لا تمثيلي، وما ينبغي للأسلوبي التداولي أن يدرسه هو المواد اللغوية في حمولتها ورهاناتها حين تشغيلها بعدّها ممارسة سيميائية في علاقة بجمهور ما.[1]

ويعني مبدأ التداولية أن الخطاب لا ينتج إلا من أجل تحقيق منفعة، يقول بشر بن المعتمر (ت 210ه) صاحب الصحيفة المشهورة في (البيان والتبيين)، فيما يرويه الجاحظ (ت255 ه) عنه: " وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة"[2]، ويقول ابن المقفع (ت 142ه) فيما يرويه الجاحظ عنه أيضا:" لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي فيه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت."[3]

بين الخطاب والبلاغة والتداولية

يقوم الكلام البليغ بالنسبة إلى البلاغي على مبدأين أساسيين مترابطين ومتداخلين: مبدأ التداولية ومبدأ الشعرية، ويستعمل البلاغيون مصطلحات غير مصطلح الخطاب، من أهمها: الكلام، المقال، ...ويتعلّق الأمر في كلّ هذه المصطلحات باللغة وهي تتحوّل إلى كلام بليغ يصدر عن متكلّم كفء، ويتوجّه إلى مخاطب مؤهّل لتلقّيه، والفروق المحتملة بين هذه المصطلحات تندمج في هذا التحديد العام الذي يستحضر في كلّ خطاب ثلاثة عناصر أساس هي: المتكلّم، النص والمخاطب، ويأخذ بالاعتبار أنّ القول لا يكون خطابا إلا إذا كان يصدر بقصد التأثير والإقناع.[4]

الروابط والعوامل الحِجاجيّة:

تقوم النظرية الحجاجية في جوهرها على روابط تحيل مباشرة إلى التحليل الحجاجي، فهي ترسم علاقات خاصة داخل الخطاب الحجاجي خصوصا وداخل الخطاب عموما.[5]

فالمقصود من الروابط الحجاجية هو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستئناف، كالواو والفاء ولكن وإذن، فالأداة "لأنّ" مثلا تقدم الحجّة و الأداة "إذن" تقدّم النتيجة مما يحدّد المسار الذي يتخذه الخطاب.[1]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 9.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، (م، س)، ص126.

[3]- المرجع السابق، ص116.

[4]-حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، (م، س)، ص19.

[5]- ينظر علي الشعبان، الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1ن 2008/، ص 56، 57.

ولا يرتقي الخطاب إلى مصاف الإقناع مالم يتضمن روابط حجاجيّة التي تجعل منه خطابا حجاجيا مقنعا.

ولما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تمّ تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، ف"اللغة العربية مثلا تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، من هذه الأدوات مثلا: **لكن، بل، إذن، حتّى، لاسيّما، إذ، لأن، بما أنّ، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنّما، ما، إلّا**... إلخ، وهذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو وأنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس والدفاع عن فرضية التداوليات المندمجة (La pragmatique integre)، وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتتمته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها."[2]

وتُعَدُّ الروابط دليلا قاطعا على أن الحِجاج مؤَشَّرٌ له في بنية اللغة نفسها[3]، ذلك أنّها تخصّ الأدوات اللغويّة، التي يعطيها الحجاج قيمتها الوظيفيّة في الخطاب. وهذا يعني أنّنا لم نعد ننظر إليها على أنّها وصلات للجمل أو النصوص فحسب، "ولكنّها، أيضًا، تؤدّي أغراضا استدلاليّة حِجاجية، إضافة إلى وظيفتِها الرابطة"[4].

فالفاء في الخِطاب الآتي: "لم أذهب اليوم إلى الجامعة، فالسماء كانت تمطر"، تعدّ رابطا حجاجيا، يربط بين الحجة والنتيجة، فنزول المطر حجة لامتناع الذهاب إلى الجامعة. ومن الأهميّة بمكان الإشارة إلى أنّ اللغة ثرية بالأدوات اللغوية التي يتوافر عليها المتكلم في خطابه، فالخطاب السابق يمكن أن يحقق النتيجة نفسها في أكثر من صياغة حِجاجية، كأن يلجأ إلى الأدوات الآتية (لأنّ، إنّ، إذن، و)، أو أدوات الاستفهام الإنكاريّ، إذا ما تعرّض لسؤالٍ من قبيل: "لماذا لم تذهب إلى الجامعة؟"، فيكون جوابه: "ألم تكن تمطر اليوم؟". و"المهمّ من هذا كلّه أنّ هذه المعطيات اللغويّة تمثّل تعليمات توجّه استخلاص النتيجة".[5]

وتكمن الوظيفة الحِجاجية لبعض الروابط، مثل الروابط "حتى، بل، لكن، مع ذلك"، في أنّها تربط بين قولين، كلاهما حُجة، تخدم نتيجة واحدة، ولكن بدرجات متفاوتة، فالحجة التي تلي الرابط "حتى"، مثلا، أقوى من الحجة التي تسبقه وبالمثال يتّضح المقال: "باعَ خالدٌ حتى بيتَه الذي يأويه"، فمن

---

[1]- ينظر بن أعراب زهرة، دور الأساليب والروابط اللغوية في العملية الحجاجية من خلال "البيان والتبيين" للجاحظ، مجلة الخطاب، ع6، جانفي 2010، ص185.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006م، ص26.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص55.

[4]- أحمد كروم، مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحِجاجي لبنية الاقتضاء، عالم الفكر، م/32، ع/3، 2004م.

[5]- شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، (م، س)، ص378.

الواضح أنّ في الخِطاب السابق حجتين: (1) باع خالدٌ كلَّ شيء، (2) باع خالد بيتَه، وكلاهما يخدمان نتيجة من قبيل: "خالد مفْلِس"، لكنّ الحجة الثانية (التي تلي "حتى") أقوى من الأولى، إذ هي ألصق بالنتيجة.[1]

وبالإضافة إلى الروابط الحِجاجيّة، فثمّة نوع آخر من الأدوات اللغويّة، يسميها "ديكرو" العوامل الحِجاجيّة، وهي "التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول ما".[2]

فالعوامل الحجاجية هي ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي، أو مكونات معجمية ذات إحالة غير مباشرة في الغالب.[3]

وتشمل أدوات الحصر والنفي، وبعض المكونات اللغوية، مثل: "تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا"، وغيرها من المكونات اللغويّة التي تؤدي دورًا مهمّا في توسيع أو تضييق الاحتمالات الحِجاجيّة[4].

وتظهر الوظيفة الحِجاجيّة للعوامل في أنّ "اختيار المتكلم الملفوظَ، وقد دخلت عليه العوامل الحِجاجيّة أنفع في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عن تلك العوامل؛ وذلك أنّ النتيجة التي يريد إيصال المخاطَب إليها مضمونة الوصول."[5]

العوامل الحجاجية

تعد العوامل و الروابط في نظرية الحجاج و البلاغة الجديدة عنصران من العناصر التي تساعد على انسجام الخطاب حتى يصل إلى مبتغاه من توجيه المتلقي إلى النتيجة المطلوبة، أو ما يسمى بالوجهة الحجاجية التي هي "محدَّدة بالبنية اللغوية، فإنها تبرز في مكونات متنوعة و مستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة، أي عامل حجاجي في عبارة ديكرو، فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها و من هذا النوع نجد: النفي و الاستثناء المفرّغ و الشرط و الجزاء.[6]

وينبغي التمييز بين صنفين من المؤشرات والادوات الحجاجية: الروابط الحجاجية (Les connecteurs) والعوامل الحجاجية (Les operateurs) فالروابط تربط بين قولين أو حجّتين على الاصحّ أو أكثر، وتسند لكلّ قول دورا محدّدا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامّة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكنّ، حتّى، لا سيّما، إذن، لأن، بما أنّ، إذ، ... إلخ.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص27.

[2]- المرجع نفسه، ص27.

[3]- ينظر بن أعراب زهرة، دور الأساليب والروابط اللغوية في العملية الحجاجية من خلال "البيان والتبيين" للجاحظ، مجلة الخطاب، ع6، جانفي 2010، ص185.

[4]- ينظر، شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ص377.

[5]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص34.

[6]- شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ص377.

وأما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجّة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضمّ مقولة العوامل أدواتٍ من قبيل ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما ... إلّا، وجلّ أدوات القصر.[1]

و نجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة، تؤثر في التعليق النحوي و تتوزع في مواضع متنوعة من الجملة، و من هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها و الأسوار (بعض، كل، جميع...) و ما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة، كحروف التعليل أو ما كان لوظيفة من الوظائف، مثل قط و أبدا." [2]

و إذا أردنا أكثر تفصيلا فيما يخص تعريف العوامل و الروابط فإن كل "ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات أو حروف كحروف العطف أو أدوات الاستثناء مثل (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ونسميها روابط حجاجية، وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر، مثل الحصر و النفي، أو مكونات معجمية مثل: منذ الظرفية و تقريبا و على الأقل وغيرها و يسميه عوامل حجاجية.[3]

وعلى هذا فإن الروابط الحجاجية تختص بالربط بين عناصر الكلام، وأما العوامل الحجاجية تختص بالجملة كلها.

ويميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط بحسب قوة تأثيرها في الخطاب الحجاجي، وتتمثل في:

1. الروابط المدرجة للحجج وهي: بل، مع ذلك، لأنّ ...، والروابط المدرجة للنتائج وهي: إذن، لها، بالتالي...، إلخ. والروابط التي تدرج حججا قوية مثل حتى، بل، لكن، لاسيما، ...، كما أن هناك روابط تدرج حججا ضعيفة.

2. روابط التعارض الحجاجي وهي: بل، لكن، مع ذلك، ...، وروابط التساوق الحجاجي وتتمثّل في حتى ولا سيما.[4]

وهذا يستدعي منا الحديث منهجيا عن نظرية السلالم الحجاجية حتى تكون النظرة كاملة في هذا البحث، وذلك بأنَّ نظرية السلالم الحجاجية تنطلق "من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة(ق) ونتيجة (ن) ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم، إلا بإضافتها إلى

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص27.
[2]- شكري المبخوت، (م، س)، ص377.
[3]- المرجع نفسه، ص376، 377
[4]- ينظر أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص30.

النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها و قد تبقى ضمنية.[1] والحجج تُبنى وفق سلم ينطلق من الحجة الأضعف إلى الأقوى.

هذه العوامل و الروابط من أهم موضوعات الحجاج فكيف تعرف الحجاجيات اللسانية العامل و الرابط الحجاجيين ؟ و ما و ظيفتها في الخطاب الحجاجي ؟

ثمّة اختلاف بين مدلول العامل و الرابط "فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي، ليبقى هذا الفعل ملتحما، أما الرابط **فهو الذي يربط بين** فعلين لغويين اثنين، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالا لغوية "[2]

وبالتالي، لابد من توفر العوامل والروابط الحجاجية ليتحقق الخطاب الحجاجي ويقدم مؤدّاه الإقناعي.

الحِجاج و علاقته باختلاف وضعيات التواصل:

يُعدُّ الحِجاجُ شكلًا من أشكال التواصل، فهو حِوار ومحاورة، وجِدال ومجادلة، ونِقاش ومناقشة من أجل الوِفاق والاتفاق، والإقناع والاقتناع، وهذه أعمال تستدعي الآخر بالضرورة، إذ إنّ كل تفكير حِجاجي هو تفكير مع الآخر، وتواصل معه[3].

وقد تقرر لدى "بيرلمان" أنْ "لا حِجاج بدون وجود جمهور يرمي الخِطابُ إلى جعلِه يقتنع، ويسلم، ويصادق على ما يُعرض عليه".[4]

وبالتالي، إما أن يذعن لما يعرض عليه ويسلّم به، فيغير من موقفه، وإما ألّا يتفق مع ما يعرض عليه، ولا يتأثّر به.

وإذا كان من المسلَّم به أنّ الحِجاج تواصل لغويّ، تتفاعل فيه الذوات (الأنا والأنت)، فإنّ هذا التواصل ينهض على جملة من العناصر، لا ينجح إلا بها، وهي -إلى جانب المتكلم والمخاطَب -القصدية، والاتّفاق، والسياق المقاميّ[5].

---

[1]- المرجع السابق، ص363

[2]- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند ديكرو و آنسكومر، مجلة عالم الفكر، ع1، سبتمبر، 2005، ص234.

[3]- حبيب أعراب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي، "عناصر استقصاء نظري"م30، ع1، عالم الفكر، 2001، ص103

[4]- عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكه، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م، 306.

[5]- عبد العزيز السراج، التواصل والحِجاج، (أية علاقة؟)، ضمن الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط1، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010م، ص274- 275.

فالحجاج التواصلي مرهون بوجود ذوات فاعلة في الخطاب لا يتحقق الأخير إلا بها ليضمن نجاحه، فالذات المرسلة بانسجام يتحقق مع الذات المستقبلة، مع أعراف تلفُّظية متعارف عليها تؤطرها مقامات سياقية محددة.

فالحِجاج -بوصفه عملا لغويًا –كما يرى العزّاوي - يتحقق بالقصد الإقناعيّ الذي يمثل غرض المتكلّم الحجاجي الأساس، والقصد الانعكاسيّ/ الاقتناعيّ والذي يجسّده قبول المخاطَب، وينطلق من أرضية مشتركة بين المتخاطبين، تُحرّك المخاطَب نحو العمل الحِجاجي، وتُضفي مصداقيّة مبدئية على فرضيات المتكلم، أي خِطابه الذي يعطيه السياقُ المقاميّ مشروعيةَ التواصل.[1]

كما يختلف الحجاج باختلاف العلاقات التداولية، وباختلاف الوظائف والمجالات، فقد يكون ذاتيا حميميا، تلجأ فيه الذات إلى حوار داخلي لإقناع نفسها، وقد يكون ثنائيا يتمُّ بين فردين أو فريقين متقابلين، أو بين خطيب وجمهور، وقد يحتاج الأمر إلى عدد من الافراد، ففي مجال الدعاية والإشهار مثلا يكون التصوّر والبثّ من عمل المجموعات ويستهدف جمهورا عريضا، إذ تكلف شخصيات مهمة أو مقاولات فرقا متخصّصة باكتشاف وتنظيم الحجج الكفيلة بدفع أكبر عدد ممكن إلى الانخراط في بنامج معين، كما قد تكون الوضعية التواصلية ثلاثية فيتحاور الأشخاص أو يتناظرون أمام جمهور كما هو الشأن في محاورات أفلاطون والمناظرات الجدلية والقضائية والمواجهات التلفزيونية.[2]

و تتفاوت درجة سلبية الجمهور تبعا لكل نوع من أنواع هذه الوضعية الثلاثية، ففي المناظرات الأفلاطونية يتتبع الجمهور عملية البحث عن الحقيقة، وفي المناظرات الجدلية والخطابية، يتابع كما لو كان حاضرا في فرجة رياضية، وأما في الحالات الأخرى يكون هو المستهدف مباشرة، إذ أن للمتناظرين موقفا محدّدا منذ الانطلاقة، لا يتغير أثناء التبادل ولا يتغيى طرف إقناع الطرف الآخر، بل غاية كل محاور أن يتبنى السامع موقفه وأن يقترب منه ويبتعد عن الموقف المضاد.[3]

وجدير بالقول: إنّ للعمل الحِجاجي، في إطار التواصل، فائدةً يجنيها المخاطَب، تتوزّع في مسارين: المسار الإخباريّ، والمسار التأثيريّ، ويرى "ديكرو" أنّ الوظيفة التأثيرية أساسيّة، بينما يرى الوظيفة الإخباريّة ثانويّة.[4] فمثلا، لا يريد المتكلم، في موقف معيّن، من تلفّظه بجملة "أذّن المغرب" أن يخبر المخاطَب بحلول صلاة المغرب فقط، فهذا لا شيء أمام اعتبار هذا القول حجّة لنتيجة، من قبيل: أستأذنك، فسأذهب إلى المسجد، أو كفّ عن الحديث، احترامًا للأذان، وما إلى ذلك من النتائج التي يحتملها المقام.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، الحِجاج في اللغة، ، المغرب، دار الأحمدية، ط1، 2006، ، ضمن الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، ط1، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010م، ص 15.

[2]- ينظر السابق،

[3]- ينظر المرجع نفسه.

[4]- أبو بكر العزاوي، ، الحِجاج في اللغة، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006م، ص42.

أو قولنا مثلا: الامتحانات على الأبواب، ليس من باب الإعلام أو الإخبار أبدا، فالطالب على علم بذلك لا محالة، وإنما الكلام قائم على حجة لنتيجة من النتائج التي قد تتحقق كتنبيه الطالب على المراجعة، أو عدم إهدار الوقت، أو الانضباط أكثر والالتزام بالحضور، أو أن القول كله جاء لينبّه الطالب، أو ليشير المتكلم من خلال هذا القول على وجه الاستهزاء على أن الطالب غير مجد ومستهتر وأن نتائج الامتحانات ستؤكد ذلك..إلى غير ذلك من الاحتمالات التي يفترضها السياق والحمولات التي يتضمنها المقام.

وإذا كان التواصل هو الطريقة التي يمارس فيها المتكلم حِجاجه وتأثيره على المخاطَب اعتمادًا على آليات وأدوات حجاجية موجودة في الخِطاب اللغوي، مع ما يصحبها من تغييرات صوتية – وظيفية كالتنغيم والنبر، وتغييرات إشارية مثل تعابير الوجه وحركات اليدين وإيماءات الرأس... وغيرها' فإنّ السؤال الذي يلحّ في طرحه هو: من أين يستمدّ هذا الحِجاج آلياته وأدواته تلك؟[1] فنبرات الصوت والتنغيمات المصاحبة للكلام و حركات الجسد وإيماءات الرأس والإشارات المصاحبة كلها علامات يمارس من خلالها المحاجِج فعل التأثير على المتلقِي.

ضرورة اللغة وعلاقتها بالحجاج:

تطورت أبحاث الحجاج في عصرنا من خلال استلهام الموروث البلاغي والفلسفي عند الغربيين من خلال إحياء التراث الفلسفي اليوناني، وعند العرب، من خلال إحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين، وما دامت وظيفة الإقناع من أسمى غايات التداول الحجاجي، فإنها أعلق بمجالات تداولية صريحة للفعل الكلامي (منها مفهوم متضمّنات القول)، لأن كلّ فعل إقناعي يقوم على افتراضات مسبقة بشأن عناصر مقام التواصل والتبليغ، فالوظيفة الإقناعية يجسدها خطاب مرتبط بخطابات أخرى، ومرسل هذا الخطاب ليس وحيدا أبدا لأنه يعبّر عن ذاته مع أو ضدّ مرسلين آخرين لخطابات، فهناك دائما ارتباط بخطابات أخرى.[2]

ولما كانت اللغة ذات طبيعة حجاجية متأصلة فيها، فإن هذه الخاصية ألصق بالخطاب منها باللغة، وكانت أنواع من الخطابات في التراث العربي هي التي تمدّ الأبحاث الحجاجية بمادّة غنية في التنظير للحجاج على أسس حديثة منها **المناظرة**، التي وجد فيها الدارسون المعاصون ضالتهم فيما يرومونه من الكشف عن الكنوز التراثية العربية في هذا المضمار، ومن روّاد الأبحاث الحجاجية في عصرنا – يذكر مسعود صحراوي- طه عبد الرحمن، وأبو بكر العزاوي، وحمادي صمود، و محمد العمري وغيرهم...[3]

---

[1]- عبد العزيز السراج، التواصل والحِجاج، أية علاقة؟، (م، س) ص274.

[2]- مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات، علم استعمال اللغة، تن: و تق: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2 2014، ص59.

[3]- تعرض عدد غير يسير من الدارسين واللغويين العرب المعاصرين لمفهوم الحجاج وأهم مضامينه وأسسه، يمكن العودة إلى مؤلفاتهم مثل:

ويفرّق بعض الدارسين بين **الحجاج اللغوي** و**الحجاج الفلسفي**، وهذا فحوى النظرية الحجاجية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي ديكرو (Ducrot) منذ سنة 1973، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه الوجهة التي تمكّنه من تحقيق – ولو –بعضا من أهدافه الحجاجية.[1]

ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلّم بقصد التأثير، هذه النظرية تريد أن تبيّن أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفةً حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشّرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأفعال نفسها.[2]

قامت بعض الأبحاث اللسانية في القرن العشرين على تبني توجه يهتم بدراسة نظرية الحجاج في اللغة L'argumentation dans la langue والتي قامت أسُسُها على يد أوزفالد ديكرو (Ozwald Ducrot) منذ 1973 في كتابه الموسوم ب "نظرية الحجاج في اللغة"، والتي انطلقت من فكرة "أننا نتكلم بقصد التأثير"، هي نظرية لسانية تهتمّ بالوسائل اللغوية وإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلمون، كما تحاول النظرية أن تبيّن أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة - كما يرى العزّاوي[3]- "مؤشّر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية."[4].

فالجماعة البشرية تشترك في لغة محددة يتم التخاطب وفقها وبوساطتها، وتتضمن نسقا وسننا معينا يتعارف عليه ومن من خلاله المتخاطبون، من خلال المعاني والألفاظ التي تحملها هذه اللغة، ومن خلال خصائصها التي تتميز بها.

وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنامٍ، وتدريجي، بمعنى آخر: فإن الحجاج يتمثّل في إنجاز تسلسلات إنجازية داخل الخطاب."[5]

- طه عبد الرحمن من خلال كتابه اللسان والميزان،

- حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،

- أبو بكر العزاوي من خلال كتابه: اللغة والحجاج/ الخطاب والحجاج، وهو مجموعة من المقالات نشرت في مجلة المناظرة و مجلّة المناهل...

[1]- مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، (م، س)، ص 60.

[2]- ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- أفرد أبو بكر العزاوي بحثا خاصة بدراسة الحجاج ضمن اللغة أوسمه ب " اللغة والحجاج" ضمّنه دراسة وصفية لبعض الجوانب الحجاجية للغة العربية ومن خلال هذه الدراسة سعى إلى تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، وإبراز بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية ضمن مستوياتها المتعددة.

[4]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص08.

[5]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

إذ يرمي الدرس الحجاجي إلى تناول القواعد التي تحتكم إليها دراسة نسق الأقوال ونظامه المتمثل في تسلسلها و كيفيات ونظم إنجازها داخل الخطاب اللغوي. والقوانين العقلية أو الوضعية المسؤولة عن كل ذلك.

الحجاج بكل بساطة، عملية فكريّة تُخاطِب العقل، أدواتُها اللغة (بمفهومها الواسع)، ومجالُها الخِطاب، ف"حيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإنّ ثمة استراتيجية معيّنة نعمد إليها، لغويًا أو عقليًا، إمّا لإقناع أنفسنا، أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحِجاج ذاته"[1].

فالحجاج متضمَّن في اللغة و متأصِّل فيها ومادام العقل وحده المسؤول عن اللغة وما تتضمّنه من خطابات مختلفة، و سائر الكلام المفيد كان الإقناع الهدف المتوخى من كل عملية حجاجية نسعى إليها من خلال مختلف حواراتنا.

اللغة -من وجهة نظر "البراغماتية التداولية "، أو "الملفوظيّة"- "إفصاح، وإدلال، وتعبير، تُحقِّق الاتصال والتفاهم بين (الباثّ) المتكلم، والمتلقي السامع، أي هي وسيلة تخاطب بينهما وتتمثل كلّية في التعبير"[2] ويستلزم ذلك أنّ اللغة، عند استخدامها، لا تكون مجردَ رموز وإشارات تواضعية، وهذا لا ينفي عنها صفة كونها "نظامًا"، بل هي "نظام" يحمل في ذاته قيما براغماتية، أو " تعليمات وتوجيهات تقدمها المكوّنات اللغويّة للمؤول، حتى يتمكن من الوصول إلى المعلومات المقامية الكفيلة ببيان كيفية إعادة بناء المعنى الذي قصد إليه القائل" [3]

فالمعنى مخبوء في نفس المتكلم، قد يحسن الإفصاح عنه وتجليته لمخاطبه بأبسط الملفوظات، وقد يخفق في تبليغ مراده من كلامه ولو توسّل بأبلغ العبارات، وقد لا يحسن المتكلم انتقاء ألفاظ معبرة عن مقصود معين كما قد لا يُفهم المقصود من كلامه، أو قد يفهم خطأ أو قد يؤوّل تأويلا لم يكن أبدا يقصده صاحبه.

وهذه النظرة البراغماتية إلى بنية اللغة تمثلها "**البراغماتية المدمجة**"، وهي مشروع كبير مرتبط بالعالِم الفرنسيّ "ديكرو"، ويقوم هذا المشروع على احتساب دلالة الخطاب في ضوء المقام، انطلاقا ممّا توفّره أبنية اللغة من مكونات لغويّة، لها وظيفة توجيهية تساعد المتكلم على توجيه خِطابه وجهة ما.[4]

لقد اهتم ديكرو من خلال مشروعه التداولية المدمجة بالدلالة الخطابية في إطار مقام معين، يجعل المتكلم يوجّه خطابه وجهة يقصدها هو.

---

[1]- حبيب أعراب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي، "عناصر استقصاء نظري، (م، س)، ص99.

[2]- ينظر بن عدنان ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989م، ص158.

[3]- شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (م، س)، ص 358.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص 359، وينظر عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 29.

وترى التداولية المدمجة أن القيمة الإخبارية للملفوظ ثانوية بالنظر إلى قيمة الملفوظ الحجاجية[1].

فالتداولية المدمجة تؤكّد على القيمة الحجاجية للكلام وتجد بأنها أساسية وضرورية دون الاكتراث لما يتضمّنه من وظيفة إخبارية.

ومن هذا المنظور، فإنّ المجال التداولي هو قاعدة التركيبة الجامعية، حيث الإعراب والدلالية لا يحتلّان إلا مواضع التجريد دون توافق نظري منطقي ما لم يرتبطا بقاعدتهما المؤسّسة[2].

لعلنا لا نتفق و هذا الرأي الذي يتبناه ديكرو من خلال التداولية أو البراغماتية المدمجة والذي يرى من خلاله ويؤكد على أن المستوى النحوي التركيبي والمستوى الدلالي المعجمي لا يمثلان سوى المستوى أو الوضع التجريدي، فهو يقصي النحو والدلالة من دور مهم في الدراسة اللسانية التي لا تقوم الا عليهما بعدهما مستويين يمثلان الركيزة الأساس في الدراسات اللسانية.

ومن هذه الزاوية، تُعدّ اللغة رافدًا مهمًا للحِجاج، من وجوهٍ ثلاثة، أمّا الأول، فاللغة توفّر للحِجاج إمكاناتِها القابلة للصياغة الحِجاجيّة في ضوء المقام، حيث تجد الوظيفة الحِجاجية لخطاب ما عناصرها الأساسية في بنية اللغة.[3]

ومنه نستلزم أن اللغة بما تتيحه من إمكانات حجاجية يمكن أن تعد أهم رافد للخطاب الحجاجي، فهي مؤسسة اجتماعية بما تحمله من حمولات مختلفة لعبارات متنوعة وبما توفره من أوعية عديدة لمعان متعددة.

ومن وجهٍ آخر، فإنّ هذه الإمكانات تحدّد الوجهة الحِجاجيّة للقول (أو الخِطاب)، "وهذا يستلزم أنّ القول لا يصلح أن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك، إلا بموجب الوجهة الحِجاجية المسجلة فيه" [4]، حيث تحدد المسار التأويليّ الذي على المخاطَب أن يسلكَه للوصول إلى النتيجة المتوخاة، ومن وَجْهٍ أخير، فإنّ اللغة -بوصفها نظريةً يمارسُ فيها الحِجاج وظائفَه- تجعل الخطاب قطعة واحدة يطلب آخرُه أولَه، وحاضرُه غائبَه، حيث تتسلسل الأقوال في بناءٍ واحدٍ، منها حِججٌ يقدّمها المتكلم للمخاطَب، ومنها نتائج يسعى المتكلم إلى جعل المخاطَب يستنتجها من بنية اللغة، ويقبل بها، إذ إنّ الملفوظات الحِجاجيّة تضطلع بدور إلزام المخاطَب باستخراج النتائج، فما يريد المتكلم أن يقوله، هو ما يريد أن يجعل المخاطَب يقولُه.[5]

---

[1]- ينظر شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 358

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 358.

[3]- حبيب أعراب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي، عناصر استقصاء نظري، (م، س)، ص105.

[4]- شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (م، س)، ص 375.

[5]- أوزفالد ديكرو، السلالم الحِجاجية، ضمن كتاب لسانيات الخِطاب، الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية، صابر حباشة، دار الحِوار اللاذقية، سورية، ط1، 2010، ص255.

وإذا كان الحِجاج فعلا لغويّا، فإنّ **أنسكومبر وديكرو** يشيران إلى الأثر الذي يخلّفه الاستخدام الحِجاجي للّغة، وذلك من خلال مفهوم" **الوسم الحِجاجي**"، فالخطاب الحِجاجي يكتسب بعض العلامات التي تحدّد وجهته الحجاجيَّة، وهي علامات تشتغل داخل الخطاب بشكلٍ متنوّعٍ وبصور متعدّدة، فقد تظهر في صورة **روابط حجاجية** أو في صورة **عوامل حجاجية**، كما تشتغل عدَّة مميزات مرتبطة بظواهر **التضمين والاقتضاء وسلمية بعض الملفوظات.**[1]

ويختلفُ تصوُّرُ الحجاجيات اللِّسانية لمفهوم الحِجاج عن التصور التقليدي للحِجاج والخَطابة، فقد كان في التصوّر التقليدي نشاطا غير مرتبط ببِنية اللغة، وهو متعلِّق بآثار الكلام فقط، فالانتقال مِن ملفوظ ما، ك" **هذا المؤلف مفيد**"، أو متوالية من الملفوظات، إلى نتيجة محدَّدة وهو جوهر النشاط الحجاجي - تتحكَّم فيه اعتبارات خارجة عن بِنية اللغة، فما نستنتجه من الملفوظ المذكور - إذا ارتبط بسياق محدَّد - هو إفادته معنى معيَّنًا، يصحُّ استنتاجه، وهو أنَّه يحضّنا على قراءته، ويحتجّ لذلك بكونه مفيدًا، وهو استنتاج - حسب التصوُّر التقليدي للحِجاج – يتمّ بمقتضى قانون مِن قوانين الخِطاب.[2]

ورغم أنَّ قوانين الخِطاب تَحكم اشتغالَ النَّسَق اللغوي، فهي لا تنتمي إليه؛ فطبيعتها اجتماعية وثقافية أي: خارجة عن بِنية اللُّغة.

والحِجاج حسب ديكرو وأنسكومبر: نشاط تلفُّظي يندرج ضمن بِنية اللغة، ودراستُه تجري داخل الدّراسة اللسانية، وفقا لنموذج التداولية المدمجة[3].

ويسري الحِجاج في اللغة سَريانًا طبيعيًّا، وبهذا فالوظيفة الحجاجية حسب **ديكرو** تتوفَّر على مميزات في بِنية اللغة ذاتها، ف" يمكن للجملة أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيَغ، وهي بالإضافة إلى محتواها الإخباري تَصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقّي في هذا الاتجاه أو ذاك ."[4]

وقد توسَّع مجال التداولية متناميًا مع دراسات (ديكرو)، التي تركز على بناء الخِطاب اللغوي الطَّبيعي؛ ولذلك سعى (ديكرو) و(أنسكومبر) إلى صياغة دلالة الخِطاب لِسانيًّا، مِن خلال تحديد العلاقات بين (المضمون(L' implicite والمصرح به [5] L' explicit.

ويضمّ (الاستدلال) أنواعًا كثيرة، منها البرهان والحجاج، فالبرهان متعلِّق بالأنساق الصناعيَّة الصورية، التي تعتمد المصطلحات المحدَّدة، اعتمادًا على بِنية مِن المسلَّمات المجرَّدة من كلّ التباس، وذلك للمساهمة في تأسيس العلوم الحقة، كالإعلاميات والفيزياء والرياضيات أمَّا الحِجاج، فيختصُّ بالخِطابات

[1]- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، عالم الفكر، المجلد 34، سبتمبر 2005، ص 225.

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص225

[3]-- ينظر المرجع نفسه ، ص225

[4]-- ينظر المرجع نفسه ، ص225

[5]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، (م، س)، ص 90.

الطبيعيَّة، المتميزة بالالتباس والخصوبة، والتداولِ والتفاعل الاجتماعي، وبسبب ما تتميَّز به مِن غِنى دلالي ومعجمي ونحوي، عُدَت الأداةَ المفضّلة للتواصل البشري الطبيعي، الذي يشمل وظائفَ وأهدافا تعبيرية، وشعرية، واجتماعية.[1]

الخطاب اللغوي

بالتطرقنا إلى بعض الكتب اللغوية وجدنا تعريفات دقيقة للغة حاول من خلالها اللغويون إبراز الجوانب المميزة للغة في طبيعتها الصوتية التي هي مادتها الطبيعية، وفي وظيفتها الاجتماعية التي تنقل الأفكار وتصور التعابير، وفي هذا الصدد نلاحظ التعريف الذي وضعه ابن جني للغة إذ قال: " حدّ اللغة أنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم."[2]

ويفصل ابن خلدون في تعريفها أكثر بقوله: " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد لإفادة الكلام، فلابد أن تصير متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم."[3]

من خلال التعريفين السابقين يتبين لنا أن اللغويين القدماء من العرب فطنوا أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وظيفتها الأساسية إقامة التواصل بين أفراد المجتمع، وقد اهتموا أيضا برصد العلاقة بين بنية اللغة ووظيفتها على أساس أن التراكيب اللغوية وسائل للتعبير عن أغراض تواصلية معينة تختلف حسب السياق الذي وردت فيه.

ومن هنا، فقد عني بموضوع التواصل كمبحث تداولي علماء ينتمون إلى حقول علمية ومعرفية متنوعة، فقد درسه النحاة والبلاغيون والأصوليون والمفسرون والمناطقة، ولكل حقل من هذه الحقول سماته الخاصة وطابعه المتميّز في معالجة هذه الظاهرة، ولكل مقاربة من المقاربات اللغوية العربية القديمة لنفس الظاهرة مفاهيمها وأدواتها وأهدافها الخاصة.[4]

وقد كان القاسم المشترك بين الاختصاصات هدف واحد هو فهم النص القرآني، ويتجلى هذا التقارب بين تلك الحقول المعرفية المختلفة في مسألة مهمة جدا تتمثل في تناول ظواهر مشتركة كالترادف، والاشتراك، باعتبارهما ظاهرتان تتصلان بالدلالة المعجمية وبالأساليب الإنشائية، وتعدد قراءات النص الواحد، باعتبارهما تندرجان ضمن الظواهر المتصلة بالدلالة المقامية وغيرها، كما يتجلى في إقامة حوار

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص81.

[2]- أبو الفتح عثمان، ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1952، ص 33،

[3]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل بيروت، لبنان، د.ت، ص504.

[4]- - يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية، (م، س)، ص18

افتراضي على مستوى المفاهيم بين مختلف التخصصات، بغية تحقيق قدر من الكفاية عند وصف الظواهر المزمع وصفها.[1]

لقد رصد الفكر اللغوي العربي القديم ظاهرة التواصل اللغوي، وسخر أدواته النحوية والبلاغية والأصولية لاستجلاء ما يتصل بهذه الظاهرة وبصيغها ومعانيها. فقد كان لأسلافنا من المفكرين العرب الفضل العظيم في هذا المجال إذ أسهموا فيه بآرائهم المختلفة، وأفكارهم الرائدة بغية خدمة الدين الحنيف، ودراسة النص القرآني الكريم والحديث النبوي الشريف.

التواصل اللغوي في الفكر العربي القديم

اهتمَّ علماء العرب القدامى بالتواصُل، وقاموا بتطويق هذه النظرية من كل الجوانب، وكان ذلك تزامنًا مع تطوُّر الدراسات اللغوية، خاصةً فيما له علاقة باللغة باعتبارها الشكل الأرقى للتعبير والتواصُل؛ إذ نجد أغلب أبحاثهم تطرَّقت لنظرية التواصُل من جوانبَ متعددة، وقامت بتحديد أركانها وأهدافها، بل الأكثر من ذلك تحديد مستويات التواصُل حسب الطبقات الاجتماعية، والحديث عن وظائفها، ودور كلٍّ من الإشارة واللفظ في كل عمليةٍ تواصُلية، كما نجد ذلك عند الجاحظ، وهو من أكبر روَّاد التواصُل في التراث العربي[2].

يُعتبر الجاحظ من أبرز العلماء العرب الذين فصَّلوا القول في نظرية التواصُل، من خلال إثارة مجموعة من القضايا كانت بمثابة أرض خصبة لظهور عدة أبحاث في هذا المجال، و"يُشير حمادي صمود في كتابه (التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره) إلى أن اللغويين العرب (...) يؤمنون بأن مكونات التواصُل ثلاثة، هي: المتكلم، والمخاطب، والكلام، والرابط بين هذه الأطراف هي الوظائف الثلاثة: الوظيفة الإفهامية، والوظيفة الخطابية، والوظيفة الشعرية"[3] .

انطلاقًا من هذه المقولة نستنتج وجود العناصر التواصُلية على شكل ثلاثة أطراف، وهي: المتكلم أو المرسِل للرسالة التواصُلية، والمخاطَب أو مُتلقي ومستقبِل هذه الرسالة، إضافة إلى الموضوع، وهو الرسالة المنقولة من المرسِل إلى المخاطَب؛ إما لوظيفة إفهامية أو خطابية أو شعرية، وقد أكَّد الجاحظ أن الوظيفة الإفهامية قائمةٌ على الفهم والإفهام كشرط أساسي لكل خطاب لُغوي، وهو ما نلمسه في قوله: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضحَ وأفصحَ، وكانت الإشارةُ أبينَ وأنورَ، كان أنفعَ وأنجعَ (...)، والبيان اسم جامع لكل شيء

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص18

[2]- مصطفى العادل، نظرية التواصل في التراث العربي الحديث، مقال متاح على شبكة الألوكة على الموقع: https://www.alukah.net/culture بتاريخ: 2017/10/26، اطّلع عليه بتاريخ2022/10/26.

[3]- احمد إسماعيلي العلوي؛ التواصل الإنساني، دار كنوز المعرفة العلمية، ص:24.

كشف لك قناع المعنى (...)؛ لأن مدار الأمر والغايةَ التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[1]

ولم يقتصر الجاحظ عند هذا الحد بل حدَّد أدوات البيان في خمس: أولها اللفظ ثم الإشارة، كما أشار إلى مستوى الخطاب الذي يجب أن يكون مراعيًا لمستوى المتلقي، وهو بذلك قد فتح الباب لقضية اختلاف اللغة بين مختلف طبقات المجتمع.

تأسيسًا على أفكار الجاحظ قام كثيرٌ من الباحثين بتأسيس أفكارهم في نظرية التواصُل، وقاموا بتحديد عناصر التواصُل مع التطرُّق لمجموعة من القضايا المتعلقة بالعملية التواصلية، ومن بين هؤلاء نجد (أبا إصبع)؛ حيث يرى "أن أركان التواصل خمسة، وهي:

-1القائل: وهو يقابل المتصل القائم بالاتصال (المرسِل): وترتكز دورة الكلام على الذات المرسِلة التي تحدِّد نوعية التواصل ("فالمرسل هو الأس في عملية التواصل، ويمكن أن يكون فردًا أو فردين أو جماعةً أو آلة كالمذياع مثلًا[2]

2-السامع: وهو يقابل المتلقي (المستقبِل).

3-كل شيء كشف لك القناع، وهو يقابل الرسالة.

4-الدليل أو أصناف الدلالات على المعاني من لفظ أو غير لفظ، وهو يقابل الوسيلة.

5-الغاية التي يجري إليها القائل (الفهم والإفهام)، وهي تقابل التأثير".[3]

لقد أشار كثيرٌ من الباحثين العرب إلى نظرية التواصُل من خلال مجموعة من الإشارات، إلا أنها لم تَرتَقِ إلى مستوى النظرية العلمية، كما نجدها عند كثير من علماء الغرب المعاصرين، بقدر ما كانت إشارات تأتي في سياقات مختلفة، وفي ظل علوم متنوعة، والسبب في ذلك راجعٌ إلى عدم مواكبة هذا النضج الذي كانت عليه الأمة في ذلك الوقت، فالعلماء الأجلَّاء رحمهم الله أحاطوا بكامل العلوم بشكل كليٍّ، ليبقى للباحث دور التفصيل والتدقيق، وهو الأمر الذي لم يكن؛ للظروف السياسية التي شهدها تاريخ الأمة الاسلامية.

ناقش كثير من النقاد والبلاغيين مسألة مقضيات الكلام عن المرسل والمستقبل، وبخاصة عند حديثهم عن الخطابة، فذكروا أن على الخطيب ألا يطلق الكلام على عواهنه، بل يجب أن يتأكد من متلقي

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص42، 43.

[2]- عمر أوكان، اللغة والخطاب؛ رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 61.

[3]- محمد إسماعيلي العلوي، التواصل الإنساني، ص 25.

رسالته (المستقبل لرسالته)، كما فعل الأصوليون نفس الفعل عندما بحثوا فيما يدخل في الاوامر الإلهية وما لا يدخل.[1]

وقد خص اللسانيون الاجتماعيون هذا الركن من أركان التواصل بالبحث الدقيق والشامل، مما دفعهم إلى الخوض في مشارب معرفية مختلفة ومحاولة دراسة أصناف البشر من حيث النوع، الجنس، والعادة.[2]

والأمر نفسه دفع اللسانيين النفسانيين إلى إدراج دراسة مؤهلات الفرد الحسية والمعرفية التي تجعله قادرا على التواصل مع بني جنسه، إذ أن المتخاطبين لا يستوون في إدراكاتهم وأحاسيسهم، ومادامت الحواس هي وافذ العقل، إذ بواسطتها يتكوّن الإدراك، وعن طريقها يتصل الأنسان بالعالم الخارجي، ويفسّر الرسائل الواردة إليه، متعرفا بذلك على العالم الخارجي من جهة وعلى عالمه الداخلي من جهة أخرى.[3]

وهذا يعني أنّ الحجاج مرتبط باللغة الطبيعية، حال استعمالها، كون استعمالها يعني أنّ هناك متخاطبين يلجؤون بفكرهم إلى اللغة لا ليبلّغوا محتوى خطاباتهم فحسب، وإنّما ليؤثروا ويتأثروا، وليقنعوا ويقتنعوا.[4]

ولتنشأ من ههنا العملية التواصلية التي هي مدار الحياة الاجتماعية والإنسانية بكل ميادينها وتشعباتها

اللغة -من وجهة نظر "البراغماتية"، أو التداولية أو "الملفوظيّة"- "إفصاح، وإدلال، وتعبير، تُحقِّقُ الاتصال والتفاهم بين المرسل المتكلم، أو المتلقي السامع، أي هي وسيلة تخاطب وظيفتها التعبير"[5] ويستلزم ذلك أنّ اللغة، عند استخدامِها، لا تكون مجردَ رموز وإشارات تواضعية، وهذا لا ينفي عنها صفة كونها "نظامًا"، بل هي "نظام" يحمل في ذاته قيمًا براغماتية، أو "تعليمات وتوجيهات تقدمها المكوّنات اللغويّة للمؤول، حتى يتمكن من الوصول إلى المعلومات المقامية الكفيلة ببيان كيفية إعادة بناء المعنى الذي قصد إليه القائل."[6]

---

[1]- المرجع السابق، ص 19

[2]- ينظر فاخر عاقل، يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية، (م، س)، ص19.

[3]- المرجع نفسه، ص19

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص99.

[5]- عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989م، ص158.

[6]- شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م، ص358.

وهذه النظرة البراغماتية إلى بنية اللغة تمثلها "البراغماتية المدمجة"، وهي مشروع كبير مرتبط بالعالِم الفرنسيّ "ديكرو"، ويقوم هذا المشروع على احتساب دلالة الخِطاب في ضوء المقام، انطلاقًا ممّا توفّره أبنية اللغة من مكونات لغويّة، لها وظيفة توجيهية تساعد المتكلم على توجيه خِطابه وجهة ما.[1]

ومن هنا، ومن هذه الزاوية، تُعدُّ اللغة رافدًا أساسيا ومهما للحِجاج، من وجوهٍ ثلاثة؛ أمّا الأول، فاللغة توفّر للحِجاج إمكاناتِها القابلة للصياغة الحِجاجيّة في ضوءِ المقام، حيث تجد الوظيفة الحِجاجية لخطاب ما عناصرَها الأساسية في بنية اللغة[2].

ومن جهة أخرى، فإنّ هذه الإمكانات تحدّد الوجهة الحِجاجيّة للقول (أو الخِطاب)، "وهذا يستلزم أنّ القول لا يصلح أن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك، إلا بموجب الوجهة الحِجاجية المسجلة فيه"[3].

حيث تحدد المسار التأويليّ الذي على المخاطَب أن يسلكَه للوصول إلى النتيجة المتوخاة، ومن وَجْهٍ أخير، فإنّ اللغة -بوصفها نظريةً يمارسُ فيها الحِجاج وظائفَه- تجعل الخِطاب قطعةً واحدةً يطلب آخرُه أولَه، وحاضرُه غائبَه، حيث تتسلسل الأقوال في بناءٍ واحدٍ، منها حِججٌ يقدّمها المتكلم للمخاطَب، ومنها نتائج يسعى المتكلم إلى جعل المخاطَب يستنتجها من بنية اللغة، ويقبل بها، إذ إنّ الملفوظات الحِجاجيّة تضطلع بدور إلزام المخاطَب باستخراج النتائج، فما يريد المتكلم أن يقوله، هو ما يريد أن يجعل المخاطَب يقولُه.[4]

علاقة الحجاج بمرادفات أخرى:

يتضح مفهوم الحجاج أكثر إذا ما قورن بمفهوم البرهنة، أو الاستدلال المنطقي، فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدّم براهين وأدلّة منطقية، كما أنه لا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، وسنحاول تحديد مفاهيم بعض من هذه المصطلحات:

أ/ الاستدلال:

ترى سامية الدريدي أنّ الاستدلال يرتبط بالحجاج من حيث أنه يمثل " سياقه العقلي، أي تطوره المنطقي، ذلك الخطاب الحجاجي، هو خطاب قائم على البرهنة، فيكون بالتالي بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس، فإذا اعدنا النص الحجاجي إلى أبسط سورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية، ترتيبا يستجيب لعناصر

---

[1]- المرجع نفسه، ص359، كما ينظر . البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط1، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010م، ص29.

[2]- حبيب أعراب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي، عناصر استقصاء نظري، (م، س)، 105.

[3]- شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، (م، س)، ص375.

[4]- أوزفالد ديكرو، السلالم الحِجاجية، ضمن لسانيات الخِطاب، "الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية"، (م، س)، ص255.

الإقناع."[1] ومن هنا نجد أن الاستدلال بوصفه – كما يرى بعض الدارسين – مرادفا للحجاج، يرتبط بالبرهنة من جهة كما يرتبط بالإقناع من جهة أخرى.

يميز ديكرو وأنسكومبر بين نوعين من الأفعال فعل المحاجة وفعل الاستدلال، حيث إن الاستدلال يكون من خلال وجود علاقة بين الحجة (ق1) والنتيجة (ق2)، وأن هذه النتيجة تستند إلى حدث معين في الكون، أمافعل المحاجة فلا علاقة بين الحجة (ق1) والنتيجة(ق2) ومثال ذلك:

أ. مستواك في الدراسة ضعيف(ق1)

ب. عليك أن تضاعف جهدك في المراجعة(ق2).

نحن هنا أمام فعل استدلال لأن النتيجة (ق2) التي هي **مضاعفة الجهد** في المراجعة، تستند إلى الحجة(ق1) والتي هي **تدني** مستوى الدراسة لدى هذا التلميذ.

أما المثال الثاني:

أ. رغم أن هذا الحيوان خطير (ق1)

ب. فإن مظهره جميل(ق2)

فنحن أمام فعل الحجاج، وذلك لوجود علاقة بين النتيجة (ق2) والحجة) (ق1).

ومن خلال هذين المثالين نستنتج" أن الحجاج والاستدلال ظاهرتان من مستويين مختلفين فأساس الاستدلال هو علاقة اعتقادات المتكلم بحالة الأشياء، أي ترابط الأحداث والوقائع في الكون، أما الحجاج فهو موجود في الخطاب وفي الخطاب فحسب."[2] ولعل تمركز الحجاج في الخطاب هو ما جعله مرتبطا أساسا باللغة على حد قول شكري المبخوت" إن عمل المحاجة باعتباره علاقة بين حجة ونتيجة مختلف عن عمل الاستدلال، فالمحاجة علاقة بين عملين لغويين لا بين قضيتين وهذه الخاصية التي تجعله مرتبطا باللغة الطبيعية."[3]

من هنا، يمكن أن نستنتج أن الاستدلال علاقة بين حجة ونتيجة فيما يخص قضايا الكون، أما الحجاج فعلاقة الحجة بالنتيجة تتحقق من خلال العلاقة بين الأقوال داخل الخطاب والتي تمثل أبنية اللغة بصفة عامة.

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 27.

[2]- شكري المبخوت، (م، س)، ص362

[3]- المرجع نفسه، ص363.

ب/ البرهنة:

ويعتمد فيها على " الأمثلة والحجج وكلّ تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها."[1]

وتكمن علاقة الحجاج بالبرهان على طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة، وترتبط بالإقناع باكتشاف طريقة عرضها وتقنياتها بالإقناع، ولطبيعة العملية الحجاجية دور في تحديد نوع النص أو الخطاب، وذلك راجع لطبيعة العملية البرهانية. "إنما تتحدد بالنظر والبرهان أي محاجّة في مقابل حجاج Argumentation، وبرهان في مقابل Démonstration وهنا يرى بيرلمان أن البرهان لا ينقل من المقدّمات إلى النتيجة خاصيّة موضوعية كالحقيقة مثلا كما هو الحال في البرهنة الرياضية، لكنه يسعى من أجل أن ينقل الموافقة التي تحظى بها المقدمات إلى النتيجة، وهذه الموافقة مرتبطة دوما بجمهور معيّن، كما أنها تختلف من جمهور إلى آخر، إنّ أي واحد يجب أن يصل إلى النتائج نفسها في نظام شكلي مناسب منسجم."[2]

و المسألة ليست بهذه الصورة في العملية البرهانية الحجاجية، حيث مواجهة عقول حيّة متوقّدة ميّالة إلى فحص الأمور عن كثب، ومن هنا، تكمن أهمية المرسل إليه في توجيه العملية البرهانية واختيار المعطيات والمقدمات."[3]

مما يدلّ على أن مصطلح الحجاج يحيل على المحاجّة كما يوحي بوجود طرفين حاضرين يتنازعان رأيا، وليس المقصود من المصطلح، بل إن المتكلّم الحاضر واحد أغلب الأحيان، يسعى إلى إقناع مخاطب بموقف أو فكرة والتأثير عليه. ولكن النموذج الشكلي واحد في العمليتين، والفرق بينهما يتمثّل في صحة العناصر المكوّنة لهما ومدى مصداقيتها.[4]

ومن هنا يمكن ترجيح مصطلح الحجاج لأن هناك طرحين حاضرين حاضرين فعلا ويتنازعان من أجل أن تكون الغلبة لأحد منهما من خلال عملية جدالية تُقدَّم فيها معطيات ترجّح كفة طرح، ومعطيات أخرى ترجّح كفة الطرح الثاني.[5]

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، (م، س)، ص 27

[2]- عبد القادر بوزيدة، نموذج من المقطع البرهاني أو الحجاجي، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ص317، 318.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 318.

[4]- ينظر عباس حشاني، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته.، (م، س)، ص 274.

[5]- عبد القادر بو زيدة، نموذج من المقطع البرهاني أو الحجاجي، ص 326، 327

ج-الإقناع:

يعرّف حازم القرطاجنّي الإقناع بقوله:" هو حمل النفوس على فعل شيء، أو اعتقاده أو التخلي عنه"[1]

ويقول طه عبد الرحمن: " تكون البنية بمنزلة الدليل الذي بلغ درجة في الوضوح، يصير معها المتوسّل به قادرا على الظهور على خصمه كما لو كان هذا الدليل مستغنيا بظهوره عن جانب الاستدلال فيه"[2]

يرى توماس شايدل .***Thomas*** sheidel أن الإقناع " محاولة واعية للتأثير في السلوك"[3]

أي أنه فعل مقصود يتطلب تقنيات وكفايات عالية التأثير في المتلقي، ويرى أوستين فيرلي أن الإقناع والحجاج جزءان من عملية واحدة ولا اختلاف بينهما الا في التوكيد[4].

فسلطة الإقناع مرهونة بمدى توفر الشروط اللازمة لنجاح الخطاب الحجاجي، فكلما كان الخطاب الحجاجي ناجحا كلما امتلك قدرة أكبر على الإقناع.[5]وبهذا التصور يكون ثمّة ارتباط وثيق بين المصطلحين والمفهزمين، وهو تصور موجود أيضا في الخطابة الجديدة عند بيرلمان وتيتيكا، فالغقناع والاقتناع يمثلان لبّ العملية الحجاجية كما يمثلان غاية الحجاج وأساسه.[6]

ويعدّ الإقناع غاية المتكلّم المحاجج و" الإبداع يأتي في درجة ثانية، والإقناع إنما هو الوجه الغائم للحجاج ومرادفه الآخر عبر مقولة المواضع المنطقية، وقد حاول العديد من الدارسين وضع الفروق بينهما: أي بين الإقناع والحجاج، وذلك أن الإقناع هو ما يحاول الإنسان به ومن خلاله إقناع نفسه أو غيره، في حين أن الحجاج هو ما به ومن خلاله يحاول إقناع الآخر، وذلك بوسائط متنافرة، منها ما يعود لغة وما توفّره من بنى وأساليب ومفردات وتراكيب، وروابط مؤثّرة حجاجيا." [7]

---

[1]- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربي للكتاب، تونس، ط3، 2008، ص19.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، (م، س)، ص136.

[3]- ينظر عبد السلام عشير، عندما نتكلّم نغير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص22

[4]- محمد العيد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص6، نقلا عن أمال يوسف المغاميسي، الحجاج في الحديث النبوي الشريف، ص30.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص30.

[6]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، (م، س)، ص456.

[7]- عز الدين الناجح، من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع/ 02، ماي 2007، ص271.

وبالتالي يطغى الحجاج ذي الصورة الإقناعية في كل موضع، ويمكن فصل الحجاج والإقناع بالنظر إلى الحجج المعتمدة ذلك "لأن الحجاج عملية اتصالية، تعتمد على الحجة المنطقية بالأساس وسيلةً لإقناع الآخرين والتأثير فيهم."[1]

وبالنظر إلى طبيعة المتلقي، فإن كان المتكلّم يخبره بكلام جديد فهو يقنعه، وأما إن كان المتلقي رافضا للكلام أو منكرا له، فيتحوّل الخطاب هنا من إقناعي إلى حجاجي، لأن المتلقي متى سلّم بالمقدمات التي قدمها المتكلم فهو مقتنع من طرفه، ومتى ردّها او رفضها فهو محاجِج، ويتمثل ردّ المتلقي ورفضه في استخدامه لحجج قد تعيق حجج المتكلم من بلوغ هدفه الحجاجي.[2]

و الإقناع يقوم على تلك التأثيرات التي يحدثها المتكلم بفعل الكلام، سواء تعلق الأمر بالفتنة، أو الانفعال، أوإحداث مجرّد تقدّم، وهو من هذا الوجه ينمّ عن ذكاء صاحبه، ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاقه، لذلك فهو يجتهد لإعلان أمر ما أو يختزل فكرة، ويسهب في تحليل أخرى، يسأل ويجيب، وقد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة، فيتجلّى في خطابه براعة الكلام قوة الإقناع.[3]

ولإحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبّر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام، وهو وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة ما عن طريق تقنات مخصوصة، ويظهر ذلك أكثر في خطاب الإشهار حين يحاول الإشهار بمنتوج معيّن إقناع المتفرج أو المتلقي واستمالته كزبون.[4] ويشترط في هذا الإقناع البيّنة التي تكون فيه "بمنزلة الدليل الذي بلغ درجة الوضوح يصير معها المتوسّل به قادرا على الظهور على خصمه كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنيا بظهوره عن جانب الاستدلال فيه.[5]

وهنا يتداخل الاستدلال والإقناع، لأن الدليل الذي هو جزء من العملية الاستدلالية ويوصف بأنه مقنع أو غير ذلك، وعلى كل، فإن الاستدلال والبرهان والإقناع هي مصطلحات تمثّل وجوه الحجاج من جهة، وتعرف سمات الخطاب الحجاجي بها من جهة أخرى بالنظر إلى المتكلّم أهو يستدل أم يبرهن أم يقنع؟

ويمكن لهذه الوجوه وهذه السمات أن تحدّد المراتب التي يترتّب بها الحجاج، ويمكن للمتفحّص الواعي أن يدرك منزلة قطبي التواصل من هذا، بالإضافة إلى انه يوافق مصطلح البلاغة والبيان وغيرهما.[6]

---

[1] - جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2008، ص105.

[2] - عباس حشاني، مصطلح الحجاج، اسسه ومنطلقاته، (م، س،)، ص 275.

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص275.

[4] - ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، (م، س)، ص26، 27.

[5] - صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق.، ص 70.

[6] ينظر عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه ومنطلقاته، (م، س)، ص275.

نظرية السلالم الحجاجية

يرتبط مفهوم السُلَّم الحِجاجيّ بمفهوم القوّة الحِجاجيّة، والتي تعني تلك الطاقة الإقناعيّة التي يمنحها السياقُ، وقصدُ المتكلم، إلى القول في موقف ما.[1]

ومن هذا المفهوم، يمكن أن ندرك أنّ الحجج -بما أنّ لكلّ واحدة (أي قول) منها طاقة إقناعية ما- لا تتساوى، ولكن تتفاوت قوة وضعفا في الخطاب الواحد، فثمة حِجج قوية، وأخرى أقوى، وضعيفة وأضعف، وقاطعة وعادية، لكنّ تواجدَها في خِطاب واحد، يعني أنّها تخدم نتيجة واحدة. وتسمى مجموعة الحِجج المتفاوتة في طاقتها الإقناعيّة (أو قوتها الحِجاجيّة)، والتي تدخل في نِطاق حِجاجيّ واحد، فتؤدّي نتيجة واحدة، ب"الفِئَة الحِجاجيّة" [2].

وهذا يدلّ على أن مصطلح الحجاج " يحيل على المحاجّة ويوحي بأنّ هناك طرفين حاضرين يتنازعان الرأي، وليس المقصود من المصطلح، بل إنّ المتكلّم الحاضر واحد أغلب الأحيان، يسعى إلى إقناع المخاطب بموقف أو فكرة أو التأثير عليه، مما يمكن ترجيح مصطلح الحجاج لأنّ هناك طرحين حاضرين فعلا ويتنازعان من أجل أن تتم الغلبة لأحدهما، من خلال عملية جدالية تقدّم في فيها معطيات ترجح كفة طرح ومعطيات أخرى ترجّح كفّة الطرح الثاني.

وبما أنّ الفئة الحِجاجيّة تتكون من مجموعة الحِجج المتفاوتة في قوّتها وضعفها، بحيث تتوجّه جميعها إلى نتيجة واحدة (ن)، فإنّه يمكن ترتيب تلك الحِجج تصاعديًا، من الأضعف إلى الأقوى، بحيث تُعتبر الحُجة الثانية (ق2) أقوى من الأولى (ق1)، والثالثة (ق3) أقوى من الثانية (ق2)، وهكذا دوليك، إلى نحصل على متوالية حِجاجيّة تتوزّع على محورٍ عموديّ، يمثّل له "ديكرو" بالرسم الآتي [3].

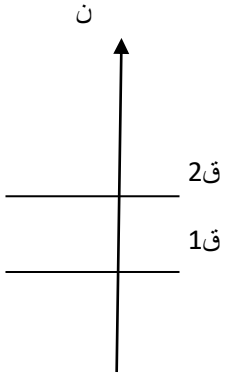

[1]- العزاوي، أبو بكر، الحِجاج في اللغة، دار الأحمدية، المغرب ط1، 2006م، ص 127، 133.

[2]- عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998م، ص272.

[3]- المبخوت، شكري: نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ، كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1999م، 365.

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه، هنا، هو: "ما هي الفائدة التي يقدمها "السلم الحِجاجيّ" لنظرية "تحليل الخِطاب"؟.

من الواضح أنّ مفهوم "السلّم الحِجاجيّ" يختزل المفهومين، أو المبدأين السابقين (العدول، والروابط الحِجاجيّة). فالقول المعدول عنه يمثّل حجّة أضعف من القول الذي اختاره المتكلم في خِطابه، حتى لو كان هذا القول هو الأصل. كما أنّ الرابط إذا جمع بين حجّتين، فإنّ الحجّة التي تليه هي الأقوى، وهي، بالتالي، الأقرب إلى النتيجة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ السلّم الحِجاجيّ يعمل على تنظيم الخِطاب في شبكةٍ واحدة، ممّا يضمن انسجامَه، اعتمادًا على أنّ السلم الحِجاجيّ ينطلق من مبدأ تلازم النتيجة للحجة.[1] .

فالحجة التي يوظّفها المتكلم في خِطابه، إذا راعى فيها مقاصدَ المتكلمين وتوجّهاتهم، وكانتْ وفقَ مقتضيات السياق، فإنّ لها نتيجةً تعقبُها، وتؤكّد نفاذها، سواءً أكانتْ النتيجة صريحةً أو مضمرة، وهذا ما يجعل من الحِجاج أداةً براغماتيّة فعّالة في تحليل الخِطاب.

ما دام الحجاج استراتيجية لغوية تستمد أبعادها من الأحوال المصاحبة لمقتضيات الخطاب، فإن لهذه المقتضيات انعكاس على بنية السلم الحجاجي أثناء التخاطب وأثر قوانين الخطاب في إنشائه، من أجل استمراريته بين المتخاطبين لتحقيق الأهداف المرجوة من الحجاج، والمتمثلة في التأثير على المتلقي ودفعه لإنجاز فعل معين من خلال محتوى الخطاب[2].

1-مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه:

يرتكز مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرج في استعمال وتوجيه الحجج

والأدلة، لأن الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية لا يرتبط بالمضمون وما يحيل إليه من مرجع، وإنما يرتبط أيضا بقوة وضعف الحجج ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب .فالمرسل ينظّم حججه أثناء التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة، منها مرتبة المرسل وطبيعة المرسل إليه، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي، لهذا يمكن القول إن " السّلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج"[3] وتتجسد وفق الشكل الآتي:

[1]- المرجع السابق، ص363.

[2]- حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية، مجلّة مقاليد، جامعة بسكرة، ع/13، 2017، ص1.

[3]- حمو النقاري، التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006، ص59.

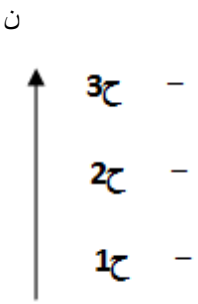

وترمز **ن** إلى النتيجة المقصودة من الحجاج ,أما **ح1 وح2 وح 3** فترمز إلى الحجج المعتمدة أثناء التخاطب لتفضي إلى النتيجة**ن**.

وهذا مثال توضيحي لذلك:

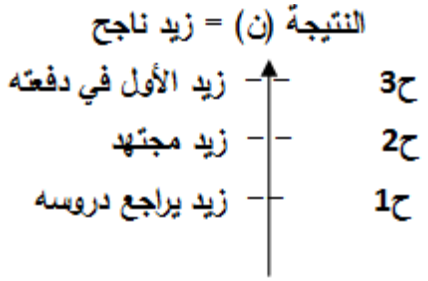

فمن خلال هذا المثال نجد تد رّجا وترتيبا في استعمال الحجج (ح1 ، ح2 ، ح 3) في منحنى تصاعدي يؤدي إلى النتيجة (ن) ضمن سلّم حجاجي.ويعد السلم الحجاجي " مجموعة غير فارغة من المقولات ,مزوّدة بعلاقة ترتيبية"[1] تخضع لشرطين أساسيين هما:

1-الشرط الأول: كل قول (حجّة) يرد في درجة ما من السلم الحجاجي يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة (ن) .ففي المثال السابق نجد أن قوة الدليل تزداد كلما تصاعد ترتيب الحجج، فالحجة (زيد يراجع دروسه) تعلوها حجة (زيد مجتهد) وهي أقوى من السابقة، فالاجتهاد أقوى وأبلغ من مراجعة الدروس . وكذلك حجة (زيد الأول في دفعته)هي أقوى من الحجتين السابقتين، فاستحقاق زيد للمرتبة الأولى في دفعته أبلغ من الاجتهاد ومن مراجعة الدروس.

2-الشرط الثاني :إذا كانت الحجة ح 1 تفضي إلى النتيجة ن " فهذا يستلزم أن الحجة ح 2 أو ح 3التي تعلوها درجة تؤدي إلى نتيجة (ن) والعكس غير صحيح"[1].

[1]- رضوان الرقبي، " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011، عدد 02، مجلد 40، ص 93.

واعتمادا على المثال السابق فإن كانت الحجة ح1 (زيد يراجع دروسه) تفضي إلى نتيجة مفادها أن(زيدا ناجح)، فإن الحجة ح 2 أو ح3 (زيد مجتهد) أو (زيد الأول في دفعته)، وهما تعلوان الحجة ح1، تؤديان بالضرورة إلى النتيجة ذاتها (زيد ناجح).

وتنطلق نظرية السلم الحجاجي من " إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة ونتيجته"[2]، وهذا التلازم يفرض ربط الحجة المستعملة بالنتيجة المقصودة، سواء كانت هذه النتيجة صريحة أوضمنية تلتمس من سياق الخطاب. ويتم هذا الربط بين الحجج والنتيجة بواسطة قاعدة استدلالية، ترتكز على قياس منطقي يتألف من مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ونتيجة، لأن القياس المنطقي هو "أحد طرق الاستدلال غير المباشرة وأقومها إنتاجا "[3].

ويتجلى ذلك بوضوح في الربط بين الحجج والنتيجة المقصودة من باب المنطق والدلالة. وهذا المثال يوضح ذلك الربط:

- المقدمة الكبرى – زيد يراجع دروسه.
- المقدمة الصغرى – زيد الأول في دفعته.
- النتيجة – زيد ناجح.

وعليه فإن المرسل في الخطاب الحجاجي يقصد إقناع المرسل بفعل معين أو التأثير فيه اعتمادا على سلم حجاجي يكون " بمنزلة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله كانت العملية التخاطبية، والحجج التي يوردها لن تكون على درجة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوة و الضعف."[4]

ففي المثال السابق نجد أن الحجة (زيد يراجع دروسه) لا تعني بالضرورة أن(زيدا ناجح) دوما، إلا أن الحجة(زيد الأول في دفعته) تزيد من قوة الحجة الأولى(زيد يراجع دروسه)على اعتبار أنها جاءت موالية لها، وبالتالي توصل إلى النتيجة المقصودة(زيد ناجح).

قوانين السلم الحجاجي وأسسه

عدّ ديكرو Ducrot ثلاثة قوانين يتأسس وفقها السلم الحجاجي، وهي بمثابة القواعد التدعيمية في بناء السلالم الحجاجية، وهذه القوانين هي:

---

[1]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 60

[2]- رضوان الرقبي، " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، (م، س)، ص 93

[3]- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط06 .

[4]- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، (م، س) ص 95.

أ- **قانون النفي :** إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما، ليقدم نتيجة معينة، فإن نفيه أي

(- أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة "[1]، بمعنى أن نفي الحجج المستعملة في سلم حجاجي ما، يؤدي بالضرورة إلى عكس النتيجة المتوصل إليها في ذلك السلم الحجاجي، ويمكن التمثيل لذلك وفق هذا المثال:

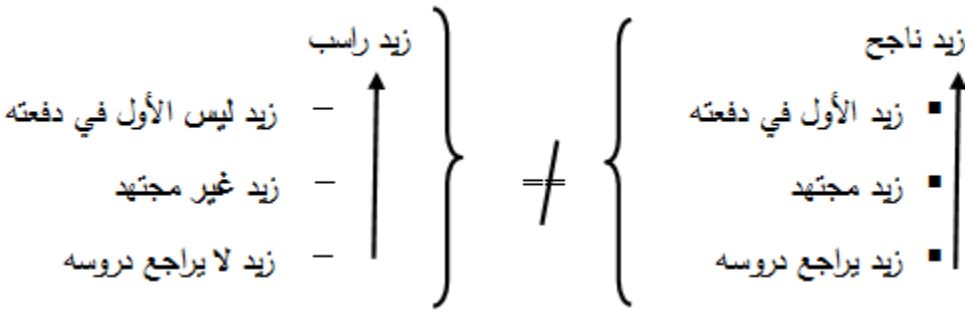

ب- **قانون القلب :** ويعدّ متمما للقانون السابق، ومفاده " أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية "[2] ويأخذ هذا القانون الشكل الآتي:

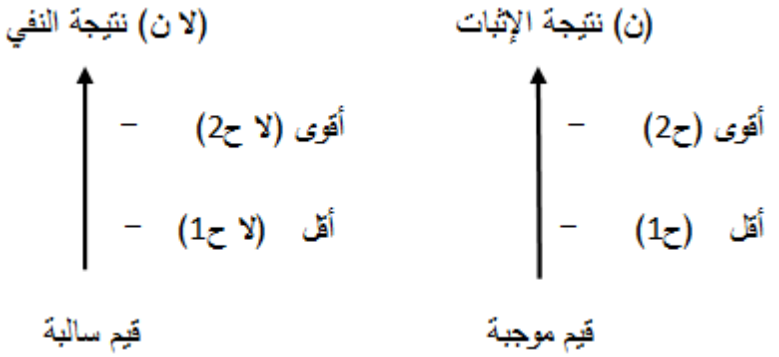

علما أن(**لا**)تمثل مجال نفي الحجج المستعملة للوصول إلى النتيجة، فالحجة (ح 2) أقوى من الحجة (ح1) في نتيجة الإثبات (ن)، وهذا يستلزم بالضرورة أن تكون الحجة(لا ح2) أقوى من الحجة (لا ح1) في نتيجة النفي **(لا ن)**[3] وبالعودة للمثال السابق نجد:

[1]- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 60.

[2]- المرجع نفسه، ص 61.

[3]- حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية، (م، س)، ص3.

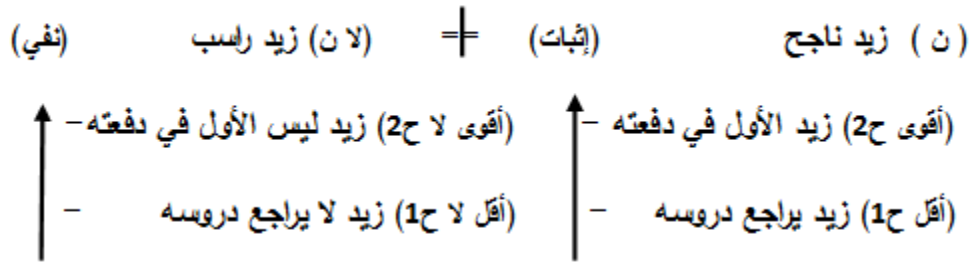

فالحجة (زيد الأول في دفعته) أقوى من الحجة (زيد يراجع دروسه) في حال الإثبات، مما استلزم أن الحجة (زيد **ليس** الأول في دفعته) من الحجة (زيد **لا** يراجع دروسه) في حال النفي.

ج- **قانون الخفض :** مقتضى هذا القانون أنه " إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[1] ، أي أن المرسل يستطيع أن يغير تراتبية الحجج في السلم اعتمادا على معطيات تؤثر في العملية الحجاجية، مثل استعمال حجج جديدة مقابل الحجج السابقة، تبعا لقوتها أو ضعفها في إيصال النتيجة المرجوة.

وتوضيح ذلك يكون وفق المثال الآتي:

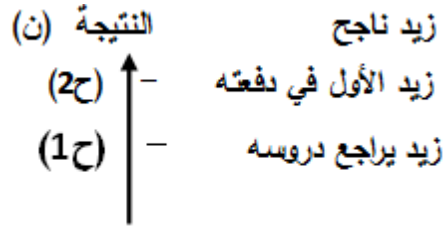

فلو أضفنا حجة ثالثة (ح 3) مفادها (زيد تحصل على العلامة الكاملة)، يصبح عندها الحجاج أقوى والنتيجة أبلغ، وهذا وفق الشكل الآتي:

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (م، س)، ص 277

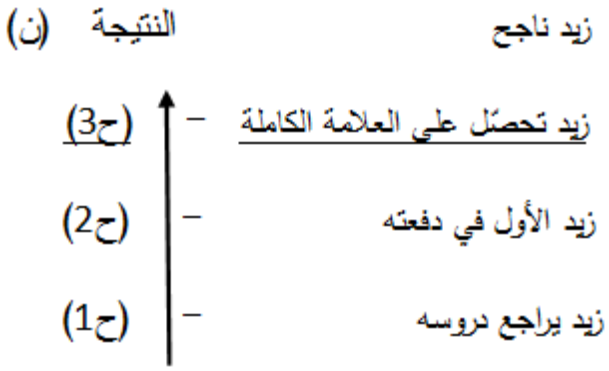

2-السلم الحجاجي وقوانين الخطاب :

يعتمد السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرج كما يعتمد على العلاقة التراتبية بين الحجج، دون إهمال قوتها أو ضعفها، غايته في ذلك الوصول إلى النتائج، لتحقق الهدف المقصود و الأثر المرجوّ في المرسل إليه.[1]

سواء كانت هذه النتائج صريحة أو ضمنية .ولهذا نجد ترابطا بين هذه الحجج المستعملة في الحجاج من جانبي المنطق والدلالة، وهذا الترابط يتحقق في سياق الاستعمال من خلال خضوع هذه الحجج إلى قوانين الخطاب التي تضمن إلى حدّ ما استمرارية الخطاب الحجاجي بين طرفيه[2].

وبالنظر إلى طبيعة المشافهة التي يتخذها الخطاب في سياق تواصلي، يُظهر المرسل ما يقصده دون التصريح به ضمن جوانب من الحوار بين المرسل والمرسل إليه، هذا الحوار تنظمه تلك القواعد التي تهدف إلى" تمكين المتكلم من صياغة أقواله التي تمنعه بعض الأحوال من التصريح بها، أو أن يرغب في صياغتها على نمط يكون أكثر إبلاغا وأحسن تأدية وأكثر إقناعا."[3]وتجدر الإشارة هنا إلى أن جرايس قد سماها (أحكام المحادثة)، ثمّ أعاد ديكرو Ducrot صياغتها تحت اسم (قوانين الخطاب). وهي " مجموعة من القوانين المكملة للقواعد التركيبية الدلالية."[4].

وهي تتحكم في عملية تبادل الأدوار الكلامية بين المرسل والمرسل إليه، انطلاقا من القدرات الذهنية الاستنتاجية للإنسان، ومرتبة المرسل ومقاصده التبليغية، وكفاءة المرسل إليه في إدراك ما لم يصرّح به المرسل، كما تكفل هذه القوانين استمرارية الخطاب بين الطرفين أثناء التواصل، من خلال تبادل الأدوار الكلامية بينهما ."وإذا كان للطرفين فائدة في ممارستهما الكلام، فإن كل طرف منهما سيجني

[1]- حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية، (م، س)، ص04.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص04.

[3]- ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01 ، 2003، ص 99 .

[4]- المرجع نفسه، ص99.

ثمار ذلك، إذا تحقّق التبادل، وعكس ذلك مآله الفشل."[1] وتتمثل هذه القوانين أو أحكام المحادثة في الآتي[2]:

1-حكم المناسبة Relation أو قانون الإفادة Loi de Pertinence: ويتحرى من خلاله المرسل تلاؤم موضوعه مع السياق المحيط بالخطاب الذي يجمعه مع المرسل إليه.

2-حكم الصدق Qualité أو قانون الصدق Loi de Sincérité: ويسعى فيه المرسل أن يكون صادقا فيما يخبر به أمام المرسل إليه.

3-حكم الكمية Quantité أو قانون الإخبارية Loi d'Informativité : ويتطلب من المرسل أن يكون أكثر إخبارا : للمرسل إليه، بإعطائه القدر الكافي واللازم من المعلومات أثناء التخاطب.

4-حكم الطريقة Manière أو قانون الشمولية Loi d'Exhaustivité: ويتطلب من المرسل الوضوح وترتيب أجزاء الكلام والإيجاز، مع الابتعاد عن الغموض أثناء التخاطب[3].

إن هذه الأحكام أو القوانين مجتمعة ومتضافرة تحقق الغاية من الخطاب، وبخاصة في الخطاب الحجاجي، إذ تساعد على ترتيب الحجج وعلى ارتباطها بعضها ببعض وفق المنوال الذي يهدف إلى إقناع المرسل إليه والتأثير فيه، من خلال النتائج الحجاجية الصريحة أو الضمنية.

وانطلاقا من النتائج الحجاجية الضمنية وغير المصرح بها يبرز، مفهوم تداولي متعلق بالخطاب وبآليات تأسيسه متمثل فيما يعرف بمتضمنات القول Les Implicités وهو مفهوم تداولي يرتبط "بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب."[4]، تتحكم فيها السياقات المختلفة والمحيطة بذلك الخطاب .وتقوم متضمنات القول على أساس استنتاجات ذهنية لدى أطراف الخطاب، والاستنتاج هو" قضية ضمنية، بإمكاننا أن نستنبطها من القول ونستنتج محتواها الجانبي بتركيب معلومات ذات أوضاع مختلفة."[5]، تتعلق بالبنى اللغوية وبسياق الخطاب . وتتجسد متضمنات القول بوصفها مفهوما تداوليا في مظهرين اثنين هما:

1- الافتراض المسبق Présupposition:

و لهذا المظهر طبيعة لسانية أثناء التواصل، ويمثل مجموعة من المعطيات والافتراضات التي تشكل خلفيات مشتركة في قول (أو أقوال) طرفي الخطاب، فهو "العنصر الدلالي الخاص بهذا القول."[6]

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 99.

[2]- ينظر روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01 ، 1998 ص 495 .

[3]- ينظر المرجع السابق، ص496.

[4]- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية "في التراث العربي (م، س)، ص 30 .

[5]- ينظر المرجع نفسه ، ص 30

[6]- ينظر المرجع نفسه ، ص 30

ويظهر في نشاط تواصلي من خلال العلامات اللغوية التي يتضمنها ذلك القول .ومثال ذلك الآتي :"افتح الباب". ففي هذا الخطاب يفترض مسبقا أن يكون الباب مغلقا أصلا، وتلفظ المرسل بهذا الأمر يستدعي من المرسل إليه كفاية وقدرة على الاستنباط والاستنتاج لما كان عليه الحال قبل الخطاب[1].

2-القول المضمر Sous-entendu:

ويرتبط هذا المظهر بوضعية الخطاب وبسياقه وبالأحوال المصاحبة له، فهو على عكس المظهر السابق الذي يمثل معطيات لغوية دلالية يتضمنها القول .فالقول المضمر هو " كل المعلومات التي يحتويها الخطاب، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث ."[2]

ويقوم القول المضمر على مجموعة من الاستنتاجات، يتولاها المرسل إليه بالاعتماد على الأحوال المصاحبة لسياق التخاطب، وعلى قدرة وكفاءة المرسل في إبرازها.

ولتوضيح هذا المظهر نذكر المثال الآتي:

إن السماء ممطرة، كلام موجه من المرسل إلى المرسل إليه، هذا الأخير الذي يضع في حسبانه أن المرسل يطلب منه إمّا أن يبقى في البيت، أو أن يسرع لقضاء حاجاته قبل فوات الأوان، أو أن يحمل مظلته معه، أو أن يتريث حتى يصحو الجو..

فالتأويلات والاستنتاجات في ذلك السياق التواصلي، متعددة ومختلفة تعود إلى السياق المحيط بذلك الخطاب، وإلى دور المرسل إليه في هذا الاستنتاج الذي " يتمّ انطلاقا من الملكة البلاغية التداولية الموسوعية والمنطقية ."[3] والتي يملكها المرسل إليه.

ولعلّ ما يمكن استخلاصه من كل هذا - مما تعلق بالخطاب الحجاجي وبناء السلالم الحجاجية– راجع إلى قوانين الخطاب ومتضمنات القول التي تعكس رغبة المرسل في استمرار خطابه.[4] وتؤسس لاستنتاج النتائج الحجاجية من المرسل إليه، باعتماده على قدرته وكفايته الذهنية وإلمامه بمعطيات الحجاج وبسياقه التواصلي، وبخاصة إذا كانت تلك النتائج الحجاجية ضمنية غير مصرّح بها .وهذا ما يستلزم من المرسل ترتيب حججه وفق معطيات تلك القوانين التخاطبية، كي يتأسس السلم الحجاجي وفق مقاصد الحجاج[5].

---

[1] - ينظر حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية، (م، س)، ص05.

[2] - المرجع نفسه، ص05.

[3] - المرجع نفسه، ص05.

[4] - حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية، (م، س)، ص05.

[5] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعليه، فعلى المحاجج أن يكون ذا قدرات عالية وإلمام كاف بمعطيات الحجاج وبموقفه التواصلي، كما يجب عليه توقع النتائج الحجاجية المناسبة للمقدمات التي طرحها، لتتحقق مقاصد الحجاج التي يتوخاها.

الفصل الثالث

الاستراتيجيات الحجاجية الموظفة في خطاب الحيدة

الفصل الثالث: استراتيجيات الخطاب الحجاجي في مناضرة الحيدة

تعدّ مناظرة الحيدة والاعتذار التي ضمنها الكناني كتابه الحيدة والتي دارت فصولها وحيثياتها بينه بين بشر بن غياث المريسي حول قضية خلق القرآن الكريم في مجلس الخليفة العباسي المأمون، من أشهر المناظرات في التاريخ الإسلامي وأكثرها إثارة للاهتمام رغم أنها لم تنل حقها الكافي من الدراسة والاهتمام.

الإطار السياقي والنسقي لكتاب الحيدة

أوّلا الإطار السياقي: نظرة عامة حول كتاب الحيدة ودواعي وضعه

الحيدة مناظرة حجاجية دارت بين رجلين يعدان من أقطاب الفكر العربي الإسلامي، إذ يمثل كل منهما منظومتين فكريتين متباينتين أشد التباين، فالكناني يمثل المنظومة المعرفية المتعلّقة باللسان العربي ومنهج علم الكلام البرهاني الحجاجي القرآني.[1]

أما بشرا المرّيسي، كما جاء في شذرات الذهب، الفقيه المتكلم، كان من دعاة القول بخلق القرآن الكريم، هلك في آخر سنة مائتين وثمانية عشر، ولم يشيعه أحد من العلماء، وحكم بكفره طائفة من الأئمة، وروى عن حماد بن سلمة وعاش نيفا وسبعين سنة، وقال ابن الأهدل إنّه كان مرجئا داعية للأرجاء وإليه تنسب طائفة المرّيسية المرجئة، كان أبوه يهوديا صباغا في الكوفة وكان يناظر الشافعي، وهو لا يعرف النحو فيلحن فيه لحنا فاحشا.[2]

فبشر المرّيسي يمثّل المنظومة المعرفية العرفانية المرتبطة بالتأويل الباطني، ما يجعل الخلاف واضحا في الخلفيات الفلسفية والأسس الفكرية لكل منهما.[3]

فالصراع القائم بين الكناني وبشر المريسي هو صراع منظومات فكرية تجلّى في مناظرات بين أشخاص، والاختلاف في الأسس الفكرية يستلزم الاختلاف في المذاهب العقدية،

---

[1] - عبد العزيز بن يحي الكناني المكي، سمع عن سفيان بن عيينة وناظر بشرا بن غياث المريسي في مجلس المأمون مناظرة عجيبة غريبة، فظهر عبد العزيز وانقطع بشر، ومناظرتهما منشورة مسطورة، وعبد العزيز هو صاحب كتاب الحيدة وهو معدود في أصحاب الشافعي.

[2] - ينظر أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج1، ج2، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د، ط، د، ت، ص95

[3] - المرجع نفسه، ص95.

نبذة عن صاحب الحيدة و مناظره:

أولا الكناني:

هو أبو الحسن عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكّي، قال الدار قطني: قرأت في كتاب داود بن علي الأصبهاني الذي صنفه في فضائل الشافعي، وذكر فيه أصحابه الذين أخذوا عنه، فقال: وقد كان أحد أتباعه والمقتبسين عنه و المعترفين بفضله عبد العزيز بن يحي الكناني، المكي، كان قد طالت صحبته للشافعي واتباعه له، وقد خرج معه إلى اليمن، وآثار الشافعي في كتب عبد العزيز المكي عند ذكر الخصوص والعموم والبيان.[1]

فالكناني سنّي المذهب له اعتقاد راسخ بكفاية النص القرآني، ودور العقل فيه للاستنباط والإضاءة، وهو المذهب الذي يقول ويؤمن حق الإيمان أن القرآن الكريم كلام الله تعالى.[2]

ثانيا المرّيسي:

هو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، المعتزلي، الفقيه الحنفي المتكلّم، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام وجرّد القول بالقرآن، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا، [3]

ولد حوالي سنة 138 هـ/755 م، كان أبوه يهودياً فأسلم و صار من موالي آل زيد بن الخطاب . بدأ بشر حياته كفقيه و محدث، فأخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي، و روى الحديث عن حماد بن سلمة و سفيان بن عُيَيْنة، و لكنه بعد ذلك تأثر بالمعتزلة و صار منهم، توفي سنة 218 هـ/833 م و هو في الثمانين من عمره.[4]

قال الصيمري: "ومن أصحاب أبي يوسف خاصَّة بشر بن غياث المريسي وله تصانيف وروايات كثيرة عَن أبي يوسف وكان من أهل الورع والزهد غير أنه رغب النَاس عنه."[5]

وأورد الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء": أن بشرا كان من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبو يوسف، وروى عن حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة. ونظَرَ في الكلام، فَغَلَب عليه، وانسلخَ من الوَرَعِ

---

[1] - عبد العزيز بن يحي الكناني، ت 640هـ، ضمن كتاب "مناظرة القائلين بخلق القرآن"

[2] - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج1، مج2، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص95.

[3] - شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج2، دار صادر بيروت، لبنان، 1398هـ، 1978ص277.

[4] - المرجع نفسه.، 277.

[5] - أبو عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، ط2، 1405 – 1985، ص 162، متاح على المكتبة الوقفية الرقمية بتاريخ: 2010/11/23، اطلع عليه بتاريخ 2022/07/12.

والتقوى، وجَرَّد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عينَ الجَهْمِيَّة في عصره وعالِمَهم، فَمَقَتَهُ أهلُ العلم، وكَفَّرَهُ عِدَّة منهم، ولم يدرك جَهْمَ بن صفوان، بل تَلَقَّفَ مقالاته من أتباعه.[1]

وفي هذا المقام ينبه محمد بن شمس الدين من اغترار العوام في في المقدمة التي يقدمها الذهبي، فيصف المريسي بالفقه والذكاء والورع أو ماشابه، فيحسن القارئ به الظن، ثم إذا أكمل القراءة يجد من خزايا ذلك الشخص ما يجد، وهذا أسلوب الذهبي في غالب كتابه.[2]

وكان جهميا له قدر عند الدولة، وكان يشرب النبيذ، ونقل غير واحد أن رجلا قال ليزيد بن هارون عندنا ببغداد رجل، يقال له المريسي، يقول : القرآن مخلوق، فقال : أما في فتيانكم من يفتك به ؟ و قد أخذ المريسي وأُهين من أجل مقالته[3] .

وروى أبو داود، عن أحمد بن حنبل، أنه سمع ابن مهدي أيام صُنع ببشر ما صنع يقول : من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه. وقال المروزي: سمعت أبا عبد الله، وذكر المريسي، فقال : كان أبوه يهوديا، فأي شيء تراه يكون ؟! وقال أبو بكر الأثرم: سئل أحمد عن الصلاة خلف بشر المريسي، فقال : لا تصل خلفه، قال قتيبة :بشر المريسي كافر.[4]

فهو معتزلي المذهب، متشبع بقيم الشيعة، متأثّر إلى حدّ بعيد جدا بالفلسفة الفارسية والعقائد الإلحادية القديمة والتي حاول جاهدا أن يجد لها إسقاطات على الدين والعقيدة الإسلاميين.[5]

وللمريسي تصانيف جمة ذكرها ابن النديم في الفهرست، كما ذكرها الذهبي أيضا، منها: كتاب في التوحيد، وكتاب الإرجاء، وكتاب الرد على الخوارج، وكتاب الاستطاعة، والرد على على الرافضة في الإمامة، وكتاب كفر المشبهة، وكتاب المعرفة، وكتاب الوعيد، وأشياء غير ذلك في نحلته .[6]

وقد كان بشر يقول بخلق القرآن منذ أيام الرشيد، وظل يدعو إلى ذلك نحواً من أربعين سنة، ويؤلف في ذلك الكتب، إلى أن جاءت أيام المأمون حيث كان بشر من المقربين إليه وممن دعاه إلى القول

---

[1] - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة العاشرة، المريسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، ج10، ص200.

[2] - ينظر محمد بن شمس الدين، مناظرة القائلين بخلق القرآن، الحيدة والاعتذار (أكبر مناظرة للقائلين بخلق القرآن)، لعبد العزيز بن يحي الكناني المتوفى عام 640هـ، ص11.

[3] - المرجع نفسه، ص202.

[4] - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة العاشرة، المريسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2001، ج10، ص200.، ص202.

[5] - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، (م، س)، ص44.

[6] - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، (م، س)، ص201..

بخلق القرآن. وقد رد عليه المحدثون ببغداد وبدّعوه، وكان من أبرز من رد عليه الدارمي[1] في كتابه: "الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية."[2]

وأورد الخطيب البغدادي في كتابة "تاريخ بغداد" عن محمد بن يوسف العباسي. قال: حدثني محمد بن علي بن ظبيان القاضي. قال: قال لي بشر بن غياث المريسي: القول في القرآن قول من خالفني غير مخلوق. قال قلت فالقول قولهم ارجع عنه، قال أأرجع عنه وقد قلته منذ أربعين سنة، ووضعت فيه الكتب، واحتججت فيه بالحجج؟[3]

ومات في آخر سنة ثماني عشرة ومائتين وقد قارب الثمانين . فهو بشر الشر، وبشر الحافي بشر الخير، كما أن أحمد بن حنبل هو أحمد السنة، وأحمد بن أبي دواد أحمد البدعة.

مقصدية الكاتب ومنهجيته في وضع الحيدة:

أولا يجب أن نشير إلى أن القصد يحتلّ مكانة محورية ومركزية في عملية تأويل النص والخطاب، ذلك لأنه ينبغي على محلل الخطاب أن يسعى للبحث عن مقاصد المرسل وأهدافه في ملفوظاته وخطاباته، إذ يكون القصد محور إنتاج وتأويل الملفوظات والخطابات، مما جعل آن روبول Anne Reboul ترى أن تأويل الخطاب يتوقف على معرفة القصد.

وقد انطلقت "روبول" في رؤيتها لبناء نظرية تعتمد على القصد لتأويل الخطابات من التمييز ويلسون Wilson وسبيربر Sperber بين نوعين من المقاصد هما المقصد الإخباري والمقصد التواصلي.[4]

1- المقصد الإخباري هو ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة معلومة معينة، وهو الذي يكمن في رغبة المتكلم لتبليغها لمخاطبه.

2- وأما المقصد التواصلي، أو ما يعرف بالقصد التبليغي فهو ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة حقيقة مقصده الإخباري، غير أن عددا غير يسير من منظّري التواصل يولون أهمية أكبر للمقصد الإخباري.[5]

---

[1] - هو عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ، صنف مجلّدا أسماه "الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه....." ذكره الذهبي وقال عنه أن فيه بحوث عجيبة مع المريسي، ينظر الذهبي، سير الأعلام، ص202.

[2] - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، (م، س)، ص201..

[3] - للاستزادة أكثر، ينظر القاضي عبد الجبار المعتزلي: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ابن النديم: الفهرست، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ابن كثير: البداية والنهاية، أحمد أمين: ضحى الإسلام،

[4] - ينظر آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم "علم جديد في التواصل"، (م، س)، ص79، 80.

[5] - المرجع نفسه، ص79

ليقترح سبيربر و ويلسون مفهوما آخر هو مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي المرتبط مباشرة بالمقصد الإخباري والمقصد التواصلي، ولا يقتصر هذا المفهوم على التواصل اللساني فحسب، إذ نجده يشمل التواصل عموما.[1]

وهنا يحدّد عبد العزيز الكناني مقصده من المناظرة ومن ثم وضعه الكتاب بعد إفحام بشر وكسر مقولته، فيقول:

"اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن، ودعاه الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون وعامة الناس وما قد دفع الناس إليه من المحنة، والأخذ في الدخول في هذا الفكر والضلالة، ورهبة الناس وفزعهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسرون به قوله، ويدحضون به حجته ويبطلون به مذهبه."[2]

ويضيف الكناني: " واستتارُ المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجُمُعات والجماعات، وهربهم من بلد إلى بلد، خوفا على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس لبشر على مذهبه وكفره وضلالته، والدخول في بدعته، والانتحال لمذهبه، رغبة في الدنيا ورهبة من العقاب الذي كان يعاقب به من خالفه على مذهبه."[3]

ومن ثمة يحدّد الكناني موقفه ويرسم هدفه: "فأزعجني ذلك وأقلقني وأسهر ليلي وأطال غمّي وهمّي فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي عز وجل أسأله سلامتي وتبليغي، حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر واحتداده أضعاف ما كان يصل إلي، ففزعت إلى ربي أدعوه وأتضرع إليه راغباً وراهباً، واضعا له خدي، وباسطاً إليه يدي، أسأله إرشادي وتسديدي، وتوفيقي ومعونتي، والأخذ بيدي وأن لا يسلمني ولا يكلني إلى نفسي، وأن يفتح لفهم كتابه قلبي، وأن يطلق لشرح بيانه لساني، وأخلصت لله عز وجل نيتي ووهبت له نفسي، فعجّل تبارك وتعالى إجابتي، وثبت عزمي، وشجع وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني، وشرح به صدري، فأبصرت رشدي بتوفيقه إياي، وأنست إلى معونته ونصره وتأييده ولم أسكن إلى مشاورة أحد من خلق الله في أمري، وجعلت أستر أمري وأخفي خبري عن الناس جميعا خوفا من أن يشيع خبري، ويُعلم بمكاني فأُقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأجمع رأي على إظهار نفسي وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم، وأن يكون ذلك في مسجد الجامع في يوم الجمعة، ... والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتي والاستماع مني وكان ذلك كله بتوفيق الله عز وجل لي، ومعونته إياي. "[4]

---

[1] - المرجع نفسه، ص79.

[2] - أبو الحسن عبد العزيز بن يحي الكناني، الحيدة و الاعتذار في الردّ على من قال بخلق القرآن، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1423هـ- 2002م، ص34.

[3] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - المصدر السابق، ص34.

ويبدو جليا من خلال ما تقدم مقصد الكناني الإخباري أي ما أشار إليه كل من ويلسون وسبيبر، فالكناني يرمي إلى إخبار المأمون والنظارة الحاضرين المجلسَ، وقبل هؤلاء جميعا مناظره بشر المريسي الحقيقة التي حملها من مكة والتي اقتنع بها عقله وقلبه واطمأنت بها نفسه ألا هي حقيقة القرآن الكريم ودفاعه المستميت في الردّ على الشبهة التي دعا إليها بشر وأتباعه وكانوا ينتصرون لها.

ليتحقق بالتالي المقصد التواصلي التبليغي من خلال حمل الكناني لمخاطبيه على معرفة حقيقة مقصده الإخباري.

و لعلّ بروز مكانة القصدية والفعالية والتأثير ما يدعو ويسوّغ إلى الدراسة البراغماتيّة للحجاج في "نظرية تحليل الخِطاب" في كل عمليّة حِجاجية. [1].

وهذا ما يجعل من الحجاج، ضمن إطار المبحث التداولي، أداةً فعّالة في تحليل الخطاب، والكشف عن الأساليب والآليات التي يتوسلها المتكلم في خِطابه للتأثير على المخاطَب، وتحقيق النتائج التي يترجمها سلوكه وعقله.

فالكناني هنا يجلي مقصده من وضعه الكتاب ويفصح عنه لمناظره بشر المريسي وأتباعه

ليحقق بدايةً الإقتناعَ بما يسعى إليه من إثبات للحقيقة التي يرمي من خلالها حمله على التغيير من موقفه في قضية القرآن الكريم والمسائل المثارة حوله من قبيل خلقه، وغيرها من المسائل، وكذا التغيير من موقف أتباعه والتأثير فيهم.[2]

وجرت المناظرة بين الكناني وبشر المريسي في مسألة خلق القرآن الكريم، وقد أورد الكناني في هذه المناظرة الادلّة القاطعة الدّامغة لمن ينتحل هذه الفكرة بأسلوب أدبي علمي عجيب، دلّ على سعة علم الكناني ومعرفته لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم، فقد انتزع من الحجج القطعية التي أبطل بها مذهب الجهمية والمعتزلة ومن يقول بقولهم من أنّ القرآن مخلوق.

وقد أصّلت المناظرة على الاحتجاج بنصّ التّنزيل والرّجوع عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنّة رسوله، ولمّا عجز بشر عن ذلك، طلب المناظرة بالنّظر والقياس، فأجابه الكناني لذلك، ثمّ أبطل حجّته.[3]

الإطار النسقي لكتاب الحيدة:

مناظرة الحيدة

لعلّ البحث في أدب المناظرات بصفة عامة ومناظرة الحيدة على وجه الخصوص يتيح لنا تتبع سيرورة الفكر العربي الإسلامي ومراحل تطوره والصراعات التي ميزته، حيث يرى طه عبد الرحمن "أن

[1] - حبيب، أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظريّ، مجلّد30، ع1، عالم الفكر، 2001، ص101.

[2] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، (م، س)، في تعليق لمحقق الكتاب علي بن محمد الفقيهي، ص07

[3] - المصدر السّابق، ص07.

صوغ المناظرة الذي هو تنظير لتصارع الآراء، وسوف يسمح بتكميل تنظيرات أخرى جرّت لتصارعات غير كلامية، مثل تصارع الأفراد، وتصارع الطبقات الاجتماعية وتصارع الأنظمة السياسية والتنافس على السلطة، وما إليها.[1]

بل إن هذا التنظير قد يمدّنا بوسائل لأحكام الربط بين الصنفين من التصارعات: الفكرية والفكرية والمادية، ولمراقبة وضبط الاستدلال بأحدهما على الآخر، وهذا الاستدلال الذي عجّل إليه كثيرون، و لمّا يستوعبوا آليات أحد الطرفين وهو التنازع الفكري الذي تمثله المناظرة." [2]

فالمناظرات الكلامية سبب أول وداع رئيس لظهور صراعات متعددة فكرية وغير فكرية، تمثلت في التنافس على السلطة والصراع من أجلها والصراع بين الأحزاب والمذاهب والطبقات السياسية والاجتماعية

والمناظرة التي دارت فصولها بين الكناني والمرّيسي في واقع الأمر وحقيقته هي مناظرة بين المذهب السني الذي يتخذ شرعيته من اللسان العربي والبيان القرآني والمذهب المعتزلي الذي يرتكز على الإرث الفلسفي والقراءة الشيعية للدين الإسلامي في غالب الأحيان.[3]

وقد كان انتقال الكناني من مكة إلى بغداد وسعيه لمناظرة أكبر رؤوس المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن الكريم، وهو بشر، ليس لهزيمته فحسب، وإنما لإفحامه وكل المذهب المعتزلي الذي يدعمه ويسنده، فإسكات بشر إنما هو إسكات للمذهب الاعتزالي وإبطال مقالة بشر يؤدي إلى إبطال المذهب المعتزلي القائل بخلق القرآن وزعزعة قواعده.[4]

ولما وصل الكناني – وهو بمكّة - ما كان ببغداد من بدعة القول بخلق القرآن الكريم وافتتان الناس في دينهم على أيدي المعتزلة الذين استغلوا نفوذهم السياسي لتأصيل مذهبهم، انتقل إلى بغداد وأعلن، بل أشهر مخالفته لمقالة المعتزلة على رأس الأشهاد بأحد المساجد في يوم الجمعة، حتّى تيقّن أنه لن يقتل بعد ذلك، ويُسمح له بمناظرة أكبر رؤوس المعتزلة بحضور المأمون وكبار المتكلّمين وأعيان بغداد، كل ذلك من أجل إظهار شُبُهات المذهب الاعتزالي و قولهم على الله عزّ وجلّ ما ليس لهم بعلم.[5]

تميّز المذهب الاعتزالي زمن المأمون عن الفكر الذي اعتمده رجال الدين في فترات أخرى، هذا التميّز وليد بيئته، فالعلماء ورجال الدين كانوا يعكسون المتطلّبات الإيديولوجية لطبقة معينة وفئة معينة أكثر

---

[1] -طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، (م، س)، 70، 71.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص71.

[3] - ينظر مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر تيزي وزو، ع 27، 2014، ص143.

[4] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[5] - المرجع نفسه، ص143.

مما كانوا يفرضون عن طريق هيبتهم الفكرية الصرفة توجّها عامّا للفكر، وهكذا فالموقف الذي اعتمده المعتزلة زمن المأمون يختلف كليا عن الموقف الذي اعتمده العلماء ورجال الدين في الأزمنة اللاحقة.[1]

ليسوا كلهم طبعا الذين كانوا يخدمون بفكرهم طبقة خاصّة، وإنما هي طائفة منهم من أمثال بشر المرّيسي وأمثاله الذين يسعون إلى السلطة والنفوذ، كحال بشر وأمثاله، وأما العلماء الذين أخلصوا نيّاتهم لله عز وجل من أمثال الإمام أحمد بن حنبل وغيره من العلماء الذين قتلوا لرفع كلمة الحقّ، وردّ شبهة القول بخلق القرآن، فهؤلاء لا جزاء لهم إلا الجنّة.

قبل التطرق إلى الاستراتيجيات الحجاجية المعتمدة في كتاب الحيدة نحاول التعريج على أدب المناظرة أولا للتعرف عليها وعلى آلياتها، "كون الدّارسين درجوا على ربط الحجاج بالمناظرة انطلاقا من كونه قائما على مقابلة الحجّة بالحجّة في سياق المنازعة والمخاصمة."[2]

أدب المناظرة في الإرث الأدبي العربي والإسلامي.

بسم الله القائل: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"[3].

و لكثره الاختلاف بين الناس وجدت المناظرات لإقرار الحق و الوصول إليه، وهذا العلم – كما يقول أبو الوليد الباجي (ت474ه) من أرفع العلوم و أعظمها شأنا، لأنه السبيل الى معرفة الاستدلال وتميز الحق من المحال, ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة, و لا علم الصحيح من السقيم و لا المعوج من القويم[4]

ويفهم من تعريف لأبي الوليد الباجي (ت474ه) - السابق ذكره- للجدل أنه يرادف بينه وبين المناظرة، لأنه لم يُدخل في تعريفه ما يومئ إلى مادة الخصومة والمنازعة والشدة، فتأمله. وكذلك هو حال تعريف ابن البناء المراكشي (ت 721ه) للجدل، حيث قال:" الجدل قانون نظري يتبين به سبيل الهدي عن سبيل الضلال"[5]

إن غنى معجم المناظرة في اللغة العربية ليدلّ بحق على تداول العرب والمسلمين لهذا المنهج الجدلي والتزامهم به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها، ويذكر المعجم بالإضافة إلى لفظيالمناظرة والمحاورة مصطلحات مرادفة أخرى، منها: المخاطبة، المجادلة، المحاججة، المناقشة، المنازعة، المذاكرة، المباحثة،

[1] - ينظر محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: صالح هاشم، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط02، 1988، ص22.

[2] -أحمد قادم، سعيد العوادي، التحليل الحجاجي للخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2016، ص543.

[3] - هود، الآية 118

[4] - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، م، س، ص

[5] - علاقة الجدل بالمناظرة ومشروعيته من الكتاب والسّنّة، مقال متاح على منتدى نوادر، على الموقع:https://www.naouadir.com

المجالسة، المفاوضة (في معناها القديم) والمراجعة والمطارحة، المساجلة، المعارضة، المناقضة والمداولة و المداخلة...[1]

إن الناظر للنسق التداولي العربي يدرك أنه انطبع بطابع المناظرة واصطبغ بها، ذلك أن الاشتغال الفكري وقتذاك ارتبط في منشئه بعلمي الفقه والكلام، إذ كانت المحاورات والنقاشات محتدمة بين النحاة والمناطقة والمتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل والنحل حول مسائل عقدية وغير عقدية كثيرة ومختلفة، وقد كلف التراث العربي الإسلامي بالمناظرة واحتفى لأنها –كما يقول طه عبد الرحمن – "وسيلة من وسائل تنمية المعرفة الصحيحة وممارسة العقل السليم."[2]

فقد ارتبط أدب المناظرة بعلوم العرب الكثيرة لدى نشأتها ارتباطا وثيق الصلة، كون هذه العلوم لغوية أو عقدية كانت أو غير عقدية كانت مثار نقاشات وحوارات حادة، كانت سببا في رقي تلك العلوم وتطورها كما كانت سببا في تنمية العلوم والمعارف المختلفة. وإن كانت العقيدة الإسلامية قد بنيت على أسس جدلية، فإن المذاهب الفكرية والفقهية والمدارس الأدبية والنحوية قد شاعت على خلفية الاختلاف والتعارض، فاغتنى التراث العربي بأخبا رعن مجالس المحاورات والمناظرات التي توجّه فيها فقهاء أو أدباء أو لغويون أو مبرزون في علم الكلام، ومن أشهر المناظرات التي سجلها تاريخ الفكر العربي، مناظرة الباقلاني مع المعتزلة، ومناظرة الاشعري مع الجبائي في علم الكلام[3]، ومناظرات الهمذاني مع الخوارزمي في الأدب[4]، ومناظرة الكسائي وسيبويه في النحو، تحديدا المسماة المسألة الزنبورية[5]

وقد عرف فن المناظرة عند العرب قديما وحديثا، وتنوعت مجالاته واختلفت مواضيعه، وانتشر في أجزاء كثيرة من عيون تراثنا الفكري عامة والأدبي خاصّة، فمثّل مدوّنة. ضخمة جديرة بالبحث والدراسة، ومما يدل على أهمية هذا الفن في الأدب العربي القديم أنه كتب شعرا ونثرا، وتفرّع أنواعا وأجناسا، وتلوّن موضوعات وأغراضا وتنوّع طريقة ومنهاجا واختلف مقاما وسياقا، وشاكل حقيقة وأُلِّف خيالا.[6]

المناظرة بين المعجم والاصطلاح:

المناظرة لغة:

ما نستشفه من المعاجم اللغوية مثل مثل لسان العرب أن لفظ "مناظرة" على وزن مفاعلة، ويفيد معنى مشاركة، وهو لفظ يعود إلى الجذر (ن ظ ر)، فالتناظر : هو التراوض في الأمر، ونظيرك الذي

[1] - ينظر طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، (م، س)، ص69.

[2] - المرجع نفسه، ص21.

[3] - ينظر أبو علي عمر السكوني، عيون المناظرات، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976، ص225، 229

[4] - ينظر زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مصر الجديدة، 1934، ج1، ص159، 160.

[5] - ينظر ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة، مصر، ط1، 1948، ج3، ص134.

[6] - باشا العيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص14.

يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة، والنظير المثل، وفلان نظيرك، أي مثلك والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيان، وفلان نظيركأي مثل، لأنه إذا نظر إليهما السائل رآهما سواء، ويقال ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة، وإذا قلت نظرت في الامر احتمل أن يكون تفكّرا فيه أو تدبّرا بالقلب "[1]

وجاء في تاج العروس: "... وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا وتدبّرا بالقلب، والتناظر التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتناظره والمناظر المثل والشبيه."[2]

و"المناظرة لغة النظر بالبصيرة "[3]

كما ورد في معجم الصحاح في اللغة والعلوم أن النظر تأمّل الشيء بالعين، (...) والنظّارة قوم ينظرون إلى الشيء، ونظير الشيء مثله..."[4]

من هذا الرصد البسيط لبعض معاجم اللغة نتبين أنها تكاد جميعها تتفق على أن النظر لا يكاد يخرج عن دائرة التفكر والتأمّل والتدبّر والتناظر تراوض في الأمر و جدال فيه.

وللمناظرة اشتقاقات عديدة، منها:

أ/من المجرد: (نَظَرَ) ومنه النظر، ويدل على معنى الرؤية بالعين للأجسام، وبالقلب والبصيرة للمعاني، فأما النظر الحسي، فإنه يحيل على معنى المواجهة والمقابلة بين طرفي المناظرة، وقد أشار الجاحظ إلى هذا المعنى في حديثه عن منازعة الخصوم ومناظرة الأكفاء، فقال: "... إذا كان مع التلاقي يشتدّ التصنّع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتقوى الحمية، وعند المواجهة والمقابلة يشتدّ حب الغلبة وشهوة المباهاة والرياسة..."[5]

كما أن المناظرة ضرب من ضروب النظر العقلي يجب أن يبعد عن الانفعالات النفسية حتى لا تؤول إلى مغالطة وسفسطة ولا إلى مهاترة وشرر، وقد اهتم العلماء المسلمون بعلم النظر باعتباره أهم علوم الشريعة، فتعرض ابن خلدون في مقدمته بالحديث عن الاختلاف وأسبابه، وما نتج عنه من فرق ومذاهب من جهة، ومن علوم مختلفة من جهة أخرى.[6]

و تعد المناظرة من تلك العلوم التي أدرجت في باب علم النظر، فقال: "اعلم أنّ هذا الفقه المستنبط من الأدلّة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم ... وجرت بينهم المناظرات

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ظ ر)، (م، س)، ص215-219.

[2] - محمّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام هارون، م5، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1991، ص444.

[3] - على بن محمد على الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1403 هـ، 1983 م، ص 101 .

[4] - ينظر نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، م2، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، 1974، ص580، 581.

[5] - أبو عثمان الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ودار الطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج1، دت، ص84.

[6] - ينظر عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د، ت، ص456.

في تصحيح كل منهم مذهب إمامه تجري على أصول صحيحة، وطرائق قويمة، يحتجّ بها كل على مذهبه الذي قلّده وتمسّك به، وقد أجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه، فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك، وأبو حنيفة يوافق أحدهما، وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما، وكان في هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء الأئمة ... كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيّات، ولا بدّ لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصّل بها إلى معرفة الأحكام..."[1]

لقد أقام ابن خلدون في عرضه للمناظرات في علوم الفقه وظروف نشأتها ووظائفها وطرائقها علاقة متينة بين علم النظر والمناظرة، وأشار إلى أن النظر العقلي أداة للنظر والتناظر.[2]

فالمناظرة هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته الصادقة في ظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره[3].

ب/ من المزيد: ناظر وتناظر: ناظرت فلانا، صرت له نظيرا له في المخاطبة، والنظير المثل، وتناظر يعني قابل وواجه، إذ يقال تناظرت الداران أي تقابلتا، والتناظر: التراوض في الأمر ويكون بين النظيرين[4]، ونلمس من صيغة المزيد جانبا آخر يفيد في تعريف المناظرة وهو التكافؤ بين المتناظريْن والذي يكون ضمن مستويين: أحدهما تكافؤ متعلق بذات المناظر وكفاءته، وآخر متعلق بمحتوى الخطاب والأدلّة التي يقدمها، وتحديدا بعدد الحجج وأهميتها ونجاعة الحجاج عموما.[5]

وبالتالي، المعنى المستفاد من الجذر اللغوي (ن ظ ر) في صيغ المجرّد والمزيد يحيل على جوانب أساسية من تعريف المناظرة، فهي انطلاقا مما سبق نظر عقلي أو رياضة عقلية بين نظيرين متكافئين يتنظران، يتواجهان ويتقابلان بحضور جمع من النظارة، ومما يدعم هذا المعنى تردده في بعض الآثار الأدبية، من ذلك ما ورد على لسان بديع الزمان الهمذاني من تعريف صريح لفنّ المناظرة أثناء مناظرته للخوارزمي إذ قال: "يا عافاك الله، حظرت لتناظرني ...، والمناظرت اشتقّت من النظر أو من النظير، فإن كان اشتقاقها من النظر، فمن حسن النظر أن يكون مقعدنا واحدا حتى يتبيّن الفاضل من المفضول ..."[6]

---

[1] - المرجع السابق، ص456.

[2] - ينظر باشا عيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، (م، س)، ص 51.

[3] - عبد الرحمن بن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط4، دار القلم، بيروت، 1414هـ -1993م، ص 371.ك

[4] - ابن منظور، لسان العرب، (م، س)، مادة: ن ظ ر، ص 216-219

[5] - ينظر باشا عيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، (م، س)، ص 51.

[6] - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1975، ص417.

ويتقاطع مما سبق التعريف اللغوي مع الاستخدام الأدبي في تعريف المناظرة بأنها " النظر في الأمر من الجانبين مع ضرورة المواجهة والمقابلة"، وفي هذا التعريف جمع بين عناصر مقامية وأخرى مقالية تتعلّق أساسا بما يميّز خطاب المناظرة من حوار وجدل وسؤال وجواب وحجاج وبيان.[1]

المناظرة في الاصطلاح:

تناولت المعاجم القديمة المتخصصة ك "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي، أو "التعريفات" للجرجاني المناظرة من جوانب عدّة، فبعضهم عرفها بهدفها والغاية منها، أو بتحديد طرفيها المتناظرين والعلاقة بينهما، وبعضهم عرفها بتحديد أسلوبها وطريقة الحوار فيها.[2]

فقد عرفها الجرجاني بأنها " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب[3].

ويرى الألمعي ان المناظرة "هي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله و إبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق ".[4]

فالمقصود اذن من المناظرة، هو الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه.[5]

يتضمن التعريف جانبين أساسيين يتعلقان بفنّ المناظرة: الأول يشترك فيه مع التعريف اللغوي، فالمناظرة نظر عقلي من الطرفين، والثاني يتصل بتحديد موضوع النظر، وهو إظهار النسبة بين الشيئين كالتساوي عندما يكون الرأيان صحيحين، أو الإيجاب عند الصواب أو السلب عند الخطأ، ويكون هذا في المناظرات القائمة على الموازنة والمقايسة على وجه الخصوص، وقد فصل الميداني النسبة بين الشيئين عند حديثه عن ضوابط المناظرة وآدابها.[6]

وأما التهانوي فقد عرف المناظرة بأنها " علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم، وآداب وطرق وموضوع هذا العلم."[7]

ارتكز تعريف التهانوي على أساسين، أولهما تضمن إشارة إلى طرق إثبات المطلوب من الطّرف الأوّل ونفيه من الطّرف الثّاني، فهو يهتمّ بمنهج المحاجّة بين المتناظرين القائمة على الانطلاق من المسلّمات المشتركة عند الموازنة والمقايسة بين المحاسن والمساوئ إثباتا ونفيا.[1]

---

[1] - ينظر باشا عيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، (م، س)، ص 52.

[2] - ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - الشريف الجرجاني، التعريفات، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص 250..

[4] - زاهر الألمعي، مناهج الجدل، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، (د.ت)، ص 25.

[5] - محمد بو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص5.

[6] - ينظر عبد الرحمان حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1988، ص309.

[7] - التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، طبعة الخياط، بيروت، لبنان، د، ت، ج3، ص1391.

وأما الأساس الثاني، فيتمثل في معرفة آداب البحث مما يحيل على طبيعة العلاقة بين المتناظرين وما تقتضيه من آداب وكياسة.[2]

ومن أحسن تعريفات المناظرة في الاصطلاح عند المتأخرين تعريف محمد الأمين الشنقيطي (ت 1325ه)، قال رحمه الله تعالى:" المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق.[3]

من هنا، يمكن أن نستنتج أن المناظرة محاورة من أجل الوصول إلى الصواب، ولهذا كان الاشتراط فيها التقارب والتكافؤ بين المتناظرين في العلم والفهم.

وقد صنفت أبحاث ودراسات كثيرة تبحث في حدّ المناظرة وشروطها وآدابها ونهجها، مما يؤكّد على ضرورة وجود تصوّر نظري ورؤية جمالية تتعلقان بها، غير أن عددا غير قليل من تلك الكتب لم يتجاوز المبحث التاريخي الناظر في عوامل نشأة هذا الفنّ ومراحل تطوره ونضجه، وعدد قليل من الدراسات التي بحثت في خصائصه ووجوه أدبيته إلا ما دخل في الحديث بمناسبة قد تكون نظرية كالبحث في الحجاج عامّة وتقنياته وآلياته، فتقع من خلال ذلك الإشارة إلى فنّ المناظرة والاستدلال، وقد تكون دراسة المناظرة من خلال دراسة أجناسية تتناول المناظرة من خلال البحث في الخطابة وفنونها، أو دراسة إنشائية تتناول المناظرة في معرض بحثها في إنشائية فن من فنون النثر القديم عامّة كالخبر والرسالة.[4]

فقد كان كل ذلك باعثا على الاهتمام بهذا الفن الأدبي عند العرب الذي انتشر في مدوّنة ضخمة جدا وموزّعة على آثار كثيرة ومتنوّعة من التراث العربي: الديني و الأدبي و الفلسفي والنقدي، ولعلّ هذا الانتشار الواسع لفن المناظرة يشرّع للباحث النظر و البحث فيه.[5]

و يرجع بعض الدارسين فنّ المناظرة إلى أصول قديمة جدّا ويستشهد بأمثلة من الأدبين السومري والبابلي إذ يرى عبد الغفار مكاري فن المناظرة إلى الكتّاب السومريين فيقول: " ابتدع الكتّاب السومريون الجنس الأدبي الذي نسميه أدب المناظرة...، ومن أشهر المناظرات السومرية " المناظرة بين الصيف والشتاء"[6]

ثم يرجعها إلى الأدب البابلي ال قديم إذ أن البابليين – رأيه – نسجوا في أدب المناظرة على منوال السومريين، فقال: "فلم يخلُ الأدب البابلي التقليدي من أدب المناظرة الذي يسجّل مبارزة كلامية يتبارى

---

[1] - ينظر باشا عيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، (م، س)، ص 53.

[2] -ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - مفهوم المناظرة، منتدى نوادر متاح على الموقع: https://www.naouadir.com، بتاريخ 2019/06/19، اطلع عليه بتاريخ: 2022/08/29

[4] - باشا العيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية -تداولية، (م، س)، ص14.

[5] - ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] - عبد الغفار مكاري، جذور الاستبداد، قراءة في أدب قديم، عالم المعرفة، الكويت، ع/129، 1994، ص289.

فيها زوج من الآلهة أو البشر أو الظواهر الطبيعيأو النبات أو المعدن أو الحرف أو المهن اليدوية وأدوات الزرع والصنع ذ، ومن أشهر مناظراتهم المناظرة بين الطرفاء والنخلة، والمناظرة بين الثور والحصان.[1]

تعدّ المناظرة التي جرت بين كسرى الفرس والنعمان ملك العرب في مرحلة أولى ثم بيمه وبين وفد العرب في مرحلة ثانية ببلاط كسرى بالمدائن من أقدم النصوص التي وردت علينا في هذا الفنّ، وقد نقلت مصادر كثيرة هذه المناظرة، وتحدث عنها ابن عبد ربه في العقد الفريد والمسعودي في مروج الذهب بعدها أنموذجا أوفى لهذا الفن في الأدب العربي القديم.[2]

المناظرة و فنون الأدب:

وقد اخترقت المناظرة أجناس النثر كما اخترقت أجناس الشعر واختلطت المصطلحات عند كثير من الدارسين وتداخلت، فمنها المناظرة الخطابية، ونموذجها مناظرات الخوارج والشيعة، والمناظرة في النادرة ونموذجها كتاب البخلاء للجاحظ، والمناظرة في المقامة ونموذجها مقامات الحريري، فضلا عن المقامات الواردة في الأخبار وفي المسامرات مثلما نقله الأصفهاني في "الأغاني"، وابن عبدربه في " العقد الفريد" والتوحيدي في "الإمتاع والمؤانسة" وفي جلّ كتبه الأخرى.[3]

كما قد تتداخل الفنون في المناظرة الواحدة و تنهار الحدود بين ما هو شعر وما هو نثر من ناحية وتفرقع الأنواع والأجناس من ناحية أخرى، وكما تداخلت الأجناس تداخلت الموضوعات والأغراض، فالمناظرة السياسية مثلا، يمتزج فيها ما هو ديني بما هو كلامي، وما هو فلسفي بما هو لغوي، بل إن الموضوعات تتحول في عدد من المناظرات إلى اطراف تتحاور وتتجادل ويساجل بعضها بعضا، مثل المناظرة بين السيف والقلم المناظرة بين الصيف والشتاء، وقد يختفي المتناظرون من أهل السياسة في بعض المناظرات وراء حيوانات أو فصول أو معادن أو أشياء ترمز إليهم أو تشير عليهم.[4]

ومن المناظرات ما جرى مشافهة قوامها حوار تفاعلي يجري في محفل تناظري، كمجلس أحد الخلفاء أو الوزراء أو الامراء أو الاعيان من اهل الفكر، يحضرها كثير من مثقّفي العصر من أهل الفكر ورجالاته، ويعيّن لها حكم يكون ملكا أو وزيرا أو خليفة أو شاعرا أو حكيما يحكم بين المتناظرين.[5]

ولقد نقلت لنا مصادر كثيرة الأجواء الاحتفالية التي تصاحب المناظرة الشفوية ومن أشهرها المناظرة التي جرت بين كسرى والنعمان، ومن أفضل النماذج التي تصور أجواء الاحتفال المصاحبة

[1] -المرجع نفسه، ص290.

[2] - باشا العيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، (م، س)، ص27

[3] - المرجع السابق، ص29.

[4] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] -المرجع السابق، ص30.

للمناظرة أيضا ما نقله المسعودي من مناظرة المأمون للفقهاء، ومن مناظرات دارت في مجلس يحي البرمكي [1] وما نقله مسكويه من مناظرات بين الوزير ابن الفرات وحامد بن العباس، أو بينه وبين علي بن عيسى [2].

وقد دوّنت هذه المناظرات التي قام خفن مفطابها على التفاعل الكلامي في مصادر كثيرة متنوعة، بعضها أدبي و بعضها الآخر غير أدبي، وإنما هي كتب تاريخ أو معاجم أعلام انتقلت المناظرات منها وإليها بطرق مختلفة.[3] وبعض المناظرات يقوم مناظروها أو خطابها بتوثيقها بأنفسهم وبخاصة تلك القائمة على التفاعل الكلامي فيقوم الخطيب بتدوين كل تفاصيلها وحيثياتها، كعبد العزيز الكناني مثلا الذي قام بتدوين فصول مناظرته مع بشر المريسي في حضرة الخليفة المعتصم.

فالمدوّن شخصية أخرى تُدخل على خطاب المناظرة قدرا من التغيير من أهم مظاهره وأبرزها ضروب الفصاحة والبيان وهما من أهم آثار التدوين، وما يعمده المدون من من حذف أو اختصار أو اختزال، وما يدخله على النص من صياغة موقف أو توسيع فكرة أو تأكيد حجّة أو تضخيم صورة، فضلا عن تنظيمه الحوار وتبويبه الأقسام.[4]

فالمدون سواء كان طرفا في المناظرة أو شخصية أخرى يعمل على توثيق المناظرة بالكتابة والتدوين وقد يمارس حريته الأدبية في الصياغة والتعبير مما لا يخرج المناظرة عن موضوعها أو نطاقها أو هدفها. كما يعمل المدون على تبويبها وتقسيم فصولها بحسب ما يقتضيه موضوع النقاش ومراحله.

بهذا الإجراء تخرج المناظرة من مجال الواقع إلى مشاكلته، إلى الممكن والمحتمل ومن التوثيق سيرة أو تاريخا إلى الفنّ والأدب.[5] لتكتسي المناظرة بعد ذلك حلة الأدبية بفضل تلوينها بألوان البيان و ضروب البلاغة.

أصول المناظرة:

لمّا كان غرض المناظرة أو "البحث" كما أطلق عليها إظهار الصواب، فقد حدّدت لها شروط عامّة هي[6]:

أ. لا بد لها من جانبين.

ب. لا بد لها من دعوى.

---

[1] - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص 309.

[2] - أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: يحي زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة السورية، سوريا، دمشق، 1974، ص183، 176

[3] - باشا العيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، (م، س)، ص 30

[4] - ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[5] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[6] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص74.

ت. لا بدّ لها من مآل يكون بعجز أحد الطرفين.

ث. لكل من الجانبين آداب ووظائف.

أركان المناظرة وشروطها:

بداية نحاول التعرف على أركان المناظرة

للمناظرة ركنان أساسيان هما[1]:

1/ موضوع تجري حوله المناظرة والمراد بالموضوع المسألة أو نقطة البحث لا الموضوع المنطقي الذي يقابله المحمول.

2/ فريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة، أحدهما مدَّع أو ناقل خبر، والآخر معترض عليه.

فإن كان الموضوع تعريفا أو تقسيما سمي المعترِض عليه (مُستدلاً) وسمي صاحب التعريف أو التقسيم (مانعًا).

وإن كان الموضوع (تصْديقاً) أي النقاش حول قضية منطقية سواء كانت مصرَّحا بها أو مفهومة من ضمن الكلام فالمعترِض عليه يسمى (سائلاً) وصاحب التصديق ومقدِّمه يسمى (مُعلِّلاً).

وأما شروط المناظرة:

فيشترط فيها الميداني أربعة شروط[2]:

1- أن يكون المتناظران على معرفة بما يحتاج إليه من قوانين المناظرة وقواعدها حول الموضوع الذي يريدان المناظرة فيه.

2- أن يكون المتناظران على معرفة بالموضوع الذي يتنازعان فيه حتى يتكلم كل منهما ضمن الوظيفة المأذون له بها في قواعد المناظرة وضوابطها ,فإذا تكلم لم يخبط خبط عشواء , ولم يناقش في البديهيات بغير علم، وإذا ألزم بالحق التزم به دون مكابرة.

3- أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري فيه المناظرة ضمن قواعد هذا الفن وضوابطه . فالمفردات والبديهيات الجليَّة مثلاً لا تجري فيها المناظرة أصلاً.

4- أن يُجريَ المتناظران مناظرتهما على عُرْفٍ واحد، فإذا كان كلام (المعلل) جارياً مثلاً على عرف الفقهاء فليس (للسائل) العارف بذلك أن يعترض عليه استنادا إلى عرف النحاة أو الوضع اللغوي، أو عرف الفلاسفة، أو نحو ذلك.

ويضيف بعض الباحثين: [1]

[1] - عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، (م، س)، 374.

[2] - المرجع نفسه.

5- يجب أن يأتي كل خصم في نصرته لنفسه بأدلة ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق خصمه.

6- أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً لطيفا.

آداب المتناظرين وأخلاقهم:

المناظرة فنّ كلامي يقوم على الإقناع والبرهان والدليل القائم على الاحترام والتزام الأدب من أجل بلوغ الحق والوصول إلى إثباته، وعدم التباهي به عند ظهوره، وحتى تضمن المناظرة فعاليتها وأثرها الطيب، سعى المتناظرون وروّاد مجالس المناظرات وأرباب الأدب والكلام إلى وضع آداب خاصة لها أحصاها الدارسون والمهتمون بفن المناظرة، منها ما أورده ابن خلدون في مقدمته من اجتماع متَكلّميْنِ قال أحدهما للآخر: "هل لك في المناظرة؟ فقال على شرائط: ألّا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ولا تحكم، ولا تُقبل على غيري وأنا أكلّمك، ولا تجعل الدعوى دليلا، وتجوّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلّا جوّزت لي تأويل آية على مذهبي، وعلى أن تؤثر الصدق وتنقاد للتعارف وعلى أن كلّا منا يبغي مناظرته على الحقّ ضالّته والرّشد غايته."[2]

من هنا وضع علماء فن آداب البحث والمناظرة جملة من الآداب ألزموا المتناظرين بها للمحافظة على سلامة المناظرة وتحقيقاً للغرض منها، يمكن إجمالها فيما يلي أهمها:[3]

- أن يقصد المتناظران إلى إظهار الحق والاعتراف به، لأنه - حسب الأشعري - " أوّل ما يجب في المناظرة التقرّب إلى الله عزّ وجلّ ومجانبة الرياء والمباهاة والمحك[4] واللجاج والتكسب.

ويرى الأشعري أن يجب أن "يجري المناظر في ذلك مجرى المؤتمِر لما أمره الله تعالى به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعلم أنه لولا التقرّب إلى الله تعالى بالجدل والمناظرة والمصير بها إلى عبادته وأداء فرائضه والطمع في ثوابه والحذر من عقابه ما كان لها معنى إلا التكسب أو اللجاج أو السرور بالظفر على الخصم والغلبة له." [5]

---

[1] - المناظرة، مقال متاح على منتدى ستار تايمز على الموقع: https://www.startimes.com/، بتاريخ: 2008/06/17، اطلع عليه بتاريخ 2022/08/31.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، نقلا عن مختار الفجاري، الفكر العربي الإسلامي، ص64.

[3] - علي فتحي، تعريف المناظرة و أركانها وشروطها وآدابها وقواعدها ومراحلها ونتيجتها، (م، س).

[4] - المحْك اسم مفرد مصدر محِكَ. صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من محِكَ. يَمحَك، مَحْكًا، فهو ماحك، محَك الشَّخصُ : أكثر من الجَدَل بالباطل، لجّ في المنازعة "إذا ناقش محَك، وإذا جادل شاكس وتعنّت". يمحَك، مَحَكًا، فهو مَحِك، محِك الشَّخصُ : محَك؛ أكثر من الجَدَل بالباطل، لجَّ في المنازعة. ينظر معجم المعاني الجامع، متاح على الشبكة العنكبوتية على الموقع: https://www.almaany.com

[5] - أبو الحسن الأشعري، مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، تح: دانيال جيماريه، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1987، ص293.

وبهذا تكون المناظرة مثمرة كما ترتقي لأن تكون فعلا تعبّديا يندرج ضمن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فالأصل في المناظرة الاستعداد لقبول الحق بناءً على قوة الدليل المقدّم فلا يتباهى به من ظهر على يده، ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.[1]

ومن هنا يحرص المناظر على عدم محاورة من ليس مذهبه إلا المضادّة، لأن المعاند لا ينفع معه الإقناع بالحجّة و بالتالي، يكون فعل التناظر "من آكد الواجبات، والنظر من أولى المهمات، وذلك يعمّ أحكام التوحيد والشريعة"[2]

- أن يجتنب المناظر مجادلا ذا هيبة كبيرة يخشاه لئلا يؤثر ذلك عليه فيضعفه عن الإدلاء بحججه كما ينبغي.[3]

- ألاَّ يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فذلك يقلل من اهتمامه فيمكن خصمه الضعيف منه[4].

- ألاّ يظن خصمه أقوى منه بكثير حتى لا يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب.

إذ يجب أن يكون المتناظران متقاربين معرفيا واجتماعيا لئلا يستعلي أحدهما على الآخر فتضعف حجة المستضعَف ويتهاون عن القيام بها.

- ألاّ يكون في حالة قلق نفسي واضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي، كأن يكون جائعا أو ظامئا أو نحو ذلك.

- أن يتقابل المتناظران في المجلس ويبصر أحدهما الآخر ما أمكن، ويكونا متماثلين أو متقاربين علماً ومقداراً[5].

- ألا يكون المناظر متسرعاً يقصد إسكات خصمه في زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية ويبعده عن منهج المنطق السديد والتفكير في الوصول إلى الحق.

- أن يمهل الناظر خصمه حتى يستوفي مسألته، حتى لا يقطع عليه تسلسل أفكاره فينسيه بعض الكلام بعضَه.[6]

- أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة في إظهار الحق ولو على يد خصمه.

---

[1] - أبو المعالي الجويني، الكافية في الجدل، تح: حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1979، ص24.

[2] - المرجع نفسه، ص24.

[3] - ينظر حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ص 372

[4] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] - علي فتحي، تعريف المناظرة و أركانها وشروطها وآدابها وقواعدها ومراحلها ونتيجتها، (م، س).

[6] - ينظر طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س)، ص4.

- أن يجتنب كل منهما الهزء والسخرية وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز، وأن يتجنّب الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل من قبيل الاستهانة، والسخرية وقلة الإصغاء والتحقير والتجريح، وأن يحذر كل منهما استصغار خصمه والاستهزاء به كائنا من كان، يقول الأشعري: " ومتى استخففت به بخصمه لم تتحرّز ولم يجتمع ذهنك ولا تكون آمنا أن يتفق عليك مالا يمكنك أن تدفعه عن نفسك."[1]

كما يجب عليهما "تجنب الضحك ورفع الصوت"[2] وكل ما من شأنه إظهار السفاهة والسطحية التي تعكّر صفو المناظرة وتخدش هيبتها وتمس بمصداقيتها.

- أن يتحرز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجى من ذلك، أي لا اختصار مخلّ ولا إطناب مملّ[3].

- أن يجتنب المناظر الألفاظ الغريبة والألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد.

- أن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع فلا يخرج عما هما بصدده.

- ألا يعترض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماماً.

- أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه.

- أن يتحرّز المتباحثان إطالة الكلام في غير فائدة، لأن الزلل مقرون بالإكثار كما عليهما تجنب الاختصار المخلّ لفهم مقصود الكلام.[4]

- أن يعرف المتناظران سياسة البلاغة إجمالا، فيتجنّبا غرابة الألفاظ، وأن يكون كلامهما ملائما للموضوع، وليس فيه خروج إلى فرعيات غير ذات صلة بالموضوع الأصل.[5]

-يجب على كل طرف من المتناظريْن أن يحافظ على مرتبته، فمرتبة المناظر المدافع البناء والتأسيس لصحة الدعوى، وأما مرتبة السائل فنقض الدعوى وهدمها، ولا سبيل للقيام بذلك إلا "بمعرفة ما هو الأصل، ومعرفة كيفية البناء على ذلك الأصل، والفصل بين أصل يحتاج إليه لنفسه، وما يحتاج إليه لغيره ليلتحق كل فرع بأصله، ولا سبيل إلى ذلك بعد معرفة حقائق الأصول."[6]

---

[1] - ينظر الأشعري، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، (م، س)، ص317، 318.

[2] - طاش كبرى زاده، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، تح: حايف النهان، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2012، ص27.

[3] - ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - ينظر أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، (م، س)، ص9.

[5] - ينظر محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص91.

[6] - الجويني، الكافية في الجدل، (م، س)، 540.

- أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدِّم ترجيحاً لوجهة نظره، أو لمذهبه، حتى يكتشف شيء آخر يضعف دليله، ويجعله غير صالح للترجيح[1].

أما الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة، وأما المراوغة فهي تهرب وانسحاب من مجلس المناظرة.

ومتى وجد المناظر هذه المراوغة من خصمه فمن الخير له أن يقطع المناظرة ويلزم خصمه بالهروب والانسحاب، وليحذر من أن يستدرجه إلى موضوع آخر ثم آخر، وهكذا، فتتحول المناظرة إلى ما يشبه المصارعة الحرة التي ليس لها قيود ولا ضوابط، وهذا جدال محظور[2].

كما يجب على المناظر أن يقصد الاشتراك مع خصمه إلى إظهار الحق والاعتراف به، حتّى لا يتباهى به إذا ظهر على يده ولا يعاند إذا ظهر على يد خصمه.

ويجب عليه أن يتجنّب محاورة من ليس مذهبه إلّا المضادة، لأنّ من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجّة.[3]

و يضع أبو الوليد الباجي هو الآخر مجموعة من الشروط والقوانين التي يرى وجوب توفرها حتّى تستقيم المناظرة وتُتَوخّى الفائدة منها، نورد منها ما تعلّق بالمناظر: [4]

- ينبغي على المجادل أن يقدم على جدله تقوى الله، ويقصد بنظره طلب الحقّ، ولا يقصد من ورائه المباهاة والمغالاة.

- أن يتوقّر المناظر في جلوسه وألا يكثر من الصياح ورفع الصوت، لأن ذلك يسبب الضجر، ولا يخفت صوته جدا، ولا يشغف بكلامه ولا يعجب بجداله.

- أن يحسن الاستماع إلى كلام خصمه، وإن رأى فيه فسادا، فيجب أن له عونا على نظره، ولا يثق بقوّته وضعف خصمه، وأن يصبر عليه حتّى يفرغ من كلامه.

- ألاّ يتكلّم على ما لا يعلمه، ولا يتكلّم إلا في موضوع النقاش، لأن الكلام على ما لم يقصده عول عن الغرض المطلوب.

- وألا يناظر في حال الجوع والعطش ولا في حال الخوف الشّديد.[5]

تداوليات المناظرة و أفعال الكلام

يتضح من شروط المناظرة العامة أفعالا تكلُّميةً أساسية ثلاثة، وهي: عرض دعوى ويسمى الادّعاء، وعرض دليل عن الدعوى ويسمّى التدليل، أو الإثبات، واعتراض على هذه الدعوى ويطلق عليه المنع.[1]

---

[1] - ينظر رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد، بنغازي ط01، 2010، ص19

[2] - المرجع نفسه، 19.

[3] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص75.

[4] - ينظر أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، (م، س)، ص9، 10.

[5] - ينظر المرجع نفسه، ص10.

أولا: الادّعاء:

ومن شروط هذا الفعل التكلمي بعده فعلا عرضيا:

- أنّ المدّعي يعتقد صدق ما يدعي.
- أنّ المدّعي يطالب المخاطب بأن يصدّق بدوره هذه الدعوى.
- أنّ للمدّعي بينة أو دليل أو حجّة أو بيّنات على ما يدّعي.
- أنّ للمخاطب حق المطالبة بهذه البيّنات وتقويمها.
- أن يكون منطوق الادّعاء صادقا، ومفهومه أنه قابل للتكذيب.[2]

ثانيا: المنع

المنع هو الاعتراض على الدعوى وبالتالي صح أن يتصف بكل صفات الاعتراض من كون هذا الأخير فعلا تكلّميا استجابيا إدباريا، استشاريا، تقويميا، تشكيليا، سجاليا، ومن كون هذه الصفات تجعل موضوعه مرتبطا بموضوع الادعاء، ومنطوقه متّصلا بمنطوقه، ومقصوده مفاعلا لمقصوده، وتجعل حجّيته معاكسة في قوتها لحجّية الادّعاء والتدليل عليه مقيّدا بالتّدليل على الادّعاء.[3]

ثالثا: التدليل:

وتأتي شروطه كما يلي: .[4]

- شروط المضمون القضوي: ويكون مبنى التدليل على مجموعة من الادّعاءات في صورة مجموعة من القضايا.

- شرط الصّدق: بحيث يعتقد المدّعي صدق قضايا دليله وصحّة هذا التّدليل.

- شروط تمهيدية: يعتبر المدّعي المعترض صادقا في اعتراضه ومصدقا بقضايا دليل الاعتراض وبوظيفتها التدليلية.

- الشرط الجوهري: يقصد المدّعي بتدليله إقناع المعترض بالعدول عن منعه

وإلى جانب الادّعاء والاعتراض والتدليل التي تشكل أفعال تكلم من الصنف التصويري، تتدخّل في المناظرة أفعال تكلّمية اخرى منها مما هو التزامي مثل السمع وهو قبول المنع، والاتّفاق على المناظرة والشروع فيها وعلى قواعدها وتوزيع الأدوار فيها، وما هو توجيهي، مثل الاستفسار والمطالبة بالتّدليل، ومنها

---

[1] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص75.

[2] - المرجع نفسه، ص76

[3] - المرجع نفسه، ص76.

[4] - الرجع نفسه، ص77.

ما هو إعلاني مثل تعيين الطريق، وهو ترجيح طريق في التدليل تبدو للمانع أفضل من الطريق التي سلكها المدّعي.[1]

مراحل المناظرة ونتيجتها

يقسم الميداني المناظرة إلى مراحل ثلاثة[2]:

المرحلة الأولى:

وسمّاها مرحلة المبادئ، وفي هذه المرحلة يتمّ تعيين الموضوع محلّ النزاع، حتّى لا يتشتّت الفريقان، وحتّى لا يتكلّم كلّ منهما في وادي غير الذي يتكلّم فيه مناظره.

المرحلة الثانية:

مرحلة الأواسط، وفي هذه المرحلة تقدّم الدلائل التي يظهر فيها لزوم المطلوب.

المرحلة الثالثة:

مرحلة المقاطع، وهي مرحلة إذا انتهى البحث فيها انقطع، وهو إذا انتهى إلى الضروري (وهو اليقين الذي يجب التسليم به بالضرورة العقلية)، أو انتهى إلى الظني الذي يسلم به الخصم.

نتيجة المناظرة:

إذا عجز المعلّل عن رد اعتراض السائل، كان المعلّل مفحما، وإذا عجز السّائل عن تصحيح اعتراضه كان ملزَما. وهذه المرحلة الأخيرة التي تنتهي إليها المناظرة.[3]

الهيكل العام لمناظرة الحيدة

المناظرة في الأصل خطاب ذو بنية جدلية تقوم على عدد من الأركان لا يمكن أن تستقيم إلا بها، وتصنف هذه الأركان إلى نوعين، أركان كلية وأخرى جزئية.

1/ الأركان الكلية:

وهي أركان أساسية وضرورية في المناظرة، ومن دونها لا يمكن أن تتم المناظرة، وهي تمثّل أركانا عامة يمكن عدّها الإطار العام الذي يشكل المناظرة.[4]

---

[1] - المرجع السابق، ص77

[2] - عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (م، س)، ص376.

[3] - المرجع نفسه.

[4] -مختار الفجاري، من أجناس الخطاب الفكري الشفوي القديم (تحليل جنس المناظرة في القرن الثاني والقرن الثالث هجري، ضمن كتاب تداخل الأنواع الادبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، م2، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص276.

وتأسست مناظرة الحيدة على عدد من الأركان تمثلت فيما يأتي: **الشخصيات و الخطاب والموضوع المكان و الزمان**، وسنحاول تفصيل كل ركن على حدة.

أ-الشخصيات

وتتمثل في المتناظرِيْن أو المتناظرِين والحَكَم والجمهور الحضور، وهذه الشخوص منها ما هو مؤثر في حيثيات المناظرة ومنها ما هو غير مؤثر. وفي العادة يكون المتناظران والحكم من الشخوص المؤثرة، وأما الحضور فلا يؤثرون في مجريات المناظرة.

ومنه، انقسمت الشخوص التي كانت حاضرة في مناظرة الحيدة نوعين، شخوص فاعلة ومؤثرة في فعاليات المناظرة ومجرياتها، وهما الطرفان المتناظران والحَكَم، وشخوص أخرى متابعة لها راصدة لأحداثها.

الشخصيات المتناظرة أو الطرفان المتناظران

وهما عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكناني الذي يمثل السنة والجماعة القائلة بأنّ القرآن كلام الله عزّ وجلّ، وبشر بن غيّاث المريّسي الذي يمثل التيار الاعتزالي القائل بخلق القرآن الكريم والمنتصر له، وقد تحققت في كليهما شروط المتناظرين

شروط المتناظرين:

الكفاءة التداولية:

يتوجب على المتناظرين معا أن يتمتعا بكفاءة تداولية معرفية يتكافآن فيها، لأن الكفاءة التداولية عنصر هام وضروري في نجاح الأحداث اللغوية والتواصل بين المتناظرين، فهي قدة المتكلم على التواصل مما يستدعي منه امتلاك خمس ملكات تمكّنه من أداء هذه العملية على أحسن وجه، وهذه الملكات يحدّدها سيمون فان ديك في: "الملكة اللغوية، الملكة المنطقية، الملكة المعرفية، الملكة الإدراكية، والملكة الاجتماعية"[1]

مما يفترض توافر مجموعة من الملكات لدى المتناظرين على رأسها الملكة اللغوية، " فأدنى معرفة يجب أن يتوفّر عليها المتناظران هي الملكة اللغوية، وهي الملكة التي يستطيع من خلالها المتكلم أن ينتج أو يؤوِّلَ كلاما بنيات متنوّعة ومعقدة، إنتاجا وتأويلا صحيحين في مواقف تواصلية مختلفة."[2]

كما يجب أن:

[1] - ينظر أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط، 1995، ص17.

[2] - فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص17.

- أن يكون المناظر معتقدا، أي على اعتقاد تام واقتناع كامل لما يناظر لأجله أي منتصرا للمذهب الذي يدعو إليه.
- أن يكون مناظرا بكل ما أوتي من حجج وأدلة وبراهين..
- أن يكون محاورا ملتزما بآداب الحوار وشروطه.

وقد كانت مناظرة الحيدة بحق صداما بين منظومتين فكريتين متباينتين تماما، وهي مناظرة حجاجية دارت بين قطبين من أقطاب الفكر العربي الإسلامي يمثل كل قطب منهما منظومة فكرية تختلف عن المنظومة الفكرية التي ينتمي إليها القطب الآخر، حيث يمثل الكناني المنظومة المعرفية المتعلقة باللسان العربي ومنهج علم الكلام البرهاني الحجاجي القرآني[1].

وأما بشر فيمثل المنظومة المعرفية المرتبطة بالفلسفة والتأويل الباطني، ما يجعل الخلاف جليا واضحا في الخلفيات والأسس الفكرية والفلسفية والمعرفية لكل منهما، يؤمن بشمولية النص القرآني وكفايته وإلزامه، وما دور العقل فيه إلا للاستنباط والإضاءة فحسب، وهو المذهب الذي يؤكّد على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى.[2]

ويعدّ طرفا المناظرة أو المتناظران أو ما يمكن أن نسميهما الشخوص المتخاصمة التي يتأسس بينها الحوار، وقد يكون في المناظرة شخصان متعارضين، أو جماعة ضد جماعة أخرى، أو شخص يحاور جماعة، ولكن ما يسم المناظرة عموما ويميّزها هو البنية الثنائية[3]، والفعالية الاستدلالية القائمة على خطاب مبني على عرض رأي واعتراضه من طرف ثانٍ[4].

الحَكَم

وهو الشخص العالم بقوانين المناظرة العارف بها وبآدابها، وقد يكون ملكا أو أميرا أو خليفة تتم المناظرة في مجلسه، والحكم عنصر فاعل وفعّال في المناظرة، مؤثر في مسارها، كما فعل المأمون في مناظرة الحيدة، فالخليفة العباسي "المأمون" **الذي** كان حكم المناظرة، هو الذي مكّن للمعتزلة في زمانه مما كان سبب افتتان المسلمين في دينهم، وهو مع ذلك رجل محبّ للعلم والحكمة، عارف بآداب المناظرة وشروطها، وظهر ذلك جليا من خلال تأثيره في مجريات المناظرة، بحيث كان يتدخّل في كثير من المرّات بإلزام أحد المتناظرين بالإجابة عن سؤال مناظره، فمثلا عندما صاح ببشر وأمره بوقف الضجيج والسماع ومناظرة الكناني، كما يخبرنا الكناني أيضا بقوله أنه أقبل على بشر وقال له: " يا بشر، قم إلى عبد العزيز فناظره و أنصفه."[5]، ثم قال أيضا: "ثم أقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز ناظره على ما تريد، واحتجّ عليه،

[1] - ينظر عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص95.

[2] - ينظر المرجع نفسه.

[3] - ينظر مختار الفجاري، الفكر العربي الإسلامي، (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم)، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2009، ص80

[4] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س)، ص66

[5] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص29.

ويحتجّ عليك، وسله ويسألك، وتناصفا في كلامكما، وتحفّظا ألفاظكما، فإني مستمع إليكما متحفّظ ألفاظكما."[1]

هذا الكلام الذي أورده الكناني دليل قاطع بدراية الحكم (المأمون) بشروط وآداب المناظرة وألياتها و كذا أخلاق المتناظرين، والصفات الواجب التخلق بها من طرف كليهما.

وقد لاحظنا في أكثر من مناسبة كيف يدير المأمون فصول المناظرة ببراعة وكيف يحسن إعطاء الكلمة لأحد المتناظرين وكيف يلزمهما بالإجابة أو الردّ.

وبإمكان الحكم وقف المناظرة والحكم لأحد الطرفين، كما بإمكانه توزيع الكلمة بين المتناظرين.

كما كان يشهد على كلام المتناظرين ويتابعه بدقة فلا يفوته منه شيء، كما كان يحرّك مجريات المناظرة بطرحه للأسئلة عند رفض بشر إجابة الكناني كما كان يطرح الاستفسارات للاستزادة من المعرفة في المسائل العلمية التي تثير فضوله.

الشروط الواجب توفرها في الحكم:

- أن يكون عارفا بآداب المناظرة وشروطها.
- أن يكون ملمّا بأركانها.
- أن يكون عارفا بالعلم المتناظر فيه.

الحضور

يكون الحاضرين في العادة ممن دعاهم الحكم، أو أصحاب المجالس من الأمراء لمتابعة تفاصيل المناظرة ومجرياتها، وليس للحضور أي أثر على سير المحاضرة إلا بطريقة عرضية كأن يتدخّل أحدهم بالتشويش أو إثارة الشغب، أو يعمد إلى مضايقة أحد المتناظرين ممن يخالفه الرّأي.[2]

والحاضرون الذين استدعاهم المأمون لحضور فعاليات المناظرة كانوا من علماء الكلام ورؤوس الاعتزال ووجهاء بغداد، و " وجّه إلى القضاة والفقهاء والموافقين لهم على مذهبهم، وسائر المتكلّمين والمناظرين أن يحضروا دار أمير المؤمنين."[3] وقد كانت رغبة الكناني حتى يشهد معظم المعتزلة بطلان مذهبهم وفساد أقوالهم، ورغم أنّ الحضور في مناظرة الحيدة لم يكن ذا تأثير يذكر، إلا أنه كان بعضهم يتدخّل من حين بآخر من أجل التشويش والضجيج على الكناني ليضعه تحت الضغط.

[1] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[2] - حسين الصدّيق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص63.

[3] -الكناني، ، الحيدة والاعتذار، ص26.

ب-الخطاب

هو كلام يتأسّس على منظومة فكرية وقاعدة فلسفية، يستند إليهما كل من المتناظرين، والخطاب نسيج من الآراء والمقولات المشفوعة بالأدلّة والبراهين العقلية والنقلية، ودرجة الانسجام بين المقولات لدى المتناظرين وقوّة الحجّة هي التي ترجّح الكفّة لصالحه، ويهدف الخطاب إلى إعطاء وصف صريح للوحدات اللغوية تحت الدراسة، وذلك من خلال بعدين لهذا الوصف هما:

1. النص :Text يعنى بنية الخطاب الداخلية التي تتآلف منها المفردات، والتراكيب، والجمل.

2. السياق :Contextويعنى دراسة الخطاب في ضوء الظروف الخارجية والمؤثرات المباشرة عليه وظروف إنتاجه، والخطاب الصحفي خطاب اجتماعي يرتبط بالمجتمع الذي يوجه إليه ويحمل قيمه.[1]

كما يهدف الخطاب إلى فك شفرة النص بالتعرف على ما وراءه من افتراضات أو ميول فكرية أو مفاهيم مختلفة، إن الخطاب أكبر من النص، وأشمل من الأيديولوجيا، ويؤثر في نوعية وكيفية استخدام اللغة.[2]

وقد تأسس الكلام بين المتناظرين في مناظرة الحيدة على الخطاب الحجاجي، والحجاج فعالية تداولية حجاجية[3]، حيث راح كل طرف من طرفي المناظرة إلى بسط حججه وعرضها مجتهدا في دحض حجج خصمه لإظهار قوة حججه وصحّة مذهبه وإفحام خصمه لإبطال معتقده.

فقد كان كل طرف من المتناظرين يستند إلى منظومة فكرية تختلف عن منظومة خصمه الفكرية – كما سبقت الإشارة إليه – وقد سعى كل منهما إلى إسناد رأيه ودعمه بمجموعة من البراهين المنسجمة، وعرض نسق من الدعاوي التي يعضد بعضها بعضا، فقد حشد الكناني ترسانة من الحجج المتناسقة التي يسند بعضها بعضا للتأكد من مقالته وهو ما سعى إليه المريسي لدحض مقالة الكناني وإثبات دعواه بخلق القرآن الكريم.

ث-الموضوع

تنطوي كل مناظرة على موضوع معين يتناظر حوله الطرفان، ولضرورة السير الجيّد للمناظرة وتحقيق الغاية المرجوّة منها يتوجّب على المتناظرين تحديد موضوع المناظرة تحديدا دقيقا حتى لا يتم الخروج عنه من طرف أحد المتناظرين أو كليهما[4].

---

[1] - محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1426هـ - 2005م، ص07

[2] - أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 21 - 22.

[3] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديده، (م، س)، ص65.

[4] - ينظر مختار الفجاري، الفكر العربي الإسلامي، (م، س)، ص81.

فيتفق الطرفان على الموضوع المتنازع عليه وتحديد معالمه العامة التي يتم التعرض لها في المناظرة، وغالبا ما يتمّ إشهاد الحكم على الموضوع الذي سيتمّ التناظر حوله، حتّى إذا خرج أحد الطرفين عن الموضوع، نبّه إلى ذلك، أما إذا أصرّ أحد الطرفين على تغيير الموضوع فمن حق الطرف الآخر أن ينسحب من المناظرة، لأن خصمه قد انتقل به إلى موضوع غير الموضوع الذي اتفقا على التناظر فيه.

وأما طبيعة المواضيع التي كان التناظر فيها، فهي عديدة ومتنوعة بحسب الأماكن والأزمنة، إذ إنّ لكلّ عصر إشكالياته التي كانت تطرح للمناظرات. كما عرف العصر مناظرات عديدة حول اختلافات الفقهاء النحويين وعلماء الكلام وغيرهم في مواضيع دينية لغوية وعقدية مختلفة.

وقد تحدّد موضوع مناظرة الحيدة بالفصل في إشكالية القول بأن القرآن الكريم مخلوق أم هو كلام الله عزّ وجلّ، وهو الموضوع الذي طلب الكناني أن يناظر فيه رؤوس المعتزلة، وكل النقاط التي تمّت مناقشتها خلال فصول المناظرة كانت متّصلة بهذا الموضوع أو جزءا منه.

ح-المكان

لكل مناظرة مكان تتمّ حيثياتها فيه، وقد يكون المكان عامّا، كالمساجد والساحات والأسواق، وقد يكون خاصا كمجالس الأمراء والحكام وقصور الخلفاء ورغم أن الإطر المكاني غير مؤثّر في مسار المناظرة إلا أنه يبقى فاعلا في بنيتها كون المناظرة خطابا ينقل خطابات تسند آراء وتفنّد أخرى، إلا أنه حاضر حضور غياب[1] – كما يقول حسين الصديق – بحيث تختلف المناظرات التي تجري في الأسواق في سيرها وموضوعاتها عن تلك التي تجري في المسجد أو في مجلس الخليفة، كما أن الموضوعات المطروحة للتناظر وطرق تعاطيها تختلف من بلد لآخر، فموضوعات الذات والصفات الإلهية لم يتمّ تعاطيها في منطقة نجد كما تمّ تعاطيها في العراق، وانتقال الكناني من مكة إلى العراق لمناظرة بشر خير ما يدل على ذلك، حيث يقول:" اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن ... فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي...، حتى قدمت بغداد...."[2]

وقد جرت أحداث مناظرة الحيدة في قصر المأمون، ما أثار الرهبة في نفس الكناني الذي لم يكن له عهد بمجالس الأمراء، فقد كان غريبا عن بغداد بعيدا عن أهله وعمن ينصره في مجلس اعتزالي بامتياز كون مجلس الخليفة كان يملؤه أهل الاعتزال القائلين بخلق القرآن.[3]

[1] - حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، (م، س)، ص63.

[2] -الكناني، الحيدة والاعتذار، (م، س)، ص21، 22.

[3] - ينظر المصدر نفسه، ص27.

ج-الزمان

وهذا الركن يتحدد من جانبين: فالجانب الأول يتمثل في فترة انعقاد المناظرة كخطاب، وهي الفترة التي تبدأ فيها المناظرة وتنتهي عندها، أما الناحية الثانية، فتتمثل في الزمن العامّ، أو الحقبة التاريخية التي جرت فيها المناظرة، والزمن ليس ذا دور هام في بنية المناظرة أو ذا تأثير يذكر عليها، وإنما يبقى ذا أهمية على مجرياتها، فالمناخ الفكري العام والسائد في تلك الفترة يرتبط بمجموعة من المعطيات التي تعالجها المناظرة وتسهم فيها، والمواضيع التي يتمّ طرقها في المناظرات غالبا ما تكون وليدة العصر، وعليه، فإنّ موضوعات المناظرة تختلف باختلاف الأزمان.

وقد جرت مناظرة الحيدة في زمن بني العباس أيام خلافة المأمون[1] في النصف الثاني من القرن الرّابع للهجرة، وهو الزمن الذي انتشرت فيه الفتن وكثرت فيه الفرق الكلامية، وخاض فيه المتكلمون مواضيع جريئة تتعلق بالذات الإلهية خاصة بعد اطلاعهم على ثقافات الشرق و تعرّفهم على الفلسفة اليونانية[2]، وقد بدأت المناظرة صباح يوم الاثنين، يقول الكناني:" فلما كان يوم الاثنين، صليت الغداة في مسجدي ... وإذا بخليفة عمرو بن مسعدة قد جاء ومعه خلق كثير فحملوني...حتى صاروا بي على باب أمير المؤمنين..."[3] إلا أنه لم يحدّد بدقة تاريخ المناظرة.

الأركان الجزئية للمناظرة

أو تداوليات المناظرة

والأركان الجزئية تمثل المستويات الجزئية للمناظرة وترتبط بتفاصيلها، ونبدأها ب:

أ/ السؤال:

تستهلّ المناظرة دوما بمسألة يطرحه أحد الطرفين ويثيرها على شكل سؤال ليعجز بها خصمه، وهو الاعتراض على مقالة المدّعي، مما يجعل المنع مرتبطا بالادّعاء ارتباطا وثيقا، فموضوعه مرتبط بموضوع

---

[1] - أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس، ولد عام 170 هـ 786 وتوفي غازياً في 19 رجب عام 218 هـ 10 أغسطس سنة 833 بطرسوس، شهد عهده ازدهارًا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول، وذلك لأنه شارك فيها بنفسه. توفي هارون الرشيد عام 809م في خراسان وأخذت البيعة لابنه الأمين وفقا لوصية والده التي نصت أيضًا أن يخلف المأمون أخاه الأمين، إلا أن الخليفة الجديد سريعًا ما خلع أخاه من ولاية العهد، وعين ابنه موسى الناطق بالحق وليًا للعهد، وكان المأمون آنذاك في خراسان، فلما علم بأن = أخاه قد خلعه عن ولاية العهد أخذ البيعة من أهالي خراسان وتوجه بجيش لمحاربة أخيه، وقد استمرت الحروب بينهما أربع سنوات، إلى أن استطاع المأمون محاصرة بغداد والتغلب على الأمين وقتله عام 813م، ظافرًا بالخلافة. للاستزادة، ينظر عيسى الحسن، الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ص155. وينظر أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص101، 102.

[2] - ينظر، أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د. ط، د، ت، مصر، ص358.

[3] - عبد العزيز الكناني، الحيدة، ص25.

الادّعاء، وحججه مرتبطة بحججه، وكل ما فيه يأتي سجاليا اعتراضيا قاصدا منع الادّعاء بطريقة تفاعلية، على اعتبار أنّ الادّعاء هو الذي يحدّد استراتيجيات المنع[1]، هذا الأخير الذي ينبني على استراتيجيات الادّعاء.

فبعد أن اتفق الكناني وبشر المريسي على أن يكون نص التنزيل حجّة بينهما دون تأويل أو تفسير، وبعد أن وافق المأمون -بصفته – حكما على ذلك، أقبل الكناني بصفته السائل على بشر ليحرك مجريات المناظرة، معلنا عن بدايتها الفعلية، بدفعه إلى عرض ادّعائه، الادّعاء يكون إجابة عن سؤال المناظرة يقول الكناني: "فأقبلت على بشر فقلت: يا بشر ما حجّتك أن القرآن مخلوق، وانظر إلى أحدّ سهم في كنانتك، فارمني به..."[2].

والسؤال يكون مرتبطا بالقضية التي اتفق حولها المتناظران والحَكَم، على أن تكون موضوعا للمناظرة، فأصل القضية برمتها شبهة خلق القرآن الكريم والسؤال المركزي الذي تأسست حول محوره المناظرة: **"هل القرآن مخلوق؟"**.

ب/ الادّعاء:

الادعاء يعتقد صدق القضية، يطالب المخاطب بأن يصدّقه فيها، مما يوجب على صاحب الادّعاء إتيان أدلّة وحجج على دعواه، ومن حقّ المخاطب مطالبته بها وتقويمها، ومنطوق الادّعاء يجب أن يكون صادقا، أما معناه فيقبل الصدق كما يقبل الكذب.[3] و يكون المعلّل في الأصل – كما يقول حبنكة الميداني – هو البادئ بالكلام ثم يوجه السائل عليه اعتراضه،[4]

وقد ينعكس الأمر ضمن المناظرة فيتحوّل السائل إلى تقديم تصديق جديد، فيكون حينئذ معللا، ويكون مقابله الذي يعترض عليه سائلا.[5]

وقد أورد طه عبد الرحمن مجموعة من الشروط التدليلية، ليتحقق الاعتراض، نذكر منها،

1- شروط المضمون القضوي، يكون مبنى التدليل على مجموعة من الادعاءات في صورة مجموعة من القضايا.

2- شروط الصّدق، إذ يعتقد المدّعي صدق قضايا دليله وصحتة هذا التدليل.

3- شروط تمهيدية، يعتبر المدّعي المعترض صادقا في اعتراضه ومصدّقا بقضايا دليل الاعتراض وبوظيفتها التدليلية.

---

[1] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س)، ص76.

[2] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص33

[3] - عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س) ص75.

[4] - حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (م، س)، ص374.

[5] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- الشرط الجوهري، يقصد المدّعي بتدليله إقناع المعترض عليه بالعدول عن منعه.[1]

ويكون الادعاء في مناظرة الحيدة إجابة عن السؤال الذي يطرحه الخصم، فالمدّعي هنا هو بشر الذي يجيب عن سؤال الكناني بقوله " تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت شيء فقد أقررت أنه مخلوق إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنصّ التنزيل، وإن قلت أنّه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنّ حجّة الله على خلقه ليس بشيء."[2]

وقد امتلك "بشر" شروط الادعاء إذ إنه:

- معتقد صدق ما يدعيه.
- ويطالب المعترض "الكناني" بأن يصدقه فيما يدعيه.
- كما أنه ساق لادعائه حججا تساند دعواه.
- للمعترض "الكناني" حق المطالبة بالبيّنات وتقويمها.
- منطوق ادعائه صادق ومفهومه قابل للتكذيب.[3]

غير أن الادّعاء ليس حكرا على بشر كما أن السؤال ليس حكرا على الكناني كما ظهر جليا في المناظرة.

فأثناء سير أحداثها يتحول بشر إلى سائل ويتحول الكناني إلى مدّعٍ، فالادعاء والمعارضة كانا بالتناوب بين المتناظرين بحسب ما اقتضته حيثيات المناظرة، فبشر أراد الإيقاع بالكناني ووضعه في موقف حرج، فردّ على سؤاله بسؤال، ليكون جواب هذا السؤال الأساس الذي يبني عليه إجابته للكناني مما يلزمه الإجابة كي يجيبه بشر.

ج/ المعارضة:

أو المنع، ويقصد بها ردّ مقالة المدّعي، وقد لعب الكناني دور المعارض في مطلع مناظرة الحيدة، فبعد أن انتهى بشر من مقالته وأتمّ دعواه، أقبل عليه الكناني قائلا: " سألت عن القرآن وهو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد أنه شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم، فهو شيء، وإن كنت تريد أنّ الشيء اسم له وأنّه كالأشياء فلا."[4]

انتهاء المناظرة

ولا بدّ في المناظرة من أن تنتهي بعجز أحد المتناظرين عن دفع دليل الآخر.

---

[1] - عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س) ص76، 77..

[2] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص33

[3] - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 75، 76.

[4] - الكناني، الحيدة، ص34

كان للمناظرة منذ بدايتها هدف واحد، هو الوصول هو إلى حقيقة المسألة المتنازع عليها، لذلك لا بدّ للمناظرة أن تصل إلى التسليم بصدق دعوى أحد المتناظرين، وإبطال دعوى خصمه، فنهايتها تكون بعجز أحد الخصمين.

فإن كان العاجز هو السائل سمي مُلزَما وسمي عجزه إلزاما، وإن كان العاجز هو المعلّل سمي مفحَما وسمي عجزه إفحاما[1]، ويكون العجز إما بتصريح العاجز إما (السائل)أو (المعلّل)، أو بسكوته عن الإجابة.

و قد مثّل عجز بشر وانهزامه بالنسبة للكناني في مناظرة الحيدة انهزاما للمذهب المعتزلي الذي كان بشر يمثله في هذه المناظرة.

ومما زاد من وطأة الهزيمة على الكناني وأتباعه، أن المناظرة جرت في مجلس الخليفة المأمون وبحضوره وقد دلّ على ذلك فرح المسلمين واستبشارهم بنصر الكناني وزوال الغمّ عنهم بعد ذلك.

قال الكناني: "فقال لي المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، وما قلت في يومك هذا أحسن ولا أدق من هذا. فقلت: قد أكذبت والله أهل هذه المقالة وكسرت قولهم ودحضت حجتهم وأبطلت مذهبهم بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير والحمد لله رب العالمين."[2]

استراتيجيات الحجاج في مناظرة الحيدة:

الحيدة والاعتذار، ضبط المفهوم وتحديد المصطلح

عرفت الساحة الأدبية العربية تعددا وتنوعا واضحا في طرق طرح الرؤى والأفكار كما تعددت الأساليب البلاغية الحجاجية الإقناعية والإفهامية التي شهدها فن السجال الأدبي في طرح الأفكار والتصورات وإثبات صحتها أثناء تراشق الأطراف المتناظرة بالحجج والبراهين من خلال المناظرات بعدّها فن التحاجج والإفحام لا سيما في العصور الزاهرة التي شهدها أدبنا العربي والتي لونتها المواضيع المرتبطة بالقرآن الكريم وعلومه ولتشبع طرفيها به وبثقافته، مما جعلها تقيم حججها من سحر بيانه وقوة منطقه وبراعة برهانه واستدلالاته في إثبات الرأي وإفحام الرأي الآخر ودحضه ومحاولة إقناعه بالعدول عن موقفه من جهة، ولكونها تعبر عن الثقافة الإسلامية التي تتشبع بها البيئة العربية من جهة أخرى.

فبالقدر الذي اجتهد فيه كثيرون في بثّ الفتن لنخر عضد الأمة الإسلامية بهدف إضعافها وتفكيكها، بقدر ما قيض الله رجالا أثروا الثقافة الإسلامية وأوقفوا حياتهم لإقامة ضرح الدين وتصحيح المفاهيم المغلوطة بفضل تشبعهم بقيم الدين الحنيف وتعاليمه السمحة وثقافته الشاملة..

ومن أبرز تلك الطرق والأساليب وأهمها أسلوب الحيدة والاعتذار..

---

[1] - حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (م، س)، ص455.

[2] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص88.

نحاول بداية التعرّف على مفهوم الحيدة.

الحيدة لغة:

ورد في لسان العرب الجذر اللغوي (ح ي د) كالتالي: "الحيد هو ما شَخَصَ من نواحي الشيء، وجمعه أحياد وحيود، وحَيْد الرأس ما شخص من نواحيه، وقال الليث: الحَيْد كلّ حرف من الرأس، وكل نتوء في القرن وغيره ... و الجمع حيود.[1]

وجاء في الصحاح:[2]

حاد عن الشيء يحيد حُيوداً وحَيْدَة وحَيْدودَةً: مال عنه. وقولهم: حيدي حَيادِ، هو كقولهم: فيحي فَياحِ. وحايدَهُ مُحايدةً وحِياداً: جانَبَهُ. وحِمار حَيَدي، أي يحيد عن ظِلّه لنشاطه، ويقال كثير الحُيودِ عن الشيء. والحَيْدُ بالتسكين: حَرفٌ شاخِصٌ يَخْرُجُ من الجبل. يقال: جَبَلٌ ذو حُيودٍ وأَحْيادٍ، إذا كانت له حروفٌ ناتِئَةٌ في أَعراضِهِ لا في أَعاليهِ. والحَيْدة: العقدة في قرن الوعل، والجمع حيود. وكل نتوء في القرن والجبل وغيرهما حيد. وحِيَد أيضاً، مثل بَدْرَة وبِدَرٍ والحَيْدانُ: ما حادَ من الحَصى عن قوائم الدابّة في السَيْرِ[3].

وفي مختار الصحاح حادَ عنه يحيد حَيْدَةً و حُيُوداً و حَيْدُودَةً أي مال عنه وعدل[4].

وجاء في معجم الغني: حيْدٌ والجمع: حُيود وأحْياد (ي ي د) مصدر حاد "حَيْدُ الجَبَلِ" : مَا يَنْشَأُ وَيَبْرُزُ مِنْ نُتوءٍ فِي نَوَاحِيه. "جَبَلٌ ذُو حُيودٍ" "حَيْدُ الرَّأْسِ"، "حُيودُ القَرْنِ" : مَا تَلَوَّى مِنْهُ و "حَيْدُ الوَلَدِ" : نَظِيرُهُ، مِثْلُهُ[5].

وأما معجم الوسيط في العربية فيرى أن الحَيْدةُ : الحياد يقال: ما نظر إِليّ إلا نَظَرَ الحَيْدَةِ: نظر سَوْءٍ، فيه ميل وانصراف و الحَيْدةُ العُقدةُ في قرن الوعْل[6].

ويقال: ضربَهُ على حَيْدَة رأْسه، أَو حَيْدِهِ، وعلى حَيْدَتَيْ رأْسه: وْهما العُقْدتان في جانبيه. والجمع : حِيّدٌ.[7]

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد3 ، مادة (ح ي د)، م، س ص158

[2] - إسماعيل بن حماد *الجوهري*، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجزء2 ، مادة (ح ي د)، نقلا عن منتدى معاجم العربية، متاح على الموقع https://www.maajim.com/dictionary اطلع عليه بتاريخ 2022/08/20.

[3] - المرجع السابق

[4] - زين الدين الرازي، مختار الصحاح، عن الموقع نفسه.

[5] -المعجم الغني، عن الموقع نفسه

[6] - المعجم الوسيط، متاح على الموقع: https://www.almaany.com/، بتاريخ2022/08/21

[7] - المرجع نفسه.

والحيْد بسكون الياء، "حرف شاخص يخرج من الجبل، يقال: جبل ذو حيود وأحياد، إذا كانت حروفه ناتئة في أعراضه لا في أعاليه."[1]

تتفق المعاجم العربية جميعها قديمها وحديثها على أن الدلالة القريبة للجذر (ح ي د) تتلخص في معنى عدول الشيء وانحرافه وميله عن السبيل الأصل، وانتهاجه أو أخذه طريقا أخرى أو نهجا آخر غير الذي حدد له.

الحيدة في الاصطلاح:

تعرف الحيدة اصطلاحا بأن يجيب المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جوابا عمّا سئل عنه، أو ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذي كان آخذًا فيه، وإنما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدلّ بعد معارضة بما يدلّ أن المعترض لم يفهم استدلاله فينتقل عنه إلى استدلال يقطع به الخصم عند فهمه.[2]

وبالتالي، فالحيدة هي انصراف الخصم عن الإجابة عن السؤال الذي يطرحه المناظر، ليجيب عن سؤال آخر عندما يدرك وقوعه في حرج، ووقوعه في مسألة يستحيل حلّها منطقيا أو تتعسّر الإجابة عنها، وكأنه هروب يمارسه المناظَر من أجل التخلص مما وقع فيه.

الحيدة في القرآن الكريم

وردت الحيدة كأسلوب في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فقد سأل بشر الكناني بقوله: هل تعرف الحيدة؟ فقال الكناني: نعم إني أعرف الحيدة في كتاب الله عزّ وجلّ، وهي سبيل الكفّار التي اتبعتها. فسأله المأمون بقوله: يا عبد العزيز هل تعرف الحيدة في كتاب الله؟[3]

فأجاب الكناني: نعم يا أمير المؤمنين، وفي سنة المسلمين، وفي لغة العرب، فقال المأمون: وأين هي من كلام الله؟ فقال الكناني: قال الله عزّ وجلّ: "" **هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرّون"**[4] وإنما قال لهم إبراهيم عليه السلام هذا ليكذبهم فيعيب آلهتهم ويسفّه أحلامهم فعرفوا ما أراد بهم وإنهم بين أمرين: إما أن يقولوا نعم يسمعوننا حين ندعو وينفعوننا ويضرّوننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم إنهم قد كذبوا، أو يقولوا لا يسمعوننا حين ندعو ولا ينفعوننا ولا يضرّوننا فينفوا عن آلهتهم القدرة، وعلموا ان الحجّة قائمة لإبراهيم عليه السلام في أي القولين أجابوه عليه، فحادوا عن كلامهم واجتلبوا كلاما من

---

[1] - إسماعيل بن حماد الجوهري الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 1407 هـ - 1987 م، ص297

[2] - ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمّد شرف، القاهرة، مصر، 1383هـ، ص565. كما ينظر بديع القرآن للمؤلف نفسه، ص 281.

[3] - عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكناني المكي، الحيدة، تع وتص: إسماعيل الأنصاري، دار عمّار للنشر، الأدن، ط01، 1409 هـ – 1988م، ص32.

[4] - سورة الشعراء الآية 73

غير ما سألهم عنه فقالوا: ﴿ **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[1]، ولم يكن هذا جوابا لمسألة إبراهيم عليه السلام.

ومن الحيدة أيضا ما جاء في قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم -عليه السلام- في قوله للجبار النمرود ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.[2]

فقال النمرود للخليل عليه السلام: "أنا أحيي وأميت" ثم دعا برجل فقتله، ودعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، فلما علم الخليل –عله السلام– أنه (أي النمرود) لم يفهم معنى الإماتة والإحياء اللذين أرادهما وقصدهما، انتقل إلى استدلال آخر[3]، فقال: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾، فأتاه باسم لا يجد لاسمه اسما مشتركا معه، فتعلّق بظاهره على طريق المغالطة، أو لأنه لم يفهم إلا ذلك الوجه الذي تعلّق به.[4]

لم يجد النمرود بُدّا للخلاص من حجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام له، فاعتمد الحيدة عن الجواب سبيلا للمغالطة، ولما أدرك الخليل أن النمرود يحيد عن الجواب أخبره بقوة الله عز وجل وقدرته على الإتيان بالشمس من المشرق وطلب منه إتيانها من جهة المغرب، وهنا بهت النمرود.

فلا جرم أن النمرود الجبار انقطع، وأخبر الله تبارك وتعالى بذلك حيث قال: ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[5]، وفيه نوع يحيد المسؤول عن خصوص الجواب إلى عمومه لتفيد تلك الحيدة زيادة بيان لا تحصل بخصوص الجواب.[6]

الحيدة في الحديث الشريف

ما جاء في قول السيدة عائشة ﷺ حين سألتها امرأة: "أتدخل المرأة الحمام؟" فقالت: كل امرأة وضعت ثيابها في غير بيتها فقد عصت، أو كما قالت، [7] يقول ابن أبي الإصبع المصري: " فانظر إلى حيدتها – يقصد السيدة عائشة – إذ حادت عن الخصوص إلى العموم لتفيد زيادة في البيان وتستوعب جميع أحكام الباب.[8]

---

[1] - سورة الشعراء الآية74.

[2] - سورة البقرة الآية 258.

[3] - ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، (م، س)، ص265.

[4] - المرجع نفسه، ص566.

[3] - سورة البقرة الآية 258.

[6] - ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، (م، س)، 266

[5] - وصواب الحديث: ما من امرأة خلعت ثيابها في غير بيتها، إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب.

[8] - ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، (م، س)، ص566.

فهذا مثال ما يأتي من الحيدة عن الجواب بسبب سوء فهم الخصم، أو لقصد الزيادة المفيدة، فالمرأة سألت السيدة عائشة عن دخول المرأة الحمام وهو سؤال مخصوص، لتجيبها على عدم جواز خلع المرأة ثيابها في غير بيتها سواء كان ذلك في الحمام أو غيره، وهي حيدة تقصد منها العموم للإفادة. ونرجّح الإفادة والتعميم على سوء الفهم، إذ لا يجوز في مقام السيدة عائشة اتهامها بسوء الفهم وإنما هي حيدة منها لزيادة الفهم من خلال عموم الإجابة لفائدة نساء المسلمين كافة.

الحيدة في سنة المسلمين وكلامهم:

تذكر الآثار قصّة عمر بن الخطاب ﷺ مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ كما يذكرها الكناني في مجلس المأمون، ويوثقها في كتاب الحيدة، حيث يروى أنّ عمر بن الخطاب قال لمعاوية وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقّأ شحما، فقال: "يا معاوية ما هذه الشحمة لعلّها من نومة الضحى وردّ الخصوم، قال له معاوية: يا أمير المؤمنين رحمك الله علّمني وفهّمني"[1] ولم يكن هذا جواباً لقول عمر ﷺ إنما حاد عن جوابه لعلمه بما فيه، فاجتلب كلاما غيره فأجاب به.

وأما الحيدة في كلام العرب فقول امرئ القيس:[2]

تقول وقد مال الغبيط بنا معا *** عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل

فقلت لها سيري وأرخي زمامه *** ولا تبعديني من جناك المعلل.[3]

فقد حاد امرؤ القيس عن إجابة المرأة في البيتين من خلال ردّه عليها واجتلب كلاما لا يمتّ بأية صلة بما طلبته منه.

الاعتذار : بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي

الدلالة المعجمية:

ورد في لسان العرب مادة (ع ذ ر) " العذر: الحجّة التي يعتذر بها، والجمع أعذار، يقال اعتذر فلان اعتذارا وعذرة ومعذرة من دينه، فعذرته وعذر يعذره فيما صنع عذرا، وعذرة وعذرى ومعذرة والاسم المعذرة، يقال: لي في هذا الامر عذر وعذرى ومعذرة: أي خروج من الذنب"[4]

---

[1] - ينظر أبو عبد السلام جابر البسكري، الحيدة عن الجواب والمراوغة فيه، الحلبي وأتباعه أنموذجا، مقال متاح على موقع: منتديات التصفية و التربية السلفية، https://www.tasfiatarbia.org بتاريخ: ديسمبر2014، اطلع عليه بتاريخ2022/08/25.

[2] الكناني، الحيدة، (م، س)، ص33.

[3] - البيتان من معلقة امرئ القيس، ينظر محمّد بن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2004، ص66.

[4] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ذ ر)، ص 628.

ويقال: "الاعتذار هو روم الإنسان إصلاح ما أنكر عليه الكلام، يقال: عذرته، فأنا أعذره عذرا، والاسم العذر، وتقول عذرته من فلان أي لمته"[1]

أوردت معاجم اللغة الاعتذار على أنه طلب الإصلاح والخروج من ذنب ارتكب أو خطا اقترفه أو إثم اجترحه.

الاعتذار في الاصطلاح

و يقول محمد عبد الرؤوف المناوي الاعتذار هو: "تحرّي الإنسان ما يمحو به أثر ذنبه، وذلك ثلاثة: أن يقول لم أفعل، أو فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه ذنبا، أو فعلت ولا أعود، ونحو ذلك، والثالث هو التوبة، فكل توبة عذر ولا عكس.[2]

ويقولون اعتذرت المنازل أي درست على طريق التشبيه بالمعتذر الذي يندرس ذنبه بإبراز عذره."[3]

ويقال: " الاعتذار إظهار ندم على ذنب تقرّ بأنك لك في إتيانه عذر، فكلّ توبة ندم، و لا عكس، والتوبة الرجوع عن المعصية إلى الله عزّ وجلّ".[4]

وبالتالي، فالاعتذار مرادف للتوبة والندم، كما أنه اعتراف بالخطأ والعدول عنه ومحاولة تصحيحه والنزول إلى الحق.

ومنه، فمناظرة الحيدة والاعتذار التي صنفها الكناني حيدة عن الإجابة وحياد عنها، واعتذار من خلال الحيدة عن الاعتذار يكون نوعا من أنواع الحيدة من خلال مباغتة المسؤول للسائل بالمنطق، وهو أسلوب بلاغي يلجأ إليه المسؤول أو أحد أطراف السجال أو المناظرة عند عجزه وإفحام خصمه له، فيلجأ إلى تحويل النقاش وجهة أخرى بطريقة سلسة من خلال طرح سؤال يتضمّن جانبا آخر للفكرة مرتبط بالجانب الأول دون أن ينتبه الخصم بذلك، فيعيب عليه عدم الإجابة و يطالبه الإقرار بالهزيمة والتخلي عن موقفه وتبني الموقف المثبت، هذا إن كان في وسط الكلام، وإن كان آخره، فيكتفي المسؤول بالسكوت دون أن يغير موقفه.

[1] - ينظر أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص253.

[2] - عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، 1990 م، ص 239.

[3] - المرجع نفسه، ص239، كما أنه متاح على منتدى المعجم، على الموقع: https://www.almougem.com/

[4] - حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1430، 3 هـ 2009 مص 431.

الاستراتيجيات الحجاجية في مناظرة الحيدة والاعتذار:

استراتيجيات الاستهلال والابتداء في المناظرة

استراتيجية التجريح:

ويظهر ذلك جليا ذلك في "إبراز عيب من عيوب المناظر الخَلقية أو الخُلقية أو الفكرية والمعرفية."[1]

وقد لجأ أحد أنصار المعتزلة الحاضرين بمجلس الخليفة إلى هذه الاستراتيجية كي يؤثر على مشاعر المأمون ويقضي ببطلان مقالة الخصم قبل بداية المناظرة، حيث سمع عبد العزيز الكناني أحد الحضور يقول للمأمون: " يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فو الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجها منه."[2]

فقال الكناني للخليفة، أقول شيئا فيأذن لي أمير المؤمنين فيه؟ قال الخليفة: قل كما تريد، قال عبد العزيز: أسألك بالله منْ أجملُ مَن بلغك من البشر وأحسنهم وجها من جميع ولد آدم؟ قال الأمير: - بعد أن أطرق مليا – يوسف (عليه السلام)[3].

فقال عبد العزيز: صدقت يا أمير المؤمنين فو الله ما أعطي يوسف على حسن وجهه جرادتين، ولقد سجن وضيّق عليه من أجل حسن وجهه ظلما بغير حقّ بعد أن وقف على براءته وإقرار امرأة العزيز أنها هي راودته عن نفسه فاستعصم، فحبس بعد ذلك كلّه لحسن وجهه.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[4]

فدلّ بقوله على أنه حبس بغير ذنب، لكن العلة حسن وجهه وليغيبوه عنها وعن غيرها رجاء تغير حلية وجهه وليذهب بحسنه، فطال في السجن مُكثه حتّى عبر الرؤيا ووقف الملك على علمه ومعرفته وحسن عبارته، فاشتاق إليه ورغب في صحبته، فقال "**إيتوني به أستخلصه لنفسي** " وكان هذا القول من الملك بعد تعبير يوسف الرؤيا ووقوف الملك على حسن عبارته، وكما أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه قبل أن يسمع كلامه، فلمّا دخل عليه وسمع كلامه صيّره على خزائن الأرض وفوّض إليه الأمور كلّها واعتزل منها، فكان ما بلغه من يوسف كلّه من كلامه وعلمه، لا بجماله وحسن وجهه، قال الله عزّ وجلّ " فلما كلمه قال إنك لدينا مكين أمين، قال اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم" ولم يقل إني حسن جميل، فو الله

---

[1] - ينظر رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد، بنغازي ط01، 2010، ص19

[2] - عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكناني المكي، الحيدة، تع وتص: إسماعيل الأنصاري، دار عمّار للنشر، الأردن، ط01، 1409 هـ، 1988م، ص27.

[3] - ينظر المصدر نفسه، ص30.

[4] - سورة يوسف، الآية 35.

ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو معي، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه والعلم بتنزيله."[1]

من هنا تجلّت براعة عبد العزيز الكناني في الرد ومقدرته الفذّة في الحجاج والرد المفحم على التجريح الذي تعرّض له من قبل أحد الحاضرين مجلس المأمون. ليقنع الأمير في النهاية أن العبرة بعلم الرجل وحكمته ومعرفته وبراعته في القول لا بجمال وجهه وحسن تقاسيمه.

استراتيجية الحجاج بالمثل:

أولا المثل من القرآن الكريم

ويستعمل المثل بوصفه حالة ملموسة[2]، وذلك من أجل إثبات أطروحة الخصم أو تفنيدها[3]، ويكون بضرب مثل للقضية المراد إثباتها[4]، فلكي يدحض الكناني دعوة الرجل الذي استقبح وجهه أمام الخليفة، استعمل حجة من القرآن الكريم وأخر العيان، فكان المثل من القرآن الكريم، قصّة سيدنا يوسف عليه السلام الذي اضطهد وسجن رغم حسنه وجماله وأُخرج من السجن لما عرف من علمه وحكمته. فسأله المأمون: " وأي شيء أردت به هذا القول وما الذي دعاك إليه؟ فأجابه الكناني أنه سمع بعض من ههنا يقول يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه." فما يضرّني قبح وجهي مع ما رزقني الله عزّ وجلّ من فهم كتابه والعلم بسنّة نبيه صلى الله عليه وسلّم ؟"[5]

ثانيا: المثل من العيان:

فقول الكناني للأمير أنه رآه ينظر إلى النقش في الحائط وينكر انتفاخ الجصّ، وقد عاب وزيره عمل الصانع ولم يعب الجصّ، فقال المأمون: "العيب لا على الشيء المصنوع و إنما العيب على صانعه."[6] وهنا أاستغل الكناني الحجة لصالحه وقال: "صدقت يا أمير المؤمنين وقلتَ الحقَّ، فهذا يعيب ربي لمَ خلقني قبيحا؟"[7]، فتبسّم الأمير حتى ظهر ذلك وقال يا عبد العزيز ناظر صاحبك، فقد طال المجلس بغير مناظرة.

---

[1] - المصدر نفسه، ص 31.

[2] - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2005، ص32.

[3] - ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2008، ص131.

[4] - ينظر أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط01، 2007، ص81.

[5] - الكناني، الحيدة، ص31.

[6] - المصدر نفسه، ص31.

[7] - المصدر نفسه، ص33..

إن ما اعتمده الكناني من حجج بالمثل من القرآن الكريم أو من العيان للرد على بعض من بالمجلس بعد ما سمع تجريحه له يمكن أن يعد حجة تمهيدية وظفها الكناني ليقوّي مركزه أمام المأمون قبل بداية المناظرة. ولعله نجح في ذلك مبدئيا ودليل ذلك رضى الخليفة وإعجابه به.

استراتيجية الخطاب الحجاجي في كتاب الحيدة:

الاستراتيجيات اللغوية في الحجاج:

إن نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو وأنسكمبر " تبيّن أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية "[1].

إذ لا يختلف اثنان في كون الحجاج يقوم على اللغة، التي تعدّ ركنا ركينا وأساسا قويا فيه، ويتوخى المحاجج من حجاجه التأثير في مخاطبه والتغيير من سلوكه، وبالتالي، فاللغة وفق هذا التصوّر نظرية لسانية تعنى بكيفية توجيه المتكلّم خطابه إلى مستمع متوسلا بها –أي اللغة – قصد التأثير ولتحقيق غاياته الحجاجية، ولو بعضا منها وذلك انطلاقا من المقولة القائلة " إننا نتكلّم عامة بقصد التّأثير".[2]

فاستعمال اللغة من قبل المحاجج ليس عفويا كونه مرتبط بأهداف وغايات يرمي إلى تحقيقها، فوصول المحاجج إلى هدفه مرهون بنجاح الحجاج، وبالتالي فهو مرهون بقدرة خاصة على استعمال أساليب لغوية مناسبة لسياق الحوار ومقامه.

مما يجعل اللغة أو الخطاب اللغوي عموما يقتضي توفر آليات محدّدة ومناسبة من أجل تحقيق التلقي المطلوب من المخاطَب، الذي من خلاله يصل الحجاج إلى غاياته الخطابية التي ينشد المخاطِب تحقيقها في مخاطَبه.

وتعدّ الاختيارات اللفظية والتركيبية التي يعتمدها المناظر لغاية حجاجية فيحلّ اللفظ المحدّد مكانا معينا ليقود المتلقي إلى غاية ما، ويعتمد تركيبا دون آخر ليقنعه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كلّيته، ذلك أنّ " الانتقاء " قانون حجاجي عامّ يعني الاختيار الواعي والدّقيق لدقائق الخطاب قبل قضاياه الكبرى.[3]

وتعد مناظرة الحيدة من الخطابات الحجاجية الثرية بالاستراتيجيات المتنوعة في الحجاج، اللغوية والبلاغية والتداولية والمنطقية، ولم يكن استعمال اللغة في خطاب الحيدة مجرّد استعمال أو مجرّد

[1] - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردنّ، ط01، 2010، ج1، ص56.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص102.

ممارسة أو عادة ملفوظة، كان اتسمت اللغة في خطاب الحيدة بأنها آلية خلقت من المعنى الواحد معاني متعدّدة.

فقد حاولت الدراسة في هذا الجانب التطبيقي من هذا البحث تقصي بعض استراتيجيات الحجاج التي تضمنتها مدوّنة الحيدة والاعتذار، كون الحجاج فاعلية جدلية وفكرية تستند على الجانب المعرفي وتتكئ على مقامات القول وسياقات التلفظ من خلال استعمال اللغة بأبعادها الاجتماعية والمذهبية من أجل تقصي القوة الحجاجية واستقصاء مكامنها.

وبالتالي، يمكن القول أنّ "الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشّر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشّر له في بنية اللغة نفسها."[1]

الروابط الحجاجية في مناظرة الحيدة les connecteurs argumentatifs

الروابط "وحداتٌ لغوية تربط بين ملفوظين أو أكثر بغية الوصول إلى نتيجة محدّدة"[2].

أي إنها تربط بين متغيرات تؤدي إلى نتيجة معينة، وقد ميّز أبو بكر العزّاوي أنواعا عديدة من الرّوابط.

العوامل والروابط الحجاجية في مناظرة الحيدة:

الروابط الحجاجية (les connecteurs (argumentatifs)

هي وحدات لغوية تربط بين ملفوظين أو أكثر بغية الوصول إلى نتيجة محدّدة[3]، أي إنها تربط بين متغيرات تؤدي إلى نتيجة معينة، وقد ميّز أبو بكر العزّاوي أنواعا عديدة من الرّوابط...

تكمن القوة الحجاجية لأي خطاب في درجته الحجاجية التي تشكّل توليفة لغوية منسجمة ومتّسقة في الذهن بشكل منطقي ودلالي، ولا يخلو خطاب من الأدوات اللغوية التي تربط عناصره فيما بينها، وتبيّن مقاصده لحدوث التّأثير والإقناع، يرى أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot : وأنسكومبر Jean Claude Anscombre " أننا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير، وهذا التّأثير و الحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنّما يحصل بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطّبيعية التي يتوافر عليها المتكلّم." ذلك أن اللغة نفسها وفي حدّ ذاتها تحمل في مضامينها صفة جوهرية حجاجية" [4]

[1] - أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، اللغة والحجاج، (م، س)، ص55.

[2] - ينظر، أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص63.

[3] - ينظر، أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، ص63.

[4] - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، (م، س)، ص56.

فاللّغة إذن وظيفة حجاجية، ولمّا كانت التسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد التي تمّ تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصّة بالحجاج.[1]

فاللغة العربية مثلا تتضمّن عددا كبيرا من الروابط الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلّا بالإحالة على قيمها الحجاجية، ومن هذه الأدوات نذكر: **لكن، بل، إذن، حتّى، لاسيّما، إذ، لأنّ، بما أن، مع ذلك، تقريبا، ما، إلا... وغيرها من الروابط**، وكل رابط من هذه الروابط يؤدي وظيفة حجاجية خاصة.[2]

و ويعرّف الرابط على أنه مورفيم منصنف الروابط المتمثّلة في حروف العطف، الظروف وغيرها، يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة.[3]

و قد أورد أبو بكر العزاوي أنماطا من الروابط، منها:[4]

- الروابط المدرجة لحجج قوية، وتتمثل وظيفة هذه الروابط في إيراد الحجّج، هذه الروابط من مثل: **حتى، بل، لكنّ، لا سيّما**....
- الروابط المدرجة للنّتائج، وتتمثّل وظيفة هذه الروابط في إيراد النتيجة، وتمثلها مورفيمات مثل: إذن، بالتالي، لهذا.
- الروابط التي تدرج حججا ضعيفة.
- روابط التعارض الحجاجي، وهي مجموعة من الروابط التي تربط بين الحجج المتعارضة من مثل: بل، لكن، مع ذلك ...
- روابط التساوق الحجاجي، وهي الروابط التي تربط بين الحجج المتساندة، من مثل: حتّى، لا سيّما.

العوامل الحجاجية: Les operateurs argumentatifs

لا تربط هذه العوامل بين متغيّرات حجاجية أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تفعل فعل الحصر والتقييد، من مثل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، لا، ...إما، إلّا، وأدوات القصر.[5]

وتختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية في أن الثانية تربط بين متغيرات حجلجية – كما يقول العزاوي _ (أي تربط بين الحجّة والنتيجة، أو بين مجموعة من الحجج)، وأما الأولى فتقوم بتقييد الإمكانات الحجاجية بالقول وحصرها.[6]

---

[1] - ينظر قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي عي الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 2012، ص 35.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] - محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص90.

[4] - أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[5] - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، (م، س)، .ص27- 30.

[6] - المرجع نفسه، ص25.

وقد تضمن خطاب الحيدة جملة من هذه الروابط والعوامل، نحاول في هذا المبحث رصد عدد منها:

1-الرابط لكنّ:

وهذا الرابط الحجاجي في معناه النحوي هو حرف مشبّه بالفعل، من أخوات إنّ، أما بالنظر إلى معناه الدلالي، فهو يفيد الاستدراك، أي تعقيب الكلام برفع ما يتوهّم ثبوته أو نفيه[1].

والأداة لكنّ رابط حجاجي من الأدوات اللغوية التي "تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لا بدّ أن يتقدمها كلام من مناقض لما بعدها."[2] ولذا يكون ما بعدها نتيجة مناقضة وداحضة لنتيجة سابقة لها أثناء الحجاج، إضافة إلى أنّ الحجّة الداحضة في النتيجة الثانية تكون أقوى منها في النتيجة الأولى.

ومن الأمثلة الواردة في مناظرة الحيدة، قول الكناني: " فلمّا أظهر الله عزّ وجلّ اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشاء المخلوقة، **ولكنّه** أظهره عزّ وجلّ باسم الكتاب والنور والهدى..."[3]

وبالتالي، يرد التعارض الحجاجي بين الحجة الأولى التي وردت قبل الرابط الحجاجي (لكن) وما بعده، فما قبل الرابط أي قول الكناني: (فلمّا أظهره الله عزّ وجّل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء، فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في...)، يتضمن حجة من ورائها أن كلام الله جلّ في علاه ليس أبدا كالأشياء.

ولمّا أظهره الله لم يظهره باسم الشيء للإلحاد في أسمائه وصفاته التي هي من ذاته والتي سيدخلونها ضمن الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره الله تعالى باسم الكتاب والنور والهدى، فسمى كلامه كما قال الكناني: "نورا وهدى وشفاء ورحمة وحقّا وقرآنا وأشباه ذلك، بعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما إنّهم سيلحدون في أسمائه وصفاته التي هي من ذاته، وسيدخلونها في الأشياء المخلوقة."[4]

فالمقصود إذن من كلّ هذا هو أن القرآن الكريم لا يدخل أبدا ضمن الأشياء المخلوقة. والرابط **(لكن)** غير مجرى المعنى الأول، وحقق نتيجة أخرى غير الأولى المتعارضة، وبالتالي، كانت نتيجة الحجّة الثانية أقوى وأوكد من الأولى.

---

[1]- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف)، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، الشركة المتحدة للتّوزيع، القاهرة، مصر، ط11، 1983، ص148.

[2]- أبو هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، تح:: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط06، 1985، ص383.

[3]- عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، (م، س)، ص 36.

[4]- المصدر نفسه، ص 36

أما في المثال الثاني، فنجد المأمون يقول في موضع آخر على لسان الكناني: "العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنّما يقع على الصانع، قال عبد العزيز: قلت: صدقت يا امير المؤمنين: **ولكن**، هذا يعيب ربي لما خلقني قبيحا."[1]

ويمكن عرض هذه الحجّة كما يلي:

- الحجة الأولى (ح1): العيب لا يقع على الشيء المصنوع.
- الرابط الحجاجي: **لكن**
- الحجة الثانية (ح2): هذا يعيب ربي لما خلقني قبيحا.
- النتيجة الأولى (ن1): العيب يقع على الصانع (الإنسان)
- النتيجة الثانية (ن2): العيب لا يقع على الصانع (الله عزّ وجلّ)
- وبالتالي: فالنتيجة الثانية تعارض النتيجة الأولى ولا تساويها أبدا.

لقد غيّر الرابط الحجاجي (لكن) مجرى الاستنتاج تماما، فأوجد نتيجة مخالفة تماما ومتضاربة مع ما قبل الرابط (لكن) إلى ما بعده من كلام.

فالكناني قصد بقوله أن العيب يقع على الصانع من ظاهر الكلام إذ إن الصانع لم يتقن عمله في صنع الجصّ المنتفخ والظاهر للعيان، فالصانع هو المسؤول عن انتفاخ الجص في الجدار، فهل الله تعالى هو المسؤول عن خلقه عبده قبيحا؟

وبالتالي إذا كان الاعتراض الأول يفيد لوم الصّانع (الإنسان)، فهل يفيد الاعتراض الثاني المعابة على الخالق، كلاّ وحاشا. ولا يمكن أبدا أن يعاب الله على خلقه. وهو تماما ما كان الكناني يرمي إليه ويقصده.

2-الرّابط: بل

يفيد هذا الحرف الإضراب، بمعنى "إبطال حكم سابق عليها الانصراف إلى الحكم التالي[2]، وقد تعني أيضا: "ترك الحكم السابق عليها كما هو والانتقال من غرض إلى غرض آخر."[3]

وفي الحجاج تتوسط (بل) حجّتين تكون الثانية أقوى واشمل من الأولى، كما يبينه المخطط التالي:

حجّة (ح1) ← بل ← حجّة (ح2) أقوى وأشمل

وقد ورد في قول الكناني لبشر: " إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله، أمؤمن هو أم كافر؟ قال بل كافر حلال الدّم. فقال: فأخبرني عمن قال من أنّ التوراة خلقها اليهود من دون الله تعالى، أمؤمن

[1]- المصدر نفسه، ص31.

[2]- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، (د، ت)، ص12.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم، قال الكناني، فأخبرني عمن قال أن بني آدم خلقوا الله، وأنّ الله أخبر بذلك، أمؤمن هو أم كافر؟ قال بل كافر حلال الدم.."[1]

من هنا، نجد أن الرابط الحجاجي (بل) يقدم علاقة حجاجية مركّبة بين حجتين متضادتين ضمنيا، ف (بل) في الأمثلة السابقة تقدّم حججا تكون أقوى من تلك الأولى التي وردت قبل الرابط (بل)، كما لم يظهر ضعفها بعد الرابط (بل) وقد كان الاعتراض الثاني الذي ورد بعده (بل) موصلا إلى نتيجة الحجاج المقصودة ومعزّزا لها.

فقد أورد الكناني مجموعة من الحجج المفضية إلى نتيجة واحدة، فالقائلون بأن بعض البشر خلقوا القرآن، والقائلون بأن بعضهم خلقوا التوراة، والقائلون أن بعضهم خلقوا الله عز وجلّ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، كل من هؤلاء كافر حلال الدّم وهو ما قاله خصمه المريسي ووافقه عليه.

وكل ذلك ليقر أن الخلق غير الجعل في بعض المواضع من القرآن الكريم، وليحمل خصمه على الإقرار بلسانه بإحلال دمه، فكانت بذلك حججه قوية وكان بذلك مفحما لمناظره.

ومن الحجج القرآنية التي ساقها الكناني:

- الحجّة الأولى التي استدلّ بها، قوله عزّ وجل: (كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين)[2].
- وفي الحجّة الثانية استدل بقوله تعالى: (وما قدروا الله حقّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها)[3].
- وأما في حجّته الثالثة، فقد استند إلى قوله عزّ وجلّ (وجعلوا لله أندادا)[4].

3-الرّابط أمّا:

هو حرف "شرط وتفصيل وتوكيد"[5]، ويمثل هذا الرابط مع جملته حجّة لنتيجة لا تقبل الرّد و الشّكّ.[6] وفق المخطّط التالي:

(أمّا) الحجّة (ح): ← النتيجة (ن) مؤكّدة.

ومن الأمثلة التي وردت في مناظرة الحيدة، قول الكناني:

---

[1]- عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، (م، س)، ص 62..

[2]- سورة الحجر، الآية90.

[3]- سورة الانعام، الآية91.

[4]- سورة إبراهيم، الآية 30.

[5]- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، (م، س)، ص80.

[6]- حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفّع، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، ص265.

- ف**أمّا** الجعل الذي هو على معنى الخلق.....حجة (ح)
فإنّ الله عزّ وجلّ جعله من القول المفصل..... نتيجة (ن).

- و**أما** الجعل الذي بمعنى التصيير الذي هو غير االخلق .....حجة (ح)
فإنّ الله عزّ وجلّ أنزله من القول الموصل[1].....نتيجة (ن).

4-الرابط لو:

للحرف لو معان كثيرة، ويكون رابطا حجاجيا إذا كان بمعنى الشرط، ويفيد عندها ثلاثة أمور هي:[2]

أ/ عقد السّببية بالمسبّبية بين الجملتين بعدها.

ب/ تقييد الشّرط بالزّمن الماضي.

ج/ امتناع السّبب.

ويستفاد من استعمال هذا الرّابط الاحتياط والتحفظ على نتيجة حجاجية، [3] تبعا للمخطط التالي:

لو حجّة 1 ← نتيجة 1 **لا تساوي أبدا** حجّة 2 ← نتيجة 2

ونتلمس ذلك في قول الكناني: "و**لو** أن ما في الأرض جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يكتب بها والبحر مداده يمدّه من بعده سبعة أبحر بالمداد والخلائق كلهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا الشّجر.....حجّة (ح).

ما نفدت كلمات الله. [4] .....نتيجة (ن).

5-الرّابط لأنّ:

وهي أداة تربط من خلالها النتيجة بسببها وبعلتها.[5] وهو ما يوضحه المخطّط التالي:

لأنّ.... الحجة (ح) ← النتيجة (ن)

ومن نماذجها، قول الكناني: " وهذا مما تفرّد الله بعلمه ومعرفته وحجب عن الخلائق جميعا علمه، فلم يخبر به ملكا مقربا ولا نبيّا مرسلا، ولا علمه أحد قبلي ولا يعلمه أحد بعدي.....حجة (ح)

لأنّ علم الله أكبر. ←نتيجة (ن)

---

[1]- عبد العزيزالكناني، الحيدة والاعتذار، ص69.

[2]- ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص337.

[3]- حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، (م، س)، ص266.

[4]- عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص48.

[5]- ينظر حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفّع، (م، س) ص 269.

وأوسع وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه.[1]←سبب (س)

هذه نماذجٌ فحسب عن بعض الروابط الحجاجية العديدة الواردة في مناظرة الحيدة، نحاول فيما يلي عرض بعض العوامل الحجاجية الواردة

العوامل الحجاجية Les opérateurs argumentatifs الواردة في مناظرة الحيدة:

العوامل الحجاجية لا تتعلّق بربط مكوّنات الحجاج فحسب، وإنّما ترتبط بحصر وتقييد هذه المكوّنات، وإحالة المتلقي إلى المقصود من النتائج، وبخاصة حينما يكون اعتقاده بخلاف ذلك المقصود[2].

من العوامل التي وردت في خطاب الحيدة اقتصرنا على القصر والشرط.

أولا: القصر:

هو تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بأمر آخر بطريقة. مخصوصة[3]، و يتمّ القصر بطرق مختلفة منها: التقديم والتأخير، والنفي مع الاستثناء، والاداة (إنّما)، ويسهم القصر في الحجاج على تقييد الحجّ بالنتيجة وتخصيصها بها، كما يدفع المخاطب إلى استنتاج تلك النتيجة اعتمادا على إمكانات الحصر والتقييد الواردة في الحجاج، ومن الأمثلة الواردة في مناظرة الحيدة نذكر قول الكناني:

النموذج الأول:

"وما نسبت إلّا ما نسبه إليه وارتضاه له"[4]

ليكون التمثيل كالتالي:

- **وما← (نفي)**
- **نسبت← (نتيجة)**
- **إلا← (استثناء)**
- **ما نسبه إليه وارتضاه له. ← (حجّة)**

النموذج الثاني:

" ما قلت يا عبد العزيز منذ اليوم إلا ما تقوله العرب وما تتغامل به وتتعارف."[5]

- **ما قلت يا←..(نفي)**

---

[1]- عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص69.

[2]- ينظر حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفّع، (م، س) ص 270.

[3]- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د، ط، بيروت، لبنان، 1984، ص159.

[4]- عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص72.

[5]- المصدر السّابق، ص74.

- عبد العزيز← (**نتيجة**)
- منذ اليوم إلّا ما تقوله العرب←.(**استثناء**)
- وما تتعامل به وتتعارف←.(**حجّة**).[1]

تظهر من خلال المثالين مكونات الحجاج انطلاقا من عملية الحصر والتقييد التي يوفّرها القصر عن طريق النفي والاستثناء.. والمخطّط التالي يوضّح ما سبق:

أداة النفي النتيجة ← أداة الاستثناء الحجّة

(ما) (إلّا)

ثانيا :الشرط:

وترتبط جملة جواب الشرط بجملة الشرط ربطا منطقيا ودلاليا من حيث الأسباب والنتائج،[2] حسب الشّكل التالي:

أداة الشّرط + جملة الشّرط ←جملة جواب الشّرط.

وترتبط جملة جواب الشرط بجملة الشرط من حيث الأسبابُ والنّتائج، واستعمال هذا العامل الحجاجي أثناء الحجاج يؤدي إلى ربط النتيجة بحجّتها ربطا منطقيا ودلاليا، يظهر أثره في المتلقّي لتقبّل النتائج. إذ إن الشرط عامل حجاجي يسهم في إقناع المتلقي.[3]

ومن النّماذج الواردة في خطاب الحيدة،

قول الكناني: " **فأذن لي في الدخول، (...)، فقال لي: إن احتجت إلى أن تجدّد طهرا فافعل، فقلت لا حاجة لي بذلك**، ..."[4]

ف - (إن) ←أداة الشّرط

- احتجت إلى أن←جملة الشّرط
- فافعل ←جواب الشّرط.

النموذج الثّاني:

قال الكناني:" (...) واعلم علما يقينا أنّه إن ظهرت حجّتك عليهم انكسروا وانقطعوا وانقطع كلامهم عنك(...) وصار أمير المؤمنين وسائر الأولياء والرعية معك عليهم"[1]

---

[1] - ينظر حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفّع، (م، س) ص 275.

[2] - حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفّع، (م،)، ص273.

[3] - ينظر المرجع نفسه،

[4] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص26.

- (إن)← . أداة الشّرط
- ظهرت حجّتك عليهم ←جملة الشّرط
- انكسروا وانقطع كلامهم عنك←جواب الشّرط1
- وصار أمير المؤمنين وسائر الأولياء والرعية معك عليهم ←جواب الشّرط2

النّموذج الثالث:

قال الكناني:" (...) وإن ظهرت حجّتهم عليك أذلّوك وقتلوك وأشهروك وجعلوك للخلق عبرة"

- (إن) ←أداة الشرط
- ظهرت حجّتهم عليك ←جملة الشّرط.
- أذلوك وقاتلوك ←جواب الشرط

ومن هنا، فالروابط والعوامل الحجاجية بعدّها وسائل لغوية وبوسمها آليات إقناعية تستعمل أدوات لها بعد نحوي تركيبي، وبعد آخر دلالي حجاجي، فهي لا تقتصر عند الاستعمال على ربط مكونات الحجاج فيما بينها فحسب، وإنّما تسهم أيضا في الإحالة والإشارة إلى النتيجة المقصودة من خلال تحديد موقعها في البنية الخطابية الحجاجية، تبعا لتوظيف هذه الروابط الحجاجية.[2]

كما أنها تسهم كثيرا في عملية بناء مكوّنات الحجاج وترتيبها وفق منطق مقنع، يوجّه المتلقي أثناء الحجاج إلى النتائج المرجوّة، وتأتي هذه الوسائل اللغوية متضافرة لتحقيق تلك المقاصد من خلال تأثيرها في المتلقي.[3]

6-الاستراتيجيات التداولية وآلياتها

أ/ أفعال الكلام

تعد نظرية أفعال الكلام من أبرز نظريات الاتّجاه التداولي، والفعل الكلامي هو " كل ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلا عن أنّه يعد نشاطا مادّيا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ، وغايات تأثيرية تتمثل في ردود أفعال المتلقي كالرفض والقبول، وبالتالي فهو فعل يطمح لأن يكون فعلا تأثيريا."[4]

وتتضمن مناظرة الحيدة نماذج عديدة من هذه الأفعال نحاول رصدها في الاستفهام والنفي بعدهما من أكثر الأفعال قوة من إنجازا وحملا للمقاصد.

---

[1] - المصدر نفسه، ص27.

[2] - حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفّع، (م،)، ص273.

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص274.

[4] - مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، ص40.

7-الأساليب الإنشائية:

تضطلع الأساليب الإنشائية بدور هام في العملية الحجاجية، إذ كثيرا ما تنبني الحجّة بأسلوب إنشائي وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائية حججا قائمة بالذّات بما توفره من إثارة وما تستدعيه من عواطف و أحاسيس، ذلك أن الأساليب الأساليب الإنشائية خلافا للخبرية لا تنقل واقعا ولا تحكي حدثا – كما تذهب إلى ذلك سامية الدريدي – ولا تحتمل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، وإنّما تثير المشاعر وتشحن من ثمّة بطاقة حجاجية هامّة.[1]

ذلك لأنّ إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي وهو ما أكده " بيار أوليران" في قوله: " الأمر والتهديد وإثارة مشاعر الخوف كلّها حجج، لأنها دون أن تحدّد آليا الموقف توفّر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف.[2]

ونحاول من خلال هذا الحيّز أن نفرد للحجاج قضيتين هامّتين تتعلّق الأولى ب "السؤال" والثانية ب "الأمر والنّهي".[3]

أولا السؤال:

حظي الاستفهام أو السؤال منذ الفلسفة اليونانية باهتمام كبير، بل ويقترن السؤال بميلاد الفلسفة لأن وظيفة الفلسفة الأولى ليست سوى المساءلة التّأسيسية، وقد أكّد سقراط أن عملية التفلسف لا تعدو أن تكون طرحا لأسئلة لا تبحث عن أجوبة، بل تحاول الكشف عن الجواب المتوهّم لدى المخاطب.[4]

ويعد الاستفهام من أبرز الأفعال الكلامية من حيث قوة الإنجاز التي تبرز مقاصد المتكلم، بالرّغم من عدم تصريحه فهو يعمد إلى التضمين والإضمار والتلميح.

ويعرّف الاستفهام بأنّه " طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، (بأداة خاصة من أدوات الاستفهام). وهو الاستخبار الذي قالوا فيه أنّه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم،[5] ومنهم من فرّق بينهما، وقال أن " الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حقّ الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما، ولكنّ الدائر في كتب البلاغة مصطلح (الاستفهام) وهو من أساليب الإنشاء أو الطلب."[6]

---

[1] ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ، إربد، الأردن، ط1، ص140.

[2] - المرجع نفسه، 140

[3] - المرجع نفسه، ص140.

[4] - المرجع، ص140.

[5] - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، لبنان، ص181.

[6] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

و الاستفهام أنواع وأغراض متعددة نذكر منها: النفي، التعجب، الإنكار، التمني، التقرير، التحقير، الاستبطاء، الاستبعاد، التهكم والاستهزاء، الوعيد والتهديد، التحضيض.

ونحاول في هذا المبحث إدراج ما له صلة واضحة بالحجاج من خلال توظيفه في طاقة السؤال الإقناعية.

وقد تضمنت مناظرة الحيدة عددا كبيرا من تلك الأنواع الاستفهامية وغير الاستفهامية، أي أساليب استفهام تتضمن أسئلة حقيقة تستدعي وتستوجب أجوبة عنها، وأساليب استفهام غير حقيقي الغرض من طرحه تحقيق قوى إنجازية محدّدة، وقد وردت كما يلي:

1- **سؤال التقرير:** التقرير كما يعرفه أحمد مطلوب " هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده."[1]

ومن هنا، يتجاوز استفهام التقرير بُعدَه الاستقصائي إلى أبعاد دلالية أخرى، وهو ما يظهر في أسئلة بشر المريسي للكناني حول الأصل الذي يرجعون إليه وبه يحتكمون، فقد استهلّ الكناني بقوله جلّ في علاه:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً).[2] ليسأله بشر : "وأين أمرنا الله أن نرد ما اختلفنا فيه إلى كتاب الله وسنّة نبيّه."[3] فمن السياق ومقام الكلام نجد أنّ الاستفهام يتضمن سؤالا تقريريا غرضه الاستفتاح لأنّ المناظرة لا تتم ولا تكون إلا بوجود التعارض والاختلاف والجدل لتتحدّد القوّة الحجاجية للمناظر.

2- سؤال الحصر، السؤال الاستجوابي والسؤال الجدلي

ويعد هذا الاستفهام الدّثر حول القرآن الكريم، أشيء هو أم غير شيء، قوّة حجاجية قويّة كونه يضمّن ثلاثة أنواع من الاستفهام:

أ- **سؤال الحصر:** تقول القرآن شئ أم غير شئ؟

- **السؤال الاستجوابي**: فإن قلت إنه شئ أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنّ حجة الله على خلقه ليست بشيء.

- **السؤال الجدلي**: الاستفهام في عمومه يطرح جدلًا واسعا، وتظهر قوته الإنجازية في أنه حدد استراتيجية بناء المناظرة وذلك من خلال:

[1] - المرجع نفسه، ص190.

[2] - سورة النّساء، الآية59.

[3] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص32.

• تحديد جوانب القضية التي ستدور حولها المناظرة، والتي سيكون موضوع النقاش فيها حول: كون القرآن شيء، وبالتالي فالقرآن مخلوق وهو ما يدّعيه بشر وينتصر له، ومن الجانب الآخر: القرآن ليس شيئا، فهو غير مخلوق وهو ما يؤمن به الكناني ويدافع مستميتا عنه.

• استفزاز الخصم من خلال الإجابة عن السؤال بدلا عنه حتى يجعله يخرج كل ما عنده من حجج دفعة واحدة، فيكون الاعتراض عليه حول الموضوع. حيث يقول الكناني:" فقال (يقصد المريسي): تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت إنه شيء أقررت إنّه مخلوق (...) وإن قلت إنّه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنّه حجّة الله على خلقه...."[1]

فالمريسي يسأل ويجيب في الوقت ذاته عن الكناني الذي يردّ عليه:" ما رأيت أعجب من هذا، تسألني وتجيب نفسك عنّي..."[2]

على أن الغرض والهدف من المناظرة هو الوصول إلى الحقيقة واليقين بأن القرآن الكريم كلام الله القديم وليس مخلوقا، وليس الغرض من التناظر هو الفوز والانتصار والشهرة بعد ذلك.

- **السؤال مع الرأي**: هو سؤال مفخخ سعى من خلاله المريسي الإدعاء على الكناني باثبات حيدته، وأنهما في ذلك سواء، من أجل تغيير الوجهة الحجاجية حيث طلب الانتقال إلى السجال حول قضية أخرى فيما بعد.

- **السؤال التبريري: وهو استفهام يسعى المناظر من خلاله لتبرير موقفه ودعمه بالحجج المختلفة.**

- **السؤال الاستفزازي:** دلالته جلية من عنوانه، فاستفهام الكناني فيه نوع من التحقير والاستنكار لخصمه إذ يعده دخيلا عن العرب وسنن كلامها.

- **السؤال الاستجوابي:** وهو الذي يعمد فيه المحاجج إلى إقحام خصمه في إثبات حجة سابقة، فيستشهده في دحض حجته، ويعدّ هذا النوع من الاستفهام أقل درجة من حيث التأثير والقوة الإنجازية من الأسئلة السابقة.

- **سؤال التوريط:** والغرض منه كما صرّح به الكناني في المدوّنة عند حديثه مع المأمون قصد توريط بشر، إذ لو أقرّ أنّ لله علما كان سيسأله إن كان داخلا في جملة الأشياء المخلوقة وهنا تتحقق القوة الإنجازية حيث يتورّط بشر من خلال الإجابة عن سؤال الكناني له.

ومن النماذج الواردة في المناظرة والمحققة لهذه الأغراض أو القوى الإنجازية يمكن أن نذكر الأفعال الكلامية المتمثلة في الاستفهامات التالية:

1. "وأين ما أمرنا الله أن نردّ ما اختلفنا فيه إلى كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ."[1]

[1] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص33

[2] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والقوة الإنجازية التي حققها الاستفهام هي الاستفتاح، التقرير والاستدراج.

2. " تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت أنّه شيء أقررت لأنّه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنّه حجّة الله على خلقه، وإنّ حجّة الله ليس بشيء. "[2]

والقوّة الإنجازية التي حقّقها: الحصر، التّبرير والاستفزاز.

3. "لا بدّ أن تقول أي شيء هو علم الله؟ أو يقف أمير المؤمنين على حيدتك عن الجواب، فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء."[3]

والقوّة الإنجازية التي حققها الاستفهام هي الادّعاء، إذ ادّعى بشر أن الكناني عاد عن الجواب عن سؤاله.

4. " أفتقرّ يا بشر أنّ لله علما كما أخبرنا أو تخالف التّنزيل؟"، " قد زعمت أنّ لله علما، فأيّ شيء هو علم الله ومعنى علم الله؟"[4]

و القوة الإنجازية التي حققها الفعل الكلامي(الاستفهام) في المثالين توريط الخصم.

5. "هل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمّره؟"[5]

وقد حقق هذا الفعل الكلامي المتمثل في هذا النموذج استنكارا.

6. "وهل في الخليفة أحد يشك في هذا أو يخالف علي فيه إن معنى جعلناه خلقناه؟"[6]

والغرض من الاستفهام في هذا النموذج أو القوة الإنجازية المراد تحقيقها هي التبرير، إذ حاول بشر تبرير ما يدعو إليه بكل الطّرق.

ثانياً أسلوب الطلب والأمر والوظيفة الحجاجية لهما:

اهتم الدارسون بالفعل وعلاقته بالقول في إطار الحجاج اللغوي لإيمانهم بأنّ اللغة كما يقول بيرلمان: " ليست وسيلة تواصل فحسب، بل هي أيضا أداة تأثير في النّفوس ووسيلة إقناع"[7].

---

[1] - المصدر نفسه، ص32.

[2] - المصدر نفسه، ص33.

[3] - المصدر نفسه، ص49

[4] - المصدر نفسه، ص47.

[5] - المصدر نفسه، ص43.

[6] - المصدر نفسه، ص60.

[7] - بيرلمان وتيتيكاه، مصنّف في الحجاج، ج1، ص177، نقلا عن سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربي، (م، س)، ص147.

وأبرز من بحث في الأفعال وعلاقتها بالأقوال أوستين Austin، حيث أكّد أنّه لا يمكن الحديث عن قول في صورته المجرّدة، بل إنّ كلّ قول له غاية عملية ما. وهو في ذاته عمل نقوم به، لذلك يسميه أوستين بالعمل القولي Acte loccutinnaire.[1]

كما توجد أقوال أخرى كثيرة تهدف بالأساس إلى صياغة واقع جديد، وتكون هذه الأقوال بين حضور طرفي الخطاب في المكان والزمان، إذ بمجرّد صياغة القول يحدث فعل و هو ما يسميه أوستين بالعمل اللاقولي Acte illocutionnaire .

وبالتالي، ننتهي إلى أنه لا يوجد قول نقوله إلا وهو يحمل عملين: عملا قوليا وعملا لا قوليا، كما نجد صنفا ثالثا من الأقوال، أقوال تنبيء بفعل ما، بأنّها مجرّد وعود يصرّح بها المتكلّم، فالوعد حاصل بالقول وهو مرتبط بردّ فعل المخاطب، ولذلك، فإنّ العمل الثالث لا يوجد في اللغة خلافا للعملين القولي واللاقولي اللذان هما عملان كائنان اصطلاحيان، وقد سمّاه أوستين Acte perlocutionnaire.[2]

من هنا، يمكن القول أن الفعل اللغوي يقتضي جملة من الأحكام والتصورات، إذ لا ينفصل القول اللغوي عن الفعل، بل القول نفسه قد يكون فعلا خاصّة إذا كنا بصدد خطاب حجاجي، تكتسب فيه الأقوال طبيعة خاصّة، وتوجّه كلها نحو غاية واحدة هي الإقناع أو الحمل على الإذعان.[3]

وقد وردت بعض النماذج في مدوّنة الحيدة حول أفعال كلامية تتمثّل في الطلب والأمر التي تتحقق من خلالها قوة إنجازية تتمثل في الحضّ و الاستنكار والتحقير والاستفزاز ... وغيرها .

من أمثلتها:

أ."سله يا عبد العزيز عما تريد ولا تدع شيئا مما تحتاج إليه فإني متحفظ عليكما"[4]

والقوة الإنجازية المستفادة من هذا الفعل الكلامي الحضّ والنصح. فالمأمون بهذا الطلب يدفع الكناني و يحضّه على سؤال المريسي بكل ما أوتي من علم وحجج.

ب. "يجب عليك أن تجيبه عن مسألته، فإنّه لا بدّ لكلّ مسألة جواب."[5]

والقوة الإنجازية التي حققها الطلب في هذا النموذج الاستنكار مع التّوريط.

ج. "أخبرني عن نفسك ودع ذكر العرب وسائر الناس فأنا من الناس ومن الخلق ومن العرب أخالفك على هذا وكذلك سائر العرب تخالفك."[6]

---

[1] - ينظر أوستين، عندما نعني بالقول الفعل، (Qand dire c'est faire) منشورات (Editions de seuil)، باريس، نقلا عن سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، (م، س)، ص147.

[2] - المرجع نفسه.

[3] - سامية الدريدي، الحجاج في الشّعر العربي، بنيته وأساليبه (م، س)، ص148.

[4] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار ص63.

[5] - المصدر نفسه، ص50.

[6] المصدر نفسه، ص61.

وقد حقق هذا الفعل الكلامي قوة إنجازية أفادت التحقير والاستنكار والاستفزاز.

أسلوب النفي:

ويعرّف النفي بأنه "آلية للنقض، تفتّت أسس الرّأي أو تنزع عنه المصداقية وتثبت بدله الرأي المتبنى، وعليه، فإن السياق الخاص الذي توظف فيه المناظرة النفي هو سياق الانتقاد والمنع والاعتراف، لذلك عدّ البلاغيون القدامى النفي سلبا"[1].

وهو بذلك يرتبط بالمناظرة أكثر من غيره، كونها تقوم على الاعتراض والانتقاد كما يرى عبد الفتاح عادل " فالاستراتيجية الحجاجية التي يقودها النّفي في المناظرة تتوخّى أساسا الإبطال وتجاوز إثبات نحو إثبات آخر يقام على أنقاض ما ينفى، وفي تحقيقها لهذا البعد الإقناعي، تتاح الغلبة لأحد المتناظرين، مع ما يرافق ذلك لفائدة معرفية، بحيث لا يكون المناظر باعتراضه قد كشف عمّا في القضية التي أراد المجيب حفظها من الخلل."[2]

كما أن النفي حسب -المتوكّل- "يعدّ آلية إقناعية في الخطاب الطبيعي، تفتّت الري المضاد وتدحظه أو تشكك فيه بهدف قلب اعتقاد الخصم أو إبطاله من خلال الجحد المتمثّل في إنكار أطروحته، والتعويض الذي يتعدّى الجحد إلى تقديم الأطروحة البديلة."[3]

ويسعى النفي إلى الاعتراض على رأي الخصم وتفنيده وكشف مغالطاته لفتح " ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه"[4] ليضعف دعواه ويصيبها بالاضطراب.

وقد ورد النفي في مناظرة الحيدة كما يلي:

النّفي والاعتراض:

ويقصد به نفي المناظر حجة خصمه دون الاهتمام بإثبات الرأي الصواب، وإنما يهاجم خصمه بذلك من خلال النفي من أجل زعزعة ثقته بنفسه ومن أجل أن يثبت عجزه عن الإقناع.

ومثال ذلك من المناظرة: " ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بد من جواب يفهم ويعقل أنه شيء يعقل أو غير شيء "[5]

---

[1] - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الضفاف، بيروت لبنان، ط1، 2013م، ص223.

[2] - المرجع السابق، ص229.

[3] - أحمد المتوكّل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التراكيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، د، ط، 1993، ص102.

[4] - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، (م، س)، ص227.

[5] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص34.

- النّفي من أجل الإثبات: وهو نفي لرأي الطرف المخالف، وإثبات صحّة الرّأي بالحجج القوية التي لا يمكن له أن يعاود الاحتجاج ضدّه، ومثاله احتجاج الكناني وإثباته أن القرآن ليس بشيء.

النّفي من أجل الإثبات والنفي.

ومثاله من مناظرة الحيدة: " فدلّ عز وجل بهذه الأسماء كلها وأشباه لها كثيرة أن كلامه ليس كالأشياء وأنّه غير الأشياء، وإنما تكون الأشياء بقوله وأمره ثم ذكر خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئا إلا ذكره وأخرج كلامه وقوله وأمره يدل على أن كلامه وقوله وأمره غير الأشياء وخارج عن الأشياء المخلوقة"[1]

النّفي من أجل النّفي:

والغرض من حجة الكناني هو إبطال ودحض بشر الذي أجاب عن سؤاله عن (علم الله) بأن (الله لا يجهل)، والحقيقة أنه حاد عن الجواب وحيدته بنفي الجهل لا تثبت العلم، فاحتجّ الكناني عليه بأنّ نفي السوء لا يثبت به به المدحة.[2]

ومثاله: " لم يمدح الله تعالى في كتابه ملكا ولا نبيا ولا مؤمنا بنفي الجهل ليدلّ على إثبات العلم"[3]

وقد أسهم هذا التنوع في النفي بقوة في تعزيز القوة الحجاجية للمناظرة بصفة عامة باعتبار أن الموضوع المتنازع فيه والمختلف حوله لا يمكن الفصل فيه إلا من خلال غلبة طرف على طرف وإفحامه بالحجة والبرهان والدليل الذي لا يقبل الشك أو المراجعة.

ثالثا الاستراتيجيات البلاغية:

1-مراعاة المقام ومقتضيات الحال:

تحدث العرب كثيرا عن المقام وعدّوه مناسبة القول وملابساته، ودعوا إلى ضرورة مراعاته وموافقة خصائصه، يقول أبو هلال في الصناعتين:" واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال، فإذا كنت متكلما أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض ما تصلح له الخطب أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد، فتخطّ ألفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فإنّ ذلك هجنة."[4]

---

[1] - المصدر نفسه، ص37.

[2] - المصدر نفسه، ص46.

[3] - المصدر السابق، ص46.

[4] - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشّعر، تح: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1952، ص135.

ويفهم من القول أن العرب القدامى كانوا يربطون المقام بطبيعة الخطاب، وقد كان المقام وأحوال المخاطبين عندهم حلقة وسطى بين الغرض والأداة، ولذا يتغير المقام بتغير الغرض، وتختلف الأداة باختلافهما معا، فالأداة هي كل الوسائل اللغوية والفكرية الضرورية للإقناع.[1]

ومن هنا، فقد عدّ المقام مقياسا من المقاييس التي اعتمدها القدامى في حديثهم عن الأجناس الأدبية، فميّزوا الخطابة عن سائر الأجناس بالمقام الخطابي الذي يتميّز بخصائص عديدة أهمها أن المتلقي يطالب في هذا المقام بفهم النص فهما مباشرا، كما عدّ المقام مقياسا من مقاييس المفاضلة أيضا بين الشعر والنثر.[2]

والمقام أو الموقف السياقي لا يتناول من وجهة بلاغية صرفة فحسب، بل من وجهة حجاجية تعنى بأهمية مراعاة المقام ومقتضيات الحال أمر لا غنى عنه للمتكلم متى رام الفعل في الآخر من خلال إقناعه أو التّأثير فيه، بل إنّ حاجة المتكلّم إلى مراعاة المتلقّي والاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى، ثمّ الفعل فيه في مرحلة ثانية أمر قد أجمع عليه كلّ الدّارسين المهتمين بالحجاج، فالمتلقي هو هدف الخطاب وموجّهه، إذ يحدّد ملامحه ويحدّد اختيارات المتكلّم وطرائقه في الإقناع، كما يتدخل في تنظيم الحجج وترتيب أقسام الكلام.[3]

فخطاب الحيدة فرضه مقام معين و فرضه سياق محدّد هو ما حمل عبد العزيز الكناني على الخروج من بلده مكة والسفر إلى بغداد من أجل لقاء المريسي ومناظرته فيما يقول به ويدّعيه: يقول الكناني: " اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن، ودعاه الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون وعامة الناس وما قد دفع الناس إليه من المحنة، والأخذ في الدخول في هذا الفكر والضلالة، ورهبة الناس وفزعهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسرون به قوله، ويدحضون به حجته ويبطلون به مذهبه..."[4]

ويقول أيضا: " فأزعجني ذلك وأقلقني واسهر ليلي وأطال غمي وهمي فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي عز وجل أسأله سلامتي وتبليغي، حتى قدمت ببغداد فشاهدت من غلظ الأمر واحتداده أضعاف ما كان يصل إليه، ففزعت إلى ربي أدعوه وأتضرع إليه راغباً وراهباً، واضعا له خدي، وباسطاً إليه يدي، أسأله إرشادي وتسديدي..."[5]

---

[1] - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011، ص89.

[2] - المرجع نفسه، ص89.

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص90.

[4] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص21.

[5] - المصدر نفسه، ص22.

الصور البيانية

أ/ التشبيه:

ويعدّ من أساليب البيان المهمة والمتميّزة من خلال مجاليه التصويري والبنائي.[1] ويعرّفه القزويني على أنه " الدلالة على مشاركة أمر لامر في معنى من المعاني، ما لم تكن هذه المشاركة على وجه الاستعارة الحقيقية والاستعارة المكنية."[2] ويقول ابن رشيق أن " التشبيه هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه" [3]

ويقصد ابن رشيق من تعريفه هذا أن التشبيه هو صفة مشتركة بين المشبه والشيء المشبه به يتقاطعان ويلتقيان في صفة أو أكثر وليس في كل الصفات حتى لا يصح المشبه هو نفسه المشبه به.

وأما السكاكي، فيرى "أن التشبيه هو اشتراك شيئين في أمر من الأمور لغرض، أو بمعنى آخر هو اشتراك المشبه بالمشبه به في صفة من الصفات لغرض."[4]

وبالتالي، نخلص مما سبق من تعاريف أن التشبيه هو اتفاق واشتراك أمرين أو شيئين في صفة من الصفات، على وجه معين وبواسطة أداة أو بدونها.

قال عبد العزيز: "وكذلك بشر يا أمير المؤمنين حين سمعني أقول الحقّ وفّقني الله إليه وأنطق به لساني، فقال :إني لعلى بينة من ربي وما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد فأجاب بمثل ما أجاب به فرعون عند سماع الحق واتبع سبيله وما عدل عنه، فبشر مرة يتبع سبيل الشيطان ويأمر ما أمر به الشيطان."[5]

فقد شبه الكناني بشرا بفرعون كونه يدعو ويأمر ما يأمر به الشيطان، وقد جاء التشبيه التمثيلي على وجه حجة دعّم بها الكناني موقفه وأنه على حق وأراد من خلالها أن بشرا على ضلال.، حيث يرى عبد العزيز أن بشرا وفرعون يتفقان ويتشابهان في نكرانهما للحق ودعوتهما للضلالة والشيطان.

وفي نموذج آخر، يقول الكناني:

فقال بشر :ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بد من جواب يفهم ويعقل أنه شيء يعقل أو غير شيء.

---

[1] - محمد كريم الباجلاني، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي في عصري الخلافة والطوائف

[2] - جلال الدين محمد القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح محمد هاشم دوديري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص239.

[3] - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، ج 1، ط1، 1985، ص 174.

[4] - السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، المطبعة الأدبية، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1317 هـ، ص17.

[5] -عبد العزيز الكناني، ص76.

قال عبد العزيز :صدقت إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت، أو كان بمثل ما وصفت به نفسك، فقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[1].

يكتنف هذا القول تشبيه تمثيلي، حيث استدلّ الكناني بقول الله تعالى في رده على بشر، لما وصف بشر نفسه بأنه لا يعقل ولا يفهم ولا يسمع، فوجد نفسه من النفر الذي وصفهم الله بأشر من دب على الأرض من خلق الله، الذين كانوا صمًا عن الحق فلا يسمعونه بكمًا عن التكلم به، وهذه الصورة غاية في التأثير والابلاغ.

ومن نماذج التشبيهات أخرى الواردة في مناظرة الحيدة نجد:

قال عبد العزيز: " فوثب إلي بشر من موضعه الذي كان فيه كالأسد يثب إلى فريسته"[2]، حيث شبه عبد العزيز مناظره بالأسد الذي يوصف بالقوة والشراسة، وهو تشبيه مفرد مفصل، يدل على قوة جسد المناظر قبل عقله.

ويقول عبد العزيز في موضع آخر: " كلّ متناظرين على غير أصل يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفنا فيه في شيء من الفروع، فهما كالسائر على غير الطريق

ويتضمّن هذا القول تشبيها مجملا، حيث شبه سير المتناظرين بدون مرجع أو أصل يعودان إليه لحظة الخلاف، كالماشي على الطريق المنحرف بدون وجهة محددة.

فالتشبيه يجلي المعنى ويقرّبه أكثر ويوضح الأفكار المبهمة.

ب/ الاستعارة:

عرّف بن المعتز الاستعارة في كتابه البديع بأنها:" استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل أم الكتاب ومثل جناح الذل"[3]

و عرّفها ثعلب بقوله: "هي أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه."[4]

وللاستعارة أركان هي:

المستعار منه: وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة أو الكلم وهو بمنزلة المشبه به.

المستعار له: وهو اللفظ الذي تستعار من أجله الصفة أو الكلمة وهو بمنزلة المشبه

[1] - سورة الأنفال، الآية 21.

[2] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص29.

[3] - عبد الله بن المعتزّ، تح: أغناطيوس، كراتشكوفوسكي، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص02.

[4] - أحمد بن يحي ثعلب، قواعد الشعر، تح: محمد رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1995، ص53 و54.

المستعار: وهو الصفة أو الكلمة التي تجمع بين طرفي الاستعارة أي المستعار له والمستعار منه ويقال هو الجامع وهو بمنزلة وجه الشبه.[1]

وتنقسم الاستعارة عند البلاغيين باعتبار المستعار إلى قسمين وهما:

ج/ الاستعارة المكنية:

و عرف السكاكي الاستعارة المكنية بقوله: " هي أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب أو قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئا من لوازم المشبه المساوية."[2]

من تعريف السكاكي نستنتج أن الاستعارة المكنية تتلخّص في ذكر المشبّة وحذف المشبّه به مع ذكر لازمة أو قرينة تدل عليه.

ومن نماذج الاستعارة المكنية المبثوثة في مدوّنة الحيدة، نذكر:

- قال المأمون: " قد كسرت قوله بقوله"[3].

فالمشبه مذكور في المثال وهو الكناني ولكن المشبّه به محذوف وهو الإنسان الذي يمارس فعل الكسر وأدركنا ذلك من خلال دلالة اللازمة أو القرينة اللفظية وهي الكسر.

وبالتالي، جاءت دلالة الصورة البيانية الموظفة قوية وحجتها فعّالة من خلال قول المأمون الذي أكّد الغلبة والإفحام للكناني على بشر من خلال كسر قوله ودحض حجّته وإضعاف قوله وإسقاط اعتقاده.

- قال عبد العزيز: "وإنّما دخل الجهل على بشر..."[4]

فقد ذكر الكناني المشبّه (بشرا)، وحذف المشبّه به في النموذج وذكر قرينة تدل عليه وهي الجهل.

الكناية:

يرى قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" أنها لون من ألوان البلاغة ومظهر من مظاهر البيان، مثلها مثل التشبيه والاستعارة، وهي فنّ من فنون الإيحاء والرّمز..."[5]

ويعرّفها الجرجاني من خلال قوله: " والمراد بالكناية: أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومِئُ به فيجعله دليلا عليه."[1]

---

[1] - ديزيرة سقال، علم البيان بين النظريات والأصول، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان ط1 ، 1997م، ص18

[2] - السكاكي، مفتاح العلوم، ص37

[3] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص54.

[4] - المصدر نفسه، ص71.

[5] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط01، 1978 م، ص1

وأما السّكاكي فعرّف الكناية بقوله:" هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك..."[2] نفهم من تعاريف الكناية أنها تجاوز للمعنى المباشر أو المعنى الأول القريب إلى معنى آخر عميق تحمله الصورة البيانية من خلال الألفاظ الموظفة في الكلام.

ومن نماذج الكناية المدرجة ضمن ثنايا مدوّنة الحيدة نذكر:

فقال: "إن كنت إنما جعلت هذا سببًا لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين فقد حل دمك."[3]

يرمي القول إلى معنى بعيد غير المصرّح به من خلال هذا الملفوظ، حيث يتضمن القول صورة بيانية تمثل كناية (حل دمك) والمعنى البعيد الذي تحيل عليه العبارة هو التهديد بالقتل.

ويقول في موضع آخر: " وجعل ينظر إلي وأنا أرتعد وأنتفض. "[4] فالقول هنا يتضمّن كناية عن الخوف والفزع، فقد رمى الكناني من كلامه تصوير هيأته حال الارتعاد وهو يقصد شدة خوفه.

وفي نموذج آخر يقول الكناني: " واضعًا له خدي، وباسطًا إليه يدي"، والصورة البيانية الواردة في هذا المثال كناية عن الدعاء والتضرع والخضوع لله عزّ وجل.

فالكناية في النماذج السابقة التي سقناها عبارة عن معان مضمنة في ألفاظ لا تشي ولا تصرّح بمعانيها المقصودة إلاّ بعد تروٍّ وتأنٍّ من المتلقي، فالكناية تضمين بالمحمولات من المعاني لا تصريح بها.

المحسنات البديعية:

يمكن للمحسنات البديعية أن تأخذ مسار الحجاج فالبديع كما يعرّفه القزويني أنّه: "تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، و ضرب يرجع إلى اللفظ."[5]

وبالتالي، فالمحسنات البديعية تتعلق بالحجاج وتفعل فعلها الإقناعي والتّأثيري في المتلقّي.

أ/ الطباق:

أو المطابقة وهي من المحسّنات المعنوية، وتسمى الطباق و بالتطبيق والتكافؤ والتضاد، وهي الفنّ الثالث من بديع ابن المعتز، وقد قال عنها: قال الخليل رحمه الله: " طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد... وسماه قدامة التّكافؤ، وقال في تعريفه: ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص66

[2] -السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص 40

[3] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص24 .

[4] - المصدر نفسه، ص27.

[5] - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص255..

شيئا أو يذمه أو يتكلّم فيه بمعنى ما -أيّ معنى كان- فيأتي بمعنيين متكافئين أي متقاومين إما من جهة المضادة أو السلب أو الإيجاب، أو غيرهما من أقسام التقابل"[1] أي ورود اللفظة وضدها في الكلام.

- **طباق الإيجاب**: يجمع بين لفظين مختلفين مادّة. (من حيث المبنى).
- **طباق السلب**: يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي.[2]

ومن نماذجه من مناظرة الحيدة:

يقول عبد العزيز: "فخصّ الله عز وجل العرب بفهمه ومعرفته وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره ومعاني ألفاظه وخصوصه وعمومه ومحكمه ومبهمه، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه، ولم يجهلوه وقبلوه ولم يدفعوه، وعرفوه فلم ينكروه..."[3]

وفي موضع آخر: "فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم. "[4]

فالطباق في المثال الأول بين كلمتي خصوصه ≠ عمومه وبين محكمه≠ مبهمه وبين علموه ≠ يجهلوه وبين قبلوه ≠ يدفعوه وبين عرفوه ≠ ينكروه.

أما في المثال الثاني

بين(أثبت ≠ نفى) و(العلم ≠ الجهل).

ففي المثال الأول أراد الكناني إثبات أن العرب ليست كباقي الأمم إذ أنزل الله تبارك وتعالى القرآن بلغتهم وجعله شرفا لهم مكتتبا على تبيانهم، وفي المثال الثاني ساعد الطباق على تبيان حجة اعبد العزيز وحيدة بشر عن الإجابة، إذ نفي السوء لا تثبت به المدحة – كما قال عبد العزيز - وليؤكد أن لله علمًا ليس داخلا في الأشياء المخلوقة.

نلمس من النماذج الواردة في مناظرة الحيدة أن هذا المحسن البديعي(الطباق)، لم يكن زخرفًا فنيا بقدر ما كان أداة حجاجية و بالتالي حقق مقصودا.

ب/المقابلة:

وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب.[5]

وقال الحموي: "هي التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق. "[6]

---

[1] - أحمد مطلوب، فنون البلاغة، البيان والبديع، دار البحوث العلمية، الكويت، د، ط، 1975، ص269.

[2] - الأزهر الشريف، مذكرة بلاغة التطبيق، معهد العالي للتدريس للأدب وعلم التربية، دب، دط، دت، ص 78،

[3] - عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص54.

[4] - المصدر نفسه، ص46.

[5] - أحمد مصطفى الم ا رغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، دت، ص 322.

[6] - إنعام فوال عكّاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، دط، 1971، ص655.

قال الكناني:" إما أن يقولوا نعم يسمعوننا حين ندعو وينفعوننا ويضروننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم إنهم قد كذبوا. أو يقولوا لا يسمعوننا حين ندعو ولا ينفعوننا ولا يضروننا فينفوا عن آلهتهم القدرة. وعلموا أن الحجة لإبراهيم عليه السلام في أي القولين أجابوه عليهم قائمة. فحادوا عن كلامه واجتلبوه كلاما من غير ما سألهم عنه."[1]

أورد الكناني حجته في شكل مقابلة، ليقنع القارئ المتلقي بأنه على علم ودراية بأسلوب الحيدة، وأن مناظره بشرا قد حاد عن الإجابة، وهي جواب لا يلائم السؤال المطروح، فكانت المقابلة بهذا الشكل أقوى حجاجا وأكثر إقناعا و أشدّ تأثيرا.

ج/ الفصل والوصل:

فالفصل، أو القول المفصل يستغنى به السامع إذا أخبر (به قبل) أن توصل الكلمة بغيرها من الكلام إذ كانت قائمة تدل على معناها. "[2]

ويقول في الموصل: "وفي القول الموصل الذي لا يدري المخاطب (به) حتى تصل الكلمة بالكلمة التي بعدها، فيعلم ما أراد بها، وإن تركها لم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أراد بها ولم يفهمها، ولم يقف على معنى ما عنى بها حتى يصلها بغيرها."[3]

دعم هذا الأسلوب البلاغي قضية الفرق بين الخلق والجعل ومواضعهما فجاءت على النحو

- الجعل بمعنى خلق أتت في القول المفصل. ومثاله قوله عز وجل: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ "[4]

ففي هذه الآية إذا قلنا: " الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض" و "وجعل الظلمات والنور"

هو من القول المفصل، لأن المخاطب لا يحتاج إلى وصل الكلام بغيره كي يفهم، كما كانتكلمة (جعل) قائمة بذاتها غير موصولة بغيرها، فاشتركت في الحكم السابق وكانت هي عين ذاته فجاءت بمعنى "خلق."

- الجعل بمعنى صير أتت في القول الموصل. ومثاله من قوله جلّ في علاه: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[5]

فلو لم يصل جاعلوه من المرسلين لما كانت أم موسى تعقل ما خاطبها به ولا ما عني به سبحانه فأزيل اللبس ووضح المعنى وجاءت **بمعنى صيرناه.**

---

[1] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص45.

[2] - المصدر نفسه، ص69.

[3] - الكناني، الحيدة والاعتذار ص 69 ، 70.

[4] - سورة الأنعام، الآية 01.

[5] - سورة القصص، الآية 07.

ويتفرع الخطاب الحجاجي في مناظرة الحيدة إلى قسمين كبيرين: الحجاج بنص التنزيل والحجاج بالقياس والنظر.

1/ الحجاج بنص التنزيل:

كان التحاجج بين قطبي المناظرة بالنص القرآني دون تفسيره أو تأويله إنما بالتلاوة فقط، وكانت هذه رغبة الكناني وطلبه، يقول في ذلك: " فقلت يا أمير المؤمنين، كل متناظرين على غير أصل يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق، وهو لا يعرف المحجّة فيتبعها، ولا يعرف الموضع الذي يريد فيقصده ... ولكننا نؤصل بيننا أصلا فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى الأصل، فإن وجدناه فيه وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه"[1]، قال المأمون" نِعْمَ ما قلت فاذكر الأصل الذي تريد أن يكون بينكما"، قلت يا أمير المؤمنين الأصل بيني وبينه ما أمرنا عزّ وجلّ واختاره لنا وعلمناه وأدبنا به في التنازع والاختلاف ولم يكلنا إلى غيره ولا إلى أنفسنا واختيارنا فنعجز."[2]

ففي هذا القسم يستنير العقل بالنص القرآني ليكون هو الأداة المركزية التي يعمل داخلها العقل ليبرّر شرعيته حيث يكون حضور العقل في هذا القسم حضورا قويا ليظهر من خلال ما يسمح به النص ليبدو أنه تحت سلطته، لذلك نجد العقل يأتي بالفكرة ويدعمها بالنص، أو يبحث عن الفكرة في النص.[3]

2/ الحجاج بالقياس والنظر:

في هذا القسم الثاني يتحوّل الحجاج بالنص والتلاوة إلى تحاجج بالنظر والقياس، وقد كان ذلك بطلب من بشر المرّيسي وقبول الكناني الذي أفحم بشرا، قال الكناني في الحيدة: " فقال بشر: يا أمير المؤمنين عندي أشياء كثيرة إلا أنه يقول بنصّ التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس، فليَدَعْ مناظرتي بنص التنزيل ولينا‌ظرني بغيره"[4].

وفي هذه المرحلة تنقلب المعادلة ليصبح النص هو الذي يستضيء بالعقل فيعمل النص داخل إطار العقل، ويكون الأخير أداة لإثبات ماهو موجود في النص. ويستقيم الحجاج على القياس والنظر - استجابة لمطلب بشر - في إطار العقل الذي يثبت ويؤكد ما يرد في النص. وراهن بشر الخليفة أن عبد العزيز سيدع قوله ويرجع عنه، و يقول بقوله أي بخلق القرآن وإلا فدمه –أي بشر – للخليفة حلال.[5]

إلا أن الخليفة استهجن مطلب المرّيسي وقال له مستنكرا:" نقول لرجل يناظر بالكتاب والسنة دعهما واخرج إلى النظر والقياس؟ هذا ما لا يجوز، ولكن عبد العزيز وافق بشرا إلى ماطلب إليه وقال

---

[1] - المصدر السابق ص33

[2] - المصدر نفسه، ص16.

[3] - ينظر مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، ص145..

[4] - الكناني، الحيدة، ص81.

[5] - ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها

للمأمون: " يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تأذن لي أن أناظره كما سأل ولا أحتج عليه بآية من كتاب الله، ولا سنّة رسوله، ولكن على جهة النظر والقياس، ويكون أمير المؤمنين الشاهد علينا والمتحفظ لألفاظنا.[1]

من هنا أدرك الكناني أن السبيل الذي أراد بشر أن يسلكه لمناظرة عبد العزيز يقتضي المناظرة بالقياس والنظر و هنا فهو يطلب المناظرة بعيدا عن كلام الله وسنة نبيه ﷺ حيث أفحمه عبد العزيز وظهر عليه، وطلب تفعيل دور العقل في القياس مما أثار الخليفة عليه وجعله يستهجن طلبه، إلا أن عبد العزيز وافق بشرا على طلبه ورأى تحويل مسار المناظرة إلى استراتيجية أخرى في الحجاج هي القياس والنظر اللذان يستضيئان بالعقل وينشطان في رحابه.

أولا: الاحتجاج والاستضاءة بالنص القرآني (الحجاج بالتنزيل)

استراتيجية الحجاج بالبرهان ذي الحدين:

وقد اعتمد الخصم هذه الاستراتيجية معولا على الحجاج بالبرهان ذي الحدين أين يجبر خصمه على اختيار احتمالا من احتمالين كلاهما ليس في صالحه[2]، مما يضعه في وضع حرج يفرض عليه التسليم والانقطاع، ولكي يضع بشر خصمه في مأزق ربط هذه الحجّة باستفهام يلزمه أحد الخيارين، كل خيار ليس في صالحه، ومضمون الاستفهام هو "هل القرآن شيء أم غير شيء؟".

قال بشر:" تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت شيء فقد أقررت أنه مخلوق إذ كانت الأشياء كلّها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت أنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنّ حجّة الله على خلقه ليست بشيء."[3] فأجاب عبد العزيز: " فقلت لبشر ما رأيت أعجب من هذا، تسألني وتجيب نفسك عنّي وتكفّرني ولم تسمع كلامي ولا قولي، فإن كنت سألت لأجيبنّك، فاسمع مني فإني أحسن أن أجيب عن نفسي وأحتجّ عن مقالتي ومذهبي..."[4]

وأجاب عبد العزيز عن مسألة بشر وأفحم المريسي فإجابته كانت: "سألت عن القرآن اهو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد هو شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم فهو شيء، إن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنّه كالأشياء فلا." [5] وهنا ردّ بشر بعدم الدراية ولا الفهم لما يقوله الكناني بقوله: " ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا اعقله ولا أسمعه، ولا بدّ من جواب يفهم ويعقل أنه شيء يعقل أو غير شيء."[6]

---

[1] - المصدر نفسه، ص82.

[2] - محمد طروس النظرية الحجاجية، (م، س)، ص30

[3] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص33

[4] -المصدر نفسه، ص34.

[5] - المصدر السابق، ص34.

[6] - المصدر نفسه، ص34.

اعتمد الكناني توظيف هذه الاستراتيجية مرّة و في موضع آخر لمّا أصرّ بشر على أنّ لفظة (كلّ) لفظة تجمع الأشياء جميعها، حيث تلا عليه عددا من الآيات منها قوله:

(وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ)[1] وقال: (لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً)[2] وقال عز وجل: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ)[3] وقال عز وجل: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)[4].

فأخبر الله عز وجل بأخبار كثيرة في كتابه، وسأل الكناني بشرا : أفتقرّ يا بشر أن لله علما كما أخبرنا أو تخالف التنزيل؟. ليحيد بشر عن جواب الكناني ويأبى أن يصرح بالكفر، فيقول "ليس لله علم فيكون قد رد نص التنزيل فتتبين ضلالته وكفره، ويأبي أن يقول: إن الله علماً."[5] مما جعله في حرج لأنه إن قال ليس لله تعالى علم، يكون قد خالف نص القرآن ويثبت ضلاله.

وإن أقرّ أنّ لله تعالى علما، يكون قد جعل علم الله داخلا في هذه الأشياء المخلوقة، لأن حسبه كلمة (كلّ) لفظة تجمع الأشياء جميعا، مما جعله يحيد عن الجواب - كما قال الكناني – ويقول أن الله تعالى لا يجهل، وهو جواب لا يتلاءم مع السؤال[6] الذي طرحه الكناني الذي قال:" إذا أقرّ أنّ لله غلما، سألته عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتجّ بقوله: (الله خالق كل شيئ)[7]، وزعم أنّه لم يبق شيء إلا وأتى عليه هذا الخبر.

وإن قال علم الله داخل في الأشياء المخلوقة فقد شبّه الله بخلقه الذين أخرجهم من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا، وكل من تقدّم وجوده قبل عدمه فقد دخل عليه الجهل، فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله تعالى أعظم وأجلّ أن يوصف بذلك أو ينسب إليه، ومن قال ذلك فقد كفر وحلّ دمه ووجب على المؤمنين قتله، وإن قال إنّ علمَ الله خارج عن جملة الأشياء المخلوقة، وغير ذلك داخل فيها، كما أن قوله خارج عن الأشياء وغير داخل فيها، فمن ثم ترك قوله وضل يا أمير المؤمنين وثبتت عليه الحجّة فيها."[8]

---

[1] - سورة البقرة آية 255.
[2] - سورة النساء آية 166.
[3] - سورة هود آية 14.
[4] - سورة فاطر آية 11.
[5] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص44.
[6] - المصدر نفسه، ص31، 32.
[7] - سورة الأنعام الآية 102.
[8] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص47.

استراتيجية الأشباه

يقول محمد طروس أن استراتيجية الحجاج بالأشباه تقتضي أن الأشباه تخضع إلى المعالجة نفسها أو إلى معالجة مماثلة[1]، وقد عمد الكناني إلى هذه الاستراتيجية في حجاجه عندما اتهمه بشر بأنه أتى بأشياء متباينات وادّعى أن الله عزّ وجلّ خلق بها الأشياء.

فوضّح الكناني أن هذه الأشياء إن هي في واقع الأمر إلا مسمّيات لمسمّى واحد، كما أن الله عزّ وجلّ واحد سمى نفسه بأسماء عديدة، فهو واحد صمد فرد[2]..، وسنتابع ردّ الكناني وإفحامه لخصمه:

قال الكناني:" ...ولا قلت إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله عز وجل به بأنه خلق مما يوافق بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وكل ما ذكر الله عز وجل إنه خلق ويخلق به الأشياء فهو شيء واحد له أسماء، هو كلام الله، هو قول الله، هو أمر الله، وهو الحقّ، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق، والحق هو أمره، وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماء شتى لشيء واحد، كما سمى كلامه نورا وهدى وشفاء ورحمة وقرآنا وفرقانا، فهذا مثل ذلك، وذلك مثل هذا، وإنما أجرى الله عز وجل مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه من ذاته، فسمى كلامه بأسماء كثيرة، وهي شيء واحد كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد أحد صمد فرد، وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة فهمه ومعرفته باللغة، ومعنى كلام العرب وألفاظها. "[3]

وبالتالي ومما سبق، وما دار بين الكناني وبشر حول المتباينات التي زعم بشر أن الكناني قد جاء بها وزعم – على حدّ قوله - أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء، وقد قال الكناني وأقر بقوله أن الله عز وجل خلق الأشياء بقوله وبأمره وبكلامه وبالحق، وقوله هذا إنما هو موافق لما قاله الله جلّ في علاه وأخبر به..

ومن هنا، فعبد العزيز لم يخرج عن كتاب الله عز وجل وما قال إلا ما قاله الله تعالى، وما كانت تلك المتباينات المتفرّقات التي تحدّث عنها بشر ورمى الكناني بها، ما هي في واقع الأمر إلا أشباه ومتماثلات إن صح التعبير وقد أثبت حجّته يقينا بذلك من كتاب الله جل في علاه.

استراتيجية الحجاج بآي القرآن الحكيم

وهو ما طالب بشر بالاحتجاج به، فقد قال للخليفة أن يثبت كل ذلك مما احتجّ به من نصوص القرآن الكريم لتكون شواهد على حجّته - وهو التزام- وشرط كان قد قطعه الكناني و طلب من الخليفة أن يكون أصلا بينه وبين بشر يعودان إليه من غير تفسير ولا تأويل، وعاد بشر ليذكره به ويوافقه الخليفة عليه.

[1] -محمد طروس، النظرية الحجاجية، (م، س)، ص30.

[2] - ينظر الكناني، الحيدة والاعتذار، ص40.

[3] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص40.

فوافق عبد العزيز مطلب بشر وأورد نصوصا من القرآن الكريم مستشهدا بها تؤكّد حججه وتدعمها.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه فقال: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ)[1] يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك.

وقال عز وجل (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ)[2] فسمى الله القرآن كلامه.

وسماه قوله، وأخبر أن قوله هو كلامه بقوله عز من قائل: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ)[3].

وقال الله عز وجل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ)[4] فهذا خبر الله عن القرآن إنه الحق.

وقال عز وجل: (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ)[5] فأخبر عن القرآن إنه الحق.

وقال عز وجل (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)[6] فهذا خبر الله عن القرآن إنه الحق.

وقال عز وجل: (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُون)[7] فهذا خبر الله عن القرآن إنه الحق.

وقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلّم (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لنفسه)[8] وقال عز وجل: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ)[9].

وقال : (الم تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ)[1] وقال عز وجل: (وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ)[2] وقال عز

---

[1] سورة التوبة آية 6.
[2] سورة الفتح آية 15.
[3] سورة الفتح آية 15.
[4] سورة البقرة آية 91.
[5] سورة الأنعام آية 66.
[6] سورة يونس آية 94.
[7] سورة هود آية 17.
[8] - سورة يونس آية 108.
[9] - سورة الرعد آية 1.

وجل: (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا)[3]، فهذه كلها وأمثالها في القرآن كثير، إخبار الله عن القرآن أنه الحق، فسماه باسم الحق، ثم ذكر عز وجل أن القرآن قوله وأن قوله هو الحق فقال عز وجل: (ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ)[4]، فهذا خبر الله عن قوله إنه الحق وإن الحق قوله، وقال عز وجل: (لَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[5].

وقال عز وجل: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ)[6].

فهذه أخبار الله كلها عن الحق إنه قوله وأن قوله هو الحق، ومثل هذا في القرآن كثير، ثم ذكر أن الحق كلامه وأن كلامه الحق. فقال عز وجل: (وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[7]، فأخبر عن كلام الله أنه الحق،

وقال عز وجل: (ويُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)[8] فأخبر عز وجل عن الحق أنه كلامه وأن كلامه هو الحق.

وقال عز وجل: (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)[9] فهذه أخبار الله عز وجل عن الحق أنه كلامه وإن كلامه هو الحق.

ثم ذكر عز وجل أن القرآن أمره، وهو كلامه، فقال عز وجل: (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِّنْ عِندِنَا)[10] يعني القرآن، فأخبر الله أن القرآن أمره، وأن أمره القرآن، وقال عز وجل: (ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ)[11] يعني القرآن.

ويؤكّد الكناني قائلا: " فهذا خبر الله أن القرآن أمره وأن أمره القرآن، وإن هذه أسماء شتى لشيء واحد، وهو الشيء الذي به خلق الأشياء وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وغيره داخل في الأشياء، ولا هو كالأشياء وبه تكون الأشياء، وهو كلامه، وهو قوله، وهو أمره، وهو الحق. وهذا نص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير."[12]

---

[1] - سورة السجدة آية 1-2.
[2] - سورة المائدة آية 83.
[3] - سورة القصص آية 53.
[4] - سورة الأحزاب آية 4.
[5] سورة السجدة آية 13.
[6] - سورة سبأ آية 23.
[7] - سورة يونس آية 33.
[8] - سورة يونس آية 82.
[9] - سورة الزمر آية 71.
[10] سورة الدخان آية 1-5.
[11] - سورة الطلاق آية 5.
[12] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص42.

استراتيجية الحجاج باللغة:

لما قال بشر" قال تعالى بنص التنزيل: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۖ)[1]، فهذه لفظة لم تدع شيئا إلّا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء، لأنها لفظة استقصت الأشياء وأتت عليها مما ذكر الله تعالى ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير."[2]

ردّ الكناني بحجّج من القرآن تكسر قول المريسي وتكذّبه فيما يقول، آيات من التنزيل الحكيم بلا تأويل ولا تفسير تثبت أن (كلّ) لا تشمل جميع الأشياء في الحكم عند استعمالها، قال تعالى في (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا)[3]، يقصد الريح التي أرسلت على عاد، فهل تراها يا بشر أبقت شيئا لم تدمّره؟ فأجاب بشر بقوله: لا لم يبق شيء إلا دمرته، كما أخبر الله تعالى، لأنه لم يبق شيء إلا ودخل في هذه اللفظة، فأجاب الكناني: قد أكذب الله من قال بهذا بقوله: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ)[4]، فقد بيّن الله تعالى أنّ مساكن التي دمرهم الله تعالى لم تدخل تحت (كل) في الآية الأولى، ولم تشملها فأخبر عز وجل أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة.

أية أخرى احتجّ بها الكناني هي قوله جلّ في علاه: (مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ .)[5]، و قد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم يصر شيء منها كالرميم، وقال جلّ في علاه: (و أوتيت من كل شيء) يقصد بلقيس، وهنا يتوجّه الكناني بالخطاب إلى بشر ليشير له أنه حسبه وطبقا لمفهومه لمعنى اللفظة فإنه "يجب ألّا يبقى شيء يقع عليه اسم الشّيء إلّا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته ولم يدخل في هذه اللفظة..."[6] وبالتالي، فإن الملك سليمان عليه السلام أوتي أضعاف ملك بلقيس.. مما دلّ أن لفظة (كل) في الآية لم تشمل الأشياء جميعها، كونها لم تشمل ملك النبي سليمان عليه السلام.

الحجاج بالاستقراء:

والاستقراء هو تتبّع مجموعة من العناصر للوصول إلى حكم وتعميمه على العناصر الأخرى[7]، ولمّا حاد بشر عن إجابة الكناني عن علم الله تعالى إذ سأله هل لله علم كما أخبر، ولكنّ بشرا أجاب بأن الله لا يجهل، ورفض الإقرار أنّ له علما، وبيّن الكناني باستقراء مجموعة من الآيات أنّ نفي الجهل لا يثبت

---

[1] - سورة الأنعام، الآية 103.

[2] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص43.

[3] - سورة الأحقاف، الآية 25.

[4] - سورة الأحقاف، الآية 25.

[5] - سورة الذاريات، الآية 42.

[6] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص43.

[7] -محمّد طروس، النظرية الحجاجية، (م، س)، ص25.

العلم، رغم أنّ إثبات العلم ينفي الجهل، والله عزّ وجلّ لم يمدح أحد من ملائكته أو رسله أو عباده المتقين بنفي الجهل عنهم، إنّما مدحهم جميعا بالعام،

فقد مدح الله تعالى ملائكته بقوله: (كِرَاماً كَٰتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)[1].

وقال لنبيّه صلى الله عليه وسلّم: (عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ)[2]، وقال عزّ وجلّ في مدحه لعباده المؤمنين: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)[3].

فعن طريق استقراء هذه الأمثلة من آيات القرآن الكريم بيّن الكناني أن إثبات العلم لا يمكن أن يكون بنفي الجهل. "فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم."[4]

ومن الحجاج بالاستقراء أيضا استقراء قرائن مرتبطة بحكم في ذات الله تعالى، ما قام به الكناني للتدليل على نهي الخوض في علم الله تعالى أو ادّعاء معرفته، حين سأله بشر: " قد زعمت يا عبد العزيز أنّ لله علما فأيّ شيء هو علم الله و معنى علم الله؟"[5]

ورد الكناني:" هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته وحجب عن الخلق جميعا علمه فلم يخبر به ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا علمه أحد قبلي، ولا يعلمه أحد بعدي لأن علم الله أكبر وأوسع وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه".[6]

واحتجّ الكناني بمجموعة من الآيات التي تدلّ على بطلان ادّعاء معرفة علم الله تعالى والنهي عن ذلك، ومنها قوله عزّ وجلّ: (**ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء**)[7]

وقال: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ)[8] وقال عز وجل: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[9] وقال: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[10]

---

[1] - سورة الانفطار، الآية 11، 12.

[2] - سورة التوبة، الآية 43.

[3] - سورة فاطر، الآية 28.

[4] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص46.

[5] - المصدر نفسه، ص47.

[6] - المصدر نفسه، ص47.

[7] - سورة البقرة، الآية 255.

[8] سورة الجن آية 26-27.

[9] سورة الأنعام آية 59.

[10] سورة لقمان آية 27.

وبالتالي، يعجز كل مخلوق مهما كانت صفته أن يحدّ هذا أو يصفه أو يدعي علمه؟ وقد عجز الملائكة المقربون عن علم ذلك واعترفوا بالعجز (قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[1] وقال عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[2].

وباستقراء الكناني لنصوص آيات التنزيل تبيّن أن علمه عزّ وجلّ مما اختصّ هو بمعرفته وحجبه عن خلق.

الحجاج بافتراض مسألة مشابهة للمسألة المتناظر حولها:

لما رفض بشر الإقرار بحرمة ادعاء معرفة علم الله تعالى، افترض مسألة علة يجعل بها الكناني في حرج من أمره، مفاد المسألة أن اثنين تنازعا في علم الله، وقد حلف أحدهما أن علم الله هو الله تعالى، وحلف الآخر أن علم الله غير الله، وسأل الكنانيَ عن جوابه في المسألة إذا استفتياه، فردّ عليه الكناني بافتراض ثلاث مسائل أخرى ليقيس مسألة بشر على حكم مسائله هي كالتالي:

المسألة الأولى:

أنّه لو توارد عليه ثلاثة أفراد تنازعوا في الكوكب الذي أخبر الله أنّ إبراهيم عليه السلام رآه بقوله: **(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)**[3]، فحلفوا بالطلاق، فقال أوّلهم أنّه المشتري، وحلف الثاني انّه الزهرة، وحلف الثالث أنّه المريخ[4].

هؤلاء الثلاثة طلبوا من الكناني أن يفتيهم في أيمانهم ويجيبهم في مسألتهم، فهل يجب أن يجيبهم، وذلك مما لم يخبر به الله عزّ وجلّ ولا رسوله. فأجابه المأمون: ما ذلك عليك بواجب ولا لك بلازم.

المسألة الثانية:

ثلاثة أفراد تنازعوا في الأقلام التي أخبر بها الله تعالى في قضية من يكفل مريم بقوله **(إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)**[5]، فحلفوا ثلاثتهم بالطلاق أيضا فقال أحدهم أنها من نحاس، وحلف آخر أنّها من خشب، وحلف ثالث أنّها من قصب. وطلبوا من الكناني أن يفتيهم في أيمانهم، وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله ولا يوجد علمه في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، فهل عليه إجابتهم في مسألتهم وفتياهم، فأجابه المأمون كما أجابه في المسألة الأولى. أن ليس عليه إجابتهم ولا فتياهم.

---

[1] سورة البقرة آية 32.

[2] سورة لقمان آية 34.

[3] - سورة الأنعام، الآية 76.

[4] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص50، 51.

[5] - سورة آل عمران، الآية 44.

المسألة الثالثة:

وأما في هذه المسألة، فثلاثة أفراد تنازعوا في المؤذّن الذي أخبر الله تعالى في قوله: **(فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)**[1] **وحلفوا بالطلاق هم أيضا**، فحلف الأول أن المؤذن من الإنس، وحلف الثاني أنه من الجنّ، وحلف الثالث أنّه من الملائكة، فلمّا صحّ أن يسكت المرء عن سؤال هؤلاء في المسائل الثلاث لأنّ المولى تعالى لم ينزّل بها من علم وجعلها في غيبه، صحّ أن يسكت المرء عن مسألة السائلين التي افترضها بشر لأنها تنطوي على نفس الحكم مع ما افترضه الكناني. وسأل المأمون إن كان بالإمكان أن يقضي بينهم ويفتيهم في مسألتهم، وأجابه المأمون بما أجابه في المسألتين السابقتين.[2]

فقال الكناني: "صدقت يا أمير، لا يجوز لي ولا لغيري بأن يقضي بينهم ولا يفتيهم إلّا أن يكون الله عزّ وجلّ قد أخبر عن ذلك في كتابه أو على لسان نبيّه، فإذا لم يجز هذا في خلق من خلق الله، فكيف يكون الجواب عن علم الله وهو مما لا يوجد في كتابه ولا سنّة نبيّه."[3]

1- استراتيجية الحجاج بالاستدراج

والاستدراج في معناه هو استدراج المناظر خصمه وحمله على موافقته على مسألة تستلزم مسألة أخرى تفنّد دعواه وتبطلها، من ذلك حمل الكناني خصمه بشرا على موافقته بأن لله تعالى نفسا كي يبطل ادّعاءه أن لفظة (كلّ) تشمل الأشياء جميعا، ذلك أن بشرا زعم كلمة (كلّ) تجمع الأشياء فلا تدع شيئا يخرج عنها وكلّ شيء داخل فيها، وأقرّ بذلك بشر وأكّد عليه بقوله: هكذا قلت، وهكذا أقول وهكذا هو عند الخلق، ولست أرجع عنه..." [4]

فبعد هذا الكلام وبعد أن أقرّ بشر أنّ لله تعالى نفسا وهو وارد في قوله تعالى (**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علام الغيوب**)[5]، و (واصطنعتك لنفسي)[6]، كما أنه وارد في قوله جلّ في علاه: (كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه)[7]، و في قوله (ويحذّركم الله نفس)[8]، ومواضع كثيرة من آي الله الحكيم تذكر لله عزّ وجلّ نفسا، مما يلزمه أن يقرّ أن لفظة (كل) في الآية: **(كلّ نفس ذائقة الموت)**[9] لا تشمل نفس الله تعالى، ويسأل الكناني بشرا : "أفتقول يا بشر أن نفس رب العالمين

---

[1] - سورة الأعراف الآية 44.

[2] - ينظر الكناني، الحيدة والاعتذار ص51.

[3] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - المصدر نفسه، ص53.

[5] - سورة المائدة، الآية 116.

[6] - سورة طه، الآية 41.

[7] - سورة الأنعام، الآية 12.

[8] - سورة آل عمران، الآية 30.

[9] - سورة آل عمران، الآية 15.

داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت؟ فصاح المأمون بأعلى صوته : معاذ الله، معاذ الله، معاذ الله"[1] وهو ما يستلزم بطلان ادّعائه أن لفظة (كلّ) في الآية (الله خالق كل شيء) تشمل الأشياء جميعها بما فيها القرآن الكريم.

2- استراتيجية الحجاج بالمداخل اللغوية:

ويتم ذلك من خلال اعتماد المناظر المداخل اللغوية في إثبات مسألة من المسائل، واستثمار قواعد البلاغة والنحو لتأكيدها، وهو أسلوب درج عليه العلماء وأهل النظر من العارفين باللغة لإثبات مزيّة أحدهم وتفوّقه على غيره.[2] ففي مناظرة الكناني لخصمه عندما أدرك الكناني جهل خصمه بشر بالقواعد النحوية والمداخل اللغوية أوقعه في مسائل لغوية جعله يتخبّط فيها، وليظهر ذلك جعله ينتقل معه في آيات من القرآن الكريم ويعرض عليه النصوص التي يستدلّ بها بشر دون العودة إلى عرف العرب وعادتهم، ومن بين المسائل التي أظهر الكناني فيها تفوّقه على بشر، قضية العام والخاص في أحكام النصّ القرآني، وقد بسطها الكناني بسطا منهجيا مشفوعا بالآيات الواضحة.[3]

أ/ خبر مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى العموم:

فيتجلّى في قوله جلّ في علاه: (وله كلّ شيء)[4] فجمع هذا الخبر الخلق والأمر ولم يُبق شيئا إلا وقد أتى عليه، لأنّ كلّ شيء هو له مما هو مخلوق وغير مخلوق.[5]

ولما فرغ الكناني من شرح ذلك كلّه وعقله المأمون ومن حضر المجلس معهم، بيّن أنّ في قوله عزّ وجلّ (خالق كل شيء)، لم تشمل لفظة (كلّ) في هذه الآية الأشياء جميعها، وقد عقل المؤمنون ذلك لما تقدّم من خبر في قوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)[6] حيث فرّق الله تعالى بين الشيء المخلوق والقول الذي يكون به الخلق[7]، مما جعل القول خارجا عن الخلق.[8]

ب/ خبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص

ويتجلى في قوله عز وجلّ **(وإذ قال ربك للملائكة إنّي خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)**[9]، وقوله تعالى: **(إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال**

---

[1] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص53.

[2] - علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، ص301.

[3] - مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، (مناظرة الحيدة والاعتذار أنموذجا)، (م، س)، ص8

[4] - سورة النّمل الآية 91.

[5] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص55.

[6] - سورة النحل، الآية 40.

[7] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص58.

[8] - مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في مناظرة الحيدة، (م، س)، ص9

[9] - سورة ص الآية 71، .72

له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين.)[1]، فقد كان مخرج الخبر لآدم عليه السلام مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص وكذلك مخرج الخبر لعيسى عليه السلام.[2]

فلمّا أنزل الله عزّ وجلّ: (يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ..)[3] والناس اسم جامع، يجمع آدم وعيسى ومن بينهما ومن بعدهما، أدرك المؤمنون أنه تعالى لم يعنِ في هذه الآية آدم وعيسى في الناس الذين خلقهم من ذكر وأنثى لأنه قدّم خبرهما. فكان مخرج اللفظ عامّ بهما وبغيرهما ومعناه خاصّا.[4]

ج/ خبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى العموم

ويظهر في قوله تعالى: (وأنّه هو ربّ الشعرى)[5]، المتأمل للآية الكريمة يقرأها بتخصيص الخبر لكوكب أو نجم الشعرى فحسب وهو ما يدلنا عليه الظاهر العام للآية أو مفهومها الآني المباشر، ولكن الله رب كلّ شيء، فقد كان مخرج الخبر خاصا، ولكنه يدلّ على العموم، فعلم المؤمنون أن الله عزّ وجلّ هو رب الشعرى و كل الكواكب والنجوم ورب الكون كله، بل رب كلّ شيء، سبحانه.

د/ خبر مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى الخصوص

وهو ما يظهر في قوله تعالى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**)[6]، حيث أدرك المؤمنون أن رحمة الله لم يعن معها إبليس فيمن تسعه رحمة الله، لأنه تقدّم فيه من الخبر الخاص ما يدلّ على لعنه، وهو قوله جلّ من قائل: (**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**)[7]، فكان إبليس ومن معه وفقا للآية خارجين بهذا الخبر الخاص من رحمته التي وسعت كل شيء.[8]

فالمتأمل للآية الكريمة للوهلة الأولى يستشف معنى الرحمة الشاملة التي لا تدع شيئا أو أحدا من الخلق إلّا وشملته وهو معنى عام، ليدرك بعد تأمل الآية التالية: (لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين) أن الاستثناء حاصلٌ بتخصيص إبليس ومن تبعه بالعقاب. وبذلك صار الخبر العام خاصا لخروج إبليس ومن تبعه من رحمة الله عزّ وجلّ.

يقول الكناني: "لما أنزل الله عز وجل هذه الأربعة الأخبار، خصّ العرب بفهمها، و معرفة معانيها وألفاظها وخصوصها وعمومها والخطاب بها، ولم يدعها اشتباها على خلقه، فيجد الملحدون السبيل إلى الإلحاد في صفاته والطعن على أخباره والتشبيه على خلقه من غير العرب ... ممن لا يعرف الخاصّ والعامّ

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 59، 60.

[2]- ينظر، عبد العزيز الكناني، الحيدة والاعتذار، ص55.

[3]- سورة الحجرات، الآية 13.

[4]ينظر الكناني، الحيدة والاعتذار، ص55

[5]- سورة النجم، الآية 49.

[6]- سورة الأعراف، الآية 156.

[7]- سورة ص، الآية 85.

[8] - ينظر الكناني، الحيدة والاعتذار، ص56.

والمحكم والمبهم، تفضّلا منه وتكرّما وإحسانا إلى خلقه وإثباتا منه للحجّة على من ألحد في كتابه وصفاته..."[1]

وبالتّالي، ومما تقدّم يؤكّد الكناني ويشرح للمأمون ولمناظره بشر وللحاضرين مجلسهم جميعا الأخبار الأربعة التي أنزل الله عزّ وجلّ كتابه وتخصيص العرب بمعرفة ذلك وفهم معانيه وألفاظه بخصوصها وعمومها مما لا يدع للملحدين سبيلا أو حجّة في الإلحاد في صفاته والطعن فيه، "فالله تعالى إذا أنزل خبرا مخرج لفظه خاص ومعناه عام، أو خبرا مخرج لفظه عام ومعناه خاص، لم يدعه إشكالا على خلقه حتى يجعل أحد بيانين – كما يقول الكناني – إما أن يستثني من الجملة شيئا يكون بيانا للناس جميعا، أو يقدّم قبله خبرا خاصّا، فإذا أنزل بعده خبرا عامّا يتوهّم أحد من العلماء إنّه عنى ما خصّه في الخبر الذي قدّمه قبل نزول العام إذ كان قد خصه ونصه قبل ذلك."[2]

3-استراتيجية حجاج المحاصرة:

وهي الحجّة التي يحاصر المناظر بها خصمه في وضعية يستحيل حلّها منطقيا، مما يدفعه إلى قبول نتيجة الاستدلال، فلمّا أصرّ بشر على القول بخلق القرآن واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: (إنّا جعلناه قرآنا عربيا) مدّعيا أنّ جعلناه بمعنى خلقناه، فالجعل في حسبه ترادف الخلق هذه الآية وفي القرآن كلّه[3]، حيث قال بشر:" هل في الخلق أحد يشكّ في هذا أو يخالف عليه أنّ معنى جعلناه: خلقناه[4]، مما جعل الكناني يسوق مجموعة من الآيات التي تبطل مقالة بشر وتجعله لا يستطيع أن ينقطع ولا يستطيع يواصل دعواه والدفاع عنها منطقيا، ومن هذه الآيات قوله عزّ وجلّ: (وأوفوا بعهد الله الذي عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيده وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)[5]، وقوله عزّ و جلّ ويجعلون لله البنات سبحانه)[6]، وقوله جلّ في علاه: (ولا تجعوا الله عرض لأيمانكم)[7]، مما أفحم بشرا وجعله في موقف حرج، فلو أصرّ على دعواه كان عليه الإقرار أنّ(جعلتم) الله بمعنى خلقتم الله، ويجعلون لله بمعنى خلقتم لله، ولا تجعلوا الله بمعنى لا تخلقوا الله، تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علوّا كبيرا.

4-استراتيجية التوكيد

وهي الحجّة التي يسعى من خلالها المناظر إلى توكيد قضيّة، قد تمكّن من إثباتها بالحجّة، فلما فرغ الكناني، من عرض بعض الآيات التي وردت فيها لفظة (جعل) بمعنى غير الخلق، وتبيّن بطلان مقالة بشر

---

[1] - المصدر السابق، الصفحة نفسها..

[2] - المصدر نفسه، ص56.

[3] - ينظر الكناني، الحيدة والاعتذار، ص49.

[4] - المصدر نفسه، ص50

[5] - سورة النحل، الآية 76.

[6] - سورة النحل، الآية 57.

[7] - سور البقرة، 224.

بشهادة المأمون، طلب الكناني من المأمون أن يسمح له بعرض آيات أخرى تؤكّد بطلان مقالة بشر"[1]، من هذه الآيات نذكر قوله عزّ وجلّ: (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله)[2]، وقوله تبارك وتعالى: (وجعلوا لله شركاء الجنّ)[3]، وقوله جلّ وعلا: وجعلوا لله شركاء قل سموهم)[4]، وقوله عزّ من قائل: (فلمّا أتاها صالحا جعلوا له شركاء)[5]، وقال سبحانه وتعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا)[6]، وقال جلّ شأنه: (على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين)[7]، وقال جلّ شأنه:(قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للنّاس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)[8].

فلو كان لفظ (جعل) بمعنى خلق في القرآن بأكمله – كما زعم بشر وادّعى – لكان المراد من قوله تعالى: جعلوا لله أندادا هو خلقوا لله أندادا، وقوله(وجعلوا لله شركاء) بمعنى خلقوا لله شركاء، وقوله: (جعلا له شركاء) بمعنى خلقا له شركاء، ومعنى قوله جعلوا الملائكة بمعنى خلقوا الملائكة، وقوله جعلوا القرآن بمعنى خلقوا القرآن، وقوله: تجعلونه قراطيس بمعنى تخلقونه قراطيس..

معاذ الله .. فكل ذلك فرية عليه عزّ وجلّ و افتراء على كتابه العزيز، وبعد هذا العرض لهذا الكم لآي الله الحكيم، ومحاصرة بشر بها جعله في مأزق كونه يستحيل عليه تأويلها على النحو الذي أراده.

5-استراتيجية الالتباس:

وهي استراتيجية تقتضي الحجاج من خلال الفصل بين الملتبسين، أي أنها حجّة تنبني على الفصل بين شيئين مختلفين يعبّر عنهما بلفظ واحد، ويدرك معناهما من السياق.

ففي مناظر الحيدة لما أصرّ بشر على أنّ لفظ (جعل) تأتي دائما بمعنى خلق، وأبطل الكناني ادّعاءه وأثبت بطلان مقالته من خلال نص التنزيل وفي آيات كثيرة، انتقل الكناني إلى رفع اللبس الذي حاول بشر أن يشيعه من خلال افصل بين (جعل) التي تفيد معنى خلق، وجعل التي تحتمل معنى صيّر، حيث قال الكناني: " ياأمير المؤمنين إنّ جعل في كتاب الله يحتمل عند العرب معنيين، معنى خلق، ومعنى صيّر."[9]

---

[1]- الكناني، الحيدة، والاعتذار، ص49.
[2]- سورة إبراهيم، الآية 30.
[3]- سورة الأنعام، الآية 100.
[4]- سورة الرعد، الآية 33.
[5]- سور الأعراف، الآية، 190.
[6]- سورة الزخرف، الآية 19.
[7]- سورة الحجر، الآية 91.
[8]- سورة الأنعام، الآية 91.
[9]- الكناني، الحيد والاعتذار، ص59.

أوّلا: الجعل الذي بمعنى خلق

ويكون في القول المفصّل، الذي تفهم فيه اللفظة في ذاتها دون ربطها بما يليها من القول، قال الكناني: "فأمّا جعل الذي هو على معنى خلقن فإن الله عزّ وجلّ جعله من القول المفصل، فأنزل القرآن به مفصلا، وهو بيّن لقوم يفهمون، والقول المفصل يستغني السامع إذا أخبر به عنّ أن توصل له الكلم بغيرها من الكلام، وإذا كانت قائمة بذاتها على معناها".[1]

وأود الكناني غي ذلك عدّة آيات من الذكر الحكيم، منها قوله جلّ من قائل:(الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات **والنّور)**[2] **وقال تبارك** وتعالى: (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) [3]، وقال عزّ ثناؤه: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) [4]

وقد علّقت العرب ان لفظ (جعل) في هذه الآيات بمعنى (خلق)، لأنه جاء من القول المفصّل الذي يفهم ذاته مباشر دون وصله بما عده من معان، فسواء قال الله تعالى جعل أو قال خلق، فهم العرب المعنى نفسه.

ثانيا: الجعل بمعنى(صيّر)

ويكون في القول الموصل الذي لا يظهر إلا إذا وصلت فيه الكلمة بما بعدها، حيث يقول الكناني: " وأمّا الجعل الذي هو على معنى التصيير لا معنى الخلق، فإنّ الله تعالى أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب به حتّى يصل الكلمة بالكلمة بعدها فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصولة لم يصلها بغيرها من الكلام لم يفهم السامع لها ما يعنى بها، ولم يقف على ما أراد بها.[5]

ومن الآيات التي استدلّ بها الكناني على ذلك، قوله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض[6]، وقوله عزّ وجلّ (وجاعلوه من المرسلين)[7]، وقوله تبارك وتعالى(ربنا واجعلنا مسلمين لك)، ففي الآيات المذكورة لا يستطيع السامع أو المتلقي ان يفهم معنى جعل إلا إذا ربطها بما بعدها، حيث فهم داود ما خاطبه الله تعالى به لما وصل (جعل) ب (خليفة)، وعقلت أم موسى عليه السلام ما أراد الله منها لما وصلته بالمرسلين كما عقل المتلقي ما أراده الله منه بقوله (واجعلنا)، لما وصلها بالمسلمين.

---

[1]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص 60.

[2]- سورة الأنعام، الآية01.

[3]- سورة، النحل الآية 72.

[4]- سور السجدة الآية 9.

[5]- الكنانين الحيد والاعتذار، ص61.

[6]- سور ص الآية 126.

[7]- سورة القصص الآية07.

6-استراتيجية الحجاج بالاستقراء

لمّا حاول بشر أن يشبّه على المأمون والحضور بادّعائه أنّ الكناني حطّ من قيمة القرآن لمّا قال أنّه مفصل وموصل، ردّ عليه الكناني من خلال استقراء مجموعة من الآيات التي تبطل ادّعاء بشر[1]، ومن الآيات التي جاءت في القول الموصل:

قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2]،

و قوله أيضا: ﴿ وَالذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾[3]،

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[4].

وأما الآيات التي جاءت في القول المفصل، فمنها:

قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[5]،

وقوله جلّ في علاه: ﴿ حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (1) كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[6]،

وقال تبارك وتعالى:﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[7].

وبعد استقراء هذه الآيات وآيات أخرى من القرآن الكريم التي تدلّ على أنه تعالى سمى القرآن موصلا ومفصّلا، وقد امتدح الله عزّ وجلّ من وصل ما أمر الله به أن يوصل و ذمّ من قطعه، يبيّن بطلان ادّعاء بشر في المسألة وانقطاعه.

7-استراتيجية الحجاج بالقياس

يعرّف القياس على أنّه "الربط بين شيئين على أساس جمل من الخصائص المشتركة بينهما."[8]، فلمّا ادّعى بشر أن الله عزّ وجلّ لم يلزم العجم بلغة العرب، ولم يجعل تعلّمها عبادة له، ردّ عليه الكناني ونقض

---

[1]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص64.

[2]- سور القصص، الآية 51.

[3]- سورة الرعد، الآية، 23

[4]- سورة الرعد، الآية 21

[5]- سورة هود، الآية 01.

[6]- سورة فصّلت، الآية 02.

[7]- سورة الأنعام، الآية 98

[8]- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (م، س)، ص98.

دعواه من جانبين[1]، أولهما هو أنّ الذي يجهل لغة العرب ما من حقّ له أن يتأوّل القرآن، ذلك لأنّ الذي يفسّر القرآن فقط هو الذي يعقل لغتهن أمّا الجانب الثّاني، فإنّ معرفة المفصل الموصل في القرآن الكريم عباد لله تعالى، لأنّ معرفته تفتح العقول لفهمه.

ففيما يخص الجانب الأول وهو التقوّل على الله تعالى على جهل بلغة العرب ولغة القرآن الكريم، فقد ساق الكناني لذلك مجموعة من الآيات التي تنهى النبيئين عن القول عن الله تعالى بغير علم، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ ۞وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَۖ ﴾)[3]، فقد نهى المولى تبارك وتعالى أنبياءه وهم أشرف خلقه عن الخوض فيما ليس لهم به علم، فما بالك بغيرهم من العباد، وبالتالي، هي نتيجة تمّ التوصّل إليها من خلال قياس حكم الآية على الأنبياء وإسقاط الحكم على غيرهم من الناس جميعا.

8-استراتيجية الحجاج بالتوكيد

بعد أن فرغ الكناني من بسط الحجج الدّالّة على تعبّد الخلق لله تعالى بمعرفة الموصل والمفصل من القرآن الكريم وإقرار المأمون بذلك[4]، بقي بشر مستمرّا في تعنّته ورفضه قبول الحقّ رغم وضوحه وبيانه، وبقي يطالب الكناني بتوضيح ذلك، وليؤكّد الكناني دعواه زاد على ما ذكره مجموعة من الآيات التي تثبت ذلك وتؤكّده.

أ- آيات الفصل

وهي الآيات التي تقرأ بالوصل، فإن قرأها القارئ بالوصل متعمّدا كفر لما يتغيّر من معناها، ومنه قوله تعالى:﴿ لِلذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلهِ ٱلْمَثَلُ ٱلَاعْلِيۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُۖ ﴾[5]، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلِيۖ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌۖ﴾[6] .

فلو أنّ قارئا وصل قوله تعالى: ﴿لِلذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ ﴾ بقوله: (ولله) وقطع الكلام، ووصل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلِيۖ ﴾ بقوله: (وكلمة الله) وقطع متعمّدا جعل لله مثل السوء وكلمته السفلى، وما أعظمها فرية على المولى تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ب. آيات الوصل

[1]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص67

[2]- سورة الإسراء، الآية 36

[3]- سورة هود، الآية 46.

[4]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص66.

[5]- سورة النحل، الآية 60.

[6]- سورة التوبة الآية 40.

وهي الآيات التي تقرأ بالوصل، فإن قراها قارئ بالقطع متعمّدا، يكون كافرا لما يتغير من معناها، ومنها قوله عزّ وجلّ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ ﴾[2]، وقوله جلّ جلاله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾[3]، وقال جلّ ثناؤه: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾.[4].

فلو توقف القارئ في الآيتين الأوليين في قوله تعالى: (لا إله)، وتوقّف في الآية الثانية في قوله (لا يستحي)، وتوقّف في الآية الرابعة عند قوله عزّ وجلّ (لا يعلمها)، لتغيّر معنى الآيات، فنفى عن الله تعالى الربوبية والاستحياء والعلم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ومن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله تعالى – كما قال الكناني-.[5]

9-الحجاج بالشاهد

يتميّز الشاهد في الثقافة العربية بسلطة حجاجية خولتها له طبيعة الفكر العربي، وخاصّة الشاهد الشعري الذي غلب على غيره من أنواع الشواهد، ولمّا انضوى العرب تحت شمس الإسلام أصبحت الشواهد الدينية و أوّلها القرآن الكريم أكثر النصوص مقبولية من حيث الاستشهاد، " فالاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات الخالدين في نظر الجماعة المقصودة، لأنّ قيمة الشخص المعترف به سلفا من قبل السامعين يمكن اعتبارها مقدّمة حجاجية"[6].

وقد تنبّه الكناني لهذا الأمر فأراد أن يثبت قدرته في استحضار الشواهد الشعرية إلى جانب الشواهد القرآنية وهو فارق مهمّ بالنسبة للثقافة العربية، و ليكسب موقفه قوّة ويثبت مزيته على بشر، ومن هذه الشواهد: بيتان لامرئ القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا معا *** عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها سيري وأرخي زمامه *** ولا تبعدبني عن جناك المعلّل

[1]- سورة آل عمران، الآية 18.

[2]- سورة البقرة، الآية 253..

[3]- سورة البقرة الآية 26.

[4]- سورة الأنعام الآية 59.

[5] - الكناني، ص78.

[6]- محمّد سالم محمّد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص131، 132.

وبالتالي، يحاول الكناني أن يثبت للخليفة ولمناظره بشر وللحضور جميعا كفاءته وليبين عن مقدرة في الحفظ وقدرة على الاستحضار من النصوص الدينية والنصوص الشعرية ليبيّن قدرة حجاجية فذّة في الاستشهاد.

10-استراتيجية التّكرار:

يحظى التّكرار بأهمّية بالغة في إقناع المخاطب بفكرة ما، وذلك بإعادتها مرارا بلفظها أو بما ينوب عنها من كلمات وألفاظ، حتى لا يحس المخاطب بثقلها، ذلك لان الإنسان يرتاب لما يتلقّاه من الأفكار التي تعرض عليه أول الأمر و التّكرار يجعله يتقبّلها، خاصّ إذا طرحت عليه بأشكال مختلفة، تقول سامية الدريدي:" التّكرار يساعد أوّلا على التّبليغ والإفهام ويعين المتكلّم على ثانيا على ترسيخ الرّأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردّد المحتجّ لفكرة حجّة ما أدركت مرامیها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقّي، وإن ردّد رابطا حجاجيا أقام تناغما بيّنا بين أجزاء الخطاب وأكّد الوحدة بين الأقسام."[1]

وقد وظّفت أنواع عديدة من التّكرار من طرف المتناظرين، حسب حاج كلّ واحد منهما ليجعل الحضور يقتنع بانسجام خطابه، من بين هذه الأنواع نجد:

- تكرار اللفظ.
- تكرار الجملة.
- تكرار المعنى.

11-الحجاج بالصور البيانية:

تعدّ الصّورة البيانية على اختلاف أنواعها من الأدوات الحجاجية التي يوظّفها الناس لتدعيم أفكارهم وإقناع مخاطبيهم بتوضيحها، "[2] فمن وظائف المجاز الحجاجية التي اقترنت بفكرة الاستبدال لتجسيد المعاني وجعلها مُشاهدةً مرئيّة، وجعل حضورها في السّامع أقوى، ووقعها عليه أشد[3].

فبنية الصورة البلاغية تجعل هذه الأخيرة تجذب السّامع وتحرّك خياله لاستيعاب الأفكار المقدّمة إليه.[4]

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص168.

[2]- مراد ليتيمين الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، ص

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ج2، منشورات كلّي الآداب، منوبة، تونس، 2001، ص558.

[4]- محمّد السالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص136.

12-استراتيجية الحجاج الاستفهامي

لا يعدّ هذا النّوع من الحجاج سؤالا حقيقيان بل يستخدم كأداة حجاجية للتّدليل، فهو يحلّ محلّ جملة خبري منفيّة.[1]

13-استراتيجية الحجاج على ضوء العقل

بعد أن ثبت انقطاع بشر وفشله في إثبات ادّعائه بخلق القرآن الكريم وبيان الحجّ عليه بنصّ التّنزيل دون تأويل، ادّعى أنّ له من الحجج ما يدحض به مذهب الكناني ولكن بالنظر والقياس العقلي، وطالب أن يناظره الكناني بالنظر القياس ويدع المناظرته بنصّ التأويل.

قال بشر: "يا أمير المؤمنين عندي أشياء كثير، إلّا أنّه يقول بنصّ التّنزيل وأنا أقول بالنّظر والقياس، فليدع مناظرتي بنصّ التّنزيل ولينا ظرني بغيره."[2]

رغم رفض المأمون و ومعارضته كون هذا الأمر لا يجوز، إلّا أنّ الكناني طلب من المأمون أن يسمح لهما أن يتناظرا بالقياس والنظر و أن يحتكما إليهما.

فبعد الاحتكام إلى الأصل والتناظر بنص التنزيل دون تأويل أو تفسير في الفصل الاول من المناظرة، يلجأ الطرفان في هذا الفصل الثاني إلى الاحتكام إلى العقل من خلال المناظرة بالنظر والقياس، ليتم التناظر على مرحلتين: **المرحلة الأولى كان التناظر بالنظر وفي المرحلة الثانية التناظر بالقياس.**

أولا: استراتيجيات الحجاج بالنظر

أ.استراتيجة الحصر

طرح الكناني على بشر سؤالا يحتمل ثلاثة أجوبة، وهو ما يضع بشرا في مأزق منطقي حقيقي، مما جعله يحيد عن الجواب، قال الكناني: " يا بشر، تقول إنّ كلام الله مخلوق؟ ثمّ أضاف: " يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث: أن تقول إنّ الله خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائما بنفسه وذاته، فقل ما عندك."[3]

ب. استراتيجية البيان:

وهي الحجّة التي يستعملها أحد المناظرين لبيان لبس أو توضيح مسألة، تؤكّد مذهبه، فبعد أن حاد بشر عن إجابة الكناني، طلب المأمون من الكناني أن يوضح وجهة النظر فيما ما يستلزم عن القول بخلق القرآن الكريم، ففصّل الكناني ذلك كما يلي:

---

[1]- المرجع نفسه، ص487.

[2]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص 81

[33]- المصدر نفسه، ص 82.

1) إن قال إن الله خلق كلامه في نفسه، فهذا محال باطل لا يوجد السبيل إليه من قياس ولا نظر معقول، لأنّ الله لا يكون مكانا للحوادث، ولا يكون فيه شيء مخلوق، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء مخلوق، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء إذا خلقه، تعالى الله عن ذلك وجلّ وتعاظم."[1]

2) "إن قال خلق كلامه في غيره، فيلزمه في النّظر والقياس أنّ كلّ كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله، لا بقدر أن يفرّق بينهما، فيجعل الشعر كلاما لله تعالى ويجعل قول الكفر والفحش ... وكل قول ذمّه الله وذمّ قائله كلاما لله عزّ وجلّ، وهذا محال لا يجد السبيل إليه ولا إلى القول به، لظهور الشناعة والفضيحة على قائله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا."[2]

3) إن قال: خلق كلامه قائما بنفسه وذاته، فهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد السبيل إلى القول به لا من قياس ولا نظر ولا معقول لأنّه لا يكون الكلام إلا من متكلّم، كما لا تكون الإرادة إلّا من مريد، ولا علم إلّا من عالم ولا القدرة إلّا من قادر."[3]

وأضاف الكناني مدعّما حجته ومؤكدا عليها أنه " لا يرى كلام قطّ قائم بنفسه يتكلّم بذاته، وهذا مالا يعقل ولا يعرف ولا يثبت في نظر ولا قياس ولا غير ذلك، فلمّا استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقا، ثبت أنّه صفة لله عزّ وجلّ وصفات الله عزّ وجلّ كلها غير مخلوقة، فبطل قول بشر يا أمير المؤمنين من جهة النظر كما بطل من جهة القرآن والتنزيل."[4]

وبهذا يثبت بطلان كلام بشر و ادعاؤه وببطلانه يثبت أن الكلام صفة من صفات الله تعالى، وإن القرآن كلامه عزّ وجلّ.

ت. استراتيجية الاستدراج

قام الكناني بجعل بشر يوافقه على بعض القضايا من أجل استدراجه إلى إبطال دعواه، حيث قال الكناني: "يا بشر تقول إنّ الله كان ولا شيء، و كان ولما يفعل شيئا، ولما يخلق شيئا فردّ بشر: نعم، هكذا أقول، فسأله الكناني: بأي شيء حدثت الأشياء بعد إذ لم تكن شيئا، أهي أحدثت أنفسها أم الله أحدثها؟ فاجاب بشر : بل الله أحدثها، فسأله الكناني: بأي شيء أحدثها؟ فقال بشر أحدثها بقدرتها بقدرته التي لم تزل، فأقره الكناني على ذلك، ثم سأله: تقول لم يزل قادرا؟ قال بشر : بلى، قال الكناني: إنه لم يزل يفعل؟ فردّ بشر: لا أقول هذا، فقال الكناني: " لا بدّ من أن يلزمك أن تقول إنّه خلق بالفعل الذي كان عن

[1]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص83.

[2]- المصدر نفسه، ص83.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

القدرة، وليس الفعل هو القدرة، لأنّ القدرة صفة من صفات الله ولا يقال لصفات الله هي الله ولا هي غير الله."[1]

وهنا ظهرت غلبة الكناني على بشر وإفحامه له رغم معاندته له وحيدته عن الإجابة في أغلب فصول المناظرة.

ثم واصل الكناني شرح المسألة حتى يقف كل من في المجلس على كذب دعوى بشر ومن قال بقوله، حيث قال: " قد تبيّن أنّ ههنا إرادة ومريدا ومرادا وقولا وقائلا ومقالا، وقدرة وقادر ومقدورا عليه، وذلك كلّه متقدّم قبل الخلق، وما كان قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء، ما يثبت أنّ صفة الكلام كانت قبل وقوع الفعل."[2]

وهنا، كسر الكناني قول بشر ودحض حجّته بإقراره بلسانه، إذ كسر قوله بالقرآن والسنّة واللغة العربية والنظر والمعقول.[3]

14-استراتيجيات الحجاج بالقياس:

ناظر الكناني بشرا وحاججه بالتنزيل والتلاوة دون تأويل فافحمه، و غلبه ودحض حجّته بالسنّة واللغة العربية، عندها طلب بشر من الخليفة أن يدع الكناني يناظره بالقياس والنظر، فكان له ما طلب واستجاب له الكناني إلا أنه أفحمه مرة أخرى بالنظر والمعقول، وها هو يناظره بالقياس.

فبعد أن عجز بشر عن إجابة الكناني حول خلق الأشياء وبأي شيء حدثت بعد أن لم تكن شيئا انتقلا في هذه المرحلة من فصول المناظرة إلى التحاجج بالقياس، وهي المرحلة الأخيرة التي تنتهي بها فصول مناظرة الحيدة.

15 -استراتيجية الحجاج بافتراض مسألة مشابهة للمسألة المناظر عليها:

اقترح الكناني افتراض مسألة وعرضها على مناظره بشر في حضور الخليفة بوسمه الحاكم بينهما: فقال: " يا أمير المؤمنين لو كان لبشر غلامان، ... أحدهما اسمه خالد والآخر اسمه يزيد، وكان بشر غائبا عنّي فكتب إليّ ثمانية عشرة كتابا، يقول في كلّ كتاب منها: أدفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وكتب إليّ أربعة وخمسين كتابا، يقول في كلّ كتاب: ادفع إلى يزيد، (ولم يقل: يزيد غلامي)، هذا الكتاب، ثمّ كتب إليّ كتابا جمعهما فيه، فقال: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وإلى يزيد ولم يقل غلامي، ثمّ قدم بشر من سفره: أليس تعلم ان يزيدا هذا غلامي؟ فقلت له: قد كتبت إليّ أربعة وخمسين كتابا تقول في كل كتاب منها

[1]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص84.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ادفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامي، ... وأنا لا أجد علمه عن أحد غيرك، (...)، فمن أين أعلم أنّ يزيدا غلامك وأنت لم تقل لي قبل هذا الوقت إنّه غلامك وليس أعلم خبرهما من غيرك."[1]

وأشهد الكناني الخليفة على من هو المفرّط هل الذي كتب الكتاب ولم يذكر أنّ يزيدا غلامه، أم من تلقّى الكتاب ولم يعلم أن يزيدا غلام بشر.

قال الكناني: فقال بشر فرّطت، فحلفت أنا إنّ بشرا فرّط، وحلف بشر إنّي أنا فرّطت حيث لم أعلم أنّ يزيدا غلامه من كتبه، فأيّنا المفرّط يا أمير المؤمنين، فقال: بشر المفرّط، فقال بشر وأي شيء هذا مما نحن فيه."[2]

فبعد قصة الغلامين هاته التي افترضها الكناني، قال : والقياس من هذا كلّه أن المولى جلّ في علاه أخبر في ثمانية عشر موضعا بخلق الإنسان، فما ذكر في موضع منها الإنسان إلا وأخبر بخلقه، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا ولم يخبر في أي موضع منها بخلقه، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق.[3]

وجمع سبحانه وتعالى بين القرآن والإنسان في آية، فأخبر بخلق الإنسان ولم يذكر خلق القرآن، وهذا في قوله تبارك وتعالى: (**الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)[4]. فقد أثبت الله عزّ وجل الخلق من خلال هذه الآية للإنسان ونفاه عن القرآن الكريم.

16-استراتيجيات الحجاج بالسفسطة:

أ/ استراتيجية التمويه:

وهي محاولة إخفاء حقيقة شيء ما يجعله مشابها لآخر، وقد سعى بشر إلى ذلك عندما أراد أن يجعل سكوت الكناني عن الإجابة عن صفة العلم الإلهي كسكوته هو عن الإقرار بأن لله تعالى علما، و يتأكّد ذلك من خلال قول بشر : " واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبد العزيز أن أقرّ أنّ لله علما، فلم أجبه، وسألته عمّا هو علم الله فلم يجبني، فقد استوينا في الحيدة."[5]

والحقيقة انهما ليسا سواء في سكوتهما، لأن بشرا سكت عمّا أقرّه الله تعالى لنفسه بنصّ التنزيل، وإنّما سكت مكابرة، وأمّا الكناني فقد سكت عمّا أمره الله تعالى بنصّ التّنزيل، أن يسكت عنه.

---

[1] - ينظر الكناني، الحيدة والاعتذار، ص85.

[22] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - الكناني، الحيدة والاعتذار، ص80.

[4] - سورة الرحمن، الآية 01 -04.

[5] - الكناني، الحيد والاعتذار، ص

ب/ استراتيجية التغليط في المعنى من خلال سياسة التشبيه

إذا كان من اللسانيين وعلى رأسهم ديكرو ممن تبنّوا الطرح التداولي للحجاج والقاضي بتميّزه بأنّ له أبنيته الكبرى والتي تنسجم فيها النتائج مع المقدمات انسجاما بيّنا ظاهرا، فإنّ ثمّ من اللسانيين من داخل الحقل التداولي قدّموا نماذج حجاجية تقوم على انسجام ظاهري بين المقولات والمقتضيات، ولكن التّمعّن فيها يكشف عن خطأ الاستنتاجات المقدّمة، ويعمد إلى هذا النمط الحجاجي من يرومون الإقناع المؤقّت لجماع ما بأي وسيلة.[1]

ويطلق على هذا النمط الحجاجي مصطلح Paralogume وترجمته الحرفي "الحجاج المجانب للصواب" أي الحجاج الخاطئ، بينما ترجمته النقدي هي: " الحجاج المغالط"، لأن قصد المغالط حاصل من طرف المتكلّم فيما يوجّهه من خطابات ونصوص، والمقصود من المغالط المتعمّد في الحجاج، جعل السامع ينساق بسرع إلى نتيجة معينة، وهو ما يقرّبه من المنهج السفسطائي، حيث يكون الإيهام والمغالطة هما المؤسسان للبنية المنطقي للحجاج.[2]

تتمثل حجة المغالطة والتشبيه في سعي المناظر إلى إظهار شيء بصفة غير صفته على أساس شبهة.[3]

وقد سعى بشر إلى الاستدلال على خلق القرآن الكريم بقوله تعالى: (إنّا جعلناه قرآنا عربيا)ن مدّعيا أنّ (جعل) وردت في هذه الآية بمعنى (خلق) رغم انها وردت بمعنى (صيّر)[4]، ومردّ هذا الادّعاء أن اللفظة(جعل) وردت في القرآن الكريم بمعنى (خلق)ن مما دفعه إلى التشبّه على الناس في الآيات التي وردت فيها الكلمة بمعنى (صيّر).

ومن حجج المغالطة التي سعى بشر إلى التشبيه بها، لمّا ادّعى أنّ الكناني قلل من شأن القرآن الكريم وقيمته وحطّ من قدره عندما قسّمه إلى موصل ومفصّل، فالموصل حسبه (حسب بشر) هو الملفّق غير الصّحيح، حيث قال: " قد وضع ن شأن القرآن ... إذ كان الموصل عندهم جميعا هو الملصق الذي وصل بعضه ببعض ... فسمّى عبد العزيز كتاب الله اسما ناقصا ذميما."[5]، فقد اعتمد بشر قياسا مغالطا على الموصل والمفصّل في القرآن الكريم بنص التنزيل، من لغات العرب كي يشبّه على المأمون والحضور.

---

[1]- محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بنغازي، ليبيا، ط01، 2008، ص196

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، (من س)، ص20.

[4]- الكناني الحيدة والاعتذار، ص49.

[5]- المصدر السّابق، ص 64.

ج/ استراتيجية التلاعب العاطفي:

من خلال هذه الاستراتيجية يحاول أحد المتناظرين صرف الحضور و الحكم عن القضية المحورية وذلك بأن يسعى إلى أن يستثير مشاعرهم من خلال مخاطبة عواطفهم لجعلهم يعتقدون لصحّة رأيه.[1] ومثال ذلك، ما قام به بشر لمّا ذمّ الكناني الجاهليين باللغة العربية، حيث قال" يا أمير المؤمنين يذمّنا ويكفّرنا ويقول إنّا نحرّف القرآن عن مواضعه"[2]، وكأن بشر بمقالته هذه يحاول استثارة عواطف المأمون وخاصّة أن أخواله (المأمون) من غير العرب. كون الكناني يكفّرهم ويذمّهم بجهلهم لغة العرب.

د/ استراتيجية المراوغة في الحجاج:

وهي استراتيجية حجاجية يحاول المناظر باعتمادها مراوغة خصمه بإثارة إشكالية تبعده عن الموضوع الجوهري المتنازع حوله، أو الإشكال الأساس المتناظر عليه، ومثال ذلك ما قام به بشر لمّا أقام عليه الكناني الحجّة أنّ القرآن الكريم منه قول مفصّل ومنه قول موصل، وبشر يجهل ذلك، لأنه جاهل بلغات العرب، فادّعى بشر أن الله تعالى لم يطالب العجم بتعلّم لغات العرب، حيث قال: " أوَ على الخلق أن يتعلّموا لغات العرب؟ ما تعبّد الله الخلق بهذا ولا أمرنا به، وكل إنسان يتكلّم بما علّمه الله، وما كلف الله فوق طاقتهم ولا طالب أولاد العجم بلغة العرب"[3].

وهي مسألة أثارها بشر لا علاقة لها بما كانا فيهن فالكناني كان يتحدّث عمّن يدعي علم القرآن ويؤوله بغير علم، ويقول على الله بجهالة ويظل الناس ويفتنهم في دينهم مدّعيا العلم والفهم وهو جاهل بالقرآن وجاهل بلغات العرب.

هـ/ استراتيجية التخويف وحجاج القوة:

وتقوم هذه الاستراتيجية على تخويف الخصم من أجل إضعاف حجّته و فرض الرّأي بالقوّة.[4] وبناء حجاج القوّة غالبا ما يكون ضعيفا، لأنه احتجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطَب على سلوك معين أو عمل معيّن ي

فقبل المناظرة وبعدها كان أصحاب بشر يحاولون إرهاب الكناني وتخويفه من العقاب، كما كان بشر يذكّر الكناني كلما أتيحت له الفرصة بما سيلحقه من عذاب كي يخيفه ويربكه عن المناظرة، ومن أجل أن يثنيه عما جاء من أجله.

و/ استراتيجية التعميم:

وتقوم هذه الاستراتيجية على تبرير نتيجة عامّة بالاعتماد على عيّنات غير كافية، إذ يحاول أحد المتناظرين أن يوهم متناظره أو الحضور بصدق قضيّته عن طريق جعل بعض العيّنات غير الكافية دليلا

---

[1]- رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص28.

[2]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص

[3]- الكناني، الحيدة والاعتذار، ص

[4]- رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص32.

على صدق دعواه بعد تعميمها وجعلها قانونا عامّا، ومثال ذلك ما حاوله بشر من أن يثبت أنّ (جعل) تفيد معنى (خلق) دائما. وقد تقدّم معنا هذا.

ز/استراتيجية السخرية:

يميل الكثير من المتناظرين إلى الاستهزاء والسخرية من خصمه بدل التدليل والحجاج.[1]

إلا أن الكناني كان يعتمد في مناظرته وسجاله خصمه على الحجج والأدلّة والبراهين، كما كان يعتمد السخرية والاستهزاء في أحايين كثيرة، وهي استراتيجية يمكن أن يقابل بها استراتيجية التخويف والترهيب التي كان يعتمدها بشر في مناظرته.

ح/ استراتيجية السلطة في الحجاج:

والسلطة بهذا المفهوم لا تعني نظام سياسي أو ما هو متعارف عليه فيما يتصل بأنظمة الحكم، وإنما يقصد من السلطة هنا حسب وودز John Woods **وزميله دوغلاس والتون D. Walton** معنى قريبا من "الخبرة المعرفية" أي "أن تكون للشخصية المتكلّمة أو مرسل الخطاب قدما راسخة وباعا طويلا في المجال الذي يتحدّث فيه".[2] **فتمكّن المتناظر من العلم المتناظر حوله وكفاءته فيه يخوّل له السلطة فيه والسيادة على خصمه.**

حيث يستمدّ هذا النّمط من الحجاج فعاليته من مكانة المناظر في العلم المتناظر حوله ورسوخ قدمه فيه.

وقد ركّز الكناني كثيرا على هذه الاستراتيجية في مناظرته بشرا المريسي أكثر من التركيز على قدح الرجل وذمّه بسبب جهله بالعربية ومداخلها اللغوية، وقد أشار في أكثر من مناسبة ضمنا على مقدرته وتفوّقه في هذا المجال، من أجل أن يمنح لنفسه نوعا من السلطة على الخطاب و سيادةً على الموضوع المتناظر حوله خاصّة وأن المناظرة كانت تجعل من المداخل اللغوية سبيلا للاستدلال.[3]

ولكي يكون الاحتجاج بالسلطة سليما ينبغي أن تتوفّر فيه حسب جون وودز شروط أساسية، هي:[4]

1- ينبغي إدراك الحجّة إدراكا سليما، سياقا وفهما وأمانة في النقل.

2- ينبغي أن تكون للسلطة كفاءة حقيقية ومتأكّدة في مجالها، إذ لا يمكن إلى مجرّد الشهر أو ما شاكلها.

3- ينبغي أن يتعلّق رأي الخبير بمجال كفاءته المخصوصة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص30.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، (م، س)، ص199.

[3]- مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، (م، س)، ص22.

[4]- محمد النويري، الأساليب المغالطية، مدخل في نقد الحجاج، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، جامع منوبة، تونس، د. ط، د. ت، ص 423.

4- ينبغي أن يكون رأيه قائما على دليل يكون في وسعه أن يرهن عليه.

5- ينبغي توفّر تقني وفاق ضرورية للبتّ في الخلافات بين سلطتين أو أكثر، مشهود لها بالكفاءة نفسها.

ي/ استراتيجية التغليط من جهة اللفظ:

وهي حيلة يعتمدها أحد المتناظرين سعيا من خلالها إلى تغليط الخصم والحضور بجعل اللفظ يدل على غير المعنى الذي وضع من أجله.[1] وهي الحيل التي سعى من خلالها بشر أن يشبه على الحضور بأن يجعل لفظ (جعل) يدلّ على معنى الخلق، حيث قال بشر: "هل في الخلق أحد يشكّ في هذا أو يخالف عليه، إنّ معنى (جعلناه) خلقناه."[2]

ك/ استراتيجية الحجاج بالقياس الجدلي:

ويقصد به القياس الذي يستمدّ شرعيته من شهرة مقدّماته وليس من صدقها، إذ إنّه القياس الذي يستمدّ شرعيته من مقدمات ذائعة وجدليته نابعة من شهرة مادته لا من خصوصيته في صورته.[3]

وظف الكناني ومثله المريسي في مناظرتهما الحجج المتوفرة لديهما من خلال استراتيجيات الخطاب في التّناظر والتحاجج، ولم يدعا سبيلا إلا حاولا طرقه، يحاول كلّ منهما دعم موقفه بسلطة الحجة والدليل وما استطاع إلى ذلك سبيلا، إلا أنّ الغلبة كانت لعبد العزيز الذي كان يفحم مناظره ويقطعه في كل مرة بقوة حججه ومنطقيتها، وبسبب تمكنه من كتاب الله تعالى باللغة العربية ومداخلها اللغوية، وبراعته في النظر والقياس والاستقراء، ما جعله يتفوّق على منظره في كل مسألة يتناولانها بالنقاش، بإقرار المأمون ذلك في كل مرة كونه الحكم بينهما والشاهد عليهما كما قال هو في أحد المواضع.

قال الكناني: "قال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، ثمّ أمر لي بعشرة ألاف درهم، فحملت بين يدي وانصرفت من مجلسه على أحسن حال وأجملها، فقد أعزّ الله دين الإسلام، وعزّ أهله وأذلّ الكفر وأهله، فلله الحمد والشّكر على نعمه كلها وعلى توفيقه وتسديده."[4]

وأضاف: " فسُرّ المسلمون جميعا بما وهبهم الله من إظهار الحقّ وقمع الباطل وانكشف عن قلوبهم ما كان قد اكتنفها من الغم والهم والحزن..."[5]

---

[1] - حمو النقاري، منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الاصوليين دار الامان، ط01، الرباط2005، ص203.

[2] - الكناني، الحيد والاعتذار، (م، س)، ص3

[3] - حمّو النقاري، منطق الكلام، (م، س)، ص299.

[4] - الكناني، الحيد والاعتذار، (م، س)، ص86.

[5] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الخاتمة

خاتمة البحث

وفي ختام هذه الجولة البحثية خلصنا إلى النتائج التالية:

- الحجاج لغة، ومن خلال معظم التعريفات التي أوردتها المعاجم على اختلافها لا يكون إلا لخصومة ولا يرد إلا مع حجة، دليل وبرهان قصد دحض الخصم، والحجاج بالتالي رديف للجدال وللرد على الرأي المخالف قصد إقناعه بالحجة وإقحامه بالدليل والبرهان. فالحجاج بمعنى غلبه بالحجة، وحاجّه محاجّة وحجاجا جادله واحتجّ عليه: أقام عليه الحجة وعارضه مستنكرا فعله، وتحاجّوا: تجادلوا. والحجّة الدليل والبرهان.

- واصطلاحا الحجاج كما عرّفه طه عبد الرحمن هو كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها، وهو توجيه خطاب إلى متلقٍّ ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا.

- تأسس منطق الحجاج على يد اليونانيين (أرسطو والسوفسطائيين)، ثم تأصل على يد حاييم بيرلمان وتيتيكا الذين اهتما به كثيرا من خلال مؤلفهما " مصنف في الحجاج".

- وقد لاقى الحجاج اهتماما كبيرا وعناية واسعة من طرف الدارسين اللسانيين والباحثين التداوليين عربا وغربا على حدّ السّواء من خلال الاهتمام بمبادئه وأطره و أنواعه. وللحجاج علاقة بالمصطلحات المرتبطة به كالبرهان والجدال والاستدلال.

- التداولية مبحث يتناول دراسة الأداء اللغوي أو الفعل الكلامي بين المتخاطبين وتدرس أثره على مستوى المتكلم أو المخاطب وهي وإن عدّها بعض الدارسين اتجاها لسانيا أو فرعا عن اللسانيات إلا أنها جاءت لتدرس الجانب الإجرائي من اللغة، أي أن التداولية تعنى في أهم أدوارها بدراسة دور اللغة في العملية التخاطبية.

- وقد اكتسبت التداولية عدداً من التعريفات، بحسب اهتمام الباحث نفسه فقد يكون اهتمام الباحث اهتماما بالمعنى في سياقه التواصلي أو يكون اهتمامه منصبا على المرسل منشئ الخطاب ومحركا له وباعتبار وجهة نظره، فيعرفها بداية بأنها دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله.

- الدرس التداولي يعنى بالأقطاب العملية التواصلية من مرسل ومرسل إليه وسياق تواصلي أو الموقف المقامي.

- وللدرس التداولي المعاصر أصول فلسفية كثيرة تضافرت مجتمعة في بلورة وتحديد مفاهيمه الكبرى، حيث تعد الفلسفة الينبوع المعرفي الأول محصورة أساسا في الفلسفة البراغماتية الذرائعية والفلسفة التحليلية.

- اهتمام العلماء من باحثين ودارسين لغويين، وبلاغيين – عربا وغربا- بالدرس التداولي وإجراءاته ومبادئه، وأهم نظرياته.

- إن في تراثنا اللغوي العربي ما يؤكد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية، وذلك من خلال إشارات كثيرة وردت هنا وهناك مبثوثة في بطون الكتب وثناياها.

- وقد تجلت ملامح الدرس التداولي بوضوح في الدرس العربي حيث تمثل علماؤنا القدامى من اللغويين أمثال كالجاحظ، والجرجاني، والسكاكي...وغيرهم، فالجاحظ مثلا اعتنى بالنظرية التداولية أيما اعتناء من خلال اهتمامه بالمتلقي و بالمقام الخطابي.

- الأبحاث التداولية ترتبط بروابط وشيجة مع معارف مختلفة وتتداخل مع عدد من العلوم اللسانية والنظريات المعرفية. واللسانيات النصية وتحليل الخطاب واللسانيات البنيوية والنحو الوظيفي. وعلم الدّلالة.

- التعرف على نظرية الأفعال الكلامية وجهود أوستين وسيرل فيها، والأفعال الإنجازية وشروط تحقيقها.

- للحجاج علاقة تضمن بالتداولية، كون النظرية الحجاجية من صميم نظرية الأفعال الكلامية.

- تهتم نظرية الأفعال الكلامية بعدّها الإجراء الأهم في النظرية التداولية بالعملية التواصلية من خلال عنايتها بالحجاج بعدّه من صميم الأفعال الكلامية، ولعنايته بالمتكلم والمتلقي في الآن ذاته وكونها تعطي أولوية كبرى للغة ودورها في تحقيق الأهداف وتجسيدها من خلال الأثر الذي يحدثه المتلقي.

- الخطاب الحجاجي وسيلة اتّصال لأنّه كلام بين اثنين، من متكلم إلى مستمع، والخطاب كما يبدو في مختلف البحوث عملية اتّصال تتمّ في الإطار اللغوي الذي يتكوّن من متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسل واحد، أو تتمّ بين عدّة متخاطبين، وفي مقام محدد.

- يهدف الخطاب الحجاجي بالدرجة الأولى إلى التأثير والإقناع مما يقتضي أن يتضمن باثا أو متكلما مرسلا للخطاب ومنتجا له يتوجه برسالته الخطابية إلى متلق أو مرسل إليه يتوخى تغيير وجهة نظره أو موقفه، ويتمّ كل ذلك ضمن سياق موقفي محدد.

- للخطاب الحجاجي ملامح خاصة، كما له خصائص وسمات محدّدة.

- اهتم البلاغيون العرب القدامى بالخطاب الحجاجي من خلال أبحاثهم البلاغية وعنوا من خلاله عناية خاصة بالمخاطب والمخاطب والمقام الخطابي

- الخطاب الحجاجي أنواع عديدة منه الفلسفي و الجدلي ومنه القضائي والخطابي وغيره وللخطاب الحجاجي علاقة بعلوم اللغة والبلاغة كما له وشائج قوية بالبلاغة الجديدة..

- تعدّ مناظرة الحيدة والاعتذار التي ضمنها الكناني كتابه الحيدة من أشهر المناظرات في التاريخ الإسلامي، طرفاها عبد العزيز الكناني و بشر بن غياث المريسي وموضوعها قضية خلق القرآن الكريم و دارت فصولها في مجلس الخليفة العباسي المأمون.

- من الاستراتيجيات الحجاجية المعتمدة في مناظرة الحيدة: استراتيجيات الاستهلال والابتداء المتمثلة في استراتيجيات التجريح

- استراتيجيات المثل (من القرآن الكريم ومن المثل).

- ومن الاستراتيجيات الحجاجية الموظفة: الاستراتيجيات اللغوية المتمثّلة في الروابط الحجاجية والعوامل اللغوية

- الاستراتيجيات التداولية وآلياتها: أفعال الكلام، الأساليب الانشائية، والقوى الإنجازية المحققة من خلالها.

- الاستراتيجيات البلاغية من خلال الحجاج ببعض الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة المكنية والكناية، والقوى الحجاجية التي حققتها في الخطاب، والحجاج بالمحسنات البديعية كالطباق والمقابلة والفصل والوصل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

1) أبو الحسن عبد العزيز بن يحي الكناني، الحيدة و الاعتذار في الردّ على من قال بخلق القرآن، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط2، 1423هـ2002م،

المعاجم

2) أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 11، ط3، 1994

3) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998،

4) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، المجلّد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008

5) نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، م2، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان، 1974

6) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، لبنان.

7) إسماعيل بن حماد الجوهري الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 1407 هـ 1987 م.

8) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1982،

9) ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، ط2، د، ت

10) محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985

11) إنعام فوال عكّاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، دط، 1971.

12) السكاكي، مفتاح العلوم. العلوم، تح: نعيم زرزور، المطبعة الأدبية، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1317هـ،

14) إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، وعبد الحليم منتصر، ومحمد خلف الله أحمد، (مجمع اللغة العربية)، المعجم الوسيط، المجلد1، دار الفكر، ط2، د.ت.

15) سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة، انجليزي-عربيمكتبة لبنان للنشر، بيروت، لبنان.

16) مجدى وهبة، معجم المصطلحات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت.

17) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

المراجع باللغة العربية

18) أحمد المتوكّل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التراكيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، د، ط، 1993،

19) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1430 ه 2009 م

20) ديزيرة سقال، علم البيان بين النظريات والأصول، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان ط1 ، 1997م،

21) علي فتحي، تعريف المناظرة و أركانها وشروطها وآدابها وقواعدها ومراحلها ونتيجتها، (م، س).

22) عبد الرحمان حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1988.

23) أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د. ط، د، ت، مصر،

24) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمّد شرف، القاهرة، مصر، 1383ه.

25) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، ج 1، ط1، 1985.

26) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، سوريا، دمشق، ط1، 1964.

27) أبو الحسن الأشعري، مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، تح: دانيال جيماريه، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1987.

28) عيسى الحسن، الدولة العباسية، تكامل البناء الحضاري، دار الأهلية للنشر والتوزيع.

29) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

30) أبو المعالي الجويني، الكافية في الجدل، تح: حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1979.

31) أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح، عبد المجيد تركي، دار المغرب العربي الإسلامي، بيروت، لبنان ط3، 2001، 2000، .

32) أبو بكر العزاوي، الحِجاج في اللغة، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006م.

33) أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردنّ، ط01، 2010، ج1.

34) أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006.

35) أبو بكر العزاوي، اللغة والمنطق والحجاج، حاوره حفيظ العليوي، حوار منشور على شبكة صوت العربية.

36) أبو عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، ط2، 1405 – 1985،

37) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشّعر، تح: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1952.

38) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: يحي زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة السورية، سوريا، دمشق، 1974.

39) أحمد بن يحي ثعلب، قواعد الشعر، تح: محمد رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1995،

40) أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007،

41) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، دت.

42) أحمد مطلوب، فنون البلاغة، البيان والبديع، دار البحوث العلمية، الكويت، د، ط، 1975،

43) الأزهر الشريف، مذكرة بلاغة التطبيق، معهد العالي للتدريس للأدب وعلم التربية، دب، دط، دت.

44) محمّد بن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2004.

45) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، طبعة الخياط، بيروت، لبنان، د، ت، ج3.

46) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

47) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط2، 1990.

48) أوزفالد ديكرو، السلالم الحِجاجية، ضمن لسانيات الخِطاب، "الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية.

49) أوليفي ريبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، تر: الغروس المبارك، نوافذ، 1422. 2021.

50) باشا العيادي، فنّ المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية – تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

51) بسام قطوس، دليل النظرية النقدية المعاصرة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2004.

52) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثّقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د، ط)، 1994، .

53) جلال الدين محمد القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح محمد هاشم دوديري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1982.

54) حسين الصدّيق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

55) حمو النقاري، التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006.

56) حمو النقاري، منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الاصولين دار الامان، ط01، الرباط، 2005.

57) زاهر الألمعي، مناهج الجدل، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، (د.ت).

58) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1975.

59) شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م.

60) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة العاشرة، المريسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، ج10.

61) شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج2، دار صادر بيروت، لبنان، 1398هـ، 1978.

62) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت، عالم المعرفة، 1992.

63) السيد عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية (عمّان، دار الحامد، ط1، 2004.

64) طاش كبرى زاده، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، تح: حايف النهان، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2012.

65) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

66) عبد الرحمن بن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط4، دار القلم، بيروت، 1414هـ-1993م.

67) عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، 1990 م.

68) عبد الغفار مكاري، جذور الاستبداد، قراءة في أدب قديم، عالم المعرفة، الكويت، ع/129، 1994.

69) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الضفاف، بيروت لبنان، ط1، 2013م.

70) عبد الله بن المعتزّ، كتاب البديع، تح: أغناطيوس، كراتشكوفوسكي، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، 1983،

71) عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989م

72) على بن محمد على الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1403 هـ، 1983.

73) علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.

74) فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001.

75) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط01، 1978 م.

76) محمد بو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، (د.ت).

77) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2005.

78) محمد كريم الباجلاني، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي في عصري الخلافة والطوائف، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2013.

79) محمّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام هارون، م5، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1991.

80) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة، 2002.

81) محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1426هـ 2005م.

82) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج1، ج2، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د، ط، د، ت.

83) ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة، مصر، ط1، 1948، ج3.

84) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط01، 2007،

85) أبو علي عمر السكوني، عيون المناظرات، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976.

86) أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط، 1995،

87) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت،

88) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس الهجري، منشورات الجامعة التّونسية، (د، ط)، 1981.

89) رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد، بنغازي ط01، 2010

90) بن خلدون، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د، ت.

91) -عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2003.

92) قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي عي الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 2012.

93) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: صالح هاشم، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط02، 1988.

94) محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

95) محمد بن شمس الدين، مناظرة القائلين بخلق القرآن، الحيدة والاعتذار (أكبر مناظرة للقائلين بخلق القرآن)، لعبد العزيز بن يحي الكناني المتوفى عام 640هـ.

96) مختار الفجاري، الفكر العربي الإسلامي، (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم)، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2009.

97) ابن هشام الأنصاري (أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف)، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، الشركة المتحدة للتّوزيع، القاهرة، مصر، ط11، 1983

98) أبو الفتح عثمان، ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1952

99) أبو بكر العزاوي، الحِجاج في اللغة، دار الأحمدية، المغرب ط1، 2006، ، ضمن الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، ط1، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010م.

100)-حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006.

101)أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمدية، المغرب، ط1، 2006م.

102)أبو حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق: وتح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

103)أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد الّسّلام هارون، مكنبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج/1.

104)أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، دار الفكر العربي، ط2، (د، ت).

105)أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان، ط2، 2010.

106)أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

107)أحمد بن فارس بن زكريا أبو محسن، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2.

108)أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، 2015.

109)أحمد قادم، سعيد العوادي، التحليل الحجاجي للخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2016.

110)أحمد كروم، مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحِجاجي لبنية الاقتضاء، عالم الفكر، م/32، ع/3، 2004م.

111)أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1985.

112)أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.

113)الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد حياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992.

114)الحافظ المنذري، مختصر صحيح مسلم، تح: محمد ناصر الدين الألباني، قصر الكتاب، البليدة، ط1، 1411هـ، ص 358، رقم الحديث 1360.

115)العزاوي، أبو بكر، الحِجاج في اللغة، دار الأحمدية، المغرب ط1، 2006م.

116)شكري المبخوت، نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ، كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1999م.

117)محمد إسماعيلي العلوي، التواصل الإنساني، دار كنوز المعرفة العلمية، عمّان، الأردن، 2014.

118)أوزفالد ديكرو، السلالم الحِجاجية، ضمن كتاب لسانيات الخِطاب، الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية، صابر حباشة، دار الحوار اللاذقية، سورية، ط1، 2010.

119)بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.

120)جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.

121)جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2008.

122)جواد ختام، التداولية، أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.

123)جون أوستين، نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

124)جون براون و ج يول، تحليل الخطاب، تر و تع: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1997.

125)حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات: علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014.

126)حافظ علوي والدكتور منتصر عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، من مقدمة الكتاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، مقال متاح على صحيفة الغد،

127)حبيب أعراب، الحِجاج والاستدلال الحِجاجي، "عناصر استقصاء نظري"م30، ع1، عالم الفكر، 2001.

128)حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، .

129)حمادي صمود، تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، تونس، ط1، 1999.

130)حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفّع، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1.

131)خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008.

132)خوسيه ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر: حامد أبو أحمد، دار غريب، القاهرة 1991،

133)دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

134)رفعة كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي، دراسة وصفية تاريخية، منتدى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال الجاهليات، أطروحة دكتوراه آداب، بغداد، 2000.

135)رولان بارت، قراءة جديدة البلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب ط1، 1994م،

136)زستيسلاف و اورزنياك، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد بحيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2003م.

137)سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

138)سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة 1991.

139)سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005،

140)سمير شريف أستيتية، منازل الرؤية، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2003،

141)سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408، 1988،

142)شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

143)شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

144)شيشرون، الجمهورية، (كتاب 1، باب 24، فقرة 38)، نقلا عن عبد الرزاق بنور، جدل حول الخطابة و الحجاج، الدار العربية للكتاب، تونس، (د، ط)، 2008.

145)صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2008.

146)صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2004.

147)-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط3، 2007م.

148)طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، كلية الآداب، أغادير، المغرب .

149)طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، دت.

150)عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس ط1، 2006

151)عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل بيروت، لبنان، د.ت،

152)عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998م

153)عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986،

154)عبد السلام عشير "تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 2010،

155)عبد السلام عشير تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، مطبعة المعارف الجديدة الرباط،

156)عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج، مقاربة تداولية معرفية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، المغرب، 2000،

157)عبد العزيز السراج، التواصل والحِجاج، (أية علاقة؟)، ضمن الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط1، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010م،

158)عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د، ط، بيروت، لبنان، 1984،

159)-عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساقها الثقافية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010،

160)عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2003،

161)عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2002م

162)عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تص وتع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402، 1982.

163)عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ج2، منشورات كلّي الآداب، منوبة، تونس، 2001.

164)عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكه، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م.

165)عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

166)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

167)عبد الواسع الحميري، ما الخطاب، وكيف نحلله؟، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2009.

168)علجية آيت بوجمعة، التداولية، دراسة في المجالات والفروع، الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، المجلد 07، ع/ 03.

169)علي الإدريسي، في تأسيس الحجاج لدى مفكّري الإسلام، الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة -عبد الملك بن مروان أنموذجا، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط01، 2006.

170)عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ج2، 1999،

171)عمار مصباح، الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآليته العلمية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2006.

172)عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011.

173)فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.

174)فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988.

175)فرونسواز أرمينيغو، المقاربة التداولية، تر. سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب 1986م.

176)فضيلة عبد المحسن صالح أبو سوادة، ، تفسير أداء معلمات اللغة العربية بالمرحلة الثانوية في ضوء النحو الوظيفي، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 1998.

177)فيليب بلانشيه التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

178)فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط07.

179)لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1997.

180)إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 1999).

181)محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، (د، ت).

182)محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1407، 1987م،

183)وليم جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، تر: محمد الشنيطى، مكتبة القاهرة الحديثة،

184)القاهرة، ط1، 1975م.

185)محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية، البلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية، 1983.

186)محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 1996.

187)محمد العيد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، نقلا عن أمال يوسف المغاميسي، الحجاج في الحديث النبوي الشريف

188)محمد النويري، الأساليب المغالطية، مدخل في نقد الحجاج، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، جامع منوبة، تونس، د. ط، د. ت.

189)محمد الورداشي، بعض المفاهيم الكبرى في التداولية، الحوار المتمدّن، ع/ 5499،

190)محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط7، 2004.

191)محمد علي الخولي، القواعد التحويلية للغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، د، ت

192)محمد عنانى، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، جولدمان، القاهرة 1996م.

193)محمد محمود السيد أبو الحسن، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، 2010

194)محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، ج28، سلسلة التراث العربي، الكويت، ط6، 1965.

195)محمد مشبال، البلاغة والسرد، منشورات كلية الآداب، ط1، تطوان، المغرب، 2010.

196)محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، إفريقيا الشرق، 2010.

197)محمود أمين نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2002 .

198)محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية لوحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2012.

199)مختار الفجاري، من أجناس الخطاب الفكري الشفوي القديم (تحليل جنس المناظرة في القرن الثاني والقرن الثالث هجري، ضمن كتاب تداخل الأنواع الادبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، م2، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

200)مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

201)مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات، علم استعمال اللغة، تن: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2014.

202)مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 1997.

203)ميجان الرويلي، و سعدالبازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000.

204)ميشال عازار مخايل، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2012.

205)نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد باقر، مديرية مطبعة الجامعة، جامعة الموصل، العراق، 1985.

206)نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ط 1، 2009.

207)هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، بحث منشور ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.

208)هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغب، 1999 .

209)أحمد المتوكل، التداولية فى اللغة العربية، طبعة الدار البيضاء، المغرب، 1985م

210)سعيد علوش لكتاب " المقاربة التداولية " لفرانسواز أرمينكو مركز الإنماء القومى، الرباط المغرب 1986م

211)محمد البكري، " مبادئ فى علم الأدلة " لرولان بارت، طبعة دار الحوار، اللاذقية، سوريا 1987م، - صلاح فضل في بلاغة الخطاب وعلم النص، عن عالم المعرفة، الكويت، ع/ 164، 1992م.

212)يعقوب فام، البراجماتية، أو مذهب الذرائع، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط2، 1998

213)أبو الحسن حازم بن محمّد بن حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1936.

214)أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006.

215)عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

216)آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، لطيف زيتوني، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 2003.

217)بن ذريل عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989م.

218)حمودي محمد، الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، جامعة مستغانم

219)خديجة محفوظ محمد الشنقيطي، المنحنى التداولي في التراث اللغوي، ، الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب، الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010.

220)خلود العموش، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثال من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

221)دنحا طوبياكوركيس، البراغماتية والفائداتية، جامعة جدارا للدراسات العليا، إربد، الأردن.

222)ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005.

223)روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 .

224)طه عبد الرحمن اللسانيات والمنطق والفلسفة، المركز الثقافي العربي، 2000.

225)عادل الثامري، جامعة البصرة، التداولية ظهورها وتطورها، مقال متاح في منتدى إيلاف المغرب

226)عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط.2014

227)عبد السلام عشير، عندما نتكلّم نغير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006.

228)عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

229)علوي بن عبد القادر السقّاف، الدرر السَّنية، مرجع علمي موثّق على منهج أهل السنة والجماعة، الموسوعة الحديثية،

230)علي الشعبان، الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008

231)علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

232)محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

233)محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

234)محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنصر، غولدمان، القاهرة، 1996.

235)محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،

236)محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، 1997.

237)محمود أحمد، نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(الإسكندرية، دار المعرفة، 2002).

238)ميجان الرويلى، سعد البازعى : دليل الناقد الأدبى، ط1 السعودية 1995م

239)نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

240)وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر الإسلامي، دار الفكر، الجزائر، دمشق، ط1، 1406، 1986.

241)يعقوب فام، البراجماتية، أو مذهب الذرائع، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م.

242)أوستين، نظرية أفعال الكلام، ترجمة: قنيني، د-ط، إفريقيا الشرق، المغرب، 1990م.

243)خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2002.

244)أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005.

245)يوسف أبو العدوس، البراجماتية مصطلحاً نقدياً، منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولى الثانى للنقد الأدبى، القاهرة 2000م، بإشراف عز الدين إسماعيل.

246)يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2014،

247)القاضي محمد، الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، منوبة، تونس، دت.

248)ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1983.

249)ابن خلدون، المقدمة، تح: حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988.

250)أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، عن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، لحافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة، أربد، 2010.

251)أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب "التحاجج " طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآ داب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006.

252)التواصل والحجاج، أية علاقة؟ بحث من شور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، لحافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، أربد 2010.

253)الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1967.

254)الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان، تونس، د.ت،

255)أوليفي ريبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ تر: محمد العمري، علامات، ديسمبر 1996،

256)باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

257)شكري المبخوت، بحث منشور ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1998

258)طه عبد الرحمن، في أصول النحو وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

259)عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، منشورات كلية الأداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة، ط01، 2001.

260)فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا للشرق، د. ت،

261)محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، ديمويرس للطباعة والتجارة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

262)إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1،

263)حسن الملخ ومجموعة من المؤلفين، الحجاج: رؤى نظرية ودراسات تطبيقيّة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015.

264)محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2004م.

265)يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والآداب، ، منشورات مخبر تحليل الخطاب؟، جامعة تيزي وزو، ع2، ماي، 2007،

266)حسان الباهي، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

267)أبو بكر العزاوي، الحجاج: طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمر النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

268)أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، 1426،

269)فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النص العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2003.

المجلات والدوريات

270)نعمان بوقره، التصور التداولي للخطاب اللساني، عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير 2006.

271)محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، المجلة العربية للثقافة، ع/ 32، مارس1997.

272)باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، حامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع07، 2011.

273)زهرة بن أعراب، دور الأساليب والروابط اللغوية في العملية الحجاجية من خلال "البيان والتبيين" للجاحظ، مجلة الخطاب، ع6، جانفي 2010.

274)عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، دراسة جديدة، ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ع /22، ، 2005.

275)فوزية زيار، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي نماذج من البلاغة العربية، مجلّة اللغة والاتصال، المجلّد 13، ع/22، 2018..

276)أحمد حساني، البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، وهران، العدد الأول، 1992.

277)حامد ناصر الظالمي وعايد جدوع حنون، مفهوم الحجاج، مجلة أبحاث البصرة، م38، ع3\2013،

278)محمد الوليّ، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ع2، مج40، 2011.

279)محمد طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب التوكيد في اللغة العربية، مجلة الخطاب، منشورات مختبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع3، 2008.

280)عباس حشاني، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ص268.

281)أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد جويلية، 2001.

282)حسن المودن، مجلة علامات، ج42، م11، (1422-2011)،

283)عمر بلخير، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية فيا للغة العربية (الخطابا لمسرحي نوذجا)، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد 2001،

284)فالح شبيب العجمي، الربط الذرعي في النص العربي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد 12، عدد 1، سنة 1994

285)عز الدين الناجح، من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع/ 02، ماي 2007.

286)عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.

287)حمدي منصور جودي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية، مجلّة مقاليد، جامعة بسكرة، ع/13، 2017.

288)رضوان الرقبي، " الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله "، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011، عدد 02، مجلد 40 .

289)عمّار لعويجي، علاقة البلاغة بالتداولية، مجلّة علوم اللغة وآدابها، جامعة الوادي.

290)مراد ليتيمي، الحجاج والمغالطة في أدب المناظرة، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر تيزي وزو، ع 27، 2014

291)أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج/ الخطاب والحجاج، مجموعة من المقالات نشرت في مجلة المناظرة ومجلّة المناهل.

292)أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، حوار أجراه معه حافظ اسماعيلي علوي، مجلّة فكر ونقد، ع/61، سبتمبر 2004م .

293)أحمد صديق الواحي، نقد النظريات اللغوية المعاصرة، مجلة فصول، ع 70، 2007.

294)إيمان هنشيري، آليات اشتغال المنهج التداولي على التراث الشفوي، مجلة الذاكرة ع/ 01، المجلد 04جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

295)أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد جويلية 2001م.

296)نور الوحدة، التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجالات، مجلة التعريب، الجامعة الإسلامية الحكومية، بالانغاريا، أندونيسيا، العدد الثاني، السنة الرابعة، 2016،

297)بن يحي الطاهر ناعوس، حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، ع/47.

298)حسن المرزوقي، مدخل إلى الحجاج، مجلة التربية، البحرين، ع/15، 2005.

299)خالد حسين دلكي، أحمد محمّد أبو دلو، الدّرس الحجاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب، "دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف من خلال تفسير ابن عاشور" مجلة المنارة، المجلد 21، ع/3، 2015

300)ذهبية حمو الحاج، البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري، مجلة الأثر، ع17، 2013.

301)رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند ديكرو و آنسكومر، مجلة عالم الفكر، ع1، سبتمبر، 2005.

302)سعيد بنكراد، التأويل بين بورس ودريدا، مجلة علامات، مكناس، المغرب عدد 11، 1999.

303)الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، مجلة ملتقى النص، مجلة اللغة والأدب، ع12، جامعة الجزائر، ديسمبر 1997.

304)شلباب جمال، البلاغة العربية والتداولية، مجلّة المقري، للدراسات اللغوية والنظرية والتطبيقية، عدد 03، مجلّد 02، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة.

305)عبد القادر بو زيدة، نموذج من المقطع البرهاني أو الحجاجي، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر.

المراجع الأجنبية

306) Chaïm Perelman : Droit, morale et philosophie, Paris, Librairie Générale de Droit et de Jurisprudence, 1968

307) Jean Gaune : Esthétique de lacommunication, Que sais –je, PUF, 1er édition, 1997

308) Levinson , Stephen : Pragmatics , Cambridge UniversityPress, 1983
309) Olivier Reboul, Introduction a la rhétorique, PUF, Paris, 2eme ed,1994
310) Voir: Anscombre et ducrot " L 'argumantation dans la langue" Piere Mardaga. Editeur, 2ed
311) Michel Meyer : Qu'est-ce que l'argumentation?, Paris, Librairie Philosophique Vrin, 2005.
312) Chaïm Perelman : Rhétorique et philosophie, avec Lucie Olbrechts-Tyteca, Paris, Presses Universitaires de France, 1952
313) Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.
314) G. Leech : The principles of Pragmatics , Longman , U,S,A, 1983
315) Michel Meyer , Logique , langage et Argumentation
316) Moeschler Jacques, Reboul Anne, Dictionnaire encyclopedique de pragmatique, Seuil 1994
317) Voir : Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, Dictinnaire Analyse du descours , édition du seuil, Février 2002, Paris, VI éme
318) Voir: Michel Meyer 1982" (Logique langage et Argumentation" Classique Hachette
319) Emile Benveniste, Problèmes de l' linguistique générale, T I
320) Françoise Récanati, Naissance de la pragmatique : Postface de : Qand dire- c'est faire, Traduction de Gilles Lane, Paris, Le Seuil,1991
321) Philipe Breton,l'argumentation dans la communication, 3eme ed , Repère 07

المواقع الإلكترونية

322) www.aljabriabed.net/n36_05ayathamo.htm
323) www.almaany.com/ar/dict/ar
324) www.alukah.net
325) www.alukah.net/publications_competitions
326) www.balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html
327) www.gxnu.edu.cn/Personal/szliu/definition.html
328) www.gxnu.edu.cn/Personal/szliu/definition.html
329) www.userwww.s-fsu.edu

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة 1
مدخل: التأسيس لبلاغة الحجاج 7
الحجاج: حدوده ومفاهيمه 7
الحجاج لغة: 7
الحجاج في القرآن الكريم: 10
الحجاج اصطلاحا 10
أقسام الحجاج: 20
1-الحجاج التوجيهي: 20
2-الحجاج التقويمي: 21
منطق الحجاج عند فلاسفة اليونان: 26
الاستدلال والحجاج عند بيرلمان 32
الحجاج، المحددات والأطر: 33
الحجاج والخطابة عند بيرلمان 34
الحجاج: البناء والمكونات 35
الفصل الأول: التداولية: الأسس، المنطلقات والمفاهيم 39
التداولية بين المفهوم، النشأة والتأصيل 39
التداولية: مهاد مفاهيمي تحديدات ومفاهيم 39
التداولية بين المعنى المعجمي والمفهوم الاصطلاحي 40
التداولية في المعنى المعجمي: 41
التداولية في الاصطلاح 44
درجات التداولية: 54
الأصول الفلسفية للتداولية: 57
التداولية عند علماء الغرب وأهم إجراءاتها: 63
فروع التداولية: 73
علاقة التداولية باللسانيات 74
مهام التداولية وأهم استعمالاتها و وظائفها: 78
الأبحاث التداولية وصلاتها بالعلوم الأخرى: 83
أ/ التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب واللسانيات النصية 83

ب/ التداولية وعلاقتها باللسانيات البنيوية:..... 85
ج / التداولية وعلاقتها بالنحو والنحو الوظيفي..... 86
د / علاقة التداولية بعلم الدلالة:..... 87
ه / الأبحاث التداولية وعلاقتها باللسانيات التعليمية:..... 88
إجراءات البحث التداولي و أهم نظرياته:..... 89
نظرية الأفعال الكلامية Speech acts théorie:..... 90
ماهية الفعل الكلامي:..... 90
الأفعال الكلامية عند أوستين..... 92
شروط تحقيق الأقوال الإنجازية:..... 94
أقسام الفعل الإنجازي(عند أوستين وسيرل)..... 96
علاقةالحجاج بالتداولية..... 99
خصائص الفعل الكلامي وشروطه..... 102
الأوجه التداولية لعناصر الموقف الكلامي:..... 104
1/ تداولية المتكلم..... 104
2/تداولية المخاطَب..... 105
3/ تداولية الخطاب..... 105
مبادئ التداولية عند العلماء العرب:..... 107
امتدادات التداولية في الفكر اللغوي العربي القديم:..... 108
الأفق التداولي عند سيبويه:..... 108
التداولية عند الجرجاني:..... 109
النّظرية التداولية وأبعاد الفكر التداولي عند الجاحظ:..... 110
الأبعاد التداولية عند ابن جنّي..... 113
الأصوليون ودورهم في الدرس التداولي..... 114
الفكر التداولي عند أبي هلال العسكري..... 116
شرط التواصل عند حازم القرطاجنّي..... 117
الفاعلية التداولية وشروط نجاح العملية التواصلية:..... 118
التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:..... 119
1/ أولا التداولية وعلم التراكيب (النحو العربي)..... 119
2/ علاقة التداولية بكفاءة اللغة..... 122
التداولية وعلاقتها بالبلاغة..... 123
الفصل الثاني : الخطاب الحجاجي بين المدرستين العربية والغربية..... 129

الخطاب الحجاجي بين اللغة والاصطلاح 129
بين الخطاب والبلاغة والتداولية 131
الخطاب الحجاجي في الثقافة العربية 131
الخطاب في التعريف اللغوي 133
الخطاب في الاصطلاح: 134
النماذج التواصلية للحجّة في الخطاب الحجاجي: 140
ملامح الخطاب الحجاجي: 142
نظرية الحجاج والأفعال اللغوية: 143
الحجاج والخطابة 143
الحجاج الخطابي عند أرسطو 143
أنواع الحجج عند أرسطو 145
خصائص الخطاب الحجاجي وأهم سماته 148
المرسل والمتلقي في الخطاب الحجاجي 152
أنواع الحجاج وعلاقاته بعلوم اللغة: 154
الحجاج وعلاقته بالفلسفة: 154
الحجاج الجدلي 155
الحجاج الخطابي: 156
الحجاج القضائي: 158
الحجّة والحجاج 160
أنواع الحجج : 161
علاقة الحجاج بالتداولية المدمجة: 162
الحجاج البلاغي: 165
الخطاب الحجاجي في التراث العربي 166
الحجاج في التراث البلاغي العربي 166
أهمية المخاطب عند اللغويين العرب : 169
أولا كفاءة الإنتاج: 169
ثانيا: كفاءة الإنجاز: 170
الخطاب الحجاجي والبلاغة الجديدة 172
التداخل بين الحجاج والبلاغة الجديدة 174
البعد الحجاجي للبلاغة: 176
بين الخطاب والبلاغة والتداولية 178

الروابط والعوامل الحِجاجيّة:..... 178
العوامل الحجاجية 180
الحِجاج و علاقته باختلاف وضعيات التواصل: 182
ضرورة اللغة وعلاقتها بالحجاج:..... 184
الخطاب اللغوي 189
التواصل اللغوي في الفكر العربي القديم 190
علاقة الحجاج بمرادفات أخرى:..... 193
أ/ الاستدلال:..... 193
ب/ البرهنة:..... 195
ج-الإقناع:..... 196
نظرية السلالم الحجاجية..... 198
1-مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه: 199
قوانين السلم الحجاجي وأسسه..... 201
الفصل الثالث: الاستراتيجيات الحجاجية الموظفة في خطاب الحيدة..... *209*
الإطار السياقي والنسقي لكتاب الحيدة..... 209
أوّلا الإطار السياقي: نظرة عامة حول كتاب الحيدة ودواعي وضعه 209
نبذة عن صاحب الحيدة و مناظره: 210
أولا الكناني: 210
ثانيا المرّيسي:..... 210
مقصدية الكاتب ومنهجيته في وضع الحيدة:..... 212
الإطار النسقي لكتاب الحيدة:..... 214
مناظرة الحيدة..... 214
أدب المناظرة في الإرث الأدبي العربي والإسلامي. 216
المناظرة بين المعجم والاصطلاح:..... 217
المناظرة لغة: 217
المناظرة في الاصطلاح:..... 220
المناظرة و فنون الأدب:..... 222
أصول المناظرة:..... 223
أركان المناظرة وشروطها:..... 224
آداب المتناظرين وأخلاقهم:..... 225
تداوليات المناظرة وأفعال الكلام..... 228

أولا: الادّعاء: 229
ثانيا: المنع 229
ثالثا: التدليل: 229
مراحل المناظرة ونتيجتها 230
الهيكل العام لمناظرة الحيدة 230
1/ الأركان الكلية: 230
أ-الشخصيات 231
الحَكَم 232
الحضور 233
ب-الخطاب 234
ث-الموضوع 234
ح-المكان 235
ج-الزمان 236
الأركان الجزئية للمناظرة 236
أو تداوليات المناظرة 236
أ/ السؤال: 236
ب/ الادّعاء: 237
ج/ المعارضة: 238
استراتيجيات الحجاج في مناظرة الحيدة: 239
الحيدة والاعتذار، ضبط المفهوم وتحديد المصطلح 239
الحيدة لغة: 240
الحيدة في الاصطلاح: 241
الحيدة في القرآن الكريم 241
الحيدة في الحديث الشريف 242
الحيدة في سنة المسلمين وكلامهم: 243
الدلالة المعجمية: 243
الاعتذار في الاصطلاح 244
الاستراتيجيات الحجاجية في مناظر ة الحيدة والاعتذار: 245
استراتيجيات الاستهلال والابتداء في المناظرة 245
استراتيجية التجريح: 245
استراتيجية الحجاج بالمثل: 246

أولا المثل من القرآن الكريم 246
ثانيا: المثل من العيان: 246
استراتيجية الخطاب الحجاجي في كتاب الحيدة: 247
الاستراتيجيات اللغوية في الحجاج: 247
الروابط الحجاجية في مناظرة الحيدة les connecteurs argumentatifs 248
العوامل والروابط الحجاجية في مناظرة الحيدة: 248
الروابط الحجاجية (les connecteurs (argumentatifs 248
العوامل الحجاجية: Les operateurs argumentatifs 249
1-الرابط لكنّ: 250
2-الرّابط: بل 251
3-الرّأبط أمّا: 252
4-الرابط لو: 253
5-الرّابط لأنّ: 253
العوامل الحجاجية Les opérateurs argumentatifs الواردة في مناظرة الحيدة: 254
أولا: القصر: 254
ثانيا :الشرط: 255
6-الاستراتيجيات التداولية وآلياتها 256
أ/ أفعال الكلام 256
7-الأساليب الإنشائية: 257
أولا السؤال: 257
ثانياً أسلوب الطلب والأمر والوظيفة الحجاجية لهما: 261
أسلوب النفي: 262
النّفي والاعتراض: 262
النّفي من أجل الإثبات والنفي 263
النّفي من أجل النّفي: 263
ثالثا الاستراتيجيات البلاغية: 263
1-مراعاة المقام ومقتضيات الحال: 263
الصور البيانية 265
أ/ التشبيه: 265
ب/ الاستعارة: 266
ج/ الاستعارة المكنية: 267

المحسنات البديعية: 268
أ/ الطباق: 269
ب/المقابلة: 270
ج/ الفصل والوصل: 270
1/ الحجاج بنص التنزيل: 271
2/ الحجاج بالقياس والنظر: 271
أولا: الاحتجاج و الاستضاءة بالنص القرآني (الحجاج بالتنزيل) 272
استراتيجية الحجاج بالبرهان ذي الحدين: 272
استراتيجية الأشباه 274
استراتيجية الحجاج بآي القرآن الحكيم 275
استراتيجية الحجاج باللغة: 277
الحجاج بالاستقراء: 278
الحجاج بافتراض مسألة مشابهة للمسألة المتناظر حولها: 279
1- استراتيجية الحجاج بالاستدراج 280
2- استراتيجية الحجاج بالمداخل اللغوية: 281
3-استراتيجية حجاج المحاصرة: 283
4-استراتيجية التوكيد 284
5-استراتيجية الالتباس: 285
6-استراتيجية الحجاج بالاستقراء 286
7-استراتيجية الحجاج بالقياس 287
8-استراتيجية الحجاج بالتوكيد 287
9-الحجاج بالشاهد 289
10-استراتيجية التّكرار: 289
11-الحجاج بالصور البيانية: 290
12-استراتيجية الحجاج الاستفهامي 290
13-استراتيجية الحجاج على ضوء العقل 290
14-استراتيجيات الحجاج بالقياس: 292
15 -استراتيجية الحجاج بافتراض مسألة مشابهة للمسألة المناظر عليها: 293
16-استراتيجيات الحجاج بالسفسطة: 294
خاتمة البحث 300
قائمة المصادر و المراجع 304

الملخص

كانت فتنة القول بخلق القرآن الكريم والصراعات التي نتجت عنها مدعاة لقيام عدد من المناظرات ومناظرة الحيدة والاعتذار موضوع دراستي إحدى نتائجها، إذ استثمر بناؤها الاستراتيجيات الخطابية الحجاجية من خلال إثبات الحجج وطريقة توظيف الآليات اللغوية وغير اللغوية من أجل إثبات الدعاوي و تأكيد الآراء والمواقف أو دحضها وتفنيدها.

وعليه، فموضوع دراستي الموسومة بـ **" استراتيجية الخطاب الحجاجي في كتاب الحيدة للكناني - مقاربة تداولية - "** منشطر بين الدراسة الحجاجية و المقاربة التّداولية، فالحجاج من النظريات التي جاءت نتاجا لتطوّر اللسانيات الجديثة في دراسة اللغة باعتبار الأخيرة أداة للتواصل والتبليغ، وقد عدّ فعالية خطابية كونه فكرة بلاغية هدفها الإقناع، وممارسة فكرية يعتمدها المتكلّم للتّأثير في المتلقّي.

وقد استقطب الخطاب الحجاجي اهتمام الباحثين على اختلاف مشاربهم من مفسرين و لغويين ونقاد، و هلم جرا. لانفتاحه وتنوّع مجالاته، ومن هذا الانفتاح يقع الحجاج في دائرة الأبحاث التّداولية بشكل خاص لما توليه هذه الأخيرة من اهتمام لأقطاب العملية التواصلية، فاهتمت بالمتكلّم ومقاصده، وظروفه كما اهتمت بالمتلقّي وقدرته على الاستيعاب، وكذا الموقف السياقي أو المقام.

ويبرز الخطاب الحجاجي وتداوليته في أنواع الخطابات المتعددة، ومنها خطاب المناظرات وهو ما نحاول تجليته في هذه الدراسة، من خلال استراتيجياته الحجاجية الموظّفة في خطاب الحيدة.

summary

The strife related to the creation of the Holy Quran and the conflicts that resulted from it were a reason for several debates, one of them is the debate called Al-Haydah wal Itithar (neutrality and apology) which is the subject of this study. Its construction invested in the argumentative discourse's strategies, by proving arguments and the method of employing linguistic and non-linguistic mechanisms to prove claims and confirm opinions and positions or refute and refute them.

Accordingly, the subject of my study, which is tagged with "The Strategies of argumentative Discourse in the Book of Al-Haydah by Al-Kinani - A Pragmatic Approach Divided between the argumentative study and the pragmatic approach. Argumentative Discourse is one of the theories that came because of the development of modern linguistics in the study of language, considering the latter as a tool for communication and reporting. It was considered a rhetorical activity as a rhetorical idea whose goal is persuasion, and an intellectual exercise that the speaker adopts to influence the recipient

The argumentative discourse has attracted the attention of researchers of all kinds, including commentators, linguists, critics, and so on. Because of its openness and the diversity of its fields, and from this openness, the argumentative Discourse fall into the circle of pragmatics research in particular because of the latter's attention to the poles of the communicative process, as it paid attention to the speaker, his purposes, and his circumstances, as well as to the recipient and his ability to absorb, as well as the contextual situation

The argumentative discourse and its pragmatic emerge in the various types of discourse, including the discourse of debate, which we try to demonstrate in this study, through its argumentative strategies employed in the discourse of neutrality.

Résumé

Les querelles liées à la création du Saint Coran et les conflits qui en ont résulté ont donné lieu à plusieurs débats, l'un d'eux est le débat appelé Al-Haydah wal Itithar (neutralité et apologie) qui fait l'objet de cette étude. Sa construction a investi dans les stratégies du discours argumentatif, en prouvant les arguments et la méthode d'emploi des mécanismes linguistiques et non linguistiques pour prouver les affirmations et confirmer les opinions et les positions ou les réfuter et les réfuter.

En conséquence, le sujet de mon étude, qui est étiqueté avec "Les stratégies du discours argumentatif dans le livre d'Al-Haydah d'Al-Kinani - Une approche pragmatique divisée entre l'étude argumentative et l'approche pragmatique. Le discours argumentatif est l'une des théories nées du développement de la linguistique moderne dans l'étude du langage, considérant ce dernier comme un outil de communication et de rapport. Il était considéré comme une activité rhétorique en tant qu'idée rhétorique dont le but est la persuasion et un exercice intellectuel que l'orateur adopte pour influencer le destinataire.

Le discours argumentatif a attiré l'attention de chercheurs de toutes sortes, y compris des commentateurs, des linguistes, des critiques, etc. Du fait de son ouverture et de la diversité de ses champs, et de cette ouverture, le Discours argumentatif rentre dans le cercle de la recherche pragmatique notamment du fait de l'attention de cette dernière aux pôles du processus communicatif, comme elle porte attention au locuteur, à son fins, et sa situation, ainsi qu'au destinataire et à sa capacité d'absorption, ainsi qu'à la situation contextuelle

Le discours argumentatif et sa pragmatique émergent dans les différents types de discours, dont le discours de débat, que nous essayons de démontrer dans cette étude, à travers ses stratégies argumentatives employées dans le discours de la neutralité.